



جامعة عباس لغرور خنشلة
ABBES LAGHROUR UNIVERSITY KHENCHELA

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور - خنشلة -

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



جامعة عباس لغرور خنشلة
ABBES LAGHROUR UNIVERSITY KHENCHELA

بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة
"التوابع و الزوابع" لابن شهيد الأندلسي
- مقارنة حجاجية - (ت 426 هـ)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي القديم

إشراف الأستاذ الدكتور:

حميد قبايلي

إعداد الطالبة:

✓ فريدة مسعي

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
1	د/ رابح بوشعشوعة	أستاذ محاضر - أ-	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيسا
2	أ.د/ حميد قبايلي	أستاذ	أم البواقي	مشرفا ومقررا
3	أ.د/ هاشمي قشيش	أستاذ	جامعة عباس لغرور خنشلة	ممتحنا
4	د/ نورة بوغقال	أستاذ محاضر - أ-	جامعة عباس لغرور خنشلة	ممتحنا
5	أ.د/ عمر بوبقار	أستاذ	المدرسة العليا سطيف	ممتحنا
6	أ.د/ محمد بوادي	أستاذ	جامعة لمين دباغين سطيف	ممتحنا

السنة الجامعية: 1447/1448 هـ - 2025/2026 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرّفان

يسرّني أن أتقدّم إلى الأستاذ الدكتور الفاضل " حميد قبايلي " المشرف الموقّع لي في سبيل إخراج هذه الرسالة إلى النور، بالشكر والثناء على ما حلاني به من كرم الإغناء، وتبذل البذل والعطاء بالنصح والتوجيه بكل حبر وأناة واحتواء، فجازاه الله عن تعب المصني وإيالي خير الجزاء.

كما أنوّه في هذا المقام الجليل، عبر توجيحي كلّ الشكر وموهوب العرفان لهذا الصّرح العلمي السامق: جامعة الشهيد عباس لغرور - خنشلة - كلّية الآداب واللغاب، قسم اللغة العربيّة وآدابها، على ما أتاحت لي و كلّ طالب علم من فُرصة للبحث العلمي والاستزادة فيه، وما قدّمته لي من تيسير ومعون وتفهُّم، لكم - فردا فردا- دون استثناء، كلّ الشكر وخالص امتناني، ومن سوبداء قلبي لكم خالص الودّ والعرّفان والذّماء.

دون أن يفوتني تقديم أسامي عبارات الإمتنان للأستاذ الدكتور الفاضل " حملي فاتح " مدير مدير تعليمية النص وكلية الآداب واللغاب بجامعة الشهيد العربي بن مهيدي - أم البواقي - على ما أسداه لي من نصائح، وما قدّمه لي من توجيهات، فله عظيم الامتنان والثناء.

إهداء :

لى الزوجين اللتين تسكنان وعماتي ووجداني:

أمي الحاجة حمامة باوري رحمها الله وطيب ثراها

وأي الحاج محمد رحمه الله في رحلته الأخيرة، حتى

لقاء ربه في 28 رمضان 1446هـ / 28 مارس 2025م

لى نور عيني أخي عبدالعالي العياشي، وحبتي قلبي

محمد نضال، ميزو بن طاهر

لى أخواتي حبيباتي حياة، وسيلة، صورية، حسينة،

ليلي بوضياف

لى زهراني الصغيرات بفرنسا لينة ياسمين، سارة

لى تلاميذي الاعزاء الذين كانوا لي طاقة وفتح

و بنوع الهام

فريدة مسعي

مُقدِّمة

اهتمت البلاغة العربية القديمة بالنصوص والخطابات الأدبية ذات التوجُّه للآخر، غير مكتفية بالنص وصاحبه، ببسطها جسور التواصل بين المبدع والمتلقي، فالتصوُّر الجمالي الخالص للنص الأدبي يُعاضده تصور آخر باعتباره حجاجاً، ببنائه تلك المصالحة بين الشعري والبلاغي فيه، وهو ما سعت البلاغة المعاصرة إلى التوسيع فيه، بتلك الدراسات البلاغية الحديثة بتوجُّهها نحو مفهوم نسقي للبلاغة، يقوم على الجمع بين بلاغة الحجاج وبلاغة الأسلوب، وهوما سعت البلاغة العربية القديمة - منذ تأسيسها على يدي الجاحظ حتى وصولها مرحلة الذروة، بنضجها على يدي السكاكي - إلى التأليف بين رافدين كبيرين هما الرافد الشعري والرافد الخطابي، بذلك التقاطع في النص بين بُعديه التخيلي والإبداعي والمعرفي الإقناعي، الذي يهدف إلى حمل المخاطب على تبني مضمون الخطاب.

من هذا التراث البلاغي العربي برزمتن تراثي بلاغي أصيل: رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي (382هـ-426هـ) قيمة وقامة سامقة في السرديات التراثية العربية الجلية، بذلك الحضور الطاغي في الأدب والنقد والفكر، وبما اشتملت عليه من رؤية نقدية لأهم القضايا الأدبية، ممَّا بوأها تلك الفرادة والتميز عند الأدباء والنقاد، فكانت المعين والمرجع لهم في دراسة الأدب الأندلسي، مما شدني لقراءة هذا المتن، ودفعني لاستكناه خباياه وأساره دافعان هما:

1- (ذاتي) تمثّل في افتتاحي بهذه القطعة الجغرافية النائية في الجنوب الغربي من أوربا، وما مارسته عليّ من سحر وغواية، بين فخر الفتح العظيم لها، وألم سقوط ممالكها تبعاً، وقعت تحت تأثيرها في مقياس الأدب الأندلسي للدكتور جودت الركابي - رحمه الله- الذي كان كثير الوصف لها بالديار الأندلسية، وما حباها الله من طبيعة فردوسية.

2- وأخزُرُ (علمي) تمثّل في ذلك الجانب المعرفي الكامن في تسليط الضوء على الرسالة و حاجتها الملحة للإستزادة من إشراقة أقلام الدّارسين، وإِضاءات المُحلّلين، مع إحساس يخالجنِي أنّ الأدب الأندلسي والمغربي تعرّض لبعض من التغييب والنسيان، ولم يُوفِّ حقّه من الدراسات، إذ تناولت الدّراسات السابقة موضوع التّوابع والزوابع، وعملت على تغذيته بمادّتها الدراسية الهامّة، لكن هذه الأطاريح نأت عن تناولها من زوايا دراسية كالمنهج الحجاجي، أو المقاربة الحجاجية رغم ثرائها وتتمثّل في:

1- الحجاج في رسائل الجاحظ، دراسة تداوليّة حجاجية، لسليمة محفوظي، كلية الآداب واللغات ، دكتوراه العلوم ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة باتنة، 2016-2017م وقد أفادتنِي كثيرا في دراستي وإن كانت المدونة مختلفة وقد استلهمت منها خارطة الطريق التي فتحت علي آفاقا كبيرة في مجال الحجاج، ولا غرو في ذلك لأنها تناولت علّما من أعلام الحجاج في التراث البلاغي العربي على الإطلاق.

2- السخرية في الأدب الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي - أنموذجا- أطروحة دكتوراه العلوم للطالبة خضرة ناصف، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر 2017-2018م، تناولت فيه الباحثة كيفية اشتغال السخرية في التوابع والزوابع، معتمدة المنهج الوصفي التحليلي للسخرية، وأنواعها في الرسالة (لفظية/سلوكية/سخرية الصورة)، إلى أبعادها الحجاجية والبلاغية والتّفنسية والتّقويمية الإصلاحية للتعبير عن الواقع و مواجهة الخصوم و إثبات التّفوق الأدبي واتّخاذها وسيلة للتفريغ عن النفس.

3- العجائبية وتشكّلها السّردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات ركن الدّين الوهراني، أطروحة دكتوراه العلوم للطالبة فاطمة الزّهراء عطية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر 2014-2015م، وهي رسالة موازنة بين توابع ابن شهيد ومنامات الوهراني في عجائبيتهما وتشكّلهما السّردي، وفق المنهج الوصفي

التحليلي، الذي تناول السخرية كمظهر نقدي فيهما، ولغتيهما القائمة على الصور الاستعارية، وما رافقها من صور بلاغية متنوّعة.

وإن كانت هذه الدراسات ذات أثر جليّ في تغذية موضوع التوابع والزوابع لابن شهيد من باب الاستئناس بها، غير أنّي صادفتُ صعوبات جمّة في إعداد هذه الرسالة، تعودُ إلى تداخل المصطلحات والتباسها ببعض، وقد آثرتُ المقاربة الحجاجية L'approche (argumentative) منهجا للدراسة، كونها تطبيقا عمليا يُتيح لي الاستخدام الفعلي لمبادئ المنهج الحجاجي في موقف معيّن، بغرض دفع القارئ أو المستمع إلى الانخراط في الأطروحة المقدّمة في الخطاب، عبر توسّلها الإجابة عن سؤال لماذا؟ (Pourquoi)، كدراسة حديثة تُتيح لي سبر أغوار العلاقة التخاطبية، وخصوصياتها الحجاجية الإقناعية، مستعينة بالمنهجين التاريخي والوصفيّ في تتبّع تاريخ الحجاج بين تعريف به عند الغرب والعرب، بينما يميّز المنهج الحجاجي (La méthode argumentative) باتّساعه وشموليّته لكلّ الحجج وآليات الإقناع ومجموع الأدوات والتقنيّات، وكيفية عملها إذ يأتي إجابة عن سؤال كيف؟ (Comment)، ممّا استوجب عليّ التركيز على الهدف المتمثّل في التأثير والإقناع أكثر من كيفية عمل هذه الآليات والأدوات الحجاجية، عبر تسليط الضوء على قصد ابن شهيد إقناع خصومه وحُصّاده بنجابته البلاغية واللغوية في سياق محدّد يرتئيه، متّكئا على ما تكتنزه الرسالة من حُمولات حجاجية هامة، استدعت إعادة القراءة لهذا الموروث البلاغي برؤية دراسية حديثة، وفي إطار ظهور البلاغة الجديدة (The new rhetoric) وانبعاتها من رماد تراكم المقاربات اللغوية، تتزعمها الإسهامات البلجيكية لكل من بيريلمان (Perelman) وجماعة مو (Groupe Mu)، الذين كانوا من أبرز دُعاة إحياء البلاغة القديمة وتجديدها، بالعناية في المقام الأول بقضية الحجاج - موضوعا معاصرا وأساسا - عبر توسيع مفهومها إلى الخطاب والاتصال والاجتماع والفلسفة، في هذا الإطار استوقفتني هذه المدونة التراثية الأصيلة "رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي" لاستجلاء خباياها و أسرارها البلاغية والنقدية، وعليه استقرّ رأيي مع استشارة

الأستاذ الدكتور الفاضل: (حميد قبائلي) المشرف على هذا البحث على اسمه بالعنوان التالي: بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة "التوابع والزوابع" لابن شهيد الأندلسي (382هـ-426هـ) - مقارنة حجاجية -

وقد حضرتني بعض الأسئلة بشأن التوابع التي استدعت إنارة بعض زواياها المُعتمة بالإجابة عليها، واستجلاء خباياها عبر هذه الإشكالية:

- إلى أي حدّ استجابت رسالة التوابع والزوابع - بخصوصياتها البلاغية واللغوية والحجاجية - لشروط نظرية الحجاج، في إطار سعيه لتحقيق الانخراط لأطروحة؟

- وما المقامات التواصلية التي نشأت فيها التوابع؟ ومن أين استمدت موضوعاتها؟

- ما البنية الحجاجية التي ارتضاها ابن شهيد في رسالته؟ وما عناصر التواصل الحجاجي من خلال السياق والمقاصد؟

- وأي الطرائق التي توّسل بها التأثير في متلقّيه؟ وما آلياته وروابطه وبنائه الحجاجية التي رصد في تنظيمه الحجاجي؟

وكون نظرية الحجاج تسعى - بتقنياتها الحجاجية- إلى خلق أعلى درجات التفاعل، وربط الوشائج بين البشر، عبر استمالة المتلقّي والتأثير فيه، ارتأيتُ عبر آلياتها وتقنياتها تحقيق جملة من الأهداف - في قراءة هذه المدونة القيّمة - تتمثل في:

- الكشف عن طريقة المُحاجة عند ابن شهيد الأندلسي، وطرائقه البلاغية وآلياته اللغوية والعوامل والروابط الحجاجية والأفعال الكلامية لإقناع متلقيه.

- بعث التراثين: الأندلسي والمغاربي من مكمّنه، نظرا لما لاقاه من تغييب ونسيان، بتقديم رؤية واضحة للحجاج من منظور حديث لمدونة تراثية.

- قراءة الموروث البلاغي قراءة حديثة، بتقنيات جديدة

- التعريف بالحجاج ظاهرة تواصلية مهمة في الإقناع والاقناع
- إثراء المكتبة بنوع جديد من الدراسات القائمة على المزوجة بين الماضي والحاضر

للإجابة عن هذه الأسئلة وبناء على ما تقدم توزعت دراستي وفق الخطة التالية:

مقدمة وستة فصول وخاتمة وفهارس فنية مختلفة

فصل تمهيدي: مفاهيم واصطلاحات فكان مدخلا عاما يمثل بوابة لولوج موضوع البحث، بعرض نظري عن تاريخ الحجاج، بتعريفه المعجمي والاصطلاحي، فعلاقة الحجاج بالجدل والخطابة والبلاغة، فالحجاج في الفكر الغربي عند اليونان (أرسطو) ثم عند الغرب المحدثين (تولمان/ بيريلمان/ تيتكاه/ديكرو..)، فالحجاج في الفكر العربي عند قدماء العرب، فالعرب المحدثين، بالإضافة إلى ترجمة وافية للمؤلف "ابن شهيد الأندلسي" من خلال حياته، ومكانته، ومؤلفاته، مع التعرّيج إلى مدونة البحث "التّوابع والزّوابع"، فوصف للرسالة، بتناول محتواها، ودواعي تأليفها.

وتوجهت عنايتي في الفصل الأول بعد التمهيدي إلى بناء الخطاب في التوابع والزوابع، وعرض عناصر التواصل الحجاجي فيها، التي يتم بها الولوج في عالم المتلقي، فعناصر ترتيب الخطاب، مع نظام بناء الرسالة (النظام العاطفي والنظام البرهاني العقلي وبعدها الحجاجي). أما الفصل الثاني: فتحدثت فيه عن الطرائق الحجاجية في الرسالة، بتناول تقنيات الحجاج فيها، وعرض المقدمات المؤظفة: من طرائق اتصالية كالحجج شبه المنطقية، إلى الحجج المؤسّسة على بنية الواقع، ثم الطرائق الانفصالية كحجة الفصل بين المفاهيم. وأشرت في الفصل الثالث إلى آليات الاستدلال المنطقي بالقياس ودوره في التوليد والاستنباط، فإيضاح أنواع الاستدلال، ومستويات الشواهد وأنواعها من شاهد ديني إلى أدبي فالمثل والأسطورة، فالجدل والمناظرة وأخلاقياتها وآلياتها، مع نموذج من المناظرة الأندلسية في مناظرة ابن شهيد لخصومه ومناوئيه (أنف النّاقة صاحب الإفيليني/الإورة الأدبية). وأما الفصل الرابع فعرضت فيه آليات الاستدلال البلاغي في

الرسالة، بتناول روافد الحجاج كالصور البيانية، والمحسنات مثل الاستعارة والكناية والتشبيه والسجع والجناس، فنظرية الأفعال الكلامية عند أوستين (Austin) وسيرل (Searle) واستلزام حوارى عند غرايس (Grace) والخبر والإنشاء، مع تناول أنواع المقامات في الرسالة بشقّه السياسي والاجتماعي والأدبي كالممدح والسخرية والنصح عند ابن شهيد.

وركزت في الفصل الخامس على الآليات اللغوية الحجاجية في الرسالة: بتخصيص العناصر التي سيقوم عليها الحجاج اللغوي، كالوسائل اللسانية من إحالة وإشارات وتكرار وما تضطلع به من حيك وسبك نصي، ووسائل لغوية كالروابط الحجاجية المُدرّجة للحجج والمُدرّجة للنتائج والعوامل الحجاجية ودورها في توجيه القول، فالسُّلم الحجاجي ووظيفته الترتيبية. وذيلت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم ما توصلت إليه من نتائج، ثم أعقبها بفهارس فنية مختلفة.

وفي إطار حصر أو جمع أو استتباط هذا التراث البلاغي الفكري الجليل، مع كثرة المصطلحات النقدية وتداخلها والتباسها ببعض، فالطريق لن تكون ذلولا، وعليه فقد اعتمدتُ على بعض الدراسات والبحوث عن ابن شُهَيْد، أو حتى شخصيات مماثلة له من باب الاستئناس بها، كما استعنتُ ببعض المراجع ذات صلة بموضوع الحجاج منها: (المنهاج في ترتيب الحجاج) لأبي الوليد الباجي (403-474هـ)، و(الحجاج مفهومه ومجالاته دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة) إعداد وإشراف حافظ إسماعيل علوي، و(في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) لمحمد العمري، و(الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة) لأمانة الدهري، و(بلاغة الخطاب وعلم النص) لصالح فضل، والسلاّم الحجاجية لديكرو (Les échelles argumentatives) (O.Ducrot)، وقاموس الحجاج لكريستيان بلانتان (C.Plantin) (Dictionnaire de l'argumentation) ورسالة في الحجاج (Traité de l'argumentation) لبييرلمان (Ch.Perelman) وزميلته تيتكاه (L.O.Tyteca) وغيرها.

هذا وأودُّ أن أُزجِّي خالص شكري وعظيم امتناني للأستاذ الدكتور الفاضل (حميد قبائلي) لرحابة صدره، وما لاقاه من تعب مضنٍ في ترقية هذا البحث، وعلى صبره وحلمه في تبني هذا الغرس الوليد، وتعهُّده بالرعاية والنماء، منوهة بجامعة عباس لغرور بخنشلة - كلية اللغات والآداب - بجهودها الجبارة في تذليل ما صادفني من صعوبات، وتسهيل ما تعرَّس عليَّ في بحثي هذا، ممتنة لكلِّ من أمدني بيد المساعدة ولو بالدعاء منهم الأستاذ الدكتور الفاضل (حمبلي فاتح) مدير مخبر تعليمية النص - بجامعة العربي بن مهيدي- وما قدموه لي من نصح ودعم معنوي. وإني لأرجو ختاماً أن تكون دراستي هذه حلقة تضاف إلى سلسلة الدراسات الحجاجية التي اهتمت بتراثنا العربي القديم، وإن أمني لوطيد في أن تُثرى تصويبات السادة الأساتذة أعضاء اللجنة العلمية الموكول إليها أمر مناقشة هذه الرسالة بمختلف مباحثها، وأن تسلط الأضواء الكاشفة على ما يعتمرها من جوانب قصور لا يخلو منها أي عمل بشري، وما من ريب في أن ذلك سيُتيح لي فرصة ثمينة لتصويبها وتدارك ما فيها من نقص، رقيقاً بها إلى شكل أمثل قدر الإمكان، والكمال لخالق البشر، وحده - دون سواه - فألى أساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة جميعاً، دون استثناء، أتوجه بخالص التحية، المقرونة بعميق الشكر، ووافر الامتنان كفاء اجتهادهم في تتبع دقائق ما ورد في جهد المقل الذي بين أيديهم.

أم البواقي 01 نوفمبر 2025

الطالبة: فريدة مسعي

الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات

توطئة

• 1- تعريف الحجاج:

1.1- الحجاج: لغةً / البنية المعجمية

1. 2-- الحجاج اصطلاحاً

1. 3- الحجاج في اللغة القرآنية

1. 4- الحجاج والجدل:

2. 5- الحجاج والبلاغة: تكامل أم احتواء؟

1. 6- الحجاج والخطابة: اتصال أم انفصال؟

2. الحجاج في الفكر الغربي:

2.1- الحجاج في الفكر الغربي القديم: 2. 1. 1- حدث النشأة في صقلية 2. 1. 2-

التأصيل السفسطائي 2. 1. 3- التنظير الفلسفي 2. 1. 4- تثوير الأسلوب

الروماني

2. 2- الحجاج في الفكر الغربي الحديث بين الإقناع والاقناع: 2. 2. 1- تولمان

والمنطق ممارسا 2. 2. 2- بيرلمان والأرسطية الجديدة/تيتكاه 2. 2. 3- ديكنز

وأنسكومبر..

3- الحجاج في الفكر العربي:

3. 1- عند قدماء العرب

3. 2- عند العرب المحدثين

4- ترجمة للمؤلف ابن شهيد الأندلسي: حياته/ مكانته/ مؤلفاته

5 - التعريف بمدونة " التوايح والزوايح": وصف الرسالة/ محتواها/ دواعي تأليفها

توطئة:

لم يكن الحجاج مفهوماً واضح المعالم والإجراءات والقوانين قبل شايم بيرلمان (Ch.Perelman); إذ شهدت خمسينيات القرن العشرين اهتماماً بالغاً بالدراسات الحجاجية، بإعادته للبلاغة رونقها وللدراسات البلاغية جذوتها، وتصديه لذلك الهجوم والتعدي على أصولها، ولتلك الدعوات المُنادية بموتها، إذ كان وزميلته تيتكا (Tyteca) على وعي بهذا الأمر، فالحجاج "الذي يتميز بشاعته ظلّ مهملاً على امتداد قرون ونحن نتمنى أن تكون النتائج الأولى التي سنصل إليها حافزاً للباحثين الآخرين كي يعملوا عن تكميلها وتهذيبها"¹، لهذا راح علماء المنطق والفلسفة واللسانيون ومحلّو الخطاب يُؤلّون الحجاج الحظوة والرعاية والاستفاضة في الجهود، كون اللغة تحمل في ثناياها بعداً حجاجياً، متوجهاً للمتلقى بغية التأثير فيه وإقناعه، فدراسة الحجاج وآلياته في النظرية الحجاجية، ترمي إلى تحديد الوظيفة المعرفية والإبستمولوجية للحجاج، وإبراز مدى قدرتها على إحراز الإقناع والاستمالة؛ مما بَوّأ الحجاج الاستئثار بالدراسات في حقول الفلسفة واللغة على السواء، رغم أصالته وقدمه قدم التراث اليوناني، ما يُحيلنا إلى البحث عن الحجاج بالرجوع إلى أصوله اللغوية والفلسفية، لتحديد مفهومه، والتأصيل لتاريخه قديماً وحديثاً، مع التعريف بأبرز أعلام النظرية الحجاجية.

1- تعريف الحجاج:

1.1- الحجاج: لغةً / البنية المعجمية

لا يستقيم النظر في مفهوم ما إلا بالرجوع إلى أصوله المعجمية ومعرفة حملته الدلالية، والحجاج في المدونة اللغوية العربية يتمركز بشكل جليّ، ففي المصنفات الأولى يعود الحجاج في جذره اللغوي إلى الفعل (ح.ج.ج) قال الخليل (100هـ-170هـ): "وَأُحَجِّتُ: وَجْهُ الظفر عند الخصومة. والفعلُ حَاجَجْتُهُ فَحَجَجْتُهُ.وَاحْتَجَجْتُ عَلَيْهِ بِكَذَا.وَجَمْعُ الْحُجَّةِ: حُجَجٌ. وَالْحِجَاجُ

¹ شايم بيرلمان وأولبريخت تيتكا، مقدمة كتاب مصنف في الحجاج، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تر: رشيد الراضي، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1، 2010، ج5، ص69

المصدر¹، أما في معجم المقاييس لأحمد بن فارس (329هـ-395هـ) فورد الحديث عن الحجاج بقوله: " يُقال: حاجبٌ فلانا فحجبتُهُ أي غلبتُهُ بالحُجَّة. وذلك الظَّفَرُ يكون عند الخُصومة. والجمعُ حُججٍ والمصدر الحجاج²، بينما حصر الزمخشري (467هـ-538هـ) الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظَّفَر وإفحام الخصم بما يملكه من الأدلة، فقد جاء في أساس البلاغة: " احتجَّ على خصمه بحُجَّة شهباء. وبحُججٍ شُهْب وحاجَّ خصمه فحجَّه وفلان خصمُهُ محجَّوج وكانت بينهما محاجةٌ وملاجة³، بينما ورد في مختار الصحاح للرازي (ت660هـ) أن: " حاجَّه فحجَّه من باب ردَّ أي غلبه بالحُجَّة، وفي المثل لَجَّ فحجَّ، فهو رجل محجاج أي جدل، والتَّحاجُّ التَّخاضُّ، والمحجَّةُ جادةُ الرِّيق⁴، أمَّا ابن منظور (630هـ-711هـ) فيرى في لسان العرب: (والحُجَّةُ: البرهان؛ الحُجَّة ما دوفع به الخصم..وهو رجلٌ محجاج أي جدلٌ. والتَّحاجُّ: التَّخاضُّ؛ وجمعُ الحُجَّة: حُججٌ وحجَّاجٌ. وحاجَّه مُحاجَّةً وحجاجاً: نازعه الحُجَّة. وحجَّه يُحجُّه حجًّا: غلبه على حُجَّتِهِ. وفي الحديث:(فَحَجَّ آدمُ موسى) أي غلبه بالحُجَّة. واحتجَّ بالشيء: اتَّخذه حُجَّةً؛ قال الأزهري: إنَّما سُمِّيت حُجَّةً لأنها تُحجُّ أي تُقْتَصَد لأنَّ القصد لها وإليها؛ وذلك محجَّةُ الطريق هي المقصد والمسلك.وفي حديث الدجال:(إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه) أي مٌحاججه ومغالبه بإظهار الحجة عليه. والحجة: الدليل والبرهان⁵، وعليه فابن منظور يربط بين الحجاج والجدل، و(حاجَّه مُحاجَّةً وحجاجاً: جادلُهُ، وحاجَّه: عارضه مُستنكراً، وتجاجَّوا: تجادلوا...وهو رجلٌ محجاجٌ أي: جدلٌ)⁶، ونقول: "حجَّ مُناظرةً: غلبه بالحُجَّة والبرهان، وحاجَّه: جادلُهُ، والحُجَّةُ: البرهان..⁷

¹ الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تر وتحت: عبد الحميد هنداوي، المحتوى أ.خ، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2003،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1ص287

أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دبت، ص250:

³ الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998، ص113، (ح.ج.ج)

⁴ الرّازي، مختار الصحاح، تح: عصام فارس الحرساني، دار عمار، عمان، 9، 2005، ص69،

⁵ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414 هـ . 1994م، ج2/ص228 مادة (ح.ج.ج)

⁶ المعجم الوسيط، مادة (ح.ج.ج)، معجم اللغة العربية، مطابع المعارف، ط2، مصر، 1972، ج1، ص156

⁷ محمد إسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، مادة (حجج)، ط2، 1968، ص123

والمتصفح للمعاجم والفهارس في اللغة العربية، تُحيله إلى الاستعمال العربي لمفهوم الحجاج، فالدلالة المعجمية لمادة (ح.ج.ح) غطت عشر صفحات من تاج العروس في فهرس القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي، وخمس صفحات من لسان العرب لابن منظور، ازدحمت فيها الشواهد على دلالة هذه المادة الأصل من قرآن وحديث وشعر وأقوال مأثورة، والمعنى اللغوي للحجاج حسب المعاجم العربية التراثية، لم يخرج عن معنى التنازع والتخاصم والتغالب واستعمال البرهان والدليل ومقابلة الحجة بالحجة لدعم رأي ما، "علما أنّ كلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية التي تحمل معنى المشاركة في تقديم الحجج وتبادلها، ومقابلة الحجة بالحجة، فهي مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتدلّ على معنى المناقشة والحوار المقنع"¹

1 . 2- الحجاج في اللغة القرآنية:

أسست اللغة القرآنية للحجاج معجميًا تأسيسيًا بيانياً مميزاً؛ إذ ترددت المادة (ح.ج.ح) في القرآن الكريم ست عشر مرة (16) موزعة على سبع (7) سور قرآنية هي: البقرة وآل عمران والنساء والأنعام والقصص والشورى والجمعة، كما ترددت هذه المادة في كتب الحديث والسيرة. وحسب أغلب المفسرين فهي لم تخرج عن معنيين (جدل، خصم)، وقد جاءت لفظة الحجاج لتفيد معاني متباينة بين المخاصمة بالحق والمخاصمة بالباطل بالحجة المغالطة، القائمة على مقدمات غير صحيحة كقوله تعالى: "أَلَمْ نَرْسُلْ إِلَىٰ آلِ الْيَتِيمِ خَالِئًا إِبْرَاهِيمَ فِي رِيِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّرُ وَيُمَيِّرُ قَالَ أَنَا أُخَيِّرُ وَأُمِّيئُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأَنْتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ"²، وتفسيره أي: "ألم تر يا محمد بقلبك الذي حاج إبراهيم، يعني: الذي خاصم"³، فالنمرود خاصم إبراهيم عليه السلام بحجة مغالطة، بُنيت على مقدمة خاطئة لحقيقة الإحياء والإماتة، إذ فسر (الإحياء)

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ج1، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، 2001، ص13

² سورة البقرة، الآية 258

³ أبو الحسن الواحدي، (ت468هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج2، ص429

بالتخلي عن المسجون و(الإماتة) بقتله، وهذا يدل على أنه لم يفهم حقيقتها، أو لمُكابرتِه وقصدِه المصادمة والعناد، ليعدل نبي الله إبراهيم عليه السلام إلى الحجة الثانية وهي الأقوى، ويُبطل دعواه في ادعائه الربوبية، بتبيين حقيقتها الكامنة في القدرة على التصرف في النواميس الكونية، بتسخير الكواكب وحركاتها، فطالبه بإظهار قدرته على ذلك بالإتيان بالشمس من المغرب على خلاف العادة، وتعجيزه بإقامة الحُجّة على فساد حُجّته الأولى وبُطلانها. وفي قوله تعالى: "فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ"¹، وفي قوله تعالى أيضا: "وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ"²، وردت هذه الرواية إلى ابن عباس من غير إسناد كما جاء عند الواحدي(ت648هـ) إذ يقول:"وحاجّه قومه" قال ابن عباس:خاصموه وجادلوه بالهتهم وخوفوه بها"³، فهذه الآيات الكريمات تُحيلنا إلى معنيين هما: الخصومة والجدل، فهذا التأويل ورد عند ابن عباس وتلامذته، فقد جاء عند ابن جرير الطبري(ت310هـ):"قل أتُحَاجُّوننا" قل أتخاصموننا، وتجادلوننا، كما حدثني محمد ابن عمرو، قال حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن أبي نجيح، عن مجاهد: قل أتُحَاجُّوننا في الله: قل أتخاصموننا؟ وحدثني محمد بن سعد، قال حدثني أبي، قال حدثني عمي، قال حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس: أتُحَاجُّوننا: أتجادلوننا"⁴، وقد وظّف القرآن الكريم هذه الألفاظ: البرهان، البيان، الحُجّة، السُلطان، الدليل، لتفيد معنى الدليل في إقامة الحُجّة في الجدل والنقاش، غير أنّ أكثرها تكرارا لفظ السُلطان وغالبا ما يأتي مقترنا بوصف المُبين، بينما وردت كلمة برهان في ثمانية مواضع في القرآن الكريم، و كان أقلها وُرُودا لفظ الدليل، الذي ورد مرة واحدة في قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ

¹ سورة آل عمران، الآية 61

² سورة الأنعام، الآية 80

³ أبو الحسن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، ص291

⁴ ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ج3، ص120

كَيْفَهُ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ مَلِيًّا حَالِيًّا¹، وإن كانت معاني هذه الألفاظ القرآنية تشترك في معنى واحد هو: إقامة الدليل والحجة، لإظهار الحق، غير أن بعض أهل العلم فرقوا بين هذه الألفاظ، إذ اعتبروا أنّ الدليل ما كان مركباً من الظنّيات والبرهان ما كان مركباً من القطعيّات (اليقينيّات)، والحجّة مستعملة في كلّ ما ذُكر، وكما أجاز عبد الله بن عباس بقوله: "كلّ سلطان في القرآن فهو حجّة"²، ويُعرّف ابن حزم (ت456هـ) الحجّة بقوله: "الحجّة: هي الدليل نفسه إذا كان برهاناً، أو إقناعاً، أو شغباً"³ إذ يعطي الحجاج مجالاً أوسع بضمّه البرهان والإقناع بل ضمّ ما هو أوسع وهو الدليل، كما ذهب طه عبد الرحمن إلى أنه: "يطلق على الحجّة أسماء أخرى، مثل الدليل، والاستدلال، وحتى البرهان، لكن هذا الإطلاق من باب التجوز، أو التوسع"⁴، وعليه نخلص إلى أن مادة (ح.ج.ج) في القرآن الكريم أكثر تردداً واستعمالاً في معنى المخاصمة والمغالبة باستعمال الحجّة كقول ابن منظور: "...ومن أمثال العرب لَجَّ فحجّ، معناه لَجَّ فغلب من لاجّه بحججه"⁵، وهذا ما أقر به الشيخ الطاهر بن عاشور في قوله: "معنى المحاجّة: المخاصمة وأكثر استعمال فعل حاج في معنى المخاصمة بالباطل"⁶، ومنه استنتج عبد الله صولة: "أنّ الجامع بين الحجاج والجدل هو المخاصمة لكنها في الحجاج قائمة على الباطل"⁷.

1. 3- الحجاج اصطلاحاً:

يكاد يتماهى المفهوم الاصطلاحي للحجاج مع معناه اللغوي، لكنّه في هذا المستوى غنيّ جداً بتعدّد حقول استعماله وتشعبه، فهو يشترك مع العديد من العلوم الأخرى، ولمعرفة

¹ سورة الفرقان، الآية 45

محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح، تح: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 2002، ج2، ص82

³ أبو محمد علي بن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار آفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ج1/39

⁴ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص225

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح.ج.ج)

⁶ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، 1984، ج3، ص200

⁷ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007، ص11

دلالاته الاصطلاحية نستعرض بعض آراء المفكرين القدماء، فأبو هلال العسكري (ت395هـ) خصّص للحجاج فصلاً هو الفصل الحادي والثلاثون، تحت عنوان (في الاستشهاد والاحتجاج)، وقد عرّف الحُجّة والاحتجاج بقوله: "الحُجّة هي الاستقامة في النظر والمضيّ فيه على سُنن مستقيمة من ردّ الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المَحَجّة وهي الطريق المستقيم، وهذا هو فعل المستدل وليس من الدلالة في شيء وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها، وإنما تتفصل الحجة من البرهان، لأنّ الحُجّة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد: حَجٌّ، يَحُجُّ، إذا استقام في قصده، الاحتجاج هو استقامة في النظر سواء كان جهة ما يطلب معرفته، أو جهة غيره"¹، كما شرّحه بقوله: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، هو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجره مجرى التذليل، لتوليد المعنى وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته"²، وقد ربطه بالشعر، لما فيه من جلب للسامعين واستهوائهم واستمالتهم، لأن الشاعر يمتلك ميزة التأثير والاستمالة، وهو الذي يملك ما تعطف به القلوب النافرة، ويؤنس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبية المستعصية، ويبلغ به الحاجة، وتقام به الحجة"³، أمّا الشريف الجرجاني (ت816هـ) فيُعرّفه بـ"القياس المؤلّف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإقحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان. ودفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة"⁴ كما يرى أنّ الحُجّة: "ما دلّ على صحة الدعوى، وقيل: الحُجّة والدليل واحد"⁵، بمعنى أنّ الحُجّة تدل على البرهان والإثبات وهي إلى البرهان أقرب. بينما يراه أبو الوليد الباجي (ت474هـ): "إنّ هذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأنًا؛

¹ أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ضبط وتحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1981، ص16

² أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، ص416

³ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص49

⁴ علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تح: نصر الدين تونسي، مطبعة القدس، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص128

⁵ الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ص145

لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل، لما قامت حُجّة ولا اتضحت محجّة ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم¹، بمعنى أنّه علم له أركانه وطرقه المميزة والمحدّدة لماهيته، فهو مجموعة حجج تستهدف غاية، وهي معرفة الحقيقة وتمييز الحق من الباطل والمعوج من المستقيم، ومن الدارسين العرب الذين اشتغلوا بالحجاج حديثاً طه عبد الرحمن في كتابه اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الذي عقد فيه باباً كاملاً سمّاه "الخطاب والحجاج"، ومن التعريفات التي قدّمها له قوله: "هو كل منطوق به موجّه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى مخصوصة، يحقّ له الاعتراض عليها."² فتصوره للحجاج مبني على أساس وجود نيّة الإدعاء عند المتكلم ونية الاعتراض لدى المتلقي في قوله: "لا خطاب بغير حجاج ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدّعي، ولا مخاطبة من غير أن تكون له وظيفة المُعترض"³، كما جعل العلاقة الحجاجية أصلاً في كل خطاب، وأنّ عمليّتي الفهم والاستجابة لا تتحقّقان إلا بوجود الاعتراض يقول في ميزانه: "كلّما وقفنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى أذهاننا دلالاته على معنى التفاعل حتى أنّ ما سواه من مظاهر التفاعل إن تبادلنا للتأثير أو تناقلاً للتغيير أو ترابطاً وظيفياً أو حتى تجاذباً وجدانياً، تبدو لنا موضوعة على قانونه ومفهومة على مقتضاه، أو قل إن الحجاج أصلاً في كل تفاعل، كائناً من كان كائناً ما كان"⁴، وعلى الرغم من أنّ الحجاج انبثق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفية، إلا أنّ طه عبد الرحمان يذهب إلى اعتباره نشاطاً لسانياً تداولياً؛ إذ يبرز كمارسة فعلية وتداوليّة براغماتية: "لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعياً في إنشاء موجهها بقدر الحاجة، وهو أيضاً جدليّ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى

¹ أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد الحميد التركي، دار المغرب الإسلامي، ط2، 1987، ص8

² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص266

³ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000،

ص65

⁴ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص229

من البنيّات البرهانيّة الضيّقة¹، أما جميل صليبا فيذهب في معجمه الفلسفي إلى الإقرار بأنّ: "الحجاج هو جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها."²، وعليه فإن دلالة الحجاج تقوم على "وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية، والمتلقي لها ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين، والتأثير فيهم، وبالنتيجة إقناعهم بمقصد معين"³، كما أنّ المرسل يرمي إلى إقناع المتلقي بهدفه الفكري دون إكراه، بتوظيفه للآليات التي يتوسّل بها تحقيق الاستمالة والتأثير للتغيير وبناء الموقف المغاير كون الحجاج "ليس سوى دراسة لطبيعة العقول ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ثم محاولة حياة انسجامها الإيجابي، والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير"⁴، ومن ثمّ "تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء، ونفوذ في استمالتها للمخاطب كأنّه يراها رأي العين"⁵، فالخطاب الحجاجي خطاب مؤثر في الآخر بشتى جوانبه اللغوية والنفسية والاجتماعية والثقافية، "بدفع المستمع إلى فهم ما؛ ليتسنى للمتكم توجيه الخطاب وجهة معينة عن طريق بناء إطار يفرضه على المستمع بتلفظه ذلك"⁶، بينما عرفه محمد الولي على أنه: "توجيه خطاب إلى متلق ما لأجل تعديل رأيه أو سلوكه أو هما معا، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية"⁷، مما يعني أنه توليفة بين عدّة مكونات متباينة، متعلقة

¹ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 65

² جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1994، ج 1، ص 446

³ عبد الحلیم بن عيسى، البيان الحجاجي في القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد 102، 2006، ص 4

⁴ عبد الحلیم بن عيسى، البيان الحجاجي في القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا، ص 4

⁵ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 226

⁶ عمر بالخير، معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989م-2000م، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2005، ص 185

⁷ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر، ع 2، م 40، 2011، ص 11

بمقام ذي هدف إقناعي، وفي نفس الفكرة يذهب عبد الهادي بن ظافر الشهيري في ربط الحجاج بالإقناع حيث قال: "الحجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع"¹، بينما عرفه أندريه لالاند (André Lalande) في قاموسه الفلسفي بقوله إنه: "استدلال يرمي إلى برهان قضية معينة أو دحضها"² مقدما له المعطيات التالية:

1. المَحَاجَّةُ أو الحِجَاجُ 2. "طريقة عرض الحجج و ترتيبها"³

أما رائدي البلاغة الجديدة بيرلمان (Perelman) وزميلته تيتكاه (Tyteca) فيعرفانه بـ"الحجاج بوصفه جملة من الأساليب تضطلع في الخطاب بوظيفة تحفّز المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع، وذلك أن غاية الحجاج الأساسية إنما هي الفعل في المتلقي على نحو يهيئه للقيام بالعمل المطلوب أو الإمساك عنه"⁴، بينما يُحدّدان موضوعه بـ"إنّ موضوع نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات التي من شأنها أن تسمح للأذهان بقبول ما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك القبول"⁵، كما يريان أنّه "يجعل العقول تُدعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، حيث أنّ أنجح الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، على الأول في جعل السامعين مُهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁶، أما فيليب بروتون فيرى أن الحجاج "وسيلة تهدف إلى تقسيم وجهة النظر مع الغير مستبعدا

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 456

² أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت . باريس، ط2، ، 2001، ج1ص93

³ أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ص74

⁴ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري، بنيته وأساليبه، ط، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2011، ص21

⁵ Chaim Perelman et Lucie Olbrechts Tyteca, Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, Editions de l'université de Bruxelles ,p5

⁶ Chaim Perelman et Olbrechts Tyteca, traité de l'argumentation,p59

ممارسة العنف المقنع مستعينا بالإغواء أو البرهنة العلمية¹، لأنّ العنف في الإقناع يُعدّ ضرباً من الإكراه للمتلقّي، ومن ثم نفوره من الرسالة، عكس الإغواء والاستمالة له، كما عرّفه جاك موشلر (Moeschler Jacques) وآن ريبول (Anne Reboul) على أنه: "سلسلة من الأدلة تفضي إلى نتيجة واحدة أو هو طريقة لعرض الأدلة وتقديمها"²، وعليه فالحجاج اصطلاحاً هو علاقة تخاطبية بين المتكلم والمتلقّي حول قضية ما، مستعينا فيها بالحجج والبراهين قصد الإقناع والتأثير.

1. 4- مفهوم الحجاج في الثقافة الغربية

يُقابل الحجاج عند الغرب لفظ (Argumentation) التي تقترب من المعاني الواردة في معاجمنا العربية، فقد أُخذت كلمة (Argumentation) من الفعل اللاتيني (arguo - arguere - Argumentatio - argumentum) وتعني إظهار وإثبات بجعل الشيء واضحاً ولامعاً وظاهراً³، وهذا الفعل بدوره أُخذ من الجذر اللغوي الإغريقي (Argues) و يعني أبيض لامع.

وتدلُّ لفظة (Argumentation) حسب معجم روبير الكبير (Le Grand Robert) على:

" - القيام باستعمال الحُجج

" - مجموعة الحُجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة

¹ فليبيس بروتون، الحجاج، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013، ص 6، 7

² Anne reboul et jacques Moeschler, Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Ed :du Seuil, 1994, p79

³ Gaffiot.fr, dictionnaire latin – français: ويُنظر أيضا: Dictionnaire Etymologique de la langue latine, Histoire des mots, Alfred Ernout et Alfred Meillet, Paris, 2001, p46: «Montrer, démontrer et prouver et dévoiler et mettre en avant...»

" - فن استعمال الحُجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة"¹

وفي المعجم ذاته نجد أيضا معنى (Arguer . argument) "الأولى تعني استخراج الحجج، والثانية الحجج والإثباتات التي يدافع بها عن الاعتراضات"²، وبذلك يكون مدلول الحجاج . حسب معجم روبير . يدور حول استعمال الحُجج في الإثبات أو الاعتراض أما في معجم لاروس (Larousse) تدل لفظة (Argumentation) على:

" - مجموعة الحجج.*

" - مجموعة من الأساليب الخطابية التي تهدف إلى إثارة أو زيادة التزام (التصاق) المُحاور بالأطروحات المقدمة له"³، أمّا في المعجم الإنجليزي كامبردج (Cambridge) فيُعَرَّف الحجاج .."هو الحُجّة التي تُعَلَّل أو تُبَرَّر مساندةً أو معارضةً لفكرة ما"⁴

1. 5- الحجاج والجدل

تتقارب المصطلحات وتتداخل بين الحجاج والجدل والمناظرة والخطابة، كون الفوارق بينها دقيقة، مع احتواء كلّ مصطلح للآخر، فقد يلتبس بعضها فيدخل في دائرته (الحجاج)، ففي اصطلاح القدماء يرد الحجاج والجدل كمترادفين، إذ يجعل ابن منظور الحجاج مرادفا للجدل في قوله: "هو رجلٌ مُحجَّجٌ أي جدل"⁵، أمّا أبو الوليد الباجي (ت395هـ) "عنون كتابه وهو في علم أصول الفقه بـ"المنهاج في ترتيب الحجاج" مستخدما في العنوان لفظ الحجاج، لكنّه في المقدمة

¹ Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue française, 1ere rédaction, Paris, 1989, p535

² Le Grand Robert : Dictionnaire de la langue française, p 535

³ [https:// www. Larousse.fr](https://www.Larousse.fr) :Larousse, Dictionnaire de français, Définitions :argumenter

*Action d'argumenter : * ensemble d'arguments

* Ensemble de techniques discursives destinées à provoquer ou à accroître l'adhésion de l'interlocuteur aux thèses qui lui sont présentées

⁴ Cambridge Advanced learners M : Dictionnaire, Cambridge university Press, 2nd pub, p 56

⁵ بن منظور، لسان العرب، مادة (ح.ج.ج).



ينعتهُ بكونه كتاباً في الجدل، وهو ما يعني عنده أنّ الحجاج مرادف للجدل¹، وهذا ما دفع بيرلمان (Perelman) في كتابه إمبراطورية البلاغة² (L'Empire Rhétorique) إلى وضع فروق بين نوعين من الحجاج هما الجدل والخطابة، فالجدل نوع من أنواع الحجاج، "ومنهم من رأى أن الحجاج أوسع من الجدل، فكل جدل حجاج، وليس كل حجاج جدلاً"³، ويعتمد الجدل على البرهان المنطقي العقلي، و"هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"⁴، وقد سمى الألوسي (ت1280هـ) المُجادلين بالمشاغبين الذين لا تجدي معهم الحكمة، ومن ثمّ يحتاجون في حجاجهم إلى البرهان، ودائماً يكون الجدل خارج دائرة المُسلمات في قوله: والحجاج يكون مع المُجادلين، والعامّة، والعلماء، فأما العلماء فيخاطبون بالحكمة، وأما العامّة فيخاطبون بالموعظة الحسنة، والمُجادلون يخاطبون بالأدلة والبراهين⁵، ويشترك الجدل مع الحجاج في الإنبناء على فرضية خلافية، حيث يعمد المتكلم في دعواه إلى سق التبريرات، قصد إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير فيه، لتغيير موقفه أو سلوكه، بينما يتخطى الحجاج المقدمة الصغرى، منطلقاً من المقدمة الكبرى إلى النتيجة، فالجدل يعتمد المقدمة الكبرى ثم الصغرى ثم النتيجة عملاً بالسائد في القياس الأرسطي: مقدمة كبرى: كل إنسان يموت/مقدمة صغرى: سقراط إنسان/النتيجة: إذا سقراط يموت، أما في الحجاج فتكون: مقدمة كبرى: كل إنسان يموت/النتيجة: سقراط يموت.

وعليه فالجدل استدلال منطقي محض، يُوجّه إلى مستمع معيّن، خطابه الفلسفة والمنطق، تكون نتائجه مُلزمة فيه بالنظر إلى منطلقاته ومسلماته المنطقية؛ حيث يتم التسليم

¹ أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ص8

² Chaim Perelman : L'Empire rhétorique, ed Vrin, Paris, France, 2édition, 2012, p : 87

³ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، ط1، 2001، ص12

⁴ الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ص137

⁵ ينظر: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، م4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص

بها مباشرة، بينما يكون الحجاج عامًا، وأكثر شمولية منه، مع تعدّد أشكاله وصوره واتساع أفقه، وخطابه لخصم معيّن أو مفترض، ولا يحصل التسليم فيه إلّا بعد المناقشة، ولا تكون نتائجه ملزمة، وهذا هو جوهر الخلاف بين الحجاج والجدل. "فالحجاج الجدلي يروم المعرفة المجردة، ولهذا فهو يعتمد على الاستقراء وعلى طابعه الصارم في توليد المعارف"¹، وقد أقر عبد الله صولة بأن الحجاج بما هو جدل " يعتمد على المعاني العقلية خلاف الحجاج في الخطابة الذي يعتمد بالأساس على الجانب العاطفي"²، أما الحجاج الخطابي فمن قبيل ما عرض له أرسطو في كتاب الخطابة، فهو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، ومقامات خاصة، والحجاج هنا ليس لغاية التأثير العقلي وإنما يتعداه إلى التأثير العاطفي، وإلى إثارة المشاعر والانفعالات، وإلى إرضاء الجمهور واستمالاته³.

1. 6- الحجاج والبلاغة (L' éloquence) تكامل أم احتواء؟

تتداعى الأسئلة حول كُنه العلاقة بين الحجاج والبلاغة عن كونها: تداخلا أم تكاملا أم احتواء؟

اهتم العرب بالبلاغة وعلومها وأجلّوها، وأعطوها حقّها من التعلم والمدارسة، خاصة لارتباط وشائجها مع القرآن الكريم، لفهمه والوقوف على أسراره وتبيين معانيه، التي وقفوا أمامها عاجزين، "والإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شحنه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وضمّنه من الحلاوة، وجلّله من رونق الطلاوة"⁴ كما أولى الجاحظ(ت255هـ)البلاغة عناية كبيرة عبر الكشف عن علاقة الألفاظ بالمعاني، بقوله: "ومن

¹ خديجة غفيري، سلطة اللغة، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2012، ص191

² سعيد فاهم، معاني ألفاظ الحجاج في القرآن الكريم، دراسة دلالية معجمية، علوم اللغة، جامعة مولود معمري، 2011، ص6

³ خديجة غفيري، سلطة اللغة، ص191

⁴ أبو هلال العسكري، الصناعتين: الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الأستانة، العليا، ط1، 1319هـ، ص1

أراد معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف¹ داعيا إلى تلازمهما لتحقيق التأثير في السامعين، "إِذَا كَانَ الْمَعْنَى شَرِيفًا، وَاللَّفْظُ بَلِيغًا وَكَانَ صَاحِبُ الطَّبَعِ صَنَعَ فِي الْقَلْبِ صَنِيعَ الْغَيْثِ فِي التَّرْبَةِ الْكَرِيمَةِ، وَمَتَى فَصَلَتْ الْكَلِمَةُ عَنْ هَذِهِ الشَّرِيطَةِ، وَنَفَذَتْ مِنْ قَائِلِهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، أَصْحَبَهَا اللَّهُ مِنَ التَّأْيِيدِ مَا لَا يَمْتَنِعُ مِنْ تَعْظِيمِهَا صَدُورَ الْجَبَابِرَةِ، وَلَا يَذْهَلُ عَنْ فَهْمِهَا عَقُولُ الْجَهْلَةِ"²

يقول السكاكي(626هـ) عن البلاغة: "إِنَّ الْبَلَاغَةَ إِذْنٌ هِيَ الطَّرِيقَةُ وَالْوَسَائِلُ الْمَتَّبَعَةُ فِي الْكَلَامِ حَتَّى تَنْفِذَ مَعَانِيَهُ إِلَى عَقْلِ وَقَلْبِ السَّامِعِ وَمَا يَقْتَضِيهِ ذَلِكَ مِنْ وَضُوحٍ وَمَحْسَنَاتٍ وَإِبَانَةٍ وَإِظْهَارٍ وَإِقْنَاعٍ"³، كما يربط بين البلاغة وعلم الاستدلال إذ يرى أنّ الخطابات ما هي إلا استدلالات بلاغية حجاجية، حيث "اعتبر الاستدلال في البلاغة العربية حُجَّةً ودلالة عقلية بيانية"⁴، بإخضاع الاستدلال إلى وجوه البيان وعلم المعاني، لأنه "ليس عملية عقلية استنباطية محضة، بل عملية خطابية.. لذلك لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة، وبشكل أعم عن دائرة المجاز"⁵، الذي ربطه بالبعد الإقناعي. وعليه فالبلاغة هي "قبل كل شيء عتاد بنائيّ وتبليغي يتوسّله الخطيب، أو القائل عموماً.. ولأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه.. إلا أن الصور البيانية والحيل المجازية واللغوية(فن الإيصال) وحدها لا تحقّق التصديق والتدليل ما لم تسند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقلياً. وهذه الأدوات هي التي يوفّرُها الحجاج أو المحاجّة"⁶، لهذا يقرر رولان بارت(R.Barthes) بشأنها "نخطئ حين نعتبر البلاغة جمالية للغة، بل هي أيضاً فلسفة التفكير، ثقافة المجتمع، إيديولوجية الطبقات، أسلوبية الحوار، فهي مثال العقل

¹ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص75

² الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص84

³ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، ع1، يوليو 2001، ص108

⁴ رضوان الرقي، الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، مجلة عام الفكر، الكويت، العدد2، المجلد40، أكتوبر2011، ص76

⁵ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص412

⁶ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، ع1، ص110

البشري عموماً¹، وكون الحجاج فعاليةً تداوليةً جدليةً، تراعي مقتضيات الحال، بذلك الحضور الطاعي في العملية التواصلية، لإيصال الأفكار للمتلقي، والإذعان لما تطرحه من رسائل فهو "عملية استدلالية عقلية من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، وتعتبر أن موضوعه درس تقنيات الخطاب التي تمكن المتكلم من تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"²، وعليه فالعلاقة بين البلاغة والحجاج هي احتواء، إذ أن بيرلمان "يعتبر أن البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج، فقد حصر الأولى في الأخيرة"³، كما ذهبت كيربرات أوريكيوني (C.Kerbrat Orecchioni) إلى اعتبار البلاغة: "قبل كل شيء هي نظرية الوجوه (Figures) ونظرية طرق تحريف الكلام وتحويله.. هي دراسة فن الإقناع ودراسة الوسائل الناجعة للتعبير"⁴

1. 7- الحجاج والخطابة (La rhétorique) اتصال أم انفصال؟

الريطورية (La rhétorique) وتعني فنّ إجادة الكلام أو القول (L'art de bien parler)، إذ أنّ الريطوريقا كما استقرّ مفهومها في الثقافة الإغريقية إنّما هي نظرية في القول الناجع، وهي كذلك ذات علاقة متوطّدة بالممارسة الشفوية⁵، وهي مصطلح مشتق من الأصل اليوناني (Rhetorikos) مأخوذ من القول الإغريقي (Techen Rhetorike) الذي يدل على فنّ استعمال الخطابة (L'Oratoire) بوصفها وسيلة للإقناع، وقد ارتبطت الخطابة في نشأتها الأولى بوجود الصّراع، الذي كانت أداته الكلمات بدل العنف، لأنّ "الخطابة تنقل العنف إلى الحقل الاجتماعي والثقافي. إنها تتموقع منذ البداية في العالم السجالي للخطاب. لأن الحجاج

¹ رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع ط1، 2011، القاهرة، ص 9 و10.

² شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ت، ص 59.

³ محمد سالم، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، ص 57.

⁴ C.Kerbrat Orecchioni : L'énonciation de la subjectivité dans le langage, Paris, 1980, p : 217

⁵ علي الشبعان، الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2008، ص 14.

يوضح الجوهر الجدالي للغة: إن العالم الاجتماعي للخطاب هو فضاء الأقوال المتعارضة.. فالاستعمال الاجتماعي للكلام يُبيّن إذن الخاصية الأساس للحجاج: كل حجة تفترض وجود حجة مضادة.. إن الحجاج، إذن، يعالج الشبيه بالحقيقة: وعليه بنى كوراكس خطابيته¹، وقد كان كوراكس (Corax) وتيزياس (Tisias) أول المصنّفين في الخطابة، بالتعريف التالي لها: الخطابة صانعة إقناع² (La rhétorique est ouvrière de persuasion)، وعليه تظهر السمة الجوهرية في الخطابة ألا وهي الإقناع، مما يستدعي تزامن نشأتها ومفهوم الإقناع يقول لوران بيرنو (Laurent Pernot): "والتي تقوم على استدراج الآخر دون إكراه ظاهر، إلى أن يعتقد أمرا لم يكن يعتقد من قبل أو لما يعتقد بعد؟ لقد ابتدعت الخطابة للجواب على هذا السؤال. إنها تسعى في الجوهر، لفهم الإقناع وإحداثه وضبطه"³، ويعدّ السفسطائيون أول من وضع أصول علم الخطابة⁴، حتى أصبحت الخطابة تعني "الفن الحقيقي والأسلوب الصحيح في التفكير"⁵، وكونها ترومّ استمالة المتلقي عبر التأثير في عواطفه واستهدافه في المقام الأول في الخطاب، فتح المجال للتقليل من شأنها، ووسمها بالخطاب المضللّ، مما دفع أفلاطون إلى مناصبتها العداء لها ولأعلامها، كما اعتبرها خطابة مُداهنة وتضليل، لما وسمها بقوله: إنّ البلاغة اليونانية هي بلاغة الحشود (حشود الهيئة القضائية في المحكمة، وحشود المواطنين في الجمعية، وحشود اليونانيين المجتمعين في الأولمبيا)⁶، كما يرى بشأن البلاغة السفسطائية بأنّ "التصور السفسطائي للخطابة هو مجرد أداة تزيينية تمويهية

¹ Gilles Declercq: L'art d'argumenter: Structures rhétoriques et littéraires, Editions Universitaires, 1995. pp 21

² يُنظر: <https://www.blogeloquence.com>: Corax et le premier manuel de rhétorique

³ يُنظر: <https://www.rhetorique dans l'antiquité>, 2000, p : 7

⁴ يُنظر: عبد الرحمن بدوي، ربيع الفكر اليوناني، وكالة المطبوعات، الكويت/ دار القلم، بيروت، ط5، 1979، ص171

⁵ الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ص12

⁶ Monique Canto-Sperber, Platon. Gorgias, Traduction inédite, introduction et notes, par M.C. Garnier-Flammarion, Paris, 1987, p:61

تحقق اللذة لكنها لا تحقق الفضيلة"¹، بما يعني ربطه الحجاج والبلاغة بمعياري العلم والخير، لهذا اقترح شكلا خطابيا يقوم على الحوار الثنائي، ويكون فيه المتخاطبان ندين ومختصين في المجال المطروح للنقاش"²، أما أرسطو فسار على نهج أستاذه أفلاطون في اعتباره الخطابة عندهم خطابة إثارة وغواية، إذ وصفها بقوله: "هي من ناحية تشبه الجدل ومن ناحية أخرى تشبه التفكير السفسطائي"³، ويرى أن الخطابة في كتابه "الريطوريقا" هي صناعة يتم من خلالها الإثبات والإقناع بصناعة الخطابة والحجاج عبر تأسيسها على ركنين أساسيين: القول والقائل بقوله: "فالريطوريقية قوّة تتكف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"⁴.

أما البلاغة عند الجاحظ (ت255هـ-868م) فهي الإفصاح عن معاني النفس، وتقريب الفهم وإجلاء الغموض، إذ "كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه، ويدعو إليه، ويحث عليه"⁵، لهذا ربط الخطابة بشرطين أساسيين هما "الوضوح" و"الإبانة" في قوله: "المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمُتخلجة في نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، وإنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها"⁶، أما أبو هلال العسكري (ت395هـ-1005م) فيرى في الصناعتين أن: "الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما، لأن كل واحد منهما إنما

¹ محمد سالم أمين طلبية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ط1، 2008، ص28

² رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص28

³ رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص19

⁴ أرسطو طاليس، الخطابة، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم للنشر والتوزيع، د.ط، بيروت، لبنان، 1979، ص9

⁵ الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص75

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص75

هو الإبانة على المعنى والإظهار له"¹، أما المتأخرون كأبي يعقوب يوسف السكاكي وابن الأثير فيخرجون الفصاحة من كنف البلاغة، فيجعلون البلاغة اسماً لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة، وعلى هذا فالبلاغة كلّ والفصاحة جزء، غير أنه ما يكاد القرن السادس على الانتهاء حتى ترقى البلاغة العربية إلى رتبة الصياغة الحجاجية المحكمة، بركونها إلى المنطق والحدّ والاستدلال على يد السكاكي (ت626هـ)، إذ يُفرد في "مفتاح العلوم" جزءاً معتبراً من مقولة "لكل مقام مقال" مصرّحاً: "ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال، لم أر بدا من التسمح بهما"²، وعليه "قأسمى دور يمكن أن تلعبه البلاغة هي نفعيتها الحجاجية في الدفاع عن رأي أو موقف ما، وهذا ما ضمّنه الجاحظ في زُبدة ما كتب في البيان والتبيين"³

2. 1- الحجاج في الفكر الغربي القديم بين النسبية والمنطق

توطئة:

إنّ النّظر في الحجاج بشتى أصنافه وأساليبه وتقناته، لا يتسنى دون العودة للتراث اليوناني والغوص في مصنّفاته، وعليه تفرض نظرية الحجاج الحديثة لفهمها، استيعاباً عميقاً لمختلف القضايا النظرية التي طرحها التّراث الخطابي اليوناني، والإحاطة بالنسق الذي وضعه لها أرسطو (Aristote)، وما سبقها من إسهامات قدّمها السفسطائيون (Sophistes) ومُعلّمو الخطابية بتاريخ طويل قبله، مع إضافة وجهات نظر من أتوا بعده خاصة الرّومانّيّان شيشرون (Cicéron) كينتيليان (Quintilien)، وقبل ذلك تستوجب تتبّعاً لمسار الحجاج بالعودة لجذوره في الفترة اليونانية، والمراحل التي قطعها منذ نشأته في صقلية، حتى استواء نسقه النظري على يد أرسطو عبر المراحل الآتية:

2. 1- 1- مرحلة: النشأة في صقلية:

¹ أحمد بن مصطفى المراغي (ت1381هـ)، كتاب علوم البلاغة، البيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص14

² السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص6

³ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط، منشورات الاختلاف، الجزائر، 1434هـ. 2013 م، ص61

لم يقتصر الحجاج - بوصفه ممارسة - على الثقافة اليونانية وحدها، كونه صفة فطرية جُبل عليها الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا، إذ تعود بدايات بروز الحجاج بارتباطه الوثيق بوعي الإنسان، فحسب هيرودوت المؤرخ شهدت حضارة الهند القديمة والحضارة اليونانية بدايات تشكّله، إذ يعود ظهور النظريات الأولى للحجاج تقريبا ما بين 440-450 قبل الميلاد في صقلية اليونانية، إلى مُعلّمِي البلاغة: كوراكس¹ (Corax) وتلميذه تيزياس² (ت467ق.م) (Tisias) تلك المرافعات في قضايا المِلِكِيّات في سيراقوسة (Syracus)، كون النظام القضائي اليوناني ذا خصوصية، وهي إلزام المُدّعي أو المُتّهَم بالحضور شخصيا، والدفاع بلسانه أمام القضاة والمحلّفين الشعبيين، وكان تقدير شرعية قضاياهم ومرافعاتهم يعتمد على ذلك، فضبط كوراكس مجموعة آليات تساعد على المُحاججة بطريقة ناجعة في ضبط الأجزاء الأربعة للخطاب كأساس للخُطب والمرافعات تتمثل في: الاستهلال (L'exorde) لاسترعاء الانتباه، فعرض القضية (الأحداث ممزوجة بالاستطرادات)، فتقديم الحُجج والأدلة، فالانتهاء منها بصيغة تلخيصية.

تحديدا في صقلية في القرن الخامس قبل الميلاد³، باعتبارها المكان الذي شهد ولادة المنطق الصوري والجدل والبلاغة الإقناعية أو الخطابة، ولم يكن مفهوم الفعل بالنسبة لأثينا القرن الخامس قبل الميلاد يعني صناعة الأشياء أو تحويل الطبيعة، بل كان يعني بالأحرى التحكم في الناس وغلبتهم والسيطرة عليهم، ففي إطار الحاضرة كانت الأداة الضرورية للفعل، الأداة التي تمكن من السيطرة على الآخر هي الكلام⁴؛ فنشبت الخطابات والمنازعات الكلامية

¹ Thomas Cole; Who was Corax. Illinois Classics Studies'16.1991 ينظر

² Agésilas Trad. Pierre Chambry :Xénophon; Œuvres Complètes ;T.1 Hachette ;1967 ;p 428.

³ القرن الخامس قبل الميلاد ق5ق.م: هو تلك الفترة الممتدة منذ 500ق.م حتى 401ق.م، هذا القرن بداية التألق الفلسفي عند اليونان

⁴ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، العدد2، المجلد 40، أكتوبر، 2011،

حول ملكية الأراضي؛ إذ قام جيلون¹ (Gélon) وهيرون² (Hiéron) بتهجير سكان صقلية الأصليين، ومصادرة أراضيهم، وتمليكها لمرتزقتيها الذين يعملون لحسابهما؛ فثار السكان على الطاغيتين، وبعد أن انتصروا³، أرادوا العودة إلى أراضيهم، فطالبوا باسترجاع تلك الأراضي المسلوبة، وتجنبًا للمعارك، شكّلوا محكمة مؤلّفة من هيئات من المُحلّفين والقضاة، حيث كانت تجري المنازعات والمنازعات - وغالبًا ما تنتهي إلى منتصر غالب ومنهزم مغلوب - ولكي يدافع كل طرف عن حقه، ينبغي أن يتمتّع بالفصاحة والقدرة على الخطابة؛ لإقناع هيئات المحكمة بأحقّيته بملكيّة الأرض ومن ثمّ استرجاعها، وهكذا أقبل السكّان يتعلّمون أساليب الحوار في النزاع حتى يربحوا قضاياهم، ثمّ أدركوا موقع اللغة وقيمتها في السيطرة على الأذهان، وإقناع الخصوم والمناوئين في مُرافعاتهم؛ فشهدت صقلية المحاولات الأولى لتقعيد الخطابة القضائية، وبذلك تشكّلت الرسالة الأولى للحجاج فيها، إذ يرُدُّ أوليفيه روبول (O.Reboul) نشأة الخطابة إلى مدن صقلية بعد إقرار الديمقراطية فيها يقول: "يؤكد رولان بارت أن الخطابة "وُلدت من المحاكمات المتعلقة بالملكية"، في الحقيقة يمكن أن نقول إنها وُلدت من الحرية"⁴.

2- 1. 2 مرحلة النمو والتبلور: التأسيس السفسطائي: (السوفسطائيون)

السفسطائية (Le Sophisme) لغة: هو محرّف من الكلمة اللاتينية "سوفيزما"⁵ (Sophisma)، وهي نفس الكلمة عند الإغريق وتعني المهارة (Habilité) والاختراع العبقرى (Invention ingénieuse)، والمنطق الخادع (Raisonnement)

¹ جيلون الأول (540 . 478 ق.م) طاغية مدينة سيراكيوز اليونانية، أحد أبطال حرب صقلية الأولى 480 ق.م، وانتهت بهزيمة القرطاجيين على يد السيراقوسيين، حاول توحيد المدن اليونانية في صقلية، ويهدف لحكم التجارة في البحر الأبيض المتوسط (Gélon 1er)

² هيرون الأول (466 ق.م) طاغية سيراكيوز، يتولى الحكم بعد موت شقيقه جيلون (Hiéron 1er)

³ ثراسيبيل يحكم بعد شقيقه هيرون، وبعد عام يسقط حكمه، لثورات السكان عليه، ويصبح الحكم ديموقراطي، ويتم نفيه إلى لوكرس (Thrasybule)

⁴ Olivier Reboul, La rhétorique, Que sais je, Puf, p9

⁵:Gaffiot:Dictionnaire Latin français .Page 1458(Sophisma)Consulté :le 24 janvier 2022

(trompeur)، اشتقت من الكلمة الإغريقية¹ (Sophia) وتعني الحكمة (Sagesse) وهي مذهب فكري فلسفي، ظهرت في نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد في بلاد الإغريق، بعد انحسار حكم الأقلية الأوليغارشية، نشأت بعد مذهب ديمقراطيس وأنبادوفليس²، بعدما انتقل المجتمع الأثيني من طابع زراعي إقطاعي مرتبط بالقبيلة، إلى مجتمع تجاري يهتم بتطوير الصناعات، وتنمية الحرف والاعتماد على الكفاءة الفردية والمبادرة الحرة حسب رولان بارت، مما يعني تراجع الحكم الوراثي والتأسيس لمجتمع ديموقراطي، يحتكم للمجالس الانتخابية، فأصبح للأثينيين الحق في التصويت للوصول لأعلى المراتب؛ فسارع أبناء التجار والأغنياء وأرباب الصناعات إلى خوض غمار الانتخابات؛ بتعلم فنون الخطابة وأساليب الجدل، لإفحام الخصوم والمُناوئين، فأقبل أبناء الأعيان على أبواب العلماء ومُعلّمي البلاغة³ كما يسمّيهم رولان بارت (Les Rhéteurs) السفسطائيين خاصة -، إذ تميّز "رؤادهم بالكفاءة اللغوية البلاغية وبالخبرة الجدلية"⁴، فطرقوها طلباً لأساليب الخطابة والحوار والإقناع، غير أنّ السفسطائيين (Sophistes) انحرفوا في هذا التعليم، باستغلالهم الحجاج والحوار لمكاسب ذاتية، كما كان حجاجهم مُغالطياً، إذ عُرِفَت السفسطة على أنها "نوع من الاستدلال يقوم على الخداع والمغالطة.. (و) مسلك عقلي مشترك بين سوفسطائيّ اليونان.. من كان دأبه أن يستعمل الأقوال الخلابّة والمغالطة في الكلام"⁵، فتعرّضوا للنقد من خصومهم الفلاسفة، باستغلالهم الحجاج لمنفعة ذاتية، مع إيمانهم بتعدّد الحقائق، وركوبهم على ما يُسمّى بالشبهات في التأويل استغلالاً لمبدأ الاحتمال الذي يقوم عليه الحجاج، لهذا كان السفسطائيون يمارسون الحجاج للحصول على السّلطة في المجتمع الأثيني، عبر تعليمهم الشباب الخطابة وتهيئتهم للمناصب العليا، كما

¹ ينظر: Larousse .Fr., Définitions : Sophisme, consulté : le 24 janvier 2022

² يُنظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، 2017، ص 61-65

رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 17³

⁴ محمد سالم محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ط1، بيروت، لبنان، ص 244

⁵ المعجم الفلسفي، تصدير: إبراهيم مذكور، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403هـ- 1983م، ص 97-99.

كان السفسطائي المشتغل بالتعليم يتقاضى الأموال الوفيرة عن ذلك، إذ "تمكّن السفسطائيون من إقناع صفوة المجتمع آنذاك بضرورة تلقّي دروس في هذا المجال، إن كانوا يرغبون في امتلاك أسباب السلطان، ما دام ذلك لا يحصل بغير سُطوة اللسان، فكانوا يحققون من وراء ذلك أرباحاً طائلة، ولا زال الباحثون إلى اليوم يعترفون للسفسطائيين بالدور الكبير في تطوير الخطابة والبلاغة ويعدّونهم أساتذتها المبرزين"¹، كما صرّح بذلك بروتاغوراس²(485-410ق.م)(Protagoras): "أوافق على أنني سوفسطائي، ووظيفتي هي تعليم الناس"³، الذي يعتبر أول فيلسوف يتقاضى المال مقابل تدريس الفلسفة، "فكان شائناً حقاً.. ينتقلون بين المدن يطلبون الشباب الثري ويتقاضون الأجر الوفيرة، وكان هذا الشباب يهرع إليهم ليتقوى بالعلم فوق ما توفر له من أسباب الغلبة كالمال والعصبية، فيستمع إلى خطبهم العننية ودروسهم الخاصة.. ولكن اليونان كانوا يستقبحون أن يُباع العلم ويُشترى"⁴. ومصطلح السوفسطائي يعني: المعلمين البُلغاء أو مُعلمي الحكمة، وكان في الأصل وصف مدح⁵، ثم أصبح مصطلحاً قذحياً أطلقه أفلاطون(428ق.م/348ق.م)(Platon) في محاوراته على الفيلسوف الذي انحرف بالفلسفة ليجعلها سبيلاً للاسترزاق، والفرق عنده بين الفيلسوف والسفسطائي هو أن الفيلسوف يلتمس المعرفة لذاتها دون النظر إلى غاية أو مصلحة عملية، فالسوفسطائي هو الذي ينتقل من مكان إلى آخر من أجل أجر يتقاضاه، كما يعرفه بـ"الصائد المأجور للشباب الأغنياء والمتميزين" (Chasseur salarie de jeunes riches et distingués)⁶، كما أطلقه كسينوفان (Xénophon) (ت480ق.م) تلميذ سقراط على الفيثاغوريين (Phythagoriciens)

¹ Jean Jacques Rebrioux, Eléments de rhétorique et d'argumentation, Dunot, Paris, 1993, P:9

² Plato, Protagoras. Introduction, by N Denyer, Cambridge University Press, 2008. p1 يُنظر:

³ هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الحجاج عند أرسطو، فريق بحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، ص61

⁴ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة هنداوي، 2017، ص62

وينظر Platon, Protagoras, Introduction, By N. Denyer, p1

⁵ يُنظر: Platon. Œuvres complètes. Définitions. Edition de Lion Robin. Paris 1970

⁶ André – Jean Festugière, Sur un passage difficile du "Protagoras", (article), bulletin de correspondance hellénique, 1946, pp : 179-186

(، إذ كانوا يُفخرون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء، وبإيراد الحجج الخلابية في مختلف المسائل والمواقف، ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة، بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي، ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ ودلالاتها، والقضايا وأنواعها، والحجج وشروطها، والمغالطة وأساليبها¹، كما تناول أرسطو هذا المصطلح عندما تحدث عن المقاييس المنطقية في كتابه الأخير من الطوبيقا (Topiques): تنفيذات (تبكيات) السفسطائيين² (Les refutations sophistiques) ويرى أفلاطون في فيدرا (Phèdre) بشأن العلاقة بين الحجاج والخطابة والجدل، بحيث يكون الحجاج عندهم لغاية التأثير في الإدراك (L'entendement) ولغاية التأثير في الإرادة (أي في الأهواء).

2. 1- 3- مرحلة التنظير الفلسفي (أرسطو Aristote)

على الرغم مما بذله السوفسطائيون³ من جهود في نشر الديمقراطية، وتمكين للناس من أدواتها وأساليبها، غير أنّ سقراط (حوالي 470 ق.م - 399 ق.م) (Socrates) وأشياعه واجهوهم مستكرين أساليبهم، ورأوا في بلاغتهم تهديدا للوغوس، ولمستقبل الديمقراطية في المجتمع الإغريقي وحصرًا الأثيني، ودعوا لتخليص الشباب من مغالطاتهم التي ربطت الفلسفة بالمكاسب المادية، وكان سقراط يرى أنّ الحقيقة في ذات الإنسان، وليست في العالم الخارجي، وما على الإنسان إلا أن يتأمل ذاته ليدرك الحقيقة بعبارته الشهيرة: "أيها الإنسان أعرف نفسك بنفسك"، أمّا أفلاطون فكان أكثر عنفًا في نقده للبلاغة السوفسطائية في محاوراته، ودعا إلى تخليص الخطابة من أغاليطهم وخطابتهم "السوداء" بتعبير رولان بارت، وظهر اختلافه معهم الواضح في محاوراته، إذ يقول في مناظرة له مع أحدهم: "ولمّا كان العلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة.. كان الإقناع المعتمد عليه مفيدا يكتسب منه الإنسان معرفة (Savoir) ولمّا كان الظنّ

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، 61-62

² Miriam Hecquet. Aristote. Les réfutations sophistiques. Introduction édition du texte grec. Paris, Vrin 2019

³ ينظر: (من أجل توسيع هذه الفكرة، راجع مقال في الموسوعة العالمية) (Sophistes) Encyclopédie Universalis

يقوم على الممكن (Probable) والمحمتمل (Vraisemblable) إن الإقناع المعتمد عليه غير مفيد.. فهو لا يُكسب الإنسان معرفة بل يُنشئ لديه اعتقاداً¹، والخطاب السوفسطائي في نظره: "قول يتناول الظاهر لا الحقيقة، ويقصد إلى تحقيق اللذة لا الخير"²، بينما يرى الخطابة على أنها "فعل قولي أخلاقي"³.

سار أرسطو(384ق.م. 322ق.م) على نهج أستاذه سقراط وأفلاطون في تصحيح مسار البلاغة؛ إذ تأملها، فوجدها تقوم على تنميق القول من أجل التأثير في النفوس؛ بحصرها في صناعة الكلام المُغالط، فأليات الحجاج التي كانوا يعتمدون عليها في خداع المجتمع الأثيني وتمويهه، كانت ترمي للتأثير في القضاة ويستخدمون "الظن والشفقة والغضب وغيرها من المشاعر النفسية"⁴، بفتح باب البحث لدراسة آليات المغالطة في الحجاج، ورأى أن الغاية من الخطابة والحجاج التأثير والإقناع وليس الفتنة والإيهام؛ إذ تنبّه أن الخطابة قبله كانت خطابة إثارة وغواية، ووجد أن هذا الأمر يُشكّل تهديداً للقيم التي يريد إرساءها ف"من الخطأ إفساد ذمة القاضي وإثارة مشاعر الغضب أو الرحمة فيه"⁵، وبهذا وجدت النظرية الحجاجية إرهاباتها التنظيرية الأولى عند الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتابه الريطوريقا (Rhétorique)، حيث سينتظم الحجاج نسقاً نظرياً خصوصاً، الذي تناول الكثير من الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية، بدرجة عالية من الدقة والشمول، يظهر ذلك واضحاً في الأجزاء المتعلقة بالتدليل اللأصوري في مدونته المنطقية الأورغانون (Organon): كتاب الجدل، كتاب الخطابة، كتاب السفسطة، كتاب الشعر وأخلاق نيكوماخوس (Ethique à Nicomaque) باعتبارها اللبّات الأولى في إرسائه معالم الدرس الحجاجي، إذ انطلق من كون "الخطابة ليست الإقناع بقدر ما

¹ هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، الحجاج عند أرسطو، ص63

² المرجع نفسه، ص64

³ المرجع نفسه، ص79

⁴ أرسطو، الخطابة الترجمة العربية القديمة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، لبنان، 1979، ص29

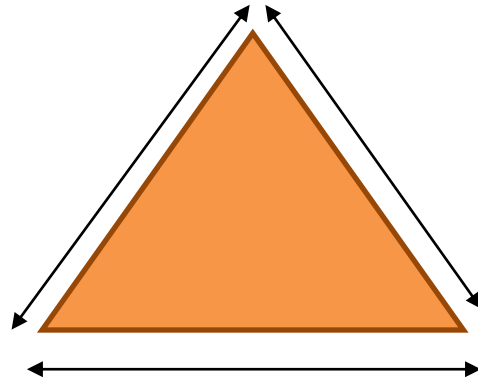
⁵ أرسطو، الخطابة، ترجمة: بدوي، ص24

هي البحث في كلّ حالة عن الوسائل المُوجدة للإقناع¹، وعقد مُصنّعين للحجاج هما: المواضيع (Topiques) والخطابة² (Rhétorique)، بالنظر في خصوصيات الجماهير التي تتلقى الخطاب، وهذا الخطاب خطاب غير معقول (Irrational) بتكريس التمييز التقليدي بين التأثير في الذهن (أي نظرياً) وهو موضوع الجدل (Dialectique)، وبين التأثير في الإرادة (أي عملياً) وهذا هو موضوع الخطابة؛ كما يمر القول الخطابي حسب ثلاث مراحل مهمة هي: الأولى: (Invention) مصادر الأدلة، والثانية: (Disposition) ترتيب أجزاء القول، والثالثة (Elocution) الأسلوب³، كما اعتمد ثلاثة مستويات من الحجج هي: الإيتوس (Ethos) الباث/الخطيب، يصف الخصائص المتعلقة بشخصيته، والصورة التي يقدمها عن نفسه، ليكون موضع ثقة عند المتلقي، والباتوس (Pathos) المتلقي/المستمع ويشكّل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إقائها لدى المستمعين، واللوغوس (Logos): الرسالة، الخطبة، ويتمثّل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي⁴.

Logos (الخطاب/اللغة)

اللوغوس

(Logic/Reason)



الخطيب Ethos

¹ هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، الحجاج عند أرسطو، ص 144

² Laurent Pernot, Lieu et lieu commun dans la rhétorique antique (Article), 1986. pp 253_ 284

يُنظر:

³ هشام الريفي، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم "الحجاج عند أرسطو"، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، منوبة، تونس، ص 259

⁴ أحمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1، 2005،

(أخلاق (Credibility/Trust) المتلقي Pathos (انفعالات/قيم (Emotion/Values)

وقد وُلدَ النظام الجديد في أثينا بمحافله الثلاثة: التجمع الشعبي المُنعقد بين أفراد الشعب للتشاور بشأن مستقبل المدينة، والتجمع المنعقد في المحاكم بشأن الأمن العام وأملاك الغير أو معتقدات أهل المدينة، لهذا فعلى الخطيب الإلمام "بالعدة، والحرب والشر، وحفظ البلد، وفيما يدخل ويخرج وفي وضع السنن(التشريع)"¹، وتجمع الجماهير في الأعياد أو للاحتفالات، وهكذا جاءت الخطابة الأرسطية مستمدة من الواقع الأثيني، والتخاطبات الحاصلة في محافله؛ ببروز الأجناس الخطابية الثلاث التي ضمّنها أرسطو في خطابه وهي: المشاورية والمشاجرية والتبشيرية يقول: "أنواع الخطابة ثلاثة؛ وكذلك فإن مستمعي الخُطْب يتوزعون على ثلاثة أنواع. وتتألف كل خطبة من ثلاثة عناصر: الخطيب، والموضوع الذي يتناوله، والشخص الذي يوجّه إليه الخطاب؛ أما الغاية النهائية فإنها تؤول إلى هذا الأخير، أي إلى السّامع.. ولهذا كان هناك بالضرورة ثلاثة أنواع من الخطب: المشورية، والمُشاجرية، والبرهانية"² يوضحها الجدول أدناه³، كما أعلن أرسطو انفصاله عن خطابة أستاذه أفلاطون، عندما ميّز بين الخطابة

¹ أرسطو، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، ص 20

² Aristote. Rhétorique. Ed livre de poche ; Paris. 1991. p93

الخطابة المشاورية (بلاغة استشارية)	الخطابة المشاجرية (بلاغة قضائية)	الخطابة التبشيرية (بلاغة محفلية)
قضاياها تهّم كل الشعب المتلقي: من المتلقي: من يحكم	قضاياها تهّم مواطنًا واحدًا أو قلة	منهم تهّم كل الجمهور
يشهد الخطاب في الحاضر	المتلقي: من يحكم على موقف أو حدث	على موقف
في الماضي		
البلاغة فيه استدلالية، يمثلها المدح	البلاغة فيه قضائية، تقوم على عرض	تقابلة البلاغة الاستشارية، تختص بالأمور
والذم، وكل ما يدخل ضمن الفضائل	الحجج والبراهين أمام المحكمة	السياسية المتصلة بأمن المدينة وحاجات
والمساوي والجمال والقبح		المواطنين المالية و الأمنية

والأخلاق، غير أنّ خطابة أرسطو بدأت في الانحسار بعد تخلصها من قسمين وهما: تمثيل القول (Hypocrisis.Actio) والذاكرة (Memoria)، ثم امتد الضيق إلى الأجناس الثلاثة الكبرى وهي المشاوري والمشاجري والتنشيتي.

2. 1- 4- مرحلة التثوير الأسلوبى الرومانى:

تبدأ هذه الفترة بتولي الإمبراطور أكتافىوس (Octavius) السلطة من سنة 27 ق.م إلى سنة 14 بعد الميلاد، أصبحت روما مركزا رئيسا للأدب اليوناني؛ حيث توافد إليها مؤلفون يونانيون مثل سترابو (Strabo) وديونيسيوس الهالكارناسوسى (Dionysius Halicarnassus)، كما عاش في عهده الشاعر الحكيم أوفيد (Ovide) والشاعر السياسي هوراس (Horace)، فشهدت روما فترة ابتكار في الأدب اليوناني من حوالى 80 م إلى حوالى 230 م، إذ أصبح النثر مسرحا مميزا لهذا الابتكار، وكانت حضارة اليونان ذات تأثير كبير، إذ أخذوا عنهم أسباب الحضارة المادية والعقلية ومنها الفلسفة¹ واللغة والسياسة والنظم التعليمية والعلوم والفنون؛ فأصبحت هي الثقافة المهيمنة في الإمبراطورية الرومانية إلى حد تهيمش التقاليد الإيطالية كما قال هوراس (Horace) لهذا كان مطمح الأدباء الرومان أن يُنشئوا أدبا يُوازي في عظمته ما أنشأته اليونان، ونبغ منهم شيشرون (106 ق.م. 43 ق.م) (Cicéron) الخطيب الروماني والمحامي البارع²، بأشهر عمل له في الخطابة كتاب الخطيب (De

غايتها: ترسيم قيم المواطنة	غايتها: بيان العدل و الظلم، وأساسها	غايتها: بيان النافع والضار والبحث عن ما
	الاتهام والدفاع	يحقق سعادة المدينة و ما ينهض به المجتمع (الجورا)
تتحقق في الحاضر	تتحقق في الماضي	تصبو إلى المستقبل

¹ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص 7

² شيشرون ماركوس توليوس، الموسوعة العربية الميسرة، 1965

(Oratore) الذي يستعرض فيه آراءه في الفنّ الخطابي بعد ثلاثة قرون من أرسطو¹، ونظريته القائمة على ثلاثة أساليب من البلاغة (*La théorie des trois styles oratoires)، مقدا ديموستين (Démosthène) كخطيب مثالي²، التي تتقاطع بدورها مع أنواع الخطاب عند أرسطو (Les trois genres de discours)، وإن برز شيشرون أكثر في نوع البلاغة القضائية (Le genre judiciaire)، لكونه خطيب روما ومحاكمها المفوّه، لهذا فإن أغلب خطبه التي ألقاها كانت في المحكمة، هاجم فيها ماركوس أنطونيوس (Marcus Antonius)، التي كانت سببا في مقتله، وتعليق رأسه على منبر خطبه، تأثر بأفلاطون، فجاءت أفكاره الفلسفية ذات مصدر يوناني، فكتابه في الخطابة: النوع الأمثل في الجدل (De Optimo Genere Disputandi)³، تحدّث فيه عن صفات الخطيب المثالي: كالثقافة والذوق والموهبة والتدريب الدائم، و"أطروحة بروكس" أهم عمل أدبي له، يقول عن البلاغة: "البلاغة هي الضوء الذي يجعل الذكاء يشعّ"، ويراها نعمة طبيعية وغير مكتسبة، بل يجب أن تكون في طبيعة الشخص، ولا يمكن تعلّمها بقراءة الرسائل البلاغية، كما يزعم أنّ أرسطو هو سلفه الفكري في الجمع بين البلاغة والفلسفة، تميز أسلوبه بالبلاغة والوصف، أما الشعر عنده فهو مُسترخ مُريح للخيال، ومُنقذ للروح من عواصف وإحباطات الحياة، أما الشاعر فرجيل (70 ق.م. 19 ق.م.) (Vergilius) صاحب ملاحم "أناشيد الرعاة" و"أشعار الحقول"

¹ Lexicon Abridged from Liddell and Scott's Greek _ English Lexicon. Oxford: Clarendon. 1996

ينظر:

² «L'homme éloquent que nous cherchons sera donc capable de prouver; de plaire et d'émouvoir ; dans un plaidoyer comme dans un discours politique. Prouver est une nécessité; plaire une douceur et émouvoir une victoire. S'il émeut l'auditoire; sa cause est gagnée. A ces trois taches correspondent trois genres de styles: Le simple pour prouver; le tempéré pour plaire et le véhément (ou sublime) pour émouvoir. C'est dans ce dernier genre que l'on trouve concentrée toute la puissance de l'orateur»

³ Cicero; Retrived edited. Britannica

و"الإنيادة" التي كتبها شعرا يتغنى فيها بأمجاد الرّومان¹، فكان من أشهر شعراء روما، وصديقه الناقد هوراس(19.70ق ق.م)(Horace) بـ"المقطوعات الهجائية" و"التفضيلات الفلسفية" و"الرسائل" خاصة رسالته (For pisons) التي احتوت آراءه الأدبية والنقدية، يصف فيها وجهات نظره حول الشعراء، وينتقد القدامى منهم، كما سخر من الشعر السّخيف والشعراء البغيضين: "أولئك الذين يفتقدون للنثر وطرق كتابته، ويسعدون أنهم يكتبون شيئاً ما، ويعتبرون أنفسهم كتاباً ومتحدثين، وأنهم عزيزون ومشرفون، بل يعترفون بأن لديهم آثاراً وفلسفات، وهم بلا شيء"²، أما عالم الخطابة الروماني كينتيليان (Marcus Fabius Quintilianus) القارئ الناقد لخطابة شيشرون، صاحب أحد أشهر مؤلفات الخطابة في القديم، وهو "مؤسسة الخطابة"(De Institutione Oratio): المجلد الذي يحوي اثنا عشر كتاباً، كل جزء منه يحوي موضوعاً من مواضيع الخطابة، متطرقاً إلى ما يصبُّ في حقل الخطابة والبلاغة والحجاج، مُحيلًا إيها إلى إشكال فلسفي خطابي³، ليعرّفها: "الخطابة هي فنّ القول الجيّد، في بعض الأحيان بطريقة مفصّلة: الخطابة هي فنّ اختراع ما يجب على المرء أن يقوله وترتيبه والتعبير عنه بشكل جيّد، ونطقه بذاكرة أكيدة وكرامة المقام"⁴، ليخلص إلى أنّ الخطاب محكوم بالجودة، كما يراه يقوم على بُنى ومقومات خمس هي:الوضوح/الزخرفة/التضخيم/نوع الأفكار/استعارات ونماذج تقليدية⁵، أمّا كاسيوس لونجينيوس (Longinuis) الذي كان يدرّس البلاغة في أثينا، ومن كتبه "خطابات لغوية" و"في البلاغة" و"المرشد إلى الصنعة الهيفستوسية"، غير أن أهم

¹ ينظر:أحمد علاء الدين، بوابة روما القديمة والأدب ... من شيشرون إلى هوراس، شخصية مميزة، مجلة الميادين، الميادين نت، 26 آذار 2019 على 13.24 <https://www.almayadeen.net>

ينظر: أحمد علاء الدين، بوابة روما القديمة والأدب.. من شيشرون إلى هوراس، مجلة الميادين²

³Quintiline et Pline le jeune,Institution Oratoire,Œuvres Complètes avec la traduction en français publiées sous la direction de M.Nisard, Libraires de l'institut de France:

«La connaissance de plusieurs arts est- elle nécessaire à l'orateur ?/Qu'est ce que la rhetorique,et quelle est sa fin ?/Si la rhetorique est un art?"

⁴ Quintiline et Pline le jeune,Institution Oratoire,p 58

Quintilien, Institution Oratoire,traduction,J.Cousin,les belles lettres,7vol,1975_1980,p125-⁵ 158 : «De la clarté/De l'ornement/De l'amplification/Des genres pensées/des tropes»

كتاب كرسه للنقد الأدبي هو "الجليل في الأدب" أو "السمو¹ (Sublimus) في ق3م، الذي جمع فيه بين الصنعة الفنية والخدمة الاجتماعية، وجعل سمو²هدفا في كل شيء، ثم لا يلبث العصر الأوغسطي الزاهر في التدهور، بتدهور الإمبراطورية الرومانية لقرون طوال، كما فقد النثر اللاتيني بريقه، إذ لم يعد أداة فنية، بل أصبح لغة رسمية يصطنعها رجال الكنيسة، والفلسفة المدرسية في العصور الوسطى، أما الفلسفة فارتبطت بالدين (الكنيسة المسيحية)، مما أدى إلى ظهور فلسفة جديدة تُحامي عن الدين كوظيفة أساسية، وهكذا امتد الضيق والانحسار إلى الأجناس الثلاثة الكبرى التي استخلصها أرسطو، وقد وقعت الإشارة إلى هذا العامل عند المؤرخين القدماء، برّد المؤرخ تاسيت (Tacitus) تقهقر الفصاحة والخطابة، إلى موت المؤسسات الجمهورية، وتسلب الحكام الطغاة، واختفاء الحوادث الكبرى.

2. 2- الحجاج في الفكر الغربي الحديث بين الإقناع والافتناع

توطئة:

عانى الدرس الحجاجي في السياق الغربي حالة من الركود، على امتداد ما يقرب من 15 قرنا منذ كينتيليان وشيشرون الرومانيين (من حوالي ق2 الثاني الميلادي إلى حدود عصر النهضة)، بتعرضه للتهميش غير المباشر، وذلك بتقديم البلاغة عليه في نهاية القرن التاسع عشر كمجال غير علمي، وبالتالي فقد أُلغي من المناهج التعليمية، كما أنّ تغيير هوية المنطق مع فريج (Frege) الذي نشر كتابه المفهوم عام 1879 (Ecriture du concept)، ليصبح فنّ الحساب (Art de calculer)، بعد أن كان فنّ التفكير، وجعله منطقا صورياً غير قادر على التعامل مع الخطاب، وإنّما مع الرياضيات، أمّا في الفلسفة فقد كان التركيز على علوم اللاهوت (La théologie)، "ولم تشهد الأبحاث المنجزة حول الخطابة استفاقتها المثيرة إلا في القرن العشرين وتحديدا مع الستينات إذ أصبح الحديث شائعا حول خطابة جديدة (Une

¹ ينظر : السمو للونجينوس مؤرشف من الأصل 2019 /03/22 (Sublime;philosophie) Universalis.Fr

² Longin,Traité du Sublime,Traduction et préface de Boileau,Paris,Le livre de poche,Librairie Generale Française,1995: يُنظر:

(nouvelle rhétorique)¹، وسر اهتمام الفلاسفة المحدثين بها "فراجع إلى قناعتهم بالدور الخطير الذي عادت تلعبه في توجيه الرأي وبلورة الفكر المعاصر"²، لينبعث الحجاج من رُكامه، بتلك الإسهامات الجبارة للفيلسوف التشيكي بيرلمان (Perelman) الذي نشر مع زميلته اللسانية البلجيكية لوسي أوليبريخت تيتكاها (L.Olbrechts Tyteca) عام 1958 كتاب رسالة في الحجاج: البلاغة الجديدة (Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique)، إذ فسّر تعريفه للحجاج بمعنى "أن كل واحد منا، يسعى إلى نشر ما لديه من فكرة أو معتقد أو بضاعة لا باستعمال العنف والإكراه، فلم يعد مجديا سوى الخطاب الإقناعي إلى حد أنه قال بيرلمان نفسه: إن القرن العشرين، وما يليه هو قرن الترويج والدعاية"³، كما نشر تولمين (S.E.Toulmin) في العام ذاته كتابه استخدامات الحجاج (Les usages de l'argumentation)، وهكذا اتسع حقل البلاغة، "بل أصبح يشمل ميادين جديدة تتعلق في الأمر بكل أنواع الخطاب الإقناعي بدءا بالإشهار مرورا بالشعر وصولا إلى الوثائق الرسمية كالمعاهدات والاتفاقات السياسية. بل من المثير في القضية أن الخطابة باعتبارها فن الإقناع عبر الخطاب قد اتسع مجالها فتجاوزت أصناف الخطاب الشفوي والمكتوب لتشمل ميدان الصورة والصوت فأصبح من الجائز بل من الشائع الحديث عن حجاج في لوحة إخبارية أو معلقة تنبيه أو منع أو شريط سينمائي أو قطعة شعرية مُلحّنة بل عن حجاج واع"⁴، ليضحي الحجاج حقلاً علمياً طاغياً الحضور في أغلب أنواع الخطاب، مما دفع به للولادة من جديد تنظيراً وممارسةً.

2. 2 . 1- تولمين والمنطق ممارسة (الحجاج المنطقي) Stephan.E. Toulmin

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، 2011، ص20

² محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص13

³ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص299

⁴ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص21

تدبر تولمين (Toulmin) مفهوم الحجاج، وذهب خلاف ما ذهب إليه بيرلمان (Perelman) وزميلته (Tyteca)، "لأن حافزه البحث عن منطق طبيعي ينسخ المنطق الصوري، فبلاغته تستظل بظل المنطق، وإن كانت تأبى التقيد به"¹، انطلاقاً من رسوم حجاجية ثلاثة: أولها عماده ثلاثة أركان رئيسة هي المعطى (م) (Donnée) والنتيجة (ن) (Conclusion) والضمان (ض) (Garantie)، وثانيهما تدقيق للأول مع إضافة كل من عنصر الموجّه (Le qualificateur modal)، وعنصر الاستثناء (l'exception)، وثالثهما: وهو الأكثر دقة من خلال إدخال عنصر الأساس (Le fondement)، الذي يُبنى عليه الضمان (Garantie) ويرى تولمين أنّ هذه الرسوم الحجاجية بأركانها الثلاث: المعطى والنتيجة والضمان، يُقربها من طريقة الاستدلال الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على شاكلة: صغرى وكبرى إذن نتيجة..و إنما هو أقرب إلى صناعة البرهان"²، لهذا يرى عبد الله صولة في تعريف تولمين أنّه "غير حجاجي ولذلك اعتبرنا أنّ الحجاج يرمي دائماً إلى إقناع الغير، وإنّما هو أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق حيث يقصد بالبرهان إثبات الحق لا لإقناع الغير به في العادة. وإنّما لإقناع المرء نفسه وتلك هي الطريقة الوحيدة المتوخاة في البرهان"³، كما يرى أن تولمين أقصى عنصر الجمهور من طرحه، فالحجاج حسبه هو تحليل للقول مع الرد عليه بقول أبلغ يؤدي وظيفة إقناعية (Une fonction persuasive)، بينما يُقدّم تولمين حسبه الحجاج بحصر فعاليته في التعليل دون تحليل للقول: "تمودجا حجاجيا يجعل من التعليل الوظيفة الأساسية للحجج"⁴، كما علّق في أطروحته على الطرح الذي تبناه تولمين بقوله: "والحق أنّنا غير مطمئنين لنظرية تولمان الحجاجية هذه اطمئنانا كاملاً لأسباب أهمها أن أركان تولمان الأساسية الثلاث (م، ن، ض)، يذكّرنا عددها ونهج الاستدلال المتوخى فيها بنهج الاستدلال

¹ أمينة الدهري، الحجاج و بناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1432هـ/2011م، ص7

² عبد الله صولة الحجاج في القرآن، من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1422÷-2001م، ص25-26

³ المرجع نفسه، ص26

⁴ محمد طروس، النظرية الحجاجية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص68

الأرسطي في بناء الأقيسة المنطقية على طريقة صغرى، كبرى، نتيجة وهو بناء يشير تولمان إليه صراحة ملاحظا بساطته وعدم قدرته على استيعاب كافة الحجج¹، وعليه يظهر أنّ تولمين ومن خلال رسومه الثلاث (المعطى/النتيجة/الضمان) أخضع الحجاج إلى المنطق الصوري والاستدلال الأرسطي بأقيسته وقواعده الإلزامية الصارمة، كما أن تولمين أهمل المتلقي والمقام اللذين يُعدان رُكنين أساسيين فيها، وهو ما يُحيدُه عن غاية الحجاج وتوجّيه الإقناع بالطرق الممكنة.

2. 2. 2- بيرلمان وتيتكاه والأرسطية الجديدة (الحجاج البلاغي):

جاء عالم المنطق ورجُل القانون التشيكي شايم بيرلمان (Chaim Perelman) في منتصف القرن العشرين، مع زميلته اللسانية البلجيكية لوسي أولبريخت تيتكاه (Lucie Olbrechts Tyteca)، بعد أن استوعبا التراث البلاغي الغربي، فقدّماه في ثوب وتصور جديدين، فظهرت بذلك البلاغة الجديدة على يديهما سنة 1958 في كتاب مصنّف في الحجاج، البلاغة الجديدة (La nouvelle rhétorique, Traité de l'argumentation)، غير أنّ بلاغة بيرلمان هي امتداد للبلاغة الأرسطية، ويرى أن البلاغة ليس غايتها التخيل فقط، وإنما غايتها الحجاج، عندما يعجز المنطق عن إخضاع العقل، نلجأ إلى البلاغة للتأثير في المشاعر، فالمفهوم الجديد للحجاج عندهما هو: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرضُ إليها من أطروحات، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم"²، أي البحث في آليات الخطاب التي تحمل السامع إلى قبول ما يعرض عليه من أطروحات، واقتناعه بها، مما يتطلب من المتكلم تقوية الإذعان لدى السامع لحصوله، لأنّ هذا الخطاب موجه لكل أنواع الجمهور، إذ أن بلاغة بيرلمان "تهتمّ بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المستمعين، سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في ساحة عمومية، أو تعلق باجتماع

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 25، 26

² المرجع نفسه، ص 27

المختصين، أو بشخص أو بكل الإنسانية¹، كما يُعزّز بكفاءة كل أنواع المستمعين في فكّ تشفير الخطاب، وفهمه، والرد عليه بما يناسبه، وراح يُثمن جهود المتكلم في سبيل تبليغ رسالته للسامع وفهمها والتسليم بها، إذ يضعنا "نموذج بيرلمان أمام مواجهة خطابية جدلية أحادية الوجهة، ترتبط بقضية أو أطروحة، يستند فيها الخطيب على تقنياته الحجاجية ومكانته الاجتماعية ليعدل موقف المتلقي أو يُعزّزه"²، كما يرمي إلى أن يخرج البلاغة من شقها التخيلي الفني إلى جانبها التواصل الحجاجي، وبحكم أنّ بيرلمان هو أستاذ القانون؛ فقد ألبس البلاغة ثوباً قانونياً، بحيث أنّ البلاغة الغربية تمحورت في أغلبها حول الحجاج، الذي غرضه الإقناع، كما عملا على تخليص الحجاج مما ارتبط به من المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور (الخطابة)، كما عملا على تحريره من صرامة وإلزامية الاستدلال (الجدل)، لكنهما عملا على توسيع حدودها "عبر دمج الجدل، والإنسانيات عامة والتحاور العملي، في هذا النموذج الموحد الذي دعاه البلاغة الجديدة"³، فالحجاج عندهما هو حوار من أجل الوفاق بين الأطراف من أجل حصول التسليم برأي آخر، ف"موضوع الحجاج هو درس التقنيات الخطابية التي تُمكن من إثارة وتعزيز انخراط الأذهان في الأطروحات المقدمة"⁴، وقد حافظ كل من جاء بعد أرسطو على تقسيمه للخطابة إلى ثلاثة أقسام: المشاجرية/المشاورية/التثبتيّة، لكن بيرلمان وتيتكاه يعتقدان أنّ هذا التقسيم شتّت شمل الخطابة، لتتنازعها العلوم التي تتجاذب كل واحدة منها طرفاً: النوع المشاوري واختصت به الفلسفة، والنوع المشاجري الذي كان من نصيب الجدل، والنوع التثبتي الذي خلص إلى الأدب"⁵

2. 2. 3- ديكرو وأنسكومبر واللغة (الحجاج اللغوي واللساني):

¹ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، مجلة عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، أكتوبر 2011، ص33

² محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص56

³ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج: أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص35

⁴ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف، لبنان/منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ-

2013م، ص185

⁵ ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص305

الحجاج في اللغة نظرية غربية حديثة، ظهرت على يد الألسني الفرنسي أوزوالد ديكرو (O.Ducrot) وزميله جون كلود أنسكومبر (J.C.Anscombe)، بعد ظهور كتابهما: الحجاج في اللغة (L'argumentation dans la langue) عام 1983، وقد عرّفاه بأنه: "إنجاز لعملين هما عمل التصريح بالحجة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من "ق" ويقصد بـ"ق1" قول المتكلم، كما حدّد ديكرو سمات الخطاب الحجاجي بقوله: "حين نصف خطابا ما بأنه خطاب حجاجي، فذلك معناه أن هذا الخطاب يحتوي على ملفوظين اثنين على الأقل: (م1)، (م2) حيث يقوم أحدهما بتعزيز وإسناد الآخر، ويسمى الأول حجة والثاني نتيجة"²، كما يُعرّف الحجاج اللغوي معه بالتداولية المدمجة (Pragmatique intégrée) لأنه أدمج الفعل التواصل الحجاجي في أفعال الكلام داخل النظرية التداولية التي صاغها سيرل (Searle) وأوستين (Austin)، "إلا أن ديكرو قام بتطوير أفكار هؤلاء وهذا ما يظهر جليا من خلال إضافته للفعلين هما "فعل الاقتضاء وفعل الحجاج"³، فهو عندهما فعالية لغوية تقوم على التلقّف بقول يحمل بين ثناياه حجة، تجعل المتلقي يستنتجها، ويظهر ذلك في ردّه، بغض النظر عن طبيعة النتيجة سواء كانت صريحة (Explicite) أو ضمنية (Implicite) "فباللغة إذن تحمل بصفة ذاتية وجوهية وظيفية حجاجية"⁴، والحجاج عندهما "هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد عبرها إستراتيجية الإقناع"⁵، كما أرسى الألسني اللساني ديكرو (O.Ducrot) الجانب اللساني في الحجاج، إذ يعدّ البعد الحجاجي سابقا عن البعد الإخباري في الكلام، فالمعنى الإخباري اعتبره

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص33

² بخوش كمال، الأسس المعرفية لمقاربة النصوص الحجاجية، عرض مفهومي لمصطلحي: (الحجاج اللغوي) و(العامل اللغوي)، مخبر تعليمية اللغة والنصوص، جامعة يحي فارس، المدينة، العدد 9، ص343

³ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، منتديات سور الأزيكية، العمدة في الطبع، ط1، 1426هـ - 2006م، ص16

⁴ أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى، مقال ضمن: التحايج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، الرباط، منشورات كلية الآداب، 2006، ص14

⁵ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2004، ص456

ثانويا وهامشيا إذ عبّر عن ذلك بقوله: "إنّ التتابعات (الترايبات) الحجاجية الممكنة في الخطاب مرتبطة بالبنية اللغوية للأقوال وليس بالمحتوى الإخباري فقط"¹، فكل كلام حسبه هو حجاجي بالقوة، قبل أن يقوم بدوره الإخباري، فالسمة الحجاجية مُنغرسَة في اللغة أصالة، أما موضوع نظريتهما: "فهو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية تمثّل مكوّنا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجّه قوله نحو وجهة حجاجية ما"²، مثلا لو قلنا: "تلك المنطقة ملائمة لكنها بعيدة"، هي عبارة تحمل معنى حجاجيا، إذ بمجرد تلفظنا بهذه العبارة وجّهنا قولنا نحو وجهة حجاجية واحدة، تتمثّل في "رفضنا التام لتلك المنطقة"، فالواسم اللغوي "لكنّ" عمل عمله في توجيه القول نحو نتيجة واحدة دون غيرها، وعليه فبنية الأقوال وما يكمن فيها من قوة حجاجية هي ذاتها لبّ الحجاج، الذي بناه ديكرو على وظيفة التوجيه (L'orientation) أي إن فعل التلقّف موجّه وجهة معينة، تجعل السامع يقتنع بالحجة ضمن الحدود التي أرادها المتكلم في قوله: "إنّ الأبحاث المتعلقة بهذا الأمر..تطمح إلى مدّ هذه الأطروحة إلى مدى أوسع من المواضيع المشتركة التي بوّبتها البلاغة، وحسب وجهة نظرنا، فإن كل ملفوظات اللسان تأخذ وتقتلع معناها من جزاء كونها تضطلع بدور يلزم المخاطب باستخلاص صنف معين من النتائج"³، وهو ما عابه عليه البعض من المشتغلين في الحجاج، لكونه حصر الوظيفة الحجاجية للغة في التوجيه دون غيره، مما يعتبر إجحافا في حقها (اللغة)، فدلالة الكلام عامة والكلمة خاصة ليست التوجيه فحسب، وإنما التوجيه جزء من دلالة ذلك الكلام، فقد يكون لهذا الكلام بحسب المواقف التأويلية التي نقف عليها، دلالات تتجاوز الحجاج

¹O.Ducrot.et Anscombe:L'argumentation dans la langue,editeur Bruxelles,Pierre Mardaga,1983,p:9

² شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، مقال ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب بمنوبة، تونس، ص352

³ صابر الحباشة، اللسانيات والخطاب، دار الحوار، سوريا، ط، 2010، ص255

والتوجيه وتفيض عنهما"¹، هذه النظرية التي سيعمل أبو بكر العزاوي على استنباتها وتطويرها في الدراسات العربية الحديثة.

2. 2. 4- ميشال مايير (Michel Meyer) ونظرية المساءلة (Théorie du questionnement)

يُعدُّ ميشال مايير (M.Meyer) تلميذاً لبييرلمان، وقد انطلق في نظرية المساءلة² (Le Questionnement)، من أن الحجاج حسبه هو جواب عن سؤال، لأن المتلقي هو القائم بطرح الأسئلة (Questionneur)، وعليه فمقاربة المساءلة تعني: "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيته"³، فظاهر الكلام تعني الجواب، وقصد بالثاني السؤال الضمني، ظهرت هذه النظرية لاعتقاد مايير بوقوع العقل والفكر الغربي في أزمة، بعد محاصرة الفكر المادي لهما، تحت تأثير أفكار ماركس وفرويد ونييتشه، لذلك فهو يرى بأنه كلما زاد التساؤل زاد التفكير، وكلما زاد التفكير زاد الإحساس بالذات، وتحققت إنسانية الإنسان، وخفّت حدّة المادية فيه، وصار أقرب للفلسفة التي قامت على التساؤل، وباستكثار الأسئلة يعني العودة لروح الفلسفة، ثم وظّف مايير هذه التساؤلات في معالجة البلاغة بمنطلقات فلسفية، وهكذا ظهرت نظرية المساءلة ضمن الأطر الفلسفية الحديثة خلال (المساءلة/البلاغة/اللغة)، وقد استلهم مايير أفكار الفلاسفة اليونان، وقد كان السؤال عندهم كالشكل الآتي:

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص33

² Michel Meyer :Il nous faut questionner le questionnement,par Roger Pol Droit, publié le13 novembre 2008,à11h48,le monde :

«Socrate questionnait les thèses de ses adversaires,mais sans offrir- lui ême de réponse.Platon,au contraire,avec sa théorie des idées et du monde suprasensible,répondait,mais en finissant par renoncer à questionner.En fait les philosophes n'ont pas vraiment réfléchi au questionnement en tant que tel.C'est pourquoi nous devons trouver un nouveau langage,propre à capturer ce qui est problématique»

³ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص39

السؤال عند أرسطو	السؤال عند أفلاطون	السؤال عند سقراط
خالف أرسطو سقراط وأفلاطون بشأن السؤال، فقد جعل السؤال تابعاً للجدل ووجهها من وجوهه المتعددة، لأنّ الجدل مبحث فكري نُخبوي، يتخذ غالباً بنية تساؤلية، حيث يجتهد المُجيب في الإثبات ويجتهد السائل في النّقض ³	أفلاطون يُركّز على الإجابة، لأنه كان يبحث عن الحقيقة العقلية المطلقة - باعتباره مثالياً - لذلك يُركّز على الأجوبة لتحصيل الحقيقة، وليس على طرح الأسئلة ²	السؤال عنده بلغ مرحلة حاسمة، أما الجواب فهو مستوى ظاهر فقط للسؤال، والأسئلة التي يطرحها لا تكون من أجل تحصيل الإجابة الظاهرة فقط، بل لاكتشاف أجوبة محتملة ومتوهمة وحتى خاطئة، ويركّز على السؤال لأنه هو المستقر للإجابة، وتبعه ميشال مايير في ذلك ¹

ويطرح مايير "مشروعه من وجهة نظر فلسفية تتطرق من التفلسف حول مكونات الكلام"⁴، محددًا السؤال بوصفه المحور الأساس الذي يرتبط بالحجاج والفلسفة كونه "الحامل لقدرة الفكر على المساءلة"⁵، وبهذا يتقرّر أنّ لكل سؤال جواباً، "فلا وجود لسؤال دون جواب وأن الضرورة الداعية إلى السؤال التي يمثلها هذا الجواب تُحدّد اضطراراً سيرورة شاملة يُحيل

¹ يُنظر: M.Meyer:Questions de rhetorique.Le livre de poche.Paris

² محمد علي الفارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة، (مقال) في كتاب: أهم نظريات الحجاج في البلاغة الغربية، من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم، 387-390

³ محمد علي الفارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة، ص391

⁴ محمد علي الفارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة، منشورات كلية الآداب ببنوية، تونس، (د.ت)، 391

⁵ المرجع نفسه، ص392

فيها أحدهما على الآخر إن السؤال، بما هو سيرورة للمساءلة هو دينامية مسار يتجه نحو الحل"¹

3. 1- الحجاج في الفكر العربي القديم بين البيان والإقناع

إذا كان لأرغانون أرسطو وخطابته سلطة الاحتكام إليها في التقاليد الغربية، بتأسيسه لبنات القول الخطابي، ومع اختلاف السياق العربي الإسلامي عن السياق اليوناني، فأثينا ومؤسّساتها الكبرى، كانت مهذا ومسرحًا تُمارَسُ في رحابه الخطابة، فمؤسّسة القضاء عند العرب والمسلمين تختلف عن بنية محاكم أثينا، وما يعلو في جنباتها من مرافعات ومحاكمات، شهدت ميلاد أحد أجناس الخطابة الثلاث وهو المُشاجري (Judiciaire)، كما كانت مؤسّسة السلطة السياسية في أثينا حيّزًا لبروز جنس الخطاب المشاوري (Délibératif)، فإن التّأصيل لنظرية الحجاج على سعيد المدونة البلاغية والنّقدية العربية قديما، وتأصيلها في الفكر العربي يُحيلنا إلى البحث عن جذور هذه النظرية، ومعرفة أبعادها الفكرية والمعرفية وأثرها في المتلقي العربي، انطلاقًا من المُدونات التراثية التي وصلت إلينا.

3. 1. 1- العصر الجاهلي والحجاج حدسيا:

إن البحث عن جذور الحجاج عند العرب، يمكن تلمّس بداياته عندهم في العصر الجاهلي إلى أغوار أعمق وأبعد من ذلك بكثير، لأن "الإقناع" فطرة في السلوك البشري، إذ يحرص كل فرد على التأثير في الآخر، وإقناعه بوجهة نظره في إطار العملية التواصلية بينهم، فالمتصّحّ للشعر الجاهلي . وخاصة الشعر القبلي . يجد في جذوره تلك المُنافرات والمجادلات، "فالشاعر الجاهلي قادر على الاحتجاج قدرة الإنسان مطلقا على تبرير مواقفه، وإثبات آرائه وحمل الآخرين على التسليم بها"²؛ إذ كان للشعر - كونه ديوان العرب - العُلبَة على أصناف

¹ ميشيل ماير، اللغة والمنطق والحجاج، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، تر: محمد أسيداه، عالم الكتب الحديث، اردن،

الأردن، ط1، 2010م، ج5، ص34

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر، ص4

القول الأخرى، فالشاعر الجاهلي يُنافح عن قبيلته، وما يتهدّدها من أخطار، يذوّد عن عرضها، ويذكر أيامها وثاراتها وغاراتها، ومآثرها وانتصاراتها وخيباتها، مستعينا بما يحضره من أساليب الإقناع والمقارعة للخصوم، بغية التأثير فيهم وتعديل سلوكهم، "وفي مدارات المجالس نشأ الشعر الجاهلي، نشيدا مسموعا، لا مقروء، ينهض فيه الصوت بوظيفة التأثير في السامع، باعتباره موسيقى جسدية"¹ عبر قيامه على الجمل البليغة، والصور الذهنية المحفّزة، والإيقاع الخلاب، غير أنّ ثلّة من الباحثين يعودون بأصول الحجاج إلى فنّ الخطابة، كونها أهم وسيلة إقناعية تأثيرية في الجمهور - وقتئذٍ - بعد الشعر، لأنّها "ضرب من الكلام البليغ يلقيه رجل عظيم نابه الشأن في جمع من الناس، وأهم ما تقتضيه الإقناع. وأصولها ثلاثة: إيجاد المعاني الجديرة بالإقناع من الأدلة والآداب، والتنسيق على نظام واحد من الربط، والترتيب والتعبير الذي يُراعى فيه حالة السامع"²، إذ "تحيلُ مادة(خطب) ومشتقاتها في المعاجم العربية على معاني منها(المواجهة بالكلام) و(مراجعة الكلام) و(المخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة).. فقد عرّفت الخطابة إذن باعتبارها مشاركة في فعل ذي شأن"³، ويرجع عبد الله إبراهيم سبب ازدهار الخطابة في الجاهلية، إلى كون ثقافة العرب حينها كانت شفاهية: "وتزدهر الخطابة في الثقافات الشفاهية عادة وعند الحاجة إلى مخاطبة الآخرين مباشرة. يورد القلقشندي أن منشور الخطب عند العرب أكثر بكثير من الشعر، إلا أنه لم يُحفظ، ويُعزى ذلك إلى أن الخطيب كان يخطب في المقام الذي يقوم فيه مشافهة الملوك، أو الحالات، أو الإصلاح بين العشائر، أو خطبة النكاح فإذا انقضى المقام حفظه من حفظه ونسيه من نسيه"⁴، ومن أشهر الخطباء سحبان وائل الباهلي، وقس بن ساعدة الأيادي، إذ يذكر الجاحظ: "أنّ قسّا له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب، لأنّ الرسول "صلى الله عليه وسلم" روى كلامه وموقفه على

¹ رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 1998، ص17

² عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، ط2، الجزائر، ص115

³ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية-الخطابة في القرن الأول نموذجاً-أفريقيا الشرق، المغرب، 2002، ص17

⁴ عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، ص115

جمله بعكاظ (..)، وعجب من حسن كلامه، وأظهر تصويبه وهذا إسناد تعجز عنه الأمانى، وتنقطع دونه الآمال، وإنما وفق الله ذلك الكلام لقس لاحتجاجة للتوحيد، ولإظهار الإخلاص، وإيمانه بالبعث، ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة¹، وفي نصوص أخرى من خُطب وأسما وأسجاع تُنسب للكُهان، كما يذهب جميل عبد المجيد إلى أنّ الخطاب الإقناعي في التراث العربي يتمثل في الخطابة، لما لها من دور عظيم في المجتمع العربي، إذ كانت أحد النصّين (الخطبة، القصيدة) اللذين دارت حولهما البلاغة العربية، إذ كانت الخطبة قسيم الشعر في الأدب العربي القديم، كما أنّ النصّ الثاني لم يخلُ من خطابية، من حيث كون القصيدة شاركت الخطبة في كثير من موضوعاتها وغاياتها²

3. 1. 2- عصر صدر الإسلام والحجاج القرآني:

كانت معجزة موسى عليه السلام إبطال السحر عند قوم فرعون، وعند عيسى عليه السلام التطبيب وعلاج المرضى، وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم (أي قومه). كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به. فحين استحكمت لفهمهم شاعت البلاغة فيهم وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله عزّ وجلّ فتحداهم بما كانوا لا يشكّون أنهم يقدرّون على أكثر منه³، فأقبل المسلمون ينهلون منه، ويستدلّون بآيه، ويستعينون ببراهينه، "وبهذه الطريقة رُحزح الشعرُ عن المنزلة التي كان يحتلّها في المجتمع وجعل منه فرعا من فروع المعرفة يخدم هذا الأصل الجديد الذي ستؤسّس عليه مختلف علومهم ومعارفهم"⁴ لأنّه "في إقراره لتصورات وقواعد الإسلام قد انتحى سمتا جداليا، سواء في حوارهِ مع المشركين أو مع الملحدين أو مع المنكرين للمعاد أو

¹ المرجع نفسه، ص 115 . 116

² جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب، القاهرة للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، ص 7-8

³ الجاحظ، حجج النبوة، ضمن رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1979، ج 3، ص 278-280

⁴ حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981،

المنكرين للنبوّة أو مع أهل الكتاب"¹، كما استدعت الدعوة الوليدة، رواج الخطابة في عصر النبي . صلى الله عليه وسلم . والخلفاء الراشدين، لأهميتها "في التعريف بالدعوة والحثّ على التمسك بها قرنت الخطابة بالشعائر الدينية واتخذت لها منابر في المساجد إلى جانب المحارِب منذ العهد الأوّل"²، باستحداثها موضوعات جديدة، كالدعوة لعبادة إله واحد، وهو موضوع يتطلب أسلوباً متمسماً بالحكمة والحُجج المُقنعة والبراهين الساطعة لتحقيق التسليم والإقناع، وهنا تتراجع مكانة الشعر، لتتصدّر الخطابة الصدارة و"طوال القرن الأوّل، وهو العصر الذهبي للخطابة"³، إذ "نلاحظ أن منزلة الخطيب تقدمت في هذا العصر منزلة الشاعر، ومردّ انتكاسة الشعر إلى قلة احتفال الدين والنبي صلى الله عليه وسلم به"⁴، كما انمازت بشكلها وبنائها اللغوي عن الشعر، وتحرّرها من قيود التقفية والوزن كما يراه أبو هلال العسكري (ت395هـ) بقوله: "واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما لا يلحقهما وزن ولا تقفية"⁵، مع الميل لاستعمال السجع، والأقوال البليغة، والحكم، لما لها من تأثير في نفوس السامعين.

3. 1. 3- العصر الأموي بين الحجاج والجدل الحديسي:

شهد العصر الأموي نشاطاً للأحزاب السياسية المتصارعة على الحكم، كالحزب الأموي الحاكم والخوارج والشيعة، وكان لكلّ حزب شعراؤه، الذين تصدّوا مُنافحين عن أحزابهم وتوجّهاتهم السياسية، مُدللين على أحقيتهم في الحكم، لهذا كان شعر الخوارج وشعر الكميت بن زيد شاعر الشيعة (ت126هـ)، من ضمن ما خلصت إليه الباحثة سامية الدريدي، أنّ البُعد الحجاجي حاضر في الأثرين، إلا أنه أكثر قوة في شعر الكميت، ولا غرابة في ذلك، إذ قال الجاحظ (ت255هـ): "ما فتح للشيعة الحجاج إلا الكميت"، ما جعل النقاد المحدثين يعتقدون أنّ

¹ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف/بيروت، منشورات الاختلاف/الجزائر، دار الأمان/الرباط، ط1، 1434هـ-2013م، ص 152

² محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص43

³ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص20-21

⁴ أنطوان القوال، فن الخطابة، دار العلم للملايين، للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط1، 1996، ص75

⁵ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تح:علي محمد الجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ص154

أول من احتجّ في شعره على صحة المذهب الشيعي، وأقام أدلته هو الكميّ، بل جعلوه رائد مذهب جديد في الشعر وهو الحجاج¹، وقد أورد الجاحظ عن ابن المقفع (ت142هـ) أنه يرى البلاغة في الخطاب والرسائل والشعر، لاستمالة القارئ، لتحقيق إذعان العقول وهو غاية الحجاج، في روايته إلى إسحاق بن حسان أنه قال: "قال إسحاق بن حسن بن قوهي: لم يُفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قطّ سئل ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعا وخطباً"²، كما "برزت معالم الخطابة السياسية أولاً في الصراع حول الحكم"³، لهذا عُدّت هذه الفترة "من أهم الفترات الخصيبيّة في تاريخ الثقافة الإسلامية في وضع القول مواجهة في إمكاناته، واكتشاف ما للغة من قدرة على قول الشيء ونقيضه وإمكانية أن يقوم الرأي والرأي المضاد والحجّة ونقيضها"⁴

3. 1. 4- العصر العباسي والحجاج:

حينما خفت الدّرس الحجاجي في الفكر الغربي، تحت تأثير أدبيات الكنيسة المسيحية، التي كانت تُمثّل الصوت الأعلى آنئذٍ فيه، ازدهر الدّرس الحجاجي في الفكر العربي الإسلامي، في سياق انفتاح الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليونانية بدءاً من القرن الثامن والتاسع الميلاديين؛ إذ تُرجمت كتب أرسطو في الجدل والخطابة، كما أُقبل عليها الفلاسفة وعلماء المنطق كالفارابي وابن سينا وابن رشد، وشاعت بين المسلمين الأساليب الحجاجية، وأقبلوا يُفيدون منها في ضبط علومهم كعلم الكلام والفقه والأصول، وتوّجت هذه الجهود، بظهور فعالية حوارية حجاجية سُميت بعلم "المناظرة"، إذ ظهرت معالم الحجاج في التراث العربي خاصة في

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري، ص3-4

² الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2003، ج1ص115-116

³ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية- ص50

⁴ حمادي صمود، مقدمة في الخلفية والمصطلح، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف

حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس، ص28

المنافرة التي هي رديف الحجاج والجدل، اللذين أينعا في العصر العباسي على أيدي النظار المسلمين المتحلقين في مجالس المناظرات، التي أبرزت "القيمة الاستثنائية التي كانت تُمثّلها مجالس المناظرة العربية القديمة، والأهمية النوعية للإسهام العربي الإسلامي الفريد في التنظير والتفصيل لطرائق الجدل وأساليب المباحثة"¹.

أ/- الحجاج عند المتكلمين:

علمُ الكلام (Théologie) علم خاص بالدفاع عن العقائد بالأدلة العقلية، أي "هو العلم بما تثبت به العقائد الإسلامية بإيراد الحجج عليها ودفع الشُّبه عنها ويُرادفُه علم الأصول وعلم التوحيد. ويسمى اللاهوت عند النصارى"²، كما عرّفه ابن حجة الحموي (767هـ/837هـ) بقوله: "إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة"³، وعليه كانت حاجة المتكلمين إلى الحجاج ضرورة مُلحّة، ذلك أن "الحاجة إليه والاهتمام به قد برزا بشكل جليّ في فترة الاهتمامات الكلامية عندما صار التسلح بالوسائل الحجاجية البلاغية اللغوية أمراً ضرورياً، للدفاع ضد مزاعم المشبهين والمتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة ولمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم من جهة ثانية"⁴، ومن مفاهيمهم للحجاج هو "الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع له المعاند فيه"، فالزركشي (745هـ/794هـ) يُعرّفه بأنه الإفحام للخصم بالحجج العقلية، أما ابن حجة الحموي فيراه بمعنى الجدل في قوله: "هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه، وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية، يتضح نسبتها إلى علم الكلام"⁵، وقد "برزت أهمية الحجاج خاصة في البرهنة على

¹ رشيد الرازي، الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2010م، ص85

² يعقوبي محمد، معجم الفلسفة، أهم المصطلحات وأشهر الأعلام، الميزان للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1998، ص145

³ ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، شرح عصام شقيو، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ج1 ص364

⁴ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط، 2008، ص216

⁵ الله ابن حجة الحموي (ت837هـ)، خزنة الأدب وغاية الأرب، تح: عصام شعيتو، ص364

الفرضيات الكلامية المتعلقة بكلام الله وقضية خلق القرآن والصفات، حيث بدأ مع تناول هذه القضايا الاهتمام الفعلي بتوظيف الآليات اللغوية والبلاغية والسياقية المقامية من أجل ترجيح قضية على غيرها¹، لذلك تبلورت لدى المتكلمين بمنهجهم الاستدلالي أولى لبنات الدراسات الحجاجية، فأبحاثهم الكلامية توّسّحت بخصائص حجاجية تتقاطع مع البلاغة المعاصرة، بتلك التجاذبات في حقل البلاغة والمنطق وعلم الكلام والحجاج، وذلك التقاطع الذي حدث بين الحجاج والبيان في ما أتى به المذهب الكلامي، وقد ظهر هذا التوجه البلاغي الخطابي لدى الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين"، إذ "استفاد من جدل السفسطائيين ومن محاورات أفلاطون، ومن مناظرات أهل القرنين الثاني والثالث للهجرة"²، كما نجد في متون نصوصه ما يتعلق بالحجاج، لا سيما حديثه عن البلاغة إذ يقول عنها: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللحظ متخير اللفظ، لا يكلم سيد الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة"³، كما يذهب شوقي ضيف إلى أن التكوين الاعتزالي للجاحظ حتمّ عليه في رسائله: "أن يعنى بأرائه وأدلته وبراهينه ومقدماته ونتائجه متأثراً في ذلك بما لقف من منطق وفلسفة ومعرفة بالجدل والحوار اللذين كانا شائعين في بيئته.. بيئته المعتزلة"⁴، ليستنتج أن كتاباته جاءت في "صورة حجاج يقوم على براهين وأدلة ومقدمات وأقيسة"⁵، بتلك الأفكار الجدلية والآراء الاستدلالية في نزعه الكلامية، كما نقد أبو حامد الغزالي (450-505هـ) المتكلمين إذ رأى أنهم بالغوا في الاستدلال العقلي، وجاوزوا حدود الحاجة، داعياً أن يؤخذ منه على قدر الحاجة، ف"أدلة القرآن: مثل الغذاء ينتفع به كلُّ إنسان، وأدلة المتكلمين: مثل الدواء، ينتفع به الأحادُ ويستضرُّ به الأكثرون"⁶، مؤدياً إلى

¹ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 261

² ينظر: محمود المصفر، بخلاء الجاحظ بين تعدد الخطاب وخطاب التعدد مقارنة سردية في الهزل، كلية الآداب بصفافس،

تونس، 1998، ص 169-173

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 92

⁴ شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ط 2، دار المعارف، القاهرة، ص 161

⁵ المرجع نفسه، ص 173

⁶ أبو حامد الغزالي، إجماع العوام عن علم الكلام، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ط 1، 1439هـ-2017م، ص 93

تفكك العقيدة وإثارة الشبهات بدلا من "حراستها من المبتدعة"¹، وعليه يظهر أنّ المذهب الكلامي في بعده التواصلية الإقناعية، بتلك المناظرات ذات الطبيعة السجالية، التي انصرفت فيها الطاقة الإقناعية إلى حجة الباتوس (Pathos)، معتمدة حجة العقل وبرهانه، وتقديم الحجج لإثبات صدق الدعوى، ودحض الدعوى المناقضة، مما دفع طه عبد الرحمن إلى اقتراح تسمية أخرى لعلم الكلام هي "علم المناظرة العقدي"² لإنبائه على هذه الفعالية، كما أظهرت مدى تفوق الفرق الإسلامية وخاصة المعتزلة بتوظيفهم سبل الاستدلال العقلي لتحقيق الغلبة على الخصم، وظهرت صورة المتكلمين منها، بامتلاكهم ناصية المنطق والفقه وعلم الكلام والبلاغة، بتأسيسهم للحجاج الكلامي المبني على العقلنة والحوار في الإسلام، وهو لون من ألوان الحجاج، كما أسسوا لمفاهيم تتجلى بوجه عام في المناظرة، بتلك الآليات وآداب الحوار التي راجت بين الفرق والمذاهب المتنوعة وقتئذ، والتي تحظى بأهميتها في تاريخ الفكر الكلامي والفلسفي، وكل ما تطرق إليه علم الكلام كان تأصيلا حجاجيا بامتياز.

ب/ - الحجاج عند (البلاغيين):

تجلت بعض أشكال الحجاج حين ارتسمت آلياتها ووسائلها في ثنايا الأبحاث في المنطق والفلسفة والدين، الذي "أظهر ما يكون في كتاب البرهان في وجوه البيان لأبي الحسن إسحاق بن وهب، فهذا الكتاب عبارة عن قراءة واعية ومستوعبة لكتاب الخطابة وربما لغيره من أعمال أرسطو في ضوء النص الخطابي"³، إذ يرى أنّ "البيان على أربعة أوجه: فمنه بيان الأشياء بذواتها، وإن لم تبين بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر واللب، ومنه البيان باللسان، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من بعد وغاب"⁴، أمّا السكاكي (555هـ/626هـ)

¹ يُنظر: إبراهيم أحمد الديوب، موقف الإمام الغزالي من علم الكلام وأدلة المتكلمين، بحث في مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، م 27، ع 3، 2011، ص 476

² طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 70

³ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص 20-21

⁴ ابن وهب أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، ص 56

فقد مثل الاتجاه البلاغي المنطقي في كتابه "مفتاح العلوم"، إذ توجه فيه توجُّهاً بلاغياً خطابياً، و"ما نفيده من هذا الاتجاه أن البيان ليس قضية بلاغية فحسب، بل هو قضية منطقية أيضاً، وأن حاجة البلاغة إلى المنطق في الخطاب الحجاجي إنتاجاً وتحليلاً حاجة طبيعية وضرورية. ولعلّ هذا يضيف شرعية على اعتماد الاستدلال أو إقامة الحجة المعقولة ركناً أساسياً في دراسة بلاغية عربية منشودة لذلك النوع من الخطاب"¹، وأصبحت البلاغة وفق هؤلاء البلاغيين حدثاً مقامياً لا تهمة إلا النجاعة الإقناعية للكلام، وإبراز مقصدياته وفعاليتها

ج/ - الحجاج عند (الأصوليين):

اهتم علماء الأصول بالخطاب الشرعي، إذ كان عندهم "إما خطاب الله وإما خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وإما خطاب الأمة/الإجماع/واهتموا بمقاصد الشريعة/أهدافها/وهي مقاصد الخطاب، وربطوا الأحكام بمقاصدها"²، فالهدف من الخطاب الشرعي هو حمل المتلقي على الاقتناع بما فيه، واستنباط الأحكام منه بتأثير من الخطاب، وقد برزت آثار الحجاج عند الأصوليين في أبحاثهم المتعلقة بمقصد الخطاب، يذكر ابن القيم (691هـ/751هـ) طرق الاستدلال لتحقيق ذلك بقوله: "والألفاظ لا تقصد لذواتها وإنما يُستدلُّ بها على مراد المتكلم فإذا ظهر مراده ووضح بأي طريق كان، عمل بمقتضاه، سواء كان بإشارة أو كتابة، أو بإمارة أو دلالة عقلية أو قرينة حالية أو عادة له مطردة لا يخل بها"³، كما ردّ على ابن رشد في كتابه (فصل المقال)، وانتقد الأصوليين في انصياحهم للفلسفة اليونانية بشدة بقوله: "ويظنُّ جهال المنطقيين، وفروخ اليونان أنّ الشريعة خطاب للجمهور، ولا احتجاج فيها، وأنّ الأنبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة. والحجج للخواص، وهم أهل البرهان، يعنون أنفسهم، ومن سلك طريقهم. وكلّ هذا من جهلهم بالقرآن، فإنّ القرآن مملوء بالحجج والأدلة والبراهين في مسائل

¹ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، كلية الآداب، جامعة حلوان، مصر، 2000، ص159

² خلود العموش، الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، مثل من سورة البقرة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط، 2008، ص11

³ ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الجديدة، 2003، ص173

التوحيد"¹، كما تجسّد مفهوم الحجاج عند ابن تيمية (661هـ/728هـ) من خلال الرسائل التي ضمّنها ردوده على الفرق الكلامية، حين استخدموا المنطق الأرسطي أداة لهم، كما اعترض على تقديمهم العقل على النقل، وانتقد بعض مصطلحاتهم التي يراها لم ترد لا في اللغة العربية أو الشرع كـ"التقابل بالعدم والملكة"²، مستخدماً أدوات المتكلمين العقلية لدحض أقاويلهم، كما استوحى براهينه من القرآن الكريم والحديث الشريف، خاصة في مناظراته التي درأ بها الشبه والمغالطات عن الدين.

إن انتشار مدارس الفكر والفلسفة والمنطق والبلاغة وعلم الأصول، أسند كتب التراث بتلك المادة المقاربة للحجاج، كالجدل والمناظرة والدليل والحجة، إذ لا تكاد تلك الكتب والمدونات التراثية تخلو من مصطلح الحجاج أو الاحتجاج أو الحاجة، رغم أن مصطلح ونظرية الحجاج لم ترد عندهم بهذا الضبط والدقة، كما أن المتأمل للتعريفات والمقصديات الحجاجية، سيدرك أن أشكالها اللغوية في الخطابات الحجاجية -وقنتئذ- تنوعت ولم تقتصر على استعمال لغوي واحد، حسب مراميهم وغاياتهم التأثيرية الإقناعية، في تبليغ أفكارهم ومناظراتهم ومحاوراتهم وجدلهم، وفي حاجتهم إليها في ضبط علومهم لأن الحجاج "عنصر أساس لكل ما هو عقلائي"³.

3 . 2 - الحجاج عند العرب في العصر الحديث:

برز في العصر الحديث، كوكبة من العلماء العرب أصحاب مشاريع فكرية وفلسفية، أثروا بإنتاجهم حقل البلاغة والحجاج في مختلف الأقطار العربية خاصة في مصر والمغرب العربي، منهم صلاح فضل (مصر)، أبو بكر العزّاوي ومحمد العمري وطه عبد الرحمن (المغرب)، حمّادي صمود وعبد الله صولة (تونس)، وكانت المدرسة المغاربية ذات تفوق في

¹ ابن قيم الجوزية، مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تح: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 220/ ونقله في الجدل في القرآن 244

² يُنظر: أحمد عصام النجار، خلاصة نقد ابن تيمية للمنطق الأرسطي، ص 23-24 على : <https://ahmedelnajjar.com>

³ عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، 2009،

حقل الحجاج، بتلك المقالات والكتب: تنظيراً وتطبيقاً، بعد استكناه البلاغة الغربية القديمة (البلاغة الأرسطية) والبلاغة الحديثة (بيرلمان وتيتكاه، وديكرو وأنسكومبر) مع النهل من الموروث الثقافي العربي الإسلامي العريق، في محاولات جادة لتأسيس نظرية في الحجاج عند العرب.

3. 2. 1- الأستاذ صلاح فضل (1938-2022م):

محمد صلاح الدين فضل أستاذ جامعي وكاتب وناقد ومترجم مصري، من النقاد والبلاغيين العرب الذين أسهموا في إثراء المنظومة النقدية، واجتهدوا في إرساء قواعد لإعادة قراءة التراث العربي وفق منظور حديثي؛ إذ يُعدُّ "أول ناقد عربي يُدخل البنيوية بمفهومها الحديث إلى حقل الدراسات النقدية العربية المعاصرة بكتابه "نظرية البنائية في النقد الأدبي 1978"¹ مقتنيا آثار المدرسة البلجيكية، مستفيداً من جهودها "والتي جعلت من دراسة الحجاج ومتعلقاته مبحثاً لغويًا فلسفيًا ابستمولوجيًا، تُسهم فيه أغلبية فروع العلوم الإنسانية والمكونات الثقافية والحضارية، في مجتمع معين لأن العملية الحجاجية ليست إجراءً بسيطاً بل هي على العكس"²، وقد تبني صلاح فضل مفاهيم النظرية الحجاجية التي وردت عن المدرسة البلجيكية؛ إذ يرى أن العملية الحجاجية هي: "دراسة لتقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته"³، كما أضاف بصمة خاصة به ميزته عن غيره من النقاد العرب المعاصرين، ببعض "الملاحظات الهامة فيما يخص تمييزه بين الباحثين البلاغي والأسلوبية وتوسيعه لدائرة البلاغة المعاصرة لتشمل إلى جانب الأصول القديمة قضايا علمية كالذكاء الاصطناعي وعلمي النفس والاجتماع المعروفين"⁴

المدرسة المغربية:

¹ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص221

² محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص229

³ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص76

⁴ محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص234

3. 2. 2 - طه عبد الرحمن (ولد 1944م):

طه عبد الرحمن فيلسوف ومفكر مغربي في الفلسفة والمنطق والأخلاق واللغة، من أبرز المفكرين العرب الذين عالجوا مسألة الحجاج حديثاً، بوصفه آلية لغوية هامة، يستخدمها المرسل للإقناع؛ إذ كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها، وكون الحجاج يستعمل أساساً اللغة الطبيعية، فقد عُدّ من وظائف اللغة الأربع: الوصفية والإشارية والتعبيرية، وعليه يدعو في مشروعه الفكري إلى ضرورة التمكن من اللغة لتكون منطلق تفكيره مؤكداً: "وعلى الفيلسوف قبل أن يتجه باجتهاده إلى التوعية بقدرة لغته الفكرية أن يميز لغته عما ليس من لغته الفكرية أن يميز لغته عما ليس من لغته أو يتعارض ولغته عما هو لغو، ولغونا يظهر في التشويه الذي لحق أصول لغتنا وبنائها كبت فلسفتها، وعلى الفيلسوف العربي أن يخلصنا من هذا اللغو الذي حال دون تحررنا العقلي ودون إبداعنا الفكري وبهذا تكون رسالة الفيلسوف العربي رسالة لغوية من منطلقها"¹

وقد عرّف الحجاج باعتباره: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"²، كما يؤكد أن الحجاج صفة الخطاب حيث يقول: "أن الأصل في تكوثر الخطاب، هو صفته الحجاجية، بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج"³، إذ يرى أن ماهية الخطاب هي الدخول في علاقة استدلالية مع الغير، فيها مُدّع (المخاطب) ومُعترض (المخاطب)، وفي تأسيسه لمفهوم الحجاج: أنه إستراتيجية إقناعية، وعملية خطابية، تستهدف تسخير المخاطب لفعل أو ترك من خلال كتابيته: (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) و(في أصول الحوار وتجديد علم الكلام)، اللذين يتوسّل بهما أهم أطروحاته في الحجاج، يقول عن مشروعه الفكري: "أردت في حياتي أن اجتهد ولا أقدّ ولو كان اجتهادي غير مصيب وأريد بلا

¹ طه عبد الرحمن، الأصول اللغوية الفلسفية، مجلة دراسات فلسفية وأدبية الصادرة عن الجمعية الفلسفية بالمغرب السلسلة الجديدة، العدد 1، 1976 . 1977

² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998، ص226

³ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص213

شك أن أجيب عن سؤالين يدوران في خلد كل واحد منهم. (لم كتبت ما كتبت على الوجه الذي كتبت؟)¹، "وتأتي دراسات طه عبد الرحمن، في سياق ربط النظريات الحجاجية بالمنطق، ومحاولة استثمار ذلك في تبيان منهج التراث عبر نماذج كثيرة (ابن رشد، ابن خلدون، الشاطبي، الغزالي..) ويعدُّ كتاب "تجديد المنهج في تقويم التراث" (1994) كتابا غنيا في هذا السياق التأسيلي، حيث لا يبقى الحجاج نبتة غريبة، بل يجد له أصولا وامتدادات في المتن التراثي"².

3. 2. 3- أبو بكر العزّوي (ولد 1958م):

يعدّ أبو بكر العزّوي أستاذ التعليم العالي في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمغرب، تلميذا لأوزفالد ديكر (O.Ducrot) رائد الحجاج اللغوي في المغرب وفي العالم العربي³؛ إذ تخصص في نظرية الحجاج اللغوي في أطروحته للدكتوراه الموسومة: "بعض الروابط التداولية في اللغة العربية: مقارنة حجاجية أصواتية 1989-1990 بإشراف أستاذه ديكر بفرنسا⁴، وأطروحة أخرى لنيل دكتوراه الدولة في: "الحجاج في اللغة العربية" بإشراف الدكتور محمد مفتاح سنة 2000-2001، كان أول باحث مغربي وأستاذ جامعي أدرج الحجاج اللغوي ضمن المقررات الدراسية، لم تقتصر جهود العزّوي على الحجاج اللغوي تنظيرا وتطبيقا فحسب، بل كانت له إسهامات في التداولية واللسانيات المعرفية، التي تتلمذ على يد أقطابها أمثال جيل فوكونيني وبول كايو كلود فاندلواز (C.Vandeloase)، وقد ارتبط اسم نظرية الحجاج اللغوي باسمه في الساحة العربية، بل وعمل على تطويره في قوله: "فالحجاج عند ديكر كان لغويا فقط، بينما أنا، بعد أن عملتُ عليه في البداية، قمتُ بتطويره ليصبح الحجاج بالنسبة لي ذهنيا وتصوّريا،

¹ يُنظر: إبراهيم مشروح، طه عبد الرحمن: قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سلسلة أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي (وقد شرح مقاصده من البحث الفلسفي محددًا إطار مشروعه الفكري في ندوة حوارية أُقيمت على شرفه في إحدى المؤسسات الفكرية في لبنان)

² صابر الحباشة، التداولية ومداخل ونصوص، منتديات سور الأزيكية، دمشق، سوريا، ص4

³ ينظر: حوار حول الحجاج: أبو بكر العزّوي، الأحمديّة للنشر، ط1، 2010، ص99-103

⁴ ينظر: Azzaoui Boubaker : Quelques connecteurs pragmatiques en arabe littéraire : Approche argumentative et polyphonique, thèse de doctorat unique , E.H.E.S.S, Paris, 1990

متجاوزا بذلك حدود دراسة ديكرول للحجاج في بنية الأقوال فقط¹، وتمثلت خلاصة اجتهاده في أبرز مؤلفين له: (اللغة والحجاج) و(الخطاب والحجاج)، كما حاول ربط هذه النظرية بالتراث العربي من قضايا بلاغية ونحوية ونقدية، إذ "استطاع بفعل تكوينه الموسوعي أن يجمع بين ما هو تراثي وما هو حديثي، فعصاميته جعلت انخراطه في المدارس النظامية للحصول على الشهادات الجامعية العليا، لا يؤثر على اختياره منهج الأسلاف في النهل من منابع المعرفة"²، "ولعل أهم شيء ميّز عمل العزاوي هو اعتباره للإسهامات التراثية والقدرة على توظيفها لخدمة اشتغاله الحجاجي، حيث استحضر حازما القرطاجني وعبد القاهر الجرجاني وسيبويه وابن هشام والرازي، واستحضر علم المعاني، وذلك لإضاءة تحليله الحجاجي"³، ومن أبرز المدونات التراثية التي استلهم منها العزاوي الأفكار هي: (التعريفات للجرجاني، مفاتيح الغيب للرازي، معاني الحروف للرماني، أساس البلاغة للزمخشري، منهج البلغاء للقرطاجني، مغني اللبيب لابن هشام، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني)، كما طوّر نظرية ديكرول في انتقاله من تحليل الجُمْل إلى تحليل الخطابات، وانتقل من تحليل الروابط باللغة الفرنسية إلى تحليلها باللغة العربية، إذ يرى: "إن نظرية الحجاج في اللغة قابلة للتطوير وبإمكانية تطبيقها على مختلف الخطابات"⁴، كما أدخل بعض المفاهيم والمصطلحات الجديدة ك"القوة الحجاجية، البرنامج الحجاجي، تعالق الرابط الحجاجي، الحجاج الأيقوني، الانسجام التداولي"⁵، وعليه يمكن إيجاز المبادئ الأساسية في: الربط الحجاجي (الرابط/العوامل/المبادئ)، والقوة الحجاجية (الاستعارة الحجاجية)، والإنجاز الحجاجي (التحقق الفعلي للكلام)، وعليه يمكن القول عن العزاوي إنّه: "حاول أن يقدم نظرية أصيلة تتميز بالوضوح والدقة والشمولية لا يقوم بقطيعة مع التراث

¹ يُنظر: البروفيسور أبو بكر العزاوي: أنا رائد الحجاج اللغوي ومؤسس نظرية الحجاج الموسع في <https://islamonline.net> العالم العربي، في حوار مطول مع إسلام أون لاين

² رشيد شجيع، سمات التجديد في المشروع الحجاجي للدكتور أبي بكر العزاوي، مقال ضمن كتاب حسن مسكين، ص 123

³ ينظر: حسن مسكين، اللغة والحجاج، عمق النظرية ودقة الإنجاز، ص 29

⁴ أبو بكر العزاوي، ص 105

⁵ المرجع نفسه، ص 125

كما ادّعى بعض اللغويين، أو اتجه إلى ترميم المقولات التراثية، ولكن اعتمد بناء تركيبيا للتعرف على آليات الحجاج عن كتب مع تمثل جديد لكلا النظريتين العربية والغربية¹.

3 . 2 . 4 - عبد الله صولة (ت نوفمبر 2009م):

الباحث اللساني التونسي أحد أبرز أعلام الجامعة التونسية في الأسلوبية والحجاج والتداولية والعلوم المعرفية، درّس بجامعة منوبة، تونس، كتب وترجم ونشر بحوثا وكتبا مهمة، كما شارك في 2004 في مؤتمر تطوير مناهج اللغة العربية الذي انعقد في البحرين بورقة عنوانها: "الاستعارة وعلاقتها بالمستوى القاعدي نموذجاً"، أما "الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية"، كتاب هو في الأصل رسالة دكتوراه دولة، نوقشت في كلية الآداب منوبة، تونس، سنة 1997 ونال صاحبها رتبة الدكتوراه بملاحظة الشرف الأولى، وأشرف على الرسالة د.حمادي صمود وناقشها د.د.عبد القادر المهيري ود.عبد السلام المسدي (رئيساً) ود.محمد صلاح الدين الشريف ود.عزالدين المجدوب².

بدأ بالحدود والتعريفات للحجاج، بعد استعراضه لتعريفات أعلام العرب (ابن منظور، أبو بكر الرازي، ابن عاشور)، لمقصدية التأصيل للحجاج عربياً، والإقرار بحجاجية التفكير عندهم قديماً، ليُطعمه بأسس مثلتها الغربية قديماً أو حديثاً، وأعلام الغرب في الحجاج (تولمين، بيرلمان وتيتكاه، مايير، ديكر و أنسكومبر)، في سبيل بنائه تصور خاص به، التي استثمرها في رسم صورة له تهدف إلى استشعار خصائصه الأسلوبية ضمن آفاق فلسفية لغوية لهذه الممارسة، بتعريفه بقوله: "أن الحجاج قد أخذ شيئاً فشيئاً يستوي مبحثاً فلسفياً ولغوياً"³، ونظراً للاختلاف في إرساء مفهوم موحد للحجاج لتشعب وتنوع حقوله المعرفية، هو ما أحاده في اعتماد (La démonstration) كترجمة لكلمة حجاج، كونها أقرب وشيجة بالمنطق، إلى تبني

¹ سعيد بليمانى، الاستلزمات الفكرية لكتاب اللغة والحجاج للدكتور أبو بكر العزاوي، مقال ضمن كتاب حسن مسكين، الحجاج للغوي قراءات في أعمال الدكتور أبو بكر العزاوي، ط، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث، ص 212-213

² صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 140

³ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 9

مصطلح (L'argumentation) كما يرى أن القرآن الكريم خطاب "وكونه خطابا يقتضي أنه إقناع وتأثير"¹، ويقصد بخصائصه الأسلوبية: "ظواهره اللغوية وقد تحوّلت بحكم ترددها وتكرارها وعودتها فيه إلى أسلوب في القول يميزه"²، ويرى "أنّ أسلوب القرآن ذو بعد حجاجي"³، وتناولت الأطروحة الكشف عن حجاجية القرآن الكريم من حيث المعجم والتركيب والصورة، كما مكّنه بحثه هذا من إبداع مصطلحات ومفاهيم جديدة، أثرى بها حقل الحجاج كمبدأ (العدول الكمي بالزيادة/التوكيد)، كونها زوائد لغوية محملة بطاقات حجاجية مضافة إلى طاقة الجملة الأصلية، و(العدول الكمي بالنقصان/الحذف) وحصر مفهومها في الإيجاز بالحذف، و"من الاستنتاجات الطريفة التي توصل إليها صولة أنّ (العدول في الكلام القرآني ليس لغاية أن يكون هذا الكلام جميلا، وإنما لغاية أن يكون كلاما حجاجيا مقنعا بوجه من الوجوه)"⁴

3 . 2 . 5 - حمادي صمود (تونس 1947):

حمادي صمود كاتب، وباحث، وأستاذ البلاغة وتحليل الخطاب والحجاج بكلية الآداب والفنون جامعة منوبة بتونس، بعد أن درّس في جامعة باريس 3 وباريس 8، نال دكتوراه الدولة، من خلال أطروحته: "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس" 1980، و"الشعر والتراث" 1986، و"في نظرية الأدب عند العرب" (1995)، و"أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم" (1997)، الذي تناول فيه رفقة فريق من الباحثين الحجاج الذي اعتبره: "أدقّ مواضيع الدرس البلاغي اليوم..تقوم على استغلال جميع العناصر المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله"⁵، كما رسم له مساراً يتحدّد وفق "قبعدهم الظفر بالحجج والتفكير في مكونات الخطاب، لا بد من التفكير في ترتيب تلك الحجج، ووضع كل واحدة في المكان

¹ عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 41

² المرجع نفسه، ص 48

³ المرجع نفسه، ص 48

⁴ صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 145

⁵ حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1999، ص 8

المناسب لها فيزيدها ذلك قوّة ويُمْكِن لها في ذهن السامع"¹، فالبحت عن الأسلوب الأمثل، إذ أصبحت وجوه القول وصوره المتولدة عن الاهتمام بقسم العبارة من الخطبة أهمّ جهاز وظّف لإبراز خصائص القول الجميل"²، لأنّه يعي أنّ الحجاج تجاوز قضية التأثير والتأثر في عصرنا، إلى قيامه بدراسة التغيرات التي جدّت، "والتي يمكن أن تجدّ على ثنائية النصّ والخطاب في علاقتهما بالواقع والمخاطبين من جهة، وعلاقتهما بالثورة التقنية والتواصلية السريعة الخطى من جهة ثانية"³

تقديم مدوّنة "التوايح والزوايح" وصاحبها ابن شهيد:

4 - ابن شهيد (382هـ/426هـ): حياته، مكانته، مؤلفاته

هو "أبو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان بن ذي الوزارتين الأعلى أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن عيسى بن شهيد الأشجعي الأندلسي القرطبي، هو من ولد الواضح* بن رزاح الذي كان مع الضحّاك بن قيس الفهري يوم مرج راهط"⁴، "كان مع الضحّاك يوم المرج"⁵، "هذه النسبة إلى أشجع بن ريث بن غطفان، وهي قبيلة كبيرة"⁶ يقول ابن شهيد مفتخرا بنسبه:

من شهيد في سرّها، ثم من أشد *** جع في السرّ، من لباب اللباب"⁷

كما قال لتابع المتنبي مفتخراً:

¹ حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف

حمادي صمود، منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، ص15

² حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ص17

³ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص284

⁴ ابن خلكان (608هـ-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص116

⁵ يُنظر: الزركلي، الأعلام، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، التلمساني

⁶ ابن خلكان (608هـ-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ص118

⁷ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوايح والزوايح، صححها وحقق ما فيها وشرحها ويوّبها: بطرس البستاني، دار صادر، بيروت،

لبنان، ط3، 1431هـ-2010م، ص140

" و مَا هِيَ إِلَّا هَمَّةٌ أَشْجَعِيَّةٌ وَنَفْسٌ *** أَبَتْ لِي مِنْ طَلَّابِ الرَّذَائِلِ "1

كما يخاطبه أبو الخطار صاحب قيس بن الخطيم بنسبه الأشجعي: "أُنشِدْنَا يَا أَشْجَعِي"2، وهي أسرة استقرت في الأندلس أيام عبد الرحمن الداخل، وكان جده أحمد بن عبد الملك وزيراً للناصر، وهو أول من لُقّب بذي الوزارتين"3، "وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة"4، وُلد بقرطبة (382هـ/992م)، "في خلافة هشام بن الحكم ابن عبد الرحمان الناصر، والأمر يومئذ للحاجب لمحمد بن أبي عامر*الذي حجر على الخليفة القاصر، واستبد بالأمر دونه، وتلقّب بالمنصور كما يتلقّب الملوك"5.

نشأ وترعرع في أسرة "نبغ فيها غير واحد مثل أبيه عبد الملك وأحمد وأبي مروان" (..) و"كان جدّ أبيه أحمد بن عبد الملك وزير الخليفة الأموي الناصر عبد الرحمن الثالث، "وهو أول من لُقّب بذي الوزارتين في الأندلس"6، "من أهل الأدب البارع، له قوة في البديهة، كان في أيام عبد الرحمن الناصر"7، أمّا أبوه عبد الملك أبو مروان من شيوخ الوزراء عند المنصور بن أبي عامر الذي جعله والياً على الجهات الشرقية من بلنسية وتدمير، ثم أعفاه المنصور بطلب منه، فعاد بعد ذلك إلى قرطبة ثرياً، وأصبح مستشاراً للخليفة ومن ندمائه"8، يصف ابن شهيد ورود والده قرطبة بعد طلبه الإدالة: "فورد قرطبة بأربعمائة ألف دينار فائضة، ومائة ألف من ذهب آنية، ووثائق خمسمائة زوج مكتسبة، ومائتي نسمة من رقيق الصقلب منتقاة، والسعر إذ ذاك بها سام

1 المصدر نفسه، ص154

2 المصدر نفسه، ص129

3 عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق، بيروت، 1975، ص105

(*الوضّاح: هو جدّ بني الوضّاح، من أهل مُرسية، وإليه ينتسبون، فبنو وضّاح من أشجع، وأشجع، من قيس عيلان بن مُضر، وأسر الوضّاح بن رزاح في يوم المرج، ومنّ عليه مروان بن الحكم، أنظر: المفضل الضبي، بغية الملتمس، ص238)

4 ابن خلكان (608هـ-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل الزمان، تح: إحسان عباس، ص117-118

5 ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص7

6 المصدر نفسه، ص7

7 المفضل الضبي (599هـ-1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/القاهرة، دار الكتاب اللبناني/بيروت، ط1، 1410هـ-1989م، ج1، ص237

8 إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1996، ص271

جدا، ونفقة أبي رأس كل شهر سبعون مديا من قمح، وعلف ثمانين دابة من شعير¹، وقد شهد عزَّ أبيه في ظلِّ العامرين، بل فنته مجدهم وثرأؤهم وقصورهم، وكان طفلا شديد الحساسية، فانطبعت في ذاكرته منذ الصغر واستشعار السيادة، فهو سليل القصور، ربيب الأمراء والخلفاء، يقول عن نشأته في قصر المنصور: "أتي نشأت في حجره، وربيت في قصره، وارتضعت ثدي كرائمه، واعتجرت رداء مكارمه، واغتذيت من فيه، أكلا زقنيه، وماء علنيه، فصرت من أفراخ نعمائه الحمر الحواصل، ولحقت بإخوة أبنائه الغر العباهل"²، يقول مفتخرا بنسبه إلى آل "أشجع" ومجد المنصور بن أبي عامر:

ملك ناصب من خالفكم *** عامريُّ المُنتمى والمنصب

أنجبتَه للمعالي أسرة *** نزلوا للمجد أعلى الرُتب³

عني أبوه بتربيته منذ نعومة أظفاره، كان عنده نهم للأدب والمعارف يقول: "كنت أيام كتاب الهجاء، أحنُّ إلى الأدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام، فاتَّبعتُ الدواوين، وجلستُ إلى الأساتيد، فنبض لي عرقُ الفهم، ودرَّ لي شريانُ العلم..فطعنتُ ثُغرة البيان دراكا، وأعلقتُ رجل طيره أشراكا، فانثالت لي العجائب، وانهالت عليَّ الرغائب"⁴، ودرس ضروب العلم المختلفة، "وكنا كثيرا ما نتدارس ضروب العلم: من أدب وخبر وفقه وطب وصناعة وحكمة"⁵، "بدأ ابن شهيد يقول الشعر في مرحلة باكورة من عمره وراسل به المتقدمين عليه سنا وفنا، وذلك لمنزلة والده ومكانة أسرته، وسرعان ما اشتهر أمره، وكان لا يقتصر على قول الشعر، وإنما يزاول كتابة النثر، وقد يتعرض لبعض قضايا النقد"⁶

¹ ابن بسام الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ص198

² المصدر نفسه، ص94

³ المصدر نفسه، ص212

⁴ ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص118

⁵ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ص1، ق1، م1، ص220

⁶ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار المعارف، 1985، ص368-369

"وبينما هو غارق في النعيم وفي تثقيف نفسه إذ النكبة تحل بأسرة ابن أبي عامر سنة 399..وانفتح باب الفتنة التي قضت على الدولة الأموية ودمرت فيها قرطبة وأحرقت المدينتان المحدثتان بجوارها: الزهراء والزاهرة، وسفكت الدماء بقرطبة..وترك ذلك آثارا عميقة في نفس ابن شهيد فقد اندكت صروح آماله ومطامحه، وداخله أسي عميق لما نزل بمدينته وبأسرة بني أبي عامر..فأكب على كئوس الخمر واللذات يغرق فيها همومه.. وتصادف أن أصابه الصمم مبكرا فتضاعف حزنه وتضاعف إقباله على الخمر والمجون"¹، وقد وصف ابن بسام(ت542هـ) مجونه بقوله: "كان بقرطبة في رفته وبراعته وظرفه خليعها المنهمك في بطالته وأحط الناس في هوى نفسه وأهتكهم لعرضه وأجرأهم على خالقه"²، نبغ في الشعر مبكرا، واعتبره ابن سعيد(ت354هـ) أنه:"أعظم هذا البيت شهرة في البلاغة"³، من أتراه الشباب القرطبيين المتأدبين ابن حزم(ت456هـ) وابن عمه أبي المغيرة بن عبد الوهاب(ت437هـ)، وابن برد الأصغر(ت418هـ)، إذ كان "ينتمي إلى مدرسة أدبية تألفت من عدد من شباب قرطبة جمع بينهم الاهتمام بالفن وقيمه الجمالية، كما كانوا يشتركون في الانتماء إلى أسر ذات مكانة اجتماعية مرموقة رفيعة المستوى"⁴، ومن أصفياه وخلائه الذين يرأسهم ويبتهم شكواه:أبو جعفر أحمد اللمائي(407هـ/465هـ)، والوزير عبد الملك بن إدريس الجريزي(ت394هـ)، وأبو محمد علي بن حزم(384هـ/456هـ)، قال عنه ابن بسام:"وقد ضارع أبو عامر هذا محاسن الطبقة العالية البغدادية، المضارعة التي بانته فيها قوته، ولدنت اختراعاته ومقدرته، فصار يتناول المعنى الحسن فيصيره محسنا بحسن مساقه"⁵، عُرِف بين أقرانه بكرم ذات اليد، إذ "كان جوادا

¹ شوقي ضيف، كتاب تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط1، 1960-1995م، ج8، ص449

² ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص50

³ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح و تع: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، 1/79

⁴ اميليو جرسية جومس وآخرين، ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي، تر: محمود علي مكي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع

القومي للترجمة (108)، 1999، ص70

⁵ ابن بسام، الذخيرة، ص219

لا يليق شيئاً، ولا يأسى على فائت، عزيز النفس، مائلاً إلى الهزل، وكان له من علم الطب نصيب وافر"¹:

فعلمنا أنّها نفحة من *** ورت الجود أبا بعد أب"²

كان شخصية أدبية وفنية مرموقة، يقول ابن بسام عن نثره: "إن هزل فسجع الحمام، وإن جدّ فزئير الأسد الضرغام"³، أما ابن حيان فيصف براعته الأدبية بقوله: "كان أبو عامر يبلغ المعنى ولا يطيل سفر الكلام، وإذا تأملته ولسنه، وكيف يجري في البلاغة رسنه، قلت: عبد الحميد في أوانه، والجاحظ في زمانه"⁴، ويذكر أبو النصر بن خاقان ما يتمتع به من مقدرة بلاغية ب: "توغل في شعاب البلاغة وطُرُقها، وأخذ على متعاطيها ما بين مغربها ومشرقها، لا يقاومه عمرو بن بحر، ولا تراه يغرف إلاّ من بحر"⁵، كما عُرف بسُرعة البديهة، وحضور الجواب، يقول عنه ابن دحية: "وأبو عامر هذا أرسخ أهل الأندلس قاطبة بالأدب، ينسل إليه من كل حذب، ولم ير لنفسه في البلاغة أحدا يُجاريه، ويُساجله في جميع العلوم وبياريه"⁶، كما "كان حين وفاته حامل لواء الشعر والبلاغة، لم يخلف لنفسه نظيراً في هذين"⁷

"لما طال بأبي عامر ألمه، وتزايد سقمه، وغلب عليه الفالج الذي عرض له.. وكان يمشي إلى حاجته على عصا مرة، واعتماداً على إنسان مرة، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً.. ثم أوصى

¹ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، ج4، ص136

² ابن بسام، الذخيرة، ص220

³ المصدر نفسه، ج1، ص192

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص192

⁵ أبو نصر الفتح بن محمد ابن عبد الله القيسي الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تح: محمد علي شوايكة، دار عمار، مؤسسة الرسالة، ص189

⁶ محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي (ت488هـ)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1966، ص133

⁷ محمد بن فتوح الأزدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، ص135

أن يدفن بجانب صديقه أبي الوليد الزجالي..¹ إلى أن توفي ضحى نهار الجمعة سلخ جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة، بقرطبة، ودفن فيها ثاني يوم في مقبرة أم سلمة، رحمه الله تعالى²، ولم يشهد على قبره أحد ما شهد من البكاء و العويل³، "وأُنشد على قبره من المراثي جملة موفورة لطوائف كثيرة"⁴ كأبي الأصعب القرشي وأبي حفص ابن برد الأصغر بعد حياة قصيرة، لكن كانت حافلة بالأحداث السياسية والأدبية، أثارها ابن شهيد بالمصنّفات التي ضاع بعضها، وبعضها الآخر وصل إلينا غير كامل منها: كتاب كشف الدكّ وإيضاح الشكّ: "وهو كتاب مفقود، ولكن يبدو أنه في علم الحيل والخرافات"⁵، وحانوت عطار: هو أيضا كتاب مفقود، إلاّ أنّه توجد منه بعض النصوص في بعض المصادر، مثل: المغرب في حُلَى المغرب⁶، كما ذكره صاحب البغية⁷، ورسالة التوابع والزوابع إلى جانب بعض الرسائل أثبتتها له ابن بسام⁸ في "الذخيرة"، ورسائل أثبتتها له الثعالبي في "يتيمة الدهر"⁹

5 - رسالة التوابع والزوابع: وصفها، محتواها، دواعي تأليفها

5 . 1 - وصف الرسالة:

"التوابع والزوابع" أثرٌ من الآثار التراثية العربية القيّمة، هذه الرسالة التي لم تصل إلينا كاملة غير شذرات لم يُعثر إلى حد الآن على مخطوطة لها، "وإنما بلغ إلينا منها ما أثبتته أبو الحسن

¹ ابن بسام، الذخيرة، ص334

² ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص116

³ ابن بسام، الذخيرة، ص334

⁴ المصدر نفسه، ص335

⁵ عبد الله سالم المعطاني، ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي، منشأة المعارف بالإسكندرية، (دط)، (دت)، ص43

⁶ ينظر بعض النصوص من: حانوت عطار في المغرب في حُلَى المغرب لابن سعيد، 1، ص85-86

⁷ المفضل الضبي(599هـ-1203م)، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري/القاهرة، دار الكتاب اللبناني/بيروت، ص238

⁸ ينظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1/ 191) منها رسائله للأمرء، ورسائل عبارة عن ردود لرسائل وصلت إليه، كذلك رسائل أدبية أخرى)

⁹ ينظر الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 15/2، (أورد له رسائل أدبية في الوصف، منها وصف البرد والنار والحطب، وأخرى في وصف برغوث)

علي بن بسام الشنتيري الأندلسي في القسم الأول من كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة¹، وقد حذفت منها أجزاء "مثل رسالة في صفة البرد والنار والحطب، فقد أشار إليها في رسالة "التوابع والزوابع" ولم يثبتها، واحتفظ لنا بها الثعالبي في يتيمة الدهر"²، حينما لم يجد ابن شهيد التقدير من أدباء ونقاد زمانه، بل تعرّض للطعن في أدبه باتهامه بالعجز عن الإبداع واعتماده السرقات الأدبية . حسدا وحقدا عليه . كما "وضعها ابن شهيد للردّ على خصومه وحُساده ومنتقديه ولإظهار براعته وعلوّ مقامه في دولة الكتابة والقريض"³، إذ التمس التقدير والجزاء في دنيا الخيال أو في عالم الجنّ،

بتلك الرحلة الخياليّة إلى عالمهم، "وجعل دليله في ذلك الوادي جنّيّا اسمه زهير بن نمير بن بني أشجع الجنّ"⁴، "ليعرض فيها أروع إنتاجه ويتهم بمن كان يكايده من أهل قرطبة"⁵، الذي وجد فيه الاستحقاق والمجازاة من الشعراء الفحول والخطباء العظماء، "والتوابع: جمع تابع وتابعة، وهي(الرئيّ من الجنّ، جنّيّة تتبع الإنسان"⁶، والجنّي والجنية يكونان مع الإنسان يتبعان حيث ذهب، و"الزوابع: جمع زوبعة، وهي(اسم شيطان مارد أو رئيس من رؤساء الجنّ)"⁷، ومنه سُمّي الإعصار زوبعة، سماها أبو عامر "شجرة الفاكهة"، واختار لها ابن شهيد ثيمة الرحلة، لما لها من حضور كثيف في الأدب العالمي، وكانت الرحلة هنا رحلة لافقة، لأنها إلى عالم الجنّ وما يمثله للبشر من غرائبية وغواية، وهي رحلة أفقية من دو لدو حتى الوصول إلى (وادي الأرواح) أرض الجنّ، عبر الامتداد المكاني مع الرفيق(زهير بن نمير).وقد وصفها مروان بن حيان المؤرخ الأندلسي، وكان قريب من عصر ابن شهيد وأبو النصر الفتح بن خاقان وأبو الحسن علي بن بسام وهم المشهور لهم بالثقة والدقة "إنهم إذ يتحدثون عن التوابع والزوابع

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص63/ص118

² محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط1، بنغازي، ليبيا، 2001 م، ص253

³ أحمد ضيف، بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة مصر، (د.ط)، سنة(1324هـ، 1924م)، ص48

⁴ مبارك زكي، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.س)، ص318

⁵ ابن بسام الشنتيري، الذخيرة، ص 245 / بهجت منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص220

⁶ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، باب العين فصل التاء

⁷ المصدر نفسه، باب العين فصل الزاي

يصفونها بما يصفون، أثرا مبتدعا لا رسالة مقلدة¹، إذ كانت خير مثال على إبداع ابن شهيد الأدبي، "والتي تُعدّ بكرة في مجال الرسائل الأدبية..من حيث أسلوبها الأدبي المتميّز، الذي تضمّن ضربا من المزج بين النثر والشعر بأسلوب قصصي يتضمّن أدب الحوار والمساجلة واستنطاق الحيوان مع طرائف مستملحة"²

5. 2- محتوى الرسالة: قسّم ابن شهيد الرسالة إلى مدخل وأربعة فصول:

المدخل: وجّه ابن شهيد رسالته في المدخل إلى صديقه أبي بكر بن حزم، يذكر كيف تعلّم، ونبض له عرق الفهم³، ثم ينتقل إلى خبر حبيب مات، فأخذ في رثائه، فإذا بجني اسمه "زهير" يتصوّر له، وتتأكد بينهما الصّحبة، لينطلقا في رحلة خيالية.

الفصل الأول: طار ابن شهيد مع "زهير" إلى وادي الأرواح، ليكون اللقاء بتوابع الشعراء، فالتقى بتوابع امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وقيس بن الخطيم من شعراء الجاهلية، ليتحول إلى توابع الشعراء العباسيين كأبي تمام والمنتبي والبحثري وأبي نواس، فيتناشدون ويتساجلون الشعر، لينتهي اللقاء معهم بأخذ الإجازة منهم.

الفصل الثاني: أثار هذا القسم "قضايا نقدية كان لها مساس بشعره ونثره..وناقش أمورا أخذها على غيره، أو عدّها خصومه من العيوب في كلامه ونظمه"⁴، في لقائه توابع الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وبديع الزمان، إذ أخذوا عليه شغفه بالسّجع، فيُدافع عن نفسه، ويشتكى أدباء عصره وفقهاءه، ليُعلن بإجازتهم شاعرا وخطيبا

¹ محمد رجب النيومي، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1400هـ-1980م، ص185

² بهجت منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ط2، دار الياقوت، عمان، 2001، ص219

³ ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص118

⁴ محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، دار الأنوار، بيروت، 1968م، ص296

الفصل الثالث: يحضر ابن شهيد وصاحبه زهير مجلس أدب من مجالس نُقاد الجنّ، فيستمع إليهم ويسمعهم فيدور الحديث حول عدة قضايا نقدية، كبيت للنابغة، تداول الشعراء معناه من بعده، ولم يلحقوه.

الفصل الرابع: في ختام الرحلة يُشرف ابن شهيد وزهير في ناد لحمير الجنّ وبغالهم، وقد وقع خلاف بينهما في شعرين لحمار وبغل من عشاقه، ويلتقي بغلة أبي عيسى، ويحتكم إليها في شعر لبغل وحمار آخر، ويتناظر مع الإوزة لأحد شيوخ اللغة، وينتصر عليها.

3. 5- دواعي تأليف الرسالة:

يرى فولفجانج آيزر أنّ "النصوص الأدبية عامة هي رد فعل لوضعية معاصرة لها"¹، يعني أنّ النص الأدبي مهما كان جنسه، فهو يحمل قضايا عصره الذي وُلد فيه، وعلى هذا فالتوابع والزوابع هي وليدة عصرها²، ونتاج بيئتها الأندلسية، وما يطرع في جنباتها من صراع بين مثقفها ونخبها الأدبية والفكرية، وهو ما يظهر من تضاعيف الرسالة بتلك الفقرات التي تشعّرنا بأنّ ابن شهيد كان مبتلى بحقد معاصريه، وحسدهم وإسرافهم في الكيد له، والغض من شأنه، برده الصّارم على خطاب أبي بكر بقوله: "فأما وقد قلتها، أبا بكر، فأصخ أسمعك العجب العُجاب"³، يقول في صدر رسالته مخاطبا صديقه أبا بكر، لما أبداه تجاهه من حسد وتقليل من ألمعيته الأدبية: "لله أبا بكر ظنُّ رميته فأصميت، وحسد أملتة فما أشويت!.. حين لمحت صاحبك الذي تكسبتُهُ، ورأيتَه قد أخذ بأطراف السماء، فألف بين قمريها، ونظم فرقيها.. فقلت: كيف أوتي الحكم صبيّا، وهزّ بجذع نخلة الكلام فاساقت عليه رطبا جنيا؟ أما

¹ فولفجانج آيزر، (1992)، وضعية التأويل، الفن الجزئي والتأويل الكلي، مجلة دراسات، ص 69

² زكي مبارك، النشر الفني في القرن الرابع، ص 264: "ومن رأي الدكتور (أحمد ضيف) أنّ التوابع والزوابع محاكاة لرسالة الغفران.. لأنه أدرك عصره، ولأنّ شهرة أبي العلاء كانت دائعة في المشرق والمغرب.. وقد رأينا أنّ نحقق هذه الرسالة فيبحثنا طويلا عن التاريخ الذي وضعت فيه.. فلم نهتد.. وقد بحثنا طويلا في كتب التراجم.. ونتيجة هذا التحقيق أنّ رسالة الغفران كُتبت بعد رسالة التوابع والزوابع بنحو عشرين سنة.."

³ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 118

إن به شيطاناً يهديه، وشيصبانا*يأتيه¹، كما يذكر ما لاقاه من حُساده الأرقام، وكيف هضموا حقه، حينما أزمع الخروج عن قرطبة في هذه الأبيات:

أرى أعينا ترنو إلي، كأنما تُساور منها جانبي أرقامُ

أدور فلا أعتام غير محارب وأسعى فلا ألقى امرءا لي يسالم

لئن أخرجتني عنكم شر عصابة ففي الأرض إخوان علي أكارم²

فقد حدثنا أنه قرأ على الجنّ رسالة في وصف للحلواء فاستحسنوها وقالوا: "إن لسجك موضعا من القلب، ومكاناً في النفس، وقد أعرتة من طبعك، وحلاوة لفظك، وملاحة سوقك، ما أزال أفنه، ورفع غبنه، وقد بلغنا أنك لا تجارى في أبناء جنسك، ولا يملُ من الطعن عليك، والاعتراض لك. فمن أشدهم عليك؟"³، وهنا يجيب ابن شهيد "قلت: جاران دارهما صقب، وثالث نابته نُوب، فامتطى ظهر النوى، وألقت به في سرقطة العصا"، فسألاه "فقالا: إلى أبي محمد تشير، وأبي القاسم وأبي بكر؟ قلت: أجل، قالا: فأين بلغت فيهم؟"، ليشرح أبو عامر. بعد تحديد أسماء حُصومه وحُساده. كيف كاد له هؤلاء الخصوم من اللغويين والفقهاء والنقاد عند الأمراء بقوله: "قلت: أما أبو محمد فانتضى عليّ لسانه عند المستعين، وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين، وبلغني ذلك فأنشدته شعرا منه:

وبلغت أقواماً تجيش صدورهم * عليّ، وإني منهم فارغ الصدر⁴

ثم يشرح كيف راح هؤلاء الحُساد يرمونه بالعجز عن الإبداع، واعتماده السرقات في أدبه، يقول:

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع الزوابع، ص 117-118

(*الشيصبان:ورد في شياطين الشعراء لعبد الرزاق حميدة، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 55:أنّ العرب جعلوا للجن قبائل " كما كانوا هم قبائل وعشائر، وقد عرفنا من قبائلهم " بني الشيصبان" الذين كان لحسان صاحب منهم" فطورا يقول وطورا هوه"، و عرفنا "بني زوبعة الجني" وهم أصحاب الرهج والقتام والتثوير)

² إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ص 222

³ ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص 123

⁴ المصدر نفسه، ص 123

فقال فريق منهم: ليس ذا الشعر شعره * وقال فريق: أيمن الله لا ندري

وما كل من قاد الجياد يسوسها * ولا شيء أجلى للشكوك من الخبر¹

"وأما أبو بكر فأقصر، واقتصر على قوله: "له تابعة تؤيده"، لينتقل إلى ذكر الحسود الثالث: "وأما أبو القاسم الإفيلي فمكانه من نفسي مكين، وحبه بفؤادي دخيل، على أنه حامل عليّ، ومنتسب إليّ"²، ابن الإفيلي (441/352هـ) وهو "من علماء قرطبة النابهين"³، الذي ناصبه الخصام، وأظهر له الحسد والإنكار لألمعيته الأدبية، إذ ورد في قول أبي مروان بن حيان (ت469هـ) يصف حسده لمنافسيه في الأدب والنقد، رغم ما يحظى به من علم ومكانة وحظوة عند الأمراء: "كان ابن الإفيلي غيورا على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكبا رأسه في الخطأ البين إذا تقلده أو نشب فيه، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه، وعدم علم العروض ومعرفته، مع احتياجه إليه لإكمال صناعته به ولم يكن له شروع فيه"⁴، كما راح حُساده وخُصومه يكيّدون له، ويرموناه بالعجز عن الإبداع الأدبي، واتهامه بالسرقة من غيره، إذ أورد ابن بسام أن "عرضت فصول من كلامه على الكاتب أبي بكر المعروف بأشكمياط فقال: ففر حسان إلا أنه عثر عليها (فوصل كلامه إلى أبي عامر) فكتب إليه: ما أغيرك أبا بكر، على نظم ونثر، لو إليك كان العلم، أو بكفك كان الفهم، لم تترك لأرض أعلما، ولا لغيرك إنعاما، أحشا عند رعدتك؟ عرضت عليك الدر منظوما، فقلت: نعم ما صنعت لو اخترعت، وما

¹ المصدر نفسه، ص123

² ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص123

³ ابن بسام، الذخيرة، 1/281، ص242 / والإفيلي، شرح شعر المتنبي، دراسة وتحقيق: مصطفى عليان، 1/3، ص53، 56: الإفيلي (352-441هـ): من علماء قرطبة النابهين، وقد ولى الوزارة للمستكفي بالله، حافظا للأشعار واللغة قائما عليهما، كثير العناية بشعر حبيب الطائي والمتنبي، ذاكرة للأخبار يقول أبو مروان بن حيان "كان ابن الإفيلي غيورا على ما يحمل من ذلك الفن كثير الحسد فيه راكبا رأسه في الخطأ البين إذا تقلده أو نشب فيه، يجادل عليه ولا يصرفه صارف عنه.. وكان لحق الفتنة البربرية فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود ومن تلاهم إلى أن نال الجاه، واستكتبه محمد بن عبد العزيز المستكفي بعد ابن برد، فوقع كلامه جانبا من البلاغة، لأنه كان على طريقة المعلمين والمتكلمين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهده فيه وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير.."

⁴ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تح: أحمد فريد رفاعي، طبعة دار المأمون، ج1، 1928،

أحسن ما أطلت لو أبدعت، مُعرّضا بالتقصّص، ومشيراً إلى التلصّص، هيهات لا يزيد الحز من الغرب، ولا يضيء السليط في القصب، لأقطعن حبالك هاجرا، ولأتركن ليلك ساهرا¹. ومن الخصوم النّاقمين ابن الحنّاط الكفيف *، الذي يعلن عن نغمته عليه، كما ينتقد تباهيه بنفسه وأدبه يقول: "وأخونا أبو عامر يسهب نثرا، ويطيل نظما، شامخا بأنفه، ثانيا من عطفه، متخيلا أنه قد أحرز السباق في الأدب، وأوتي فصل الخطاب، فهو يستقصر أساتيد الأدباء ويستجمل شيوخ العلماء"²

فشعور الغيرة منه، أشعل النار في قلوب خصومه، بتركيزهم كليا عليه، وتمنّيهم أن يؤثروا مثل ما أوتيه، يترجم ذلك ما قاله أبو بكر: "قد أخذ بأطراف السماء، فألف بين قمريها، ونظم فرقديها"، إذ فتحت تلك الاستجابة للشعور بالغيرة بابا كبيرا للحسد، بتمنّي زوال ما به من نعمة، وترجمته في شكل أفعال ظاهرة، تتمثل في الانتقاص من ابن شهيد والتشكيك بقدراته في قوله: "أما أن به شيطانا يهديه، أو شيصبانا يأتيه"³، كما اشتكى منهم إلى سليمان المستعين بقوله:

وَبُلَّغْتُ أَقْوَامًا تَجِيشُ صَدُورَهُمْ * * * عَلِيٍّ، وَإِنِّي مِنْهُمْ فَارِغُ الصَّدْرِ

فقال فريق: ليس ذا الشّعُرُ شعره * * * وقال فريق: أيمنُ الله، ما ندري⁴

¹ ابن بسام، الذخيرة، ص 231

² ابن بسام، الذخيرة، ق 1، م 1، ص 439

(ابن الحنّاط: هو الأديب أبي عبد الله أحمد بن سليمان بن الحنّاط الكفيف القرطبي، زعيم من زعماء العصر ورئيس من رؤساء النظم، والنثر في تلك الأونة، وجمرة فهم لفحت وجوه الأيام، وكان بينه وبين أبي عامر بن شهيد مناقضات في عدة رسائل وقصائد، وكان شاعرا ضريرا، وأوسع الناس بعلوم الجاهلية، والإسلام، عالما بالأفلاك والهيئة، حاذقا بالطب والفلسفة، ماهر في الآداب الإسلامية) (ينظر الذخيرة، ق، م 1، ص 437)

³ ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص 118

⁴ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه: محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969، ص 114-115

إذ عملوا على "الإحساس بالجرح في كبريائه بسبب الإحباطات التي وقفت عائقا في طريقه، لتحقيق المجد الذي يحلم به، وهو الوصول إلى أن يكون كاتباً من كتاب الدولة، ووزيراً من وزرائها، وأعدّ نفسه في أن يكون كذلك"¹، ولا يكتفي ابن شهيد بإعلان حزنه لتحامل معاصريه، بل يضيف إلى ذلك صرخته من عدوان زمانه، فينطق الجن . وقد استجادوا شعره . بهذه الكلمة الموجعة: "ما أنت محسن على إساءة زمانك!"²، فهذه الإحباطات وهذا الحسد، والإنكار لتفوقه الأدبي أعطاه طاقة دفع للتصدي لهم، والرد عليهم بتأليفها، "فكيفما سرنا في رسالة التوابع والزوابع نجد أبا عامر شديد الإنحاء على خصمائه، شديد المباهاة بأدبه ونبوغه، يناقش الشرق والغرب، والقديم والمحدث، ويدفع حملات النقد والمتعنتين، ولا يرضى أن يجاز إلا شاعرا وخطيبا على السواء"³، لأنّ "ما يزيد من معاناته أنه يرى من هم أقل منه وصلوا لمساعدة المؤدبين، واللغويين، والفقهاء الذين وقفوا في طريقه حين اتهموه بالتحرر، وفساد الأخلاق، والمروق، فألف رسالته هذه للانتقام منهم"⁴، لهذا كانت التوابع والزوابع بالنسبة له أمام هؤلاء الخصوم المناوئين والحساد المُنكرين، "فرصة سانحة ليثأر لنفسه ممن نالوا منه، كأبي القاسم الإفريقي، "فحمل في رسالته على أمثاله، حملة شعواء فيها سخرية لاذعة، إنه حقّق هدفه بالنيل ممن حملوا عليه من نقاد عصره، وحقّر شأنهم وأخمد ذكّهم، كما أرضى غروره، وإعجابه الشديد بفنّه وبعبقريته"⁵.

خلاصة:

اتضحت معالم الحجاج وإجراءاته أن أصبحت البلاغة تعني اليوم دراسة البُعد الحجاجي في النصوص والخطابات، بجهود علماء أمثال بيرلمان وتيتكاه وتولمين وديكرو وأنسكومبر،

¹ محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط، بنغازي، ليبيا، 2001م، ص259

² ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص137

³ المصدر نفسه، ، ص71

⁴ محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، ص259

⁵ علي محمد سلامة، الأدب العربي في الأندلس، تطوره، موضوعاته وأشهر أعلامه، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت،

لبنان، 1989م، ص494 - 495

بقراءة جديدة لخطابة أرسطو التي كانت تعني "الكشف عن الطرق الممكنة للاقناع في أيّ موضوع كان"¹ عبر آليات الإيتوس والباتوس واللوغوس، أمّا عند العرب ظهرت جذور الخطاب الإقناعي من خلال جهود علماء البلاغة والمنطق وعلم الكلام أمثال الجرجاني والجاحظ والعسكري والسكاكي والغزالي وابن رشد وابن القيم، وشهد الدرس الحجاجي نضوجاً تجلّى في فعالية حوارية هي "المناظرة"، بعد ارهاصات مهّدت لذلك تمثلت في الشعر والخطابة، ومن الأدباء الذين استثمروا في مجال القول: ابن شهيد الأندلسي بتوسّله في رسالة "التوابع والزوابع" عناصر التواصل والبُنى والعوامل الحجاجية، للتأثير في متلقّيه، والتعديل في أفكار وسلوك أعدائه ومناوئيه.

أرسطو، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، ص¹29

الفصل الأول: التواصل الحجاجي في رسالة التوابع والزوابع (بنية الرسالة)

1- عناصر التواصل الحجاجي

1. 1- المرسل 1. 2- المرسل إليه 1. 3- السياق 1. 4- الرسالة 1. 5- قناة الاتصال

2 - عناصر ترتيب الخطاب

2. 1- أسس ترتيب القول: 2. 2- الاكتشاف (مصادر الحجج) 2. 3- الحجج (تصنيف الحجج) // الأسلوب

3- نظام بناء الرسالة

3. 1- النظام العاطفي: (الاستهلال / الخاتمة)

3. 2- النظام البرهاني العقلي

3. 3- البعد الحجاجي في الرسالة

1- عناصر التواصل الحجاجي

يعتبر التواصل (Communication) من أقدم أوجه النشاط الإنساني، فهو أساس الحياة اليومية لما يضطلع به من دور هام في ربط الوشائج الإنسانية، عبر تبادل المعلومات والمشاعر والأفكار بين المشاركين في العملية التواصلية من خلال التفاعل (L'Interaction) قصد بلوغ غاية ما، "فالتواصل اللساني هو سيرورة اجتماعية مفتوحة على الاتجاهات كافة، إذ لا تتوقف عند حدّ بعينه.. لأن الفعل التواصلي هو فعل كلي"¹، ومن أهم النظريات التواصلية التي عملت على فهم أعماقها: النظرية السلوكية التي وضعها المحلل الأمريكي هارولد لازويل (Harold Lasswell)، والنظرية الرياضية، غير أنّ أهمها هي نظرية التواصل اللغوي التي طورها ر. جاكبسون (R. Jakobson) بعد جهود ك. بوهلر (K. Buhler)، والإرهاصات الأولى التي ظهرت عند دي سوسير (De Saussure)، فعمل جاكبسون على تحديد عناصرها وضبطه لوظيفتها.

إنّ رصد المسار التواصلي أو الجهاز الشكلي للتخاطب، يقتضي رصد السياق والمقاصد، ولتحقيق صفة التواصلية، تركز النظرية الحجاجية بالأساس على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم للتغيير في معتقدات الآخر وإقناعه، والدور الذي يقوم به للولوج إلى عالمه واستمالته، هذا المتلقّي الذي غُيب في الدراسات القديمة، وعليه يتعيّن معرفة هذا المرسل إليه، تبعاً لما نعرفه عن مزاجه ومكوناته ورغباته، كونها عوامل مُعاضدة على الإقناع، إذ أنّ الخصوصيّة الجوهرية للخطاب الحجاجي هي الاستمالة والتأثير فيه، برصد أساليبه المختلفة عبر تظايرها لتحقيق الغاية الكبرى منه وهي تحديد نسبة قوّة الحجاج أو ضعفه، فهي وسائل مهمة وعناصر رئيسة في العملية التواصلية، قال ابن جني (322هـ/392هـ): "أما حدّها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"²، وعليه فابن

¹ رضوان القضماني، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 29، العدد، 2007، ص3

² ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة الوقفية، ط، 2015، ص101

جني يرى اللغة سمة اجتماعية، وبها تُحقق المجتمعات التواصل بين أفرادها والتعايش بينهم، وعليه فإن هذه العناصر هي التي تكفل لعملية التواصل النجاح، مع وجود عناصر أخرى محيطة بها¹، وهو ما يذهب إليه ابن سنان الخفاجي (423هـ/466هـ) رغم حصره للغة في الوظيفة التبليغية بقوله: "ومن شروط البلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهراً جلياً، لا يحتاج إلى فكر في استخراجها وتأمل لفهمه.. والدليل على صحة ما ذهبنا إليه.. أن الكلام غير مقصود في نفسه، وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التي في نفوسهم."² فاللغة وُجدت للتواصل عن طريق إرسال المتكلم برسالة إلى المرسل إليه، قصد تحقيق فائدة (إبلاغية/إقناعية/إخبارية) عن طريق اللغة، ولحصول التواصل يُضيف ابن سنان بالتأكيد على: "يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إلهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع"³، "فالبلوغ من الناس من يضع كلامه تعبيراً عما في صدره، فيبلغ به غايته من متلقيه بأيسر طريق، وأحسن تعبير"⁴، وعليه كانت للعرب رؤية للتواصل، باعتبار اللغة قناة للتواصل، وتقوم هذه العملية التواصلية حسب ما حدد جاكبسون عناصرها ووظائفها⁵ على:

1. 1- المرسل (المتكلم) Le Destinateur:

تناولت البلاغة الكلاسيكية مع أرسطو التأثير الحجاجي للإيتوس (L'éthos)، ودوره في بعث المخاطب على الثقة والتصديق، واستمالة الجمهور وإقناعه، إذ ورد في التقاليد الأرسطية أنّ الإيتوس إلى جانب كل من اللوغوس والباتوس، أحد أهم الحُجج الصناعية التي تُحقق الإقناع للمخاطب، وكل ما يجعله "أهلاً لأن يصدّق ويُقبل قوله"⁶، أمّا في الدراسات المعاصرة

¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2000، ص254

² أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي، شر وتوص: عبد المتعال العيدين، مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولاده، الأزهر، 1969، ص212

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص90

⁴ باديس الهويل، التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد7، 2011، ص165

⁵ ينظر: ياكبسون رومان، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومازن حنون، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1988، م.س)، ص24

⁶ أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959، ص10

فإفادات البلاغيين الجدد في أبحاثهم البلاغية الحديثة كانت محتشمة في ميدان الإيتوس، كروبول وتيتكاه وبيرلمان فكانت "ملاحظات عابرة"¹، لهذا يذهب إيكز (E.Eggs) أنّ من الباحثين الذين أدوا دورا بارزا لتحليل الإيتوس مانغونو (D.Maingueneau) بقوله: "باستثناء أبحاث مانغونو، فإنّ الإيتوس غائب عملياً في البحث الحالي في اللسانيات والتداوليات والحجاج"²، فمونغونو انطلق من فكرة أساس وهي أن لا يتم التعامل مع الإيتوس باعتباره وسيلة من وسائل البرهنة والإقناع فحسب، بل "إنه جزء لا يتجزأ من المشهد التلفظي"³، إذ يراه يحضر بطريقة واعية أو غير واعية في كل أشكال التفاعل، حتى لو لم يكن الهدف منه حجاجيا، إذ كان "أول من أدخل مفهوم الإيتوس إلى حقل تحليل الخطاب"⁴، يقول في هذا الصدد: "إنّ منظوري يتجاوز بشكل كبير إطار الحجاج إلى ما وراء الإقناع بالحجج. فمفهوم الإيتوس يسمح بالتفكير في المسار العام لانخراط الأفراد في موقف معين. وهو مسار يظهر بشكل جليّ خصوصا عندما يتعلق الأمر بخطابات من قبيل: الخطاب الإشهاري، والخطاب الفلسفي.."⁵، بينما ترى أموسي (Amossy) أنّ ديكرو (Ducrot) من عمل على إحياء مفهوم الإيتوس، بالشكل الذي قدمه أرسطو، إذ يعتمد التصور الأرسطي له، بجعله أحد مكونات الخطاب، بتشكله فيه وبه، وليس خارجا عنه، إذ يرى ديكرو (Ducrot) أنّ "التلفظ هو فعل لمتكلم واحد، لكن الصورة التي يمنحنا إياها الملفوظ تتعلّق بتبادل، أو بحوار، أو بتراتبية كلامية"⁶، لهذا "سيكون من المفارقة أن نخلط

¹ عبيد حاتم، في تحليل الخطاب، ط1، دار ورد الأردنية للنشر، 2013، ص104

² Ekkehard Eggs: Ethos aristotélien, conviction et pragmatique moderne, in Amossy (Ruth), Images de soi dans le discours: la construction de l'ethos, sous la direction de Ruth Amossy, éd: Delachaux et Niestlé, Paris- Lausanne, 1999, p:2

³ Dominique Maingueneau: L'éthos, de la rhétorique à l'analyse du discours "Problèmes d'éthos, Pratiques, n113-114, juin 2002, p:3-14

⁴ Ali Alsafar: Ethos discursif et construction des rapports intersubjectifs dans les professions de foi des élections présidentielles de 2007 et de 2012, thèse pour obtenir la grade de docteur, Université Paul Valéry- Montpellier3, 2014, p:16

⁵ Dominique Maingueneau, L'éthos, de la rhétorique à l'analyse du discours, p:7

⁶ Oswald Ducrot: Le dire et le dit, les éditions de minuit, Paris, 1984, p:198

بين المتكلم المتلفظ (Locuteur) الذي هو متكلم خطابي، وبين المتكلم (Sujet parlant) الذي يمثل عنصرا من التجربة¹

إنّ المتلفّظ (Locuteur) بالخطاب البليغ الذي يتّجه به إلى المتلقي، يتخيّر ألفاظه يرومُ بها تحقيق مقاصده، لتحصل فائدة التبليغ؛ إذ "للخطابة شروط لا بد من مراعاتها، منها جهازة الصوت، وعدم المبالغة في التلحين والإنشاء لأنّها من أسس حلاوة النغمة وهي غير مستحبة في هذا المقام، ولا بد أن يكون الخطيب مقداما لحظة مواجهة الجمهور، وينبغي له الانتقاد لقوة البديهة وقوة الارتجال، ولا يغزّه انقياد القول له في بعض الأحيان، فأعمال الفكر والروية أمر مهم. بيد أنّه ينبغي أن يكون إعمالا غير متكلف وكأنّه من نتاج البديهة"²، ومنه تنطلق العملية التواصلية، فهو مصدر الخطاب المقدم؛ فجاكسون حدّد للمُرسل الوظيفة العاطفية التعبيرية (Émotive- Expressive) إذ يعتبر كائنا حيويا في الدائرة التواصلية، وهو الباعث الأول على إنشاء الخطاب، وهو المحرّك للمرسل إليه، فابن جني يرى أنّ المتكلم هو الذي يملك المعنى الحقيقي للعبارة، كونه الأدرى بمقاصد الكلام وأغراضه، فهو يستأثر بظاهر البنية و شكلها دون سواه، لهذا أولته البلاغة العربية أهمية بالغة، عبر ما يحظى به من مكانة في النحو العربي باعتباره "المتكلم هو فاعل الكلام"³، ومن خلال هذه القاعدة فلمعرفة دلالة اللفظ، يجب أن نعرف عالم المتكلم والعكس صحيح، مع الأخذ بعين الاعتبار سياق المتكلم في بيئته والجانب الثقافي والاجتماعي، حتى يُعرف ماذا يقصد المتكلم من كلامه، "ف.الخطاب يستمد قيمته وفعاليتها من السلطة التي يحظى بها المتكلم"⁴.

تشكّلت صورة ابن شُهيد في رسالته من مكونات عدة، بين كونه أديبا، شاعرا، كاتباً، وناقداً، وسياسياً، تلك الصورة التي رسم معالمها ليظهر لمخاطبيه باعتباره "الصورة الإيجابية

¹ Oswald Ducrot: Le dire et le dit, p:99-198

² عبد الله إبراهيم، (2005)، التلقي والسياقات الثقافية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص115

³ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي، 2009، ص165

⁴ محمد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة العلمية، ط1، 2017،

التي يمنحها الخطيب عن نفسه، والتي تكون قادرة على إثارة المخاطب وجذب تعاطفه¹، شخصية فاعلة، متحركة ومُحرّكة للأحداث، ف"التوابع بطلها ابن شهيد نفسه كاتب الرسالة ومؤلف الرحلة لا يتوارى في مشهد من مشاهدها ولا يقوم ثم حوار أو عرض أدبي إلا كان هو الشخصية الأولى"²، فهو وحدة فاعلة في سير الأحداث ونموها وتفعيل الحوار مع توابع الشعراء والخطباء، وفي فلكها تدور الشخصيات الثانوية، عبر بنائه عالم الجنّ الغريب لتبليغ رسالة: أنّ الشاعر والخطيب يتمّ تصنيفه على أساس "قوة الصناعة"، والاحتفاء بهؤلاء "الذين صنعوا اللغة (امرؤ القيس، طرفة، أبو تمام، المتنبي..) هؤلاء القلقون الذين اشتغلوا ضد المؤسسات التي حاولت تكريس النمطي السائد، ومحاولة محاربة كل ما من شأنه أن يخلخل المعهود. الإبداع لا يطمئنّ للسائد، ينفّر منه ولا يقيم معه علاقات الألفة التي تعني الرضوخ وخنق الحرية التي ينزع إليها الإبداع ويرفض بذلك العلاقات الرتيبة المستهلكة بين الدوال في العبارة ومدلولاتها. وتلك في المحصلة سيماء العبقرية"³، وهو ما حرص عليه رجال اللغة والأدب والفقهاء في عصره، فالمتكلم في التوابع وإن ظهر في الرسالة بشكل مكثّف، إذ كان الأكثر حظاً في الظهور، الذي كان فيه مرةً بآثاً ومرةً متلقياً، غير أنّه لم يمنح نفسه حقّ الوصف الخارجي، وتعمّد إهمال وصف هيئته الخارجية، مركّزاً على ما تصدر منه من أفعال ذات الأثر الكبير في حركيّة الأحداث وسيورتها، لأنّ مقصداً خاصاً يدفعه، ومنزعاً نفسياً يحدوه لذلك، ويدفع الأحداث والشخصيات، وهو ما تستميت شخصية أبي عامر في إثباته وإقناع الآخرين وهو: إثبات الذات وجدارتها وألمعيّتها أمام الخصوم المُناوئين، فمحاورته لتوابع الجن لم يكن اعتباطياً، كما جاء لمقصديّة واضحة يسعى إليها حديثاً، فهو يُدرك أنّ بروز ذاته وشخصيته في خطابه هو شكل من أشكال الإيحاء بالثقة والتأثير والمصادقية لهذا الخطاب، إذ "أنّ كل خطاب يقدم صورة عن الذات فإنّ صورة الذات تصبح شكلاً من أشكال الإقناع والتأثير والتي بها يمكن إيصال ذات الشاعر إلى

¹ Oswald Ducrot: Le dire et le dit, p 200

² محمد رجب البيومي، الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثر، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، 1400هـ-1980م، ص186

³ مرزاقه عمراني، قراءة ابن شهيد الأندلسي للنص الشعري القديم، مجلة العلوم الإنسانية، ع49، جوان1986، 2018، المجلد أ.ص، ص161

المتلقي بكل سهولة، ويصبح الخطاب مؤهلاً لكي يتقبله الآخر كونه نابعا من ذات المتكلم¹، لهذا تسربت إلينا بعض الأوصاف النفسية الداخلية، التي اعتمدها المتكلم كحُجج تأثيرية، تقوم مرّة على التلميح (Implicite) وأخرى على الحُجج النصية الصريحة (Explicite) لينفذ من خلالها إلى المتلقي، الذي يريد تحقيق مراده بإقناعه أو تعديل سلوكه أو موقفه، إذ أن المرسل يرمي لتحقيق هذه الأبعاد الحجاجية التي يمكن إيجازها في: البعد العملي (رد فعل)، والبعد الفكري (الحصول على تأييد)، والبعد الأخلاقي (تغيير سلوك)، وهذه الأبعاد تجعل الخطاب الحجاجي محور تقاطع بين المنطقي والأخلاقي والعاطفي، وعلى فاعل الحجاج أن يسلك شبكة من المسارات الحجاجية، ومن الضروري إتباعها سواء المتكلم أو المتلقي.

"فالإيتوس Ethos هو مجموع الخصال المتصلة بالخطيب والمؤدية إلى إحلال الثقة في الجمهور وهو ما يعني حاجة الخطيب في محاولته استمالة الجمهور إلى الظهور بمظهر يجعله جديرا بالثقة حقيقا بالتصديق وهو أمر لا يحتاج في رأينا إلى شرح وتعليل إذ تنبني الثقة بين المتلقي والباث إلا بفضل جملة من الخصال التي يتحلى بها الثاني ويقر له بها الأول²، لهذا بدت من الأحداث مقدرة المتكلم الجسمية والنفسية على التّجوال في أرض غريبة عنه، متحملا مشاقّ السفر بين الوديان والمفاوز والصحارى، كما ظهرت بشكل واضح شجاعته ورباطة جأشه فهو يلاقي توابع وشياطين الجن، وهو الإنسيّ دون خوف، فهذا يمكنه من تخطي الصعاب، والتغلب على الخوف، لكي لا يضطرب ذهنه ويضعف تركيزه، ويصيب مرماه، فالخطاب يستمد قيمته وفعاليته من السلطة التي يحظى بها المتكلم³، وقد استند عليها ابن شهيد باعتبارها حججا مضمرّة، كما أن الخطاب الحجاجي يقوم على الخفي والمضمر لما لهما من حمل على الإقناع والإذعان، "وأفضل تحضير ما يكون معناه خفيا، وذلك الذي تكون فيه

¹ أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2011، ص94

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري بنيته وأساليبه، ص91

³ محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، ص173-174

الحجج منثورة مثل بذور لا ترى"¹، أما (رباطة الجأش) تلك الخصلة التي يلجُ عليها الجاحظ، لأنه يراها آلية بلاغية وبنية إقناعية مهمة في الخطاب بتعريفه للبلاغة: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، مُتخير اللّفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السّوق، ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة"²، كما لا يغفل الجاحظ عن هيئة المتكلم التي عالجها بطريقة موضوعية "فالبراعة في الكلام والإبانة عن الغرض ليست مرتبطة بجمال الشكل، فكم من خطيب زري الهيئة قبيح الشكل، فإذا تكلم نسي الناس عيوبه وشدهم كلامه وغضوا الطرف لحسن القول عن حسن القائل"³، هذه الشجاعة مع ما يُداخلها من روح الفخر والتعالي أو كما تسميه سامية الدريدي "حضور النفس الفخري" بسبب نشأته المرفهة في قصور العامريين، ونسبه "الأشجعي" الذي ما يفتأ يذكره في ثنايا رسالته وشعره، ويفتخر به، إلى درجة أن يوقظ صاحب "أبي نّواس" من سكره، لمجرد أنه عرف أن نسبه يعود إلى بني "أشجع"، مع تمتعه بالحسّ الحضاري الذي يتحلّى به، فهو سليل القصور، ونديم الخلفاء، لهذا يتواضع في أسئلته للتوابع، ويوقّر الشيوخ والعلماء ويُجلّمهم، خاصة الكبار منهم، مما يعكس طبيعة الحياة الأندلسية وقتئذ. في بلاط العامريين وبيئتهم الحضارية التي تتعلّق "بحرية الفكر في المجتمع الأندلسي، وكانت أحد أسباب ازدهار تلك الحضارة"⁴، كما أنه "فمن المهم الحديث عن صورة الباث كما يرسمها هو ذاته في خطابه حين يحرص على الظهور بمظهر معين والتحلّي بخصال محددة تتلاءم مع غايته وتدعم طاقة خطابه الحجاجية"⁵، كما أنّ ابن شُهيد يرمي إلى إقناع المتلقي بهدفه الفكري دون إكراه، لذلك كثيرا ما "قد تزوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء، ونفوذ في

¹ رولان بارت، البلاغة القديمة، تر وتق: عبد الكبير الشراوي، نشر الفنك، 1994، ص 145

² الجاحظ، البيان والتبيين، تح وشر: عبد السلام هارون، ج 1، ص 92

³ حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 246

⁴ نادر حقاني، تحليل نص من رسالة التوابع والزوابع إجازة امرئ القيس لابن شهيد، التراث العربي اتحاد الكتاب العرب،

دمشق، سوريا، 2003، ص 79

⁵ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي: بنيته وأساليبه، ص 91

استمالتها للمخاطب كأنه يراها رأي العين"¹، فهو يرمي من خطابه التأثير في أولئك الحُساد والخصوم، بالافتناع بما يدعوهم إليه، و"لا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفالج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة"²، بسعيه لتحقيق هدفه الإقناعي، وهو تعديلهم سلوكهم ب"حمل المستمع على فهم ما ليتسنى للمتكلم توجيه الخطاب وجهة معينة عن طريق بناء إطار يفرضه على المستمع بتلفظه ذلك"³، وهو لا يقوم إلا بالكلام المتألف من معجم اللغة الطبيعية"⁴ عبر توليفة من المكونات المتباينة ذات المقصدية الحجاجية، ولتحقيق ذلك تتنوع أشكال الاستعمال اللغوي عند ابن شهيد، فالمرسل والمرسل إليه:"العلاقة بينهما علاقة أفقية"⁵، ولكون الخطاب يستمد قوته التأثيرية من الصورة الإيجابية، التي يرسمها الخطيب لنفسه، ذلك أن الصورة التي يكونها المتلقي عن القائل تسهم في تعضيد القول وترفع من فعاليته الإقناعية يدعو أرسطو أن: "ليس من الضروري فقط أن ننظر كيف تجعل الخطبة نفسها برهانية، بل من الضروري أيضا أن يظهر الخطيب أنه على خلق معين"⁶، كما يرمي ابن شهيد من خلال معارضاته للشعراء والخطباء إلى التأكيد بأن "النصوص تدور في حركة لولبية، يصطدم بعضها ببعض في أثناء هذه الحركة، يمتح بعضها من بعض دون إقصاء أو اختزال، لكل نص حقّ في الوجود، على الأقل إنه موجود إلى أن يقرر القراء والمتلقون عكس ذلك، وحتى في هذه الحال، قد يأتي جمهور آخر في زمن آخر، فيبعث الوجود في نص كان قد أصبح نسيا منسياً".⁷

1. 2- المرسل إليه (المتلقى): Le Destinataire

- ¹ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص226
- ² الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ص114
- ³ بلخير عمر، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989-2000، (دكتوراه)، جامعة الجزائر، ص185
- ⁴ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، ص11
- ⁵ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص117
- ⁶ أرسطو طاليس، فن الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، 1986، ص102
- ⁷ مرزاقه عمراني، قراءة ابن شهيد للنص الشعري، ص160

الباتوس (Pathos) كلمة إغريقية وتعني حسب قاموس (Bailly) 1901: "ما نشعر به في مقابل ما نفعله"¹، أمّا اللاتين فترجموا باتوس (Pathos) بـ (dolor) التي تعني الألم (Douleur) والعذاب² (Souffrance)، بينما استخدمها شيشرون (Cicéron) للإشارة إلى فئة المشاعر (Les émotions) التي تُشكّل الشفقة (Pathos) والبلاغة المثيرة لها (L'éloquence pathémique)³، ويمثّل الباتوس (Pathos) العنصر الأهم في العملية الخطابية، لأنّ الغاية في النهاية هي إقناع شخص ما، فإهمال هذا الطرف يُعرّض البناء الحجاجي للتهوي، رغم ما أبداه أرسطو من احتفاء بدور الإيتوس (L'éthos)، إذ اعتبره أساس بناء الفعل الحجاجي، كما يرى أنّ "الحُجج التي تتولد من صورة المتكلم لدى السامع (Ethos) أهمّ من تلك التي تأتي من انفعالات السامع وعواطفه (Pathos)، ومن الحُجج المتأّتية من اللغة ذاتها (Logos)"⁴، لهذا جاء ما قدّمه أرسطو (Aristote) وديكرو (Ducrot) ومايير (Meyer) محتشما في ميدان الباتوس، لانشغال أبحاثهم باللوقوس والإيتوس، لكنّ بيرلمان (Perelman) في بلاغته الجديدة عمل على إعادة التوهّج للباتوس، بتوسيع دائرته من الأسلوب إلى جعله أداة مهمّة في الحجاج، عبر ما يحدث بين المتكلم والمتلقي من تفاعل وتواصل، "بل إنّ الحقائق والأشياء نفسها في الحجاج لا تكتسب أهمية إلا باعتراف المستمع"⁵.

حصر جاكبسون وظيفة المرسل إليه في الوظيفة الإفهامية (Conative)، ولنجاح الخطاب التواصلية يُقدّم أرسطو تعريفا للخطابة، محدّدا عناصرها بقوله: "أنواع الخطابة ثلاثة؛ وكذلك فإنّ مستمعي الخطب يتوزعون على ثلاثة أنواع. وتتألف كل خطبة من ثلاثة عناصر:

¹ Anatole Bailly, Dictionnaire Grec Français (1901):

«Pathos: Ce qu'on éprouve par opposition à ce qui l'on fait»

² Gaffiot.fr : Dictionnaire latin-français (dolor)

³ Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation: une introduction aux études d'argumentation, Lyon, ENS Editions, 2021 (Le pathos, moyen de persuasion)

⁴ حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2013، ص93
⁵ محمد الولي، مميزات الخطابة البيرومانية، ضمن: الحجاج بين النظرية والتطبيق، أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، 2020م، ص53

الخطيب، والموضوع الذي يتناوله، والشخص الذي يوجّه إليه الخطاب؛ أما الغاية النهائية فإنّها تؤوّل إلى هذا الأخير، أي إلى السامع..ولهذا كان هناك بالضرورة ثلاثة أنواع من الخطب: المشورية، والمشاجرية، والبرهانية¹، وعليه فأرسطو يرى أنّ المستمع هو الأساس في تحديد الخطابة، وتعيين أنواعها أو أجناسها، والخطاب يتوجه إلى السامع رغبة في توجيهه أو إقناعه، لهذا يرى: "ويحصل الإقناع حين يُهيأ المستمعون ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة والألم، والحب والكرهية، والخطاب هو الذي ينتج الإقناع، حينما نستخرج الصحيح والرّاجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع"²، وهو ما تؤكده لوث غلوريا كارديناس (Luz Gloria Cardenas) بقولها: "بالنسبة إلى أرسطو إجمالاً يحصل الإقناع اعتماداً على نمطين من البراهين: القياس والاستقراء. هذان النمطان من البراهين يعتمدان في العلوم وفي الجدل وفي الخطابة. وخلافاً لما يحصل في العلوم وفي الجدل، فإنّ الخطابة تتطلب أنماطاً إضافية من البراهين، من هذه نجد الأهواء Passions إذ إنّ غايتها مختلفة عن غاية العلم والجدل، الغاية هنا هي الإقناع لإصدار حكم على ما يعتبر عادلاً أو مناسباً أو جديراً بالتمجيد"³

أمّا عند العرب فبرزت في كتب التراث الكثير من المقولات، التي تؤكد أهمية الاستماع في الفهم والإفهام؛ إذ عرّف ابن المقفع البلاغة بأنها القدرة على الاستماع فهي: "اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة..ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج..⁴، أمّا الجاحظ فيرى في تعريفه لعلم البيان أنّ المستمع الجيد هو القادر على رد الخطاب: البيان "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحُجب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصولة كائناً ما كان ذلك البيان

¹ Aristote,Rhétorique,Livre de poche,Ed,Paris,1991,p93

² أرسطو طاليس، فنّ الخطابة، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص16

³Luz Gloria Cardenas,Retorica Aristoteles,pasiones y persuasion,San Sedectione,Bogota Columbia,p49

⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج1، ص79

ومن أي جنس كان ذلك الدليل¹، كما احتفى القدماء بالمرسل إليه باعتباره المعني بالخطاب "فيجب على الخطيب أن يعرف الأحوال العاطفية لمستمعيه من غضب ورحمة وما يصحبها من لذة وألم حسب الأعمار والطبقات"²، كما أن المتلقي سواء أكان غائبا أم حاضرا، فهو الذي يقوم بتفكيك الخطاب، وتأويله لمعرفة مقاصد المتكلم وأهدافه من الخطاب، فأبو هلال العسكري(ت395هـ) دعا إلى معرفة شخصية المستمع وتكييف الخطاب وفق مكانته الاجتماعية بقوله:"ولا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوق، لأن ذلك جهل بالمقامات وما يصلح في كل واحد منهما من الكلام وأحسن الذي قال لكل مقام مقال"³، بينما التفت ابن رشيقي(ت456هـ)إلى تصيّد الوقت المناسب لتجنّب ما يكره المخاطب سماعه بتذكيره:"الظن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها وينظر في أحوال المخاطبين..ويتفقدون ما يكرهون سماعه فيتجنب ذكره"⁴، وهو الأمر الذي ذهب إليه إبراهيم بن المدبر في رسالته العذراء المشهورة: "ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك اياهم في كتبك، فتزن كلامك في مخاطبتهم بميزانه، وتعطيه قسمه، وتوفيه نصيبه"⁵، وبعبارة أخرى "لا تخاطبنا خاصا بكلام عام، ولا عاما بكلام خاص، فمتى خاطبت أحدا بغير ما يشاكله، فقد أجريت الكلام غير مجراه"⁶، كما أن كتّاب الرسالة اهتموا بنص الرسالة من حيث البناء العام للرسالة فنذكروا:الصدر أو الاستفتاح، والغرض، والخاتمة وأفاضوا الحديث عن كل عنصر، كما يذهب ميشال مايير(M.Meyer) إلى الإشادة بدور الكفاءة الخطابية في معالجة الأهواء، وما تتمتع به من قدرة على تغيير هوى من الأهواء، وفي هذا يقول:"إنّ القدرة على حجاج جيد، أي الإقناع، يفترض المعرفة بما يهز الشخص الذي نخاطبه، أي ما يحرّكه، أو

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص75

² محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص31

³ أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: محمد الجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ص99

⁴ ابن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح:عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص247

⁵ أحمد زكي صفوت، جمرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ج1، المكتبة العلمية، بيروت، ص180

⁶ المصدر نفسه، ص180-181

بعبارة أدق ما يبعث انفعاله. إن هوى "باتوس" الإنسان الحسود، مثلاً، يجعله حساساً أمام ما يملكه الآخرون من خيرات، والتي يَعتبر أنّ من الظلم أن يُحرَم منها. إننا سنُلفت نظره إلى الظلم الذي يزعمه، المائل في الفوارق المعروضة. وخلافاً لذلك فإن إنساناً سخياً سيكون أقل إحساساً أمام هذا الجنس من الحجج: إن فعل الخير سيحرّكه أكثر من التتكب عن فعله¹.

برز صنفين من المتلقين في مراسم إنشاء القول: المتلقي الواقعي الذي تُخاطبه النصوص كالشعر والمسرحية خطاباً مباشراً، والمتلقي الافتراضي الذي نظر إليه التوجّه الفلسفي عند اليونان . من السفسطائيين إلى أرسطو . سمّاه علي بخوش بـ"المتلقي الحقيقي" و"المتلقي النظري"²، هذا المتلقي الذي حرص ابن شهيد في تكوين تصوّر عنه، فالولوج لعالمه يكون باعتبار انتماءاته الاجتماعية ومكانته وثقافته وميوله، لهذا يذهب الجاحظ إلى أنّ نجاح عملية التواصل مرهون بمراعاة المقام مع الابتعاد عن الغموض لأنّ "الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي"³، "فالمخاطب عنصر يُحدّده المتكلم عندما يختاره هدفاً لمشروع الإقناع والتأثير، أي أن المسألة التي ينبغي أن يعالجها المتكلم مسبقاً قبل إنتاج الخطاب هي: من يكون المخاطب الذي سيتوجه إليه بالخطاب"⁴، لهذا توّسل أبو عامر اللّغة والمكوّنات البلاغية الأسلوبية المناسبة لانتماءات متلقّيه، وما يحظون به من مكانة في مجتمعهم، إذ خاطبهم بالكنى⁵ احتراماً منه لمقاماتهم، ففي تصدير رسالته لم يكفّ عن إبداء التبجيل لعلم المخاطب (أبي بكر) ومكانته بالكنية* إذ لم يخاطبه بالاسم أو اللقب، رغم ما رمأه به من تشكيك في قدراته، بل وغيض من شأنه في قوله: "لله أبا بكر ظنّ رميته فأصميت.. فأماً

¹Michel Meyer, Aristote, Rhétorique contemporaine, in Aristote et les principes de la rhétorique, Livre de poche, éd, 1999, p 32/33,

² علي بخوش، مشروع القارئ في الفكر النقدي العربي، عبد الله الغدامي أنموذجاً، (دكتوراه)، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013-2014، ص 41

³ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج 1، ص 144

⁴ حسن المودن، الحجاج مفهومه ومجالاته، دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط 1، 1434 هـ . 2010 م، ج 1، ص 236

⁵ علي الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، ص 157 (*الكنى جمع كنية: ما صدرّ بأب أو أم أو ابن أو بنت)

وقد قلتها أبا بكر، فأصخ أسمعك العجب..وكنْتُ، أبا بكر، متى ارتجّ عليّ¹، وفي توجيه خطابه لخصمه (أبي القاسم الإفيلي)، وعيا منه أنّ "مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتّسليم"²، لتحقيق الاستمالة للإقبال على الرسالة وفهم مضمونها، فأبو هلال العسكري(ت395هـ) يُلحّ على ذلك بقوله: "إذا كان موضوع الكلام على الإفهام..فالواجب أن تُقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيُخاطب السّوقي، بكلام السّوقة والبدوي بكلام البدو..ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب"³، أمّا صلاح فضل فيدعو إلى توسيع دائرة التحليل الحجاجي لكي "يشمل هؤلاء المخاطبين بجميع أقسامهم: من سامعين وقراء ومشاهدين، إذ بذلك تتجاوز البلاغة الجديدة بعض مظاهر الجمود في البلاغة القديمة التي كانت تركز تركيزا بالغا على هيئة الخطيب وعناصر الإشارة المتعلقة بالمشافهة"⁴، وهو ما حرص ابن شهيد عليه في خطابه حين استدعاء شخصياته السردية، التي حرص أن تكون من "الشخصيات المرجعية وضمنها الشخصيات(التاريخية، والشخصيات الأسطورية، والشخصيات المجازية، والشخصيات الاجتماعية) وكل هذه الأنواع تميلُ إلى معنى ثابت تفرضه ثقافة يُشارك القارئ في تشكيلها"⁵، إذ كانت أهمّ مكّون في عمله الحكائي، بذلك الظهور المتنوّع، وتلك الفاعلية في الأحداث، كما أضفى عليها أسماء وصفات أبرزت هويتها، "فهي مجموع ما يقال عنها بوساطة جمل متفرقة في النص، أو بوساطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها"⁶، بذلك الحضور الأساسي مرّة والهامشي مرّات، وأسند لها في معظم أدوارها وظيفة مرحليّة (Fonction épisodique)، كما صوّرها بمظاهرها الخارجيّة، وبأحوالها الداخلية مستعينا بالإشارات الاجتماعية والثقافية، وما تُحيل عليه من مكانة وعلم وهيئة وكفاءة لهؤلاء، سواء

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص87، 88، 90

² ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص68

³ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص39

⁴ محمد سالم محمد الأمين طلبه، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص229

⁵ محمد عزام، شعرية الخطاب السردية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص13

⁶ المرجع نفسه، ص11

بالكنى مستهلاً الرسالة بخطابه صديقه بـ(أبي بكر)، وتابع البحثري بـ(أبي الطبع)، وتابع أبي نؤاس بـ(أبي الإحسان)، وتابع عبد الحميد بـ(أبي هبيرة)، بل إن حُمر الجنّ حينما استقبلته في عانتها يقول: "بدأتني بالتقدية، وحيّتني بالتكنية"¹، رغم إجمالها أول ما بصرت به، أو عبر ما وسمهم به من ألقاب السيادة في مجتمعهم، والمكانة الرفيعة في الأدب، فتابع امرئ القيس (السيد)، وتابع طرفة (الزعيم)، وتابع المتنبّي (خاتمة القوم)، أمّا تابع الهمذاني فهو (زُبدة الحقب)، وتابعا الجاحظ وعبد الحميد (الأستاذان)، لهذا يشير الجاحظ إلى ضرورة مراعاة الخطيب لحال السامع (خاصة مكانته في السُّلم الاجتماعي، ودرجة علمه)²، "ومراقبة حاله من النشاط للاستماع أو الملل"³، "ومراعاة المقام"، وتقسيم مستويات الكلام: "على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص"⁴، لأنّ السامعين يتفاوتون في الفهم والإدراك، مما يترجم طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه: "فالعلاقة بينهما علاقة أفقية"⁵، لهذا يسعى ابن شهيد لجعل متلقّيه . وهم من النُخبة الفكرية والثقافية والاجتماعية . ينخرطون في خطابه بالتفاعل مع أطروحته، وعيا منه بما يتمتع به المتلقّي من دور مركزي "في تحديد المعنى لأنّ الوعي الداخلي لهذا المتلقي هو المحدّد للدلالة"⁶، إذ تقتض عملية التأويل وجود معنى سطحي ومعنى كامن، لا يقف عنده بل يقوم بإدراك معناه العميق الذي يتجاوز السطحي، فعلى المؤوّل أن يكون مُلمّاً بفهم جميع أشكال الخطاب البلاغي، لكي يستطيع تأويل النصوص تأويلاً صحيحاً، فالعمل الأدبي يكتمل مع متلقّ، يتفاعل مع النصّ فهما واستقراء وتأييلاً، ليُعيد إنتاجه شرط أن يكون المتلقي ذا ثقافة ومعرفة، حتى يتمكّن من التعامل مع الطاقات الفنية الكامنة في النصّ، ويُحوّلها إلى قيم جمالية ومعرفية في الذات المتلقية له، وهو ما عوّل عليه أبو عامر في متلقّي

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص 147

² الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج 1، ص 100

³ المصدر، ج 1، ص 100

⁴ المصدر، ج 1، ص 105

⁵ جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، 2002، ص 117

⁶ محمد سالم الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 82

توابعه، بتوجيه حجه إليهم، لأنّ "الحجاج لا يكون فعّالاً إلا بالمعرفة العميقة لطبائع المخاطب القارة والثابتة، أي ما ينزغ إليه هذا المخاطب نزوعاً طبيعياً"¹.

1. 3- السياق (Le contexte):

السياق في مفهومه اللغوي من "سوق:ساق النعم، فانسأقت، تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق وإليك يساق الحديث، وهذا الحديث مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه، على سرده"²، أما ابن فارس(ت395هـ) فعرفه: "يقال: ساقه يسوقه سوقاً...إليها من كل شيء"³، يعني التتابع والتساق، أما اصطلاحاً فهو يعني حسب إشارة الجاحظ(ت255هـ) إلى أنّ "جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة"⁴، ومواضع الفرصة يعني بها المقام والمتلقي، كما أنّ الجاحظ نقل في وصف ابن المقفع للبلاغة مصطلحي(الموقف والمقام) بالمعنى نفسه لكلمة السياق فيما نقله عنه، بينما عرفه مبارك أنه: "البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة..والسلوك اللغوي"⁵، أما السياق اللغوي (Le contexte linguistique) فيُعرف أنه: "البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة"⁶، بينما يُعرف السياق غير اللغوي (le contexte situationnel) على أنه: "ظروف يقع فيها الحدث أو يساق فيها الكلام"⁷، وعليه فالسياق يُشكل الإطار العام الذي يُسهّم في اختيار الآليات والأدوات لفهم الخطاب.

أ/ - بين المقام والسياق:

¹ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص35

² الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1998، ج1، ص484

³ ابن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر العربي، القاهرة، 117/3، مادة (س.و.ق)

⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص88

⁵ مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر اللبناني، 1995، ص61

⁶ محمد علي الخولي، معجم علم اللغة النظري، مكتبة لبنان، القاهرة، 1979، ص156

⁷ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2008، ص139

التبس مصطلح السياق بمصطلح المقام، إذ عرف العرب لفظ المقام قديما وشاع كمصطلح في البلاغة القديمة، أما الغرب المحدثون فاستعملوا السياق (Contexte)، غير أن المقام كمصطلح يردُّ أكثر فهما وشمولية، إذ "تحدّد فيه شروط عند التخاطب المطابق لنوع الخطاب غاية الفعل، هوية المشاركين، الموضوعات الواجب معالجتها والجهاز الفيزيائي للتبادل (الديكور، وسيلة، الاتصال)"¹، ومن هنا نستعرض ما تناوله الدارسون لإزالة اللبس بينهما، إذ ذهب الكثير إلى اعتبارهما مدلولاً واحداً، يقول جورج موان في معجمه: "وينبغي أن نميز بين السياق الذي هو لساني عن المقام الذي هو الخبرة غير اللسانية.. في المقام نشير إلى قلم على الطاولة قائلين: أعطني إياه، ونكتب مقابل ذلك، أعطني القلم الذي على الطاولة، رادين المقام الغائب إلى السياق اللساني فاستعمال عبارة² "الذي على الطاولة" كفيل بأن يوضّح لنا المقصود وهو يغني عن استعمال الإشارات، والسياق إذاً هو مفهوم لساني، أما المقام فوضعي غير لساني ولذلك إذا قلنا، سياق المقام أو سياق الموقف الاتصالي فإن مدلوله لا يختلف عن مدلول السياق لسانياً لأن في ذلك دمجا لما هو لساني بما هو غير لساني"³، أما العرب فقد استطاعوا التفريق بين المقال (السياق اللغوي) و المقام (سياق الحال)، إذ كانوا سباقين لفكرته قبل الغرب بوصفهما "من دعائم تحليل المعنى يُعدُّ من الكشوف التي جاءت نتيجة البحث المعاصر لمميزات اللغة"⁴، إذ اتضحت ملامحه من خلال ثلاث بيئات مهمّة هي: بيئة المفسّرين، والبلاغيين والأصوليين،

¹ دومينيك مونغيو، المصطلحات، المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، وزارة الثقافة، ط1، 2005، ص108

² Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Quardige, PUF, édition, 1974, Paris, p178

Contexte :

«1-On appelle contexte ou contexte verbal l'ensemble du texte dans lequel se situe une unité déterminée, c'est-à-dire les éléments qui précèdent ou qui suivent cette unité, son environnement.

2-On appelle contexte situationnel ou contexte de situation l'ensemble des conditions naturelles sociales et culturelles dans lesquelles se situe un énoncé, un discours. Ce sont les données communes à l'émetteur et au récepteur sur la situation culturelle et psychologique, les expériences et les connaissances de chacun des deux»

³ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، ط1، 2009، بيت الحكمة، الجزائر، ص116-117

⁴ يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994، ص337

الذين يتضح مفهوم السياق أكثر عندهم، من خلال نظرتهم للغة على أنها ظاهرة اجتماعية تكونت في المجتمع تلبية لحاجات الإنسان، "فالأصوليين يهتمون بمضمون الخطاب لا بشكله ومهمتهم هي استنباط الأحكام من الخطاب عن طريق فهم القصد منه"¹، أما السياق عند المفسرين فيتطلب شروطاً في "المفسر" كقدرته على التحليل الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي، أما بالنسبة للبلاغيين فقد أدرجوا السياق تحت اسم المقام بقولهم "لكلّ مقام مقال"، وهو مجموعة العناصر التي تتوافر في موقف تخاطبي معيّن وأهمّها زمان التخاطب ومكانه وعلاقة المتكلم بالمخاطب وخاصة الوضع التواصلّي القائم بينهما أي مجموعة المعارف التي تشكّل مخزون كلّ منهما أثناء عملية التخاطب"²، ومن مصطلحاتهم عنه (مقتضى الحال) و(قرائن الأحوال)، لأنّ "صورة المقال تختلف في نظر البلاغيين بحسب المقام"³، فالسكاكي (626هـ) يؤكد على حسن ملاءمة الكلام لمقام الاستعمال فيقول: "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يُباين مقام الشكاية، ومقام التهنة يُباين مقام التعزية.. ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام.. بحسب مصادفة الكلام ولما يليق به، وهو الذي نسّميه مقتضى الحال"⁴، ويتضح هذا الاهتمام بالسياق في دراسة تركيب اللغة في ما سمّاه عبد القاهر الجرجاني بـ"النّظم" في قوله: "واعلم أنّ ليس النّظم شيئاً إلا توخي معاني النحو وأحكامه وجوهره وفروقه فيما بين معاني الكلم"⁵، وعليه فالنصوص إذا لم تُحط بسياقاتها تبقى غامضة "ومن ثمّ فإنّ للسياق دوراً فعالاً في تواصلية الخطاب وفي انسجامه أساساً"⁶، لهذا يُعدّ السياق (Contexte) أهمّ المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال؛ إذ لم تكتف بكونها أداة إجرائية لاقت الاهتمام بها قديماً، بتجاوزها الجانب اللغوي،

¹ السيد أحمد عبد الغفار، التصور اللغوي عند الأصوليين، مكتبات عكاظ، ط1، 1981، ص114

² أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، الأصول والامتداد، ط1، 1427هـ-2006م، دار الأمان، الرباط، ص172

³ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط2، 1979، ص337

⁴ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987، ص168-169

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد الشرجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1999، ص382

⁶ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص51

إلى اتخاذها مساراً أعمق من ذلك، بشموليتها السياق النفسي والاجتماعي والثقافي، بدوره الأساس في كشف مقاصد المتلفظ بالخطاب، كما أنه يلعب "دوراً في إفراز هذه المقومات التي تنظر إلى النصوص في علاقتها بسياقها التلفظي أي المقام الذي أنتجت فيه بمعنى آخر، من هو المتكلم، وما موضوع الخطاب؟ ومن هو المخاطب؟ وما غاية الخطاب وما هو نوع الخطاب؟"¹، وتوضيح نواياه الظاهرة والخفية من أجل إفادة المستمع، فأوستين (Austin) يرى: "أنّ ما نستعمله من ألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها ولغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني أو وروده فيه على وجه مخصوص"²، عبر تعدّد مجالاته المعرفية، التي تتوزّع "عبر فضاءات معرفية كثيرة منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان (..) وغيرها"³، وقد عدّ جاكسون (R.Jakobson) السياق بـ: "الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكّن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها"⁴، إذ حصره في الوظيفة المرجعية (Référentielle) التي تتعدّد "حسب الخطاب الأدبي الذي يحيل إليها، فقد تكون مرجعيات اجتماعية وفلسفية، ورصائد ثقافية وطبيعية، وعلاقات ذاتية وموضوعية، وبنيات عميقة وسطحية"⁵، كما تتضح وظيفة السياق بنوعيه اللغوي: بتلك العلاقات التي تتخذها الكلمة داخل الجملة، غير أن حاجية السياق غير اللغوي، هو حجاج ما وراء اللغة.

ب/ - السياق الحجاجي (Context Pilgrims) في التوابع والزوابع:

¹ محمد مشبال، خطاب الأخلاق والهوية في رسائل الجاحظ، مقاربة بلاغية حجاجية، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص17

² جون أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، دط، 1991، ص120

³ ينظر: علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص 16 - 17

⁴ عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشريحية، نظرية و تطبيق، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2006، ص12

⁵ رضوان القضماني، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، ص9

اقتضت الفعالية اللغوية عند ابن شُهيد، بسعيه لتحقيق الخطاب معادلة التأثير والإمتاع في الآن نفسه، إضافة إلى أنّ: "إدراك مُحلّل الخطاب لخصائص السياق وأهميته يزيد قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله"¹، دفعه إلى إسناد خطابه بمجموعة من الأدوات اللغوية لإنجاح العملية التخاطبية، فتوظيف السياق بوصفه آلية حجاجية، لأن "عملية إنتاج الكلام وفهمه ترتبط ارتباطا وثيقا بالمقام الذي يُوطّر لهذه العملية، كما أن محاولة فهم تلك الصيغ الكلامية مرهون بمعرفة كل الملابسات والظروف التي أحاطت به"²، وقد حدّد طه عبد الرحمن عناصر السياق في ثلاثة عناصر هي: العنصر الذاتي ويشمل معتقدات المتكلم ومقاصده واهتماماته ورغباته، والعنصر الموضوعي ويشمل كل الوقائع الخارجية (الظروف الزمانية والمكانية)، والعنصر الذاتي ويشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين أو ما يسمى بالأرضية المشتركة³

انتقى ابن شهيد مجموعة آليات لغوية، ووجوها أسلوبية حجاجية التي تعتبر رافدا من روافد الخطاب الإقناعي، وإظهارها بجلاء للمتلقي، لأنه يدرك أنّ "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية: أي وضعها في سياقات مختلفة"⁴، ففي لقائه بزهير، وتجاوزهما بصدد استنكار الذكريات مع التوابع قوله: "تَذَاكِرْتُ يَوْمَا مَعَ زَهِيرٍ" فهي تدلُّ على تداعي شريط الذكريات بينهما، لكنها حجاجيا تُحيل على السياق الأدبي والتاريخي الذي يستدعي ذلك، لإقناع المتلقي أن عملية الاستنكار كانت ضمن التراث العربي القديم، باستدعاء فحول الشعر وحُطباء العرب ونُقّادهم، وهذا يُشكل طاقة مرجعية للمخاطب، كما أنّ من خصائص الحجاج التشابه مع السياق، إذ قد يؤدي إلى نتائج جديدة من خلال دراسته للسياق النصي، وفي قوله عن

¹ ج.ب. براون . ج.ب. بول، تحليل الخطاب، تر وت: محمد لطفي الزليطي . منير التريكي، جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع، 1997، ص50

² محمد يونس علي، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 1993، ص118 طه عبد الرحمن، البحث في اللساني والسميائي، الدلالات والتداوليات (أشكال وحدود)، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 1405/1995هـ، ص302

⁴ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص68

زهير: "وطار عني، ثم انصرف كلمح البصر.. سار بنا كالتائر.. يقطع الدوّ فالدوّ"¹، لتخدم السياق التاريخي والحضاري للتوابع، فزهير بن نمير جنّي من وادي الأرواح، وإن كان يظهر بصفات بشرية كالكلام والتذكّر ورواية أخبار الشعراء والخطباء، فهو يتمتع بالخوارق كالطيران والحضور والانصراف بشكل خفيّ وسريع، وهذا يُناسب جوّ الأساطير العربية الذي تجري التوابع في سياقه، والفائلة أن لكل شاعر جنّي مُلهم له، ورئيّ يُجده ويُعينه في صناعته، كما حرص ابن شهيد على الدقة في إدارة لغة الحوار، ولجذب المتلقي للإقبال على تفاصيل الرحلة، في قوله: "فقال: حُلّ على متن الجواد"² مراعاة منه للسياق، ف(حُلّ) وظّفها بدلا من مفردة (امتط) مراعاة منه للذوق الفنيّ والسلوك الحضاري الذي انطبعت به الأندلس، وللذوق والتقليد العربي في الترحيب بالضيف (حلت أهلا)، مع ما تحمل اللفظة من رقّة وانسيابية، كما أنها تعطي صورة عن مكانة الفارس الذي سيمتطي الجواد، وما يتمتع به من تقدير ومهابة إلى درجة استقباله كضيف عزيز يحلُّ بأرض التوابع في قوله: "حلت أرض الجنّ أبا عامر"³، وفي إطار "دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته"⁴، دعم ابن شهيد خطابه بأدلة نقلية، كالقرآن الكريم بوصفه أعلى مصادر الحجاج، وأصحها نقلا، وأبعدها عن التحريف واللحن، كما أنها تأتي في أعلى درجات السُّلم الحجاجي، بغية إقناع المتلقي، كما كان احتجاجه بالشعر لا سيما أشعار الفحول منهم في تدعيم وتعزيز حُججه، حيث "يُركّز الحجاج على الأمور الداخلة في بنيته الموصلة إلى الإقناع كالأمثلة الجاهزة والجمل الوعظية أو الإشارية التي تؤدي هدفا في اللحظة الحجاجية في البنى القولية الخطابية"⁵، وذلك بغية التأثير والإقناع، وهو ما سيأتي تفصيله في فصل مُوال، ومن آليات التعزيز لخطابه، توظيفه التراكيب المتوازية والمتقاربة دلاليا، لتثبيت الفكرة في ذهن متلقيه، بتلك النغمة الصوتية، عبر المفردات المختارة بعناية، والتراكيب الملائمة والصور

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 91

² للمصدر السابق نفسه، ص 91

³ ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص 91

⁴ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص 74

⁵ محمد سالم ولد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ص 65

والتعابير، كما وظّف (العنصر الذواتي) الذي يشمل المعرفة المشتركة بين المتخاطبين بتعبير طه عبد الرحمن، ليضفي الصبغة الحجاجية على هذه الرسالة، بتلك الآليات التي عملت على تعزيز خطابه، في قوله مُتَلَطِّفًا طلب اللقاء: "هل حيلة في لقاء؟"¹ و"قلت: الخطباء أولى بالتقديم" و"قلت: السيد أولى بالإنشاد"، فهي تُظهر سلوكا من البيئة الأندلسية، فهذا السلوك من أدب الاستئذان وهدوء النفس وتواضعه، يردُّ ضمن السياق النفسي، الذي يُصور لنا نفسية أبي عامر، وما اكتسبته في حلقات العلم من أدب نفس ولين جانب أمام أساتذته، وسياق حضاري يُصوِّر لنا مجالس العلم الأندلسية المنتشرة في قرطبة وغيرها من الحواضر الأندلسية، ومجالس الخلافة في قصور المنصور بن أبي عامر (327هـ/392هـ)، وما حوته جنباتها من وزراء وعلماء ولغويين ومؤدبين، فابن شهيد نشأ وتعلّم في قصور الحاجب المنصور، كما كان وثيق الصلة بعد ذلك بخليفتين: المعتلي بالله يحيى بن حمود (385هـ/427هـ) وأبي المطرف المستظهر بالله (391هـ/414هـ)، فهذه البيئة المترفة انعكست في ألفاظه وسلوكه وشخصيته في قوله على لسان زهير: "حتى أستاذن شيخنا"²، فالتركيب اللغوي الذي تألفت عباراته لتوحي بسلوكه تجاه شيوخه، مع ملاءمتها للجوّ ضمن السياق النفسي والحضاري، وتوظيفه لـ(حتى) لتوحي بعمق الشعور بالإكبار والتوقير للعلماء وإجلالهم، مع توقير الكبار وتبجيلهم، ثم تأتي عبارة "ثم انصرف كلمح البصر، وقد أذن له"³ لتؤكد أنّ هذا اللقاء ما كان ليحدث دون إذن من شيخه، "لأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية: أي وضعها في سياقات مختلفة"⁴، كما يطبع الحوار جو من الألفة والوقار بين المتحاورين في قوله: "فبمن تريد أن نبدأ؟" فبعد استئذان شيخه، والترحيب به، فهو يعطيه حق اختيار الشاعر، ليدلّ على شيوع ثقافة الحوار في البيئة الأندلسية، وهذا إحياء بحرية الفكر في المجتمع الأندلسي، وكانت أحد أسباب ازدهار تلك الحضارة، "فالجمل تكتسب دلالاتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص 91

² المصدر نفسه، ص 91

³ المصدر نفسه، ص 91

⁴ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1998، ص 68

أي من خلال سياق الحال¹، كما يشمل المقام بما فيه من عناصر حسية ونفسية واجتماعية وثقافية وكذلك الجغرافية والتاريخية، لهذا أثر ابن شهيد في مدار استدعائه الشخصيات من الشعراء والخطباء والنقاد، توظيف هذه الكُنَى: (أبو عامر/أبو بكر/أبو الطّبع/أبو هبيرة/أبو البيان/أبو القاسم..)، لأنها تُميّزهم عن غيرهم بالفخامة والذكر الحسن في المجالس وكبريات الأحداث وجليل الأعمال، كما تحظى الكُنَى في السياق الثقافي والاجتماعي العربي بالحظوة والتبجيل، إذ بلغ ولعُ العرب بها إلى درجة إطلاقها على الطفل والعقيم والوحش والطيور، لما تحمله من دلالات اجتماعية وثقافية، إذ ورد في قول مأثور عن عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . أنه حتّ على استخدامها في قوله: "أشيعوا الكُنَى فإنّها سُنّة"، وكما يقول الشاعر:

أُكْنِيهِ حين أناديهِ، لأُكرمهُ *** ولا أُقْبَهُ، والسّوءة اللّقباً²

وفي سياق الاحترام والتعظيم لهم، ولما يحظون به من مكانة سامقة في الشعر والنقد والبيان، أمّا غيرهم من الشخصيات فاختر لهم ألقاب التّفخيم والتّشريف عبر صفات ميّزتهم في الغالب واللقب: هو"ما يُسمّى به الإنسان بعد اسمه الأول للمدح أو للذمّ..للتعريف أو التّشريف، أو التّحقير"³، كامرئ القيس الذي سمّاه ب(السيد)، وطرفة الذي لقبه ب(الزّعيم)، وتابع البحترى الذي وسمه ب(الأستاذ)، و(زُبدة الحقب) لتابع بديع الزمان، و(الأستاذان) لتابعي الجاحظ وعبد الحميد، ليُفرد خصومه (من النّقاد واللغويين والسّاسة) بجملة ألقاب تُوضّح موقعهم من قلبه، ومكانتهم في الأدب واللغة والنقد والسياسة ك(أنف النّاقة) تابع الإفليلي، و(بغلة أبي عيسى) عن السياسيين، و(الإوزة الأدبية) عن اللغويين.

¹ يحي أحمد، الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، ع3، أكتوبر 1989، ص81-82

² محمد حسن شراب، شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية، ج1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1427هـ - 2007م، ص124 (هما بيتان شعريان وردا في حماسة أبي تمام، لبعض الفراريين يصف حسن عشرته لصديقه، ويرويان في شرح المرزوقي)

<https://www.almaany.com>

³ تعريف ومعنى اللقب في معجم عربي عربي: المعاني الجامع على

كما استند إلى مجموعة من الضّمائم اللغوية، والوحدات المعجمية بالوقوف على عادات العرب وأعرافهم ووقائعهم التاريخية لأن الخطاب "أداة ذات أهمية في تكوين أفعال الجماعة وصناعة سلوكيات في ممارستهم الاجتماعية، لكنها تظل في الوقت نفسه عبارة عن مجرات متعددة لاستعمالات متفرقة"¹، ففي وسم تابع الإفليلي بلقب "أنف الناقة" فهي حُجة مزجها ابن شهيد بسياقها الاجتماعي، فكلمة "الأنف" عند العرب هي رمز للشموخ والكبرياء والعزة، " فكيف على أكرم موضع منه وهو الأنف لتقدمه، وقد قيل الجمال في الأنف..وجعلوه مكان العزة والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا: الأنف في الأنف وحمى أنفه وفلان شامخ العرين وقالوا في الدليل: جدع أنفه ورغم أنفه"²، غير أنّه وظّفها للسخرية من الإفليلي وإذلاله، وللانتماء منه باستهداف هذه الرمزية عند العربي، لأنها مكن فخره وكبريائه، كما تُحيل إلى السياق الثقافي بشكوى بني "أنف الناقة" من تسميتهم ومدح الحطيئة لهم، وكما استجابت التوابع سياقيا لجو الأساطير العربية، وخضعت لأحكامها وقواعدها، إذ تأثرت بالبيئة العربية، التي كانت الصحراء الواسعة مسرحا لأحداثها، وبدت منها المفاوز والفلوات والجبال والوديان، كما أنّ الصحراء عنصر واقعي يُثير الكثير من الخوف والهواجس والغموض عند العرب، واستندت على أبطال من سادات العرب وفرسانهم وشعرائهم وخطبائهم، كما أحال بفرسه (الأدهم) على (الجواد) العربي الأصيل في ثقافة العرب، وتراسل عبره مع صورة (البُرّاق) راحلة النبي صلى الله عليه وسلم في الإسراء والمعراج، وصورة الحصان الطائر³ (Pegasus) الذي يُعرف بجماله وقدرته على الطيران في الميثولوجيات القديمة الإغريقيّة خاصة، بل إنّ التوابع من الجنّ إستحضروهم ابن شهيد من "وادي عبقر* ووبار*" لتجري أحداثها في "وادي الأرواح"، وقصص خوارقهم وقواهم

¹ يوزغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، حسن مصدق، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص79

² الألوسي، روح المعاني في تفسير لقرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية، م15، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص33

ينظر: طلال حرب (1999)، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص107

ويُنظر: ثروت عكاشة (1990)، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية: انجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية، لونجمان، ص354

الخفية استوحاها من التراث العربي القديم، وما تشيخُ عندهم من شياطين مُلهمين للشعراء ووحيا لهم بالشعر، وما يتردد في البوادي من حكايات الجنّ والغيلان وغيرها، وإن غيّر في المكوّن الأسطوري الشائع عنهم، بتلك الصورة المعهودة عنهم في الثقافة العربية الدارجة، أنهم يظهرون مشوّهين عند الماء، كالخبر الذي حكاه جرير بن عبد الله العجلي أنه التقى بقوم مشوّهين عند الماء¹، كما تحرّى طرائق أخرى تتضمن أبعادا اجتماعية وثقافية وتاريخية، بغية التأثير في متلقيه، وذلك باحتجائه بوقائع تاريخية تمثلت في بعض الشخصيات السياسية والتاريخية (آل عامر، آل حمّود، آل شهيد، الإفليلي، الفرضي، أبو بكر، ابن ذكوان..) وسياقات ثقافية حضارية (الفقيه في رسالة الحلواء) وغيرها، لأنّ الخطاب القابل للفهم والتأويل هو الخطاب الذي يوضع في سياقه..²

1. 4- الرسالة: Le message

تجاوز الجاحظ التواصل في تقديم مفهوم له بالإبانة عن المعاني بقوله: "والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته.."³ إلى توسيع دائرته الضيقة التي تعتمد على المنطوق فقط، إذ جعل جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال التي تسمى النصب⁴، وعليه فتحقيق الغرض التواصلية عبر الرسالة، يستدعي ضبط إستراتيجية بـ"معرفة كيفية التركيب فيما بين كلم لتأدية أصل المعنى.. بمقاييس مستنبطة من كلام العرب وبين أن من وضع الكلم في التركيب هو حصول

¹ ينظر: أحمد سايبتي، من الميثولوجيا العربية... الجنّ الأخيار في أخبار شعراء الجاهلية، جامعة سان جوزيف، بيروت، لبنان، جانفي 2021

(* وادي عبقر: واد أسطورة قيل يقع في نجد أو اليمن وأنه مجمع الجنّ، نسبت إليه العرب كل عبقر، رمز للإلهام الشعري والنبوغ/* وبار: أرض وبار إسم لواد يقع في محافظة ظفار بسلطنة عمان، في الجزء الجنوبي من صحراء الربع الخالي، يُرغم

بأنّ الجنّ سكنتها) (The Arabic Lexicon,Retrived(consulté le 07/11/ 2024)

² محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام النص، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص50

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص76

⁴ المصدر نفسه ج1، ص76

الفائدة لدى المخاطب"¹، بالنظر إلى ثقافة المتلقي، ورغباته وأحاسيسه، وخبراته وميوله، وأفق توقعه، فلا "خطاب إلا مع حصول التوجه إلى المخاطب، ولا توجه إلى المخاطب بغير ازدواج لذات المتكلم"²، والرسالة هي ذلك المحتوى الذي ينقله المرسل إلى المرسل إليه، وتتضمن المعاني والآراء ونقلها إلى المتلقي وفق القواعد والقوانين المتفق عليها، "إنّها بمعنى آخر تجسد أفكار المرسل في صورة سمعية في الخطاب الشفوي، أو علامات خطية في الخطاب المكتوب، أو إشارات وحركات عديدة إذا كانت الرسالة تتدرج ضمن التواصل غير اللفظي"³، أما جاكبسون فحدّد وظيفة الرسالة في الشعرية (Poétique)، كما يراها أنها العامل المهيمن في العملية التواصلية بقوله أنّها: "تستلزم مساهمة الوظائف اللفظية الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة وذلك في نظام هرمي متنوع"⁴، وهو ما أراد "أن يثبته عندما تحدّث عن أنّ الوظيفة الشعرية هي التوجه نحو الرسالة بصفتها رسالة"⁵

وجّه أبو عامر رسالته إلى صديقه أبي بكر، فذكر عن نفسه كيف "نبض له عرق الفهم"، وكيف تعلّم ونبغ، متعجبا من إنكار أبي بكر لعبقريته يقول: "الله أبا بكر ظن رميته فأصميت، وحسد أملتة فما أشويت، أبديت بهما وجه الجلية، وكشفت عن غرة الحقيقة، حين لمحت صاحبك الذي تكسبته، ورأيتة قد أخذ بأطراف السماء، فألف بين قمرها، ونظم فرقديها، فكلما رأى ثغرا سدّه بسّهاها، أو لمح خرقا رمّه بزبانها"⁶، غير أن حسد أبي بكر له على نجابته في الشعر والنثر، دفعه للتشكيك والاستتقاص منه "فقلت: كيف أوتي الحكم صبيا، وهز بجذع نخلة الكلام فاساقت عليه رطبا جنيا"، باتهامه: "أما إن به شيطاننا يهديه، وشيصبانا يأتيه،

¹ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2005، ص174

² طه عبد الرحمن، حق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، 2002، ص29

³ رضوان القضماني، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، ص3

⁴ ياكبسون رومان، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص33

⁵ إيفانكوس خوسيه ماريا بوتوليو، نظرية اللغة الأدبية، سلسلة الدراسات النقدية، تر: حامد أبو أحمد، مكتبة غريب، ط1، 1988، ص50-51

⁶ ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص88

وأقسم أنّ له تابعة تُنجدّه، وزابغة تُؤيِّده¹، بل إنه ليطمأدى في التشكيك بقدراته لدرجة أن "ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذه النفس لهذه النفس"، ليضبط أبو عامر ردّه وفق مخاطبه بقوله: "فأما وقد قلتها أبا بكر، فأصخ أسمعك العجب العجاب"²، وعليه ف"وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغوية، والمتلقي لها ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره بتقديم الحجة والدليل على ذلك، فالحجاج انتهاج طريقة معينة في الاتصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، وبالنتيجة إقناعهم بمقصد معين"³، لأنه يدرك ثقافته ومستواه وأفق توقعاته إذ لا "خطاب إلا مع حصول التوجه إلى المخاطب، ولا توجه إلى المخاطب بغير ازدواج لذات المتكلم"⁴، وعلى هذا فقد حرص على تكوين تصوّر حول مخاطبيه، ليتمكن من الولوج لعالمهم، وسبر أغوار نفسياتهم وانتماءاتهم الاجتماعية والثقافية، فهاهو قد تجهز لخوض غمار هذه المجادلات، وأعدّ العدة للسجال معهم، فالحجاج "ليس سوى دراسة لطبيعة العقول ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها، ثم محاولة حياة انسجامها الايجابي، والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير"⁵ يقول: "قطعنتُ ثغرة البيان دراكا، وأعلقتُ رجل طيره أشراكا، فانثالت لي المطالب، وانهاالت عليّ الرغائب"⁶، "فالمخاطب عنصر يُحدِّده المتكلم عندما يختاره هدفا لمشروع الإقناع والتأثير، أي أن المسألة التي ينبغي أن يعالجها المتكلم مسبقا قبل إنتاج الخطاب هي: من يكون المخاطب الذي سيتوجه إليه الخطاب"⁷، والرسالة التي يسعى ابن شهيد تبليغها لخصومه وأعدائه، تم ضبطها بمراعاة مستوياتهم، "وهذا يعني توظيف الآليات التي تجتاز الاعتقاد الأولي نحو

¹ المصدر نفسه، ص 88

² ابن بسام، الذخيرة، ص 245-246

³ عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في إجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجا، (مقال)، التراث العربي، 1 أبريل 2006، ص 4

⁴ طه عبد الرحمن، حق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط، 2002، ص 29

⁵ عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في القرآن الكريم سورة الأنبياء نموذجا، ص 4

⁶ ابن بسام، الذخيرة، ص 246

⁷ حسن المودن، الحجاج مفهومه ومجالاته، دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، ج 1، ص 236

التغيير، وبناء الموقف المغاير"¹، "لأنهم يتفاوتون في الفهم والإدراك ومن ثم التفاعل معها وفق ذلك، كما يرى الجاحظ فالخطاب "على قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص"²، وقد وصف ابن شهيد نفسياتهم الحسودة بقوله: "ومما عُلم من خلق هذه العصابة إذا لمحتنا أبصارهم قابلونا بالملق، وهم منطوون على حسد وحنق. فإذا جمعنا المحافل، وضممتنا المجالس، تراهم إلينا مبصبصين، وعن الأخذ في شيء من تلك المعاني زائغين"³، أما من حيث الفهم والكفاءة فهم: "حظهم من الفهم الحفظ، ومن العلم الذكر، وهذا حظ القصاص، وأعلى منازل النواح، فترى الممخرق منهم إذا قرئ عليه الشعر يزوي أنفه، ويكسر طرفه، وإذا عرضت عليه الخطبة، يميل شقه، ويلوي شدقه.. وأصل قلة هذا الشأن، وعدم البيان، فساد الأزمنة، ونبو الأمكنة"⁴

1. 5- قناة الاتصال (Phatique)

تتخذ قناة الاتصال أشكالاً مختلفة تبعاً للوسائل المستعملة من قبل المرسل والمرسل إليه، وتعمل على إقامة الاتصال وتمديده وفصله، كما أنها . عبر توظيفها لكلمات . تُتيح للمرسل إقامة الاتصال أو قطعه، مثل (ألو/من معي؟/أستمعني؟/هل فهمت ما أقول؟)، كما قد تعمل على تمديد الاتصال، للتأكد أن المرسل إليه ما زال مُقبلاً على الرسالة، وتتأكد أهميتها في الكثير من أشكال الاتصال بين أفراد المجتمع فيما يعيشونه من احتفالات وخطب وأعياد وطقوس حسب طرفي الاتصال"⁵ الأساسيين فيها، وهي متنوعة تبعاً للوسائل المستعملة من قبل المرسل والمرسل إليه، مثلاً: التور يشكّل قناة التواصل البصري، أما الهواء فيشكّل قناة للتواصل الشفوي وجها لوجه، بينما الكهرباء والكيمياء فهما قنوات للتواصل الآلي"⁶، وقد تكون الكتابة

¹ عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي في القرآن الكريم، سورة الأنبياء نموذجاً، ص4

² الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص105

³ ابن بسام، الذخيرة، ص244

⁴ المصدر، ص212

رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الولي و مازن حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص30⁵

⁶ رضوان القزمانى، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، ص8

إحدى هذه القنوات التواصلية، بذلك الترميز في شكل خطّي، من خلال ترابط مجموعة من الحروف، بحيث يكون لكل حرف صوت لغوي يدل عليه، فيقوم المرسل بتركيب الحروف في شكل ألفاظ وتراكيب وجمل، ليرسل بها إلى المتلقي، بغرض تحقيق عملية تواصلية جيدة بينهما، فالقناة (The means of communication) هي حلقة وصل بين الأطراف المشاركة في الحدث الكلامي، كما أنها تؤدي وظيفة انتباهية (Phatique) حسب جاكسون.

كانت قناة الاتصال الخاصة بابن شهيد لتبليغ أفكاره وتحقيق مقاصده هي الكتابة، وقد صرح بذلك في قوله في لهجة حادّة، يردُّ على أبي بكر، الذي يبدو أنه رماه بقول عبر التواصل الشفوي الذي كان وجها لوجه بينهما، فحواه: بأن له تابعة تؤيده وزابعة تنجده في قوله: "فأما وقد قُلتها، أبا بكر"¹، ليكون ردّ ابن شهيد عليه عبر قناة الكتابة، بتدبيجه رسالة التوابع والزوابع، والتي عدّها أنّها من أعجب الردود والكتابات، كما كان الردّ عبر التواصل الشفوي السمعي في قوله: "فأصخ أسمعك العجب العجاب"²، كما عمل على تمديد الاتصال بتوابعه وخصومه خاصة، للردّ عليهم وتفنيد أطاريحهم، بتوظيفه بعض الأشكال التي تُبقي قنوات الاتصال معهم مفتوحة، كقوله مخاطبا زُبدة الحقب لكي لا يقطع الاتصال به، عبر الإشارة الاجتماعية الموحية بالاحترام والتودّد: "فقلت: أنظره، يا سيدي..³"، كما كانت التحية لهم قناة تواصلية هامة في خطابه لتوابعه كقوله: "حيّاك الله يا زهير، وحيّا صاحبك"⁴، وفي قوله عند لقاء تابع أبي نؤاس: "فصاح به زهير: حيّاك الله أبا الإحسان"⁵، وفي تحيته لحيوان الجنّ في مجلسهم وقد رأوه مُقبلا وزهير، وهي مرتاعة من اللقاء، مما يوحي بتهديدهم قطع الاتصال معه، إذ يقول: "لما بصُرت بنا أجفّلت إلينا وهي تقول: جاءكم على رجليه!"⁶، لكنّه عمد إلى مدّ قناة الحوار ليضمن التواصل السمعي والبصري والشفهي معهم بتهديدهم عبر التحية والدعاء والنداء لهم بقوله: "فقلت: ما

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 118

² المصدر نفسه ص 118

³ المصدر نفسه، ص 128

⁴ المصدر نفسه، ص 92

⁵ المصدر نفسه، ص 105

⁶ المصدر نفسه، ص 147

الخطب، حُمي حماك أيتها العانة*، وأخصب مرعاك؟¹، فيتأكد له أنّ المرسل إليه ما زال مقبلاً على الرسالة، مستجيباً للعملية التواصلية بقول حيوان العانة: "شعران لحمار وبغل من عشاقنا اختلفنا فيهما، وقد رضيناك حكماً"²، وقد كانت الشفرة أو الرامزة (Code) هي الوسيط الحامل لمضمون الرسالة، وتمثلت الشفرة في اللغة واللهجة أو الأسلوب اللغوي الذي عبّر به ابن شهيد.

2 - ترتيب الخطاب

2.1 - أسس ترتيب القول:

أولى البلاغيون والفلاسفة مسألة معالجة أجزاء القول العناية القصوى، لأن تنظيم هذه الأجزاء يساعد في فهم الموضوع، كما يُحدّ من التشويش على مدركات المتلقي في استقباله للرسالة، إذ بيّن أرسطو أقسام فن الخطابة في قوله: "الأخبار من أين تكون التصديقات، والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أن كيف ينبغي أن تنظم أو تنسق أجزاء القول"³، لأنّ النص الحجاجي يختص ببناء لغوي يختلف عن غيره من النصوص شكلاً ومضموناً، فالحجاج "تتعدد استعمالاته وتتباين مرجعياته فنجد: الخطابة، الخطاب، القضاء، الفلسفة... يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة، ومن خصوصية الحقل التواصلية الذي يندمج في استراتيجياته. ولا غرابة والحالة هذه أن هناك حجاجاً خطابياً، وحجاجاً ألسنياً، وحجاجاً بلاغياً وآخر قضائياً أو سياسياً أو فلسفياً"⁴، وتُجمع المراجع على أنّ كوراكس (Corax)⁵ أول من وضع الأجزاء الكبرى للخطاب"⁶، وعليه فترتيب أجزاء القول يُقدّم وفق ما يخدم في النهاية النص الحجاجي، "فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية

¹ المصدر نفسه، ص 147

² المصدر السابق نفسه، ص 148

³ أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بدوي، ص 181

⁴ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، عالم الفكر، مجلة دورية محكمة، الكويت، مج 1، سبتمبر 2001، ص 97 - 98

⁵ ينظر محمد الولي، الحجاج عند أرسطو، مجلة عالم الفكر، ص 14

⁶ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، ص 137

ترتيباً يستجيب لنية الإقناع¹، فهو عنصر لا يقل أهمية عن الحجج ذاتها، بل أحياناً يتخذ الترتيب وفق نسق استدلالى يمكن رده إلى مقولات حجائية معلومة، هذه الأجزاء التي يُعبّر عنها في الدراسات المعاصرة بـ"الإيجاد والترتيب والأسلوب وهي عناصر تكوّن نصّ الخطبة، بالإضافة إلى عنصرين آخرين ينتميان إلى سياق الخطبة هما الذاكرة والإلقاء"²، وقد حصر المختصون العناصر الخاصة بالخطاب في ما يلي:

2. 2- الاكتشاف (مصادر الحجج):

إنّ مُنشئ الخطاب ينتقي مجموعة من الحجج، ويعمل على التمهيد لها بمدخل، يليه السرد أو العرض وهو "فن اكتشاف المواد الحقيقية والمحتملة القادرة على جعل موضوع الخطاب ممكناً، وليست هذه المواد متروكة لصدف البحث"³، وليخرج خصومه ويُفند دعواهم، فقد حدّد الجاحظ مصادر الأدلة التي يحتجُّ بها بقوله: "فلا حُجّة إلا في عقل أو كتاب أو خبر"⁴، كما يذهب وواصل بن عطاء (80هـ-131هـ) وإبراهيم النّظام (160هـ-185هـ) إلى تمجيد العقل كمصدر للمعرفة الموثوق به قبل الحواس في قوله: "لا تذهب إلى ما تُريك العين واذهب إلى ما يُريك العقل، الاعتماد على العقل دون الحواس. وللأمور حكمان حكم ظاهر للحواس، وحكم باطن للعقول والعقل هو الحُجّة"⁵.

كما يستند على حزمة حجج ضمنية، كانتقائه لألفاظه بعناية، عملت على تقدير موقف المعارض، مما يستدعي المخاطبين إلى رفض موقفه المعارض، لأن المتكلم غايته التأثير في المتلقي، ودفعه لتبني وجهة نظره، والتصديق لدعواه، وهي غاية خطابه خاصة وأنه "تحاشى الصدم والتهيج ودخل في تشارك لطيف مع المتلقين"⁶، وليحصل هذا التشارك فعليه التحلي

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص26-27

² هنريث بليث، البلاغة والأسلوبية، تر وتو: محمد العمري، منشورات دراسات ط1، الدار البيضاء، (1989)، ص22

³ المرجع نفسه، ص33

⁴ الجاحظ، الرسالة العثمانية (الرسائل السياسية)، حققها وعلق عليها: علي أبو ملح، دار الهلال، ص310

الجاحظ عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1424، ج2، ص1، ص1365

⁶ رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص125

ب"سمات الطبع الذي على الخطيب أن يظهر به أمام المتلقي من أجل أن يترك انطباعاً حسناً"¹، كما أن الحجاج "ليكون ناجعاً ينكر ذاته والمحتج ليفعل في المتلقي يختفي وراء قناع المحلل الرصين الذي يعرض الأحداث بموضوعية وتجرد تامين"²

3. 2- تصنيف الحجج:

ذكر ابن قيم في كتابه مفتاح السعادة الحجة ودرجتها في القرآن الكريم، حتى ارتقت علماً خاصاً في قوله: "أته سبحانه ذكر مناظرة إبراهيم لأبيه وقومه، وغلبته لهم بالحجة، وأخبر عن تفضيله بذلك، ورفع درجته بعلم الحجة، فقال تعالى عقب مناظرته لأبيه وقومه في سورة الأنعام: "وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَفَعَهُ رَبُّهُ عَنْكَ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ"، قال زيد بن أسلم رضي الله عنه: "نرفع درجات من نشأ بعلم الحجة"³، أما أرسطو فقد فرق بين الحجج الصناعية والحجج غير الصناعية في أول الكتاب الأول من الخطابة بقوله: "أما التصديقات فبعضها غير صناعية، وبعضها صناعية. وأقصد بالأولى تلك التي لم نأت نحن بها، بل كانت موجودة من قبل، مثل الشهود والتعذيب والصكوك وما أشبهها، وأقصد بالثانية: كل ما يمكن إعداده بالحيلة وبمجهودنا. وهكذا ما علينا إلا الاستفادة من الأولى، بينما الثانية فيجب علينا اكتشافها بأنفسنا"⁴، وبالنسبة للتصديقات الصناعية: "منها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"⁵، إذ أن الحجاج يظهر في النظرة الأولى على أنه: "سلسلة من الحجج تتجه جميعها نحو نفس النتيجة"، أو هو "مجموعة من الاستدلالات الموجهة لإثبات أطروحة"⁶، وقد لاحظ ديكر وأنسكومبر أن الحجج بطبيعتها تكون متفاوتة القوة والضعف، وبالتالي تنعكس بدرجة قوتها أو ضعفها على المتلقي،

¹ رولان بارت، قراءة جديدة، ص 124

² سامية الديردي، الحجاج في الشعر العربي، ص 36

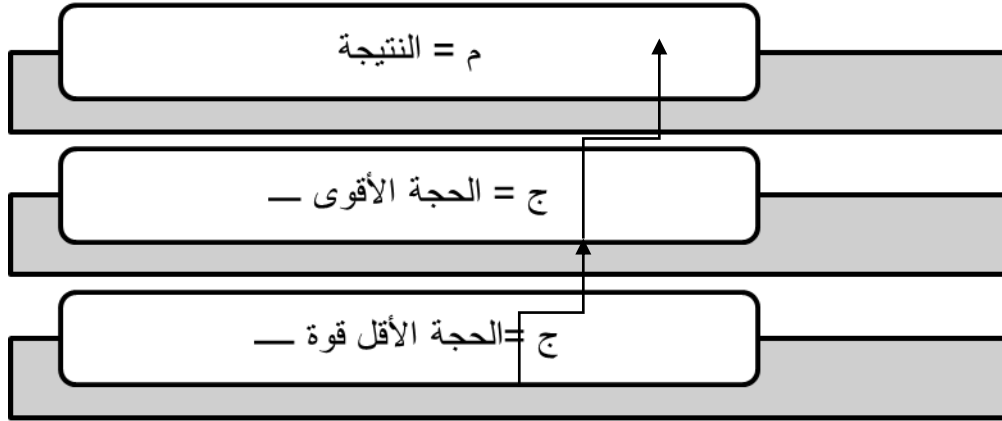
³ ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ص 245-246

⁴ أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، ص 138/ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص 34

⁵ أرسطو طاليس، الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، ص 9

⁶ محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 8

فهي تعكس مدى قدرتها في إظهار النتيجة تأثيراً وإقناعاً عليه أي المتلقي، بقصدية أن النتيجة تأتي من الحجة الأكثر قوة لا من الحجة الأقل قوة، أي "أن استنتاج النتيجة من الحجة الأكثر قوة، يُقضي إمكانية اللجوء إلى الحجة الأقل قوة، بهذا المعنى تنتظم الفئة الحجاجية بواسطة علاقة سلمية، أسماها ديكرول السلم الحجاجي (L'échelle argumentative) وقد عبر عنه في الصياغة الآتية¹:



أ/- الأسلوب:

الأسلوب لغة: "دلّ على الطريق الممتد..وسلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة"²، قال الأزهري(ت370هـ) في تهذيب اللغة: "يقال للسطر من النخل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الوجه والطريق والمذهب، يُقال: أنتم في أسلوب شر، ويُجمع أساليب"³، وعند ابن منظور(711هـ): "والأسلوب بالضم: الفنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه"⁴، وعليه فالأسلوب لغة الطريق والطريقة والاستقامة والفن والمذهب. أمّا على وجه الاصطلاح فيعني عند العرب: "الكيفية التي يُشكّل بها المتكلم كلامه سواء كان شعراً أو نثراً"⁵، ومن هنا يكون الأسلوب هو "طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها لا سيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات،

¹ محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية اللسانية والمنطقية، ص96

² الزمخشري، أساس البلاغة، 1953، مادة (س ل ب)

³ الأزهري(ت370هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ل ب)

⁵ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية- دراسة أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص13

والتشابه والإيقاع¹ يختارها في نسق معين، أما عند الغرب فقد اشتقت كلمة (Style) من الأصل اللاتيني (Stylus) الذي يعني الإزميل أو المنقاش للحفر والكتابة²، إذ كان مرتبطا بالكتابة اليدوية ليصبح بعد أن عرفت المجتمعات تحولات حضارية يطلق على التعبيرات اللغوية الأدبية أيام خطيبهم الشهير: الروماني شيشرون³، ثم اتخذ مفاهيم عديدة تدلُّ في الغالب على صناعة الكتابة، التي من خلالها تبرز خصائص التفرد لدى الأديب، إلى درجة أن يقرّر ريفاتير (M.Riffaterre) اعتبار أنّ "الأسلوب هو النصّ نفسه"⁴، أما جورج لوكير دو بوفون (G.L.Leclerc de Buffon) فصرّح لحظة استقباله في الأكاديمية الفرنسية سنة 1753 أنّ الأسلوب هو الرجل ذاته (Le style, c'est l'homme)، وقد أولى الجاحظ (ت255هـ) جهوده للاهتمام بالأسلوب داعيا إلى ضرورة سبكه وتنسيقه والتفنُّن في اختيار ألفاظه بقوله: "وأجود الشعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسُبك سبكا واحدا"⁵، وهو ما سمّاه أبو هلال العسكري (ت395هـ) (حسن الرّصف) في قوله: "وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، إلا حذفًا لا يفسد الكلام، ولا يُعمى المعنى، وتضمّ كل لفظة منها إلى ما يشكلها، وتضاف إلى لفظها"، غير أنّ أكثر البلاغيين عمقا في النظرة إلى الأسلوب، أطروحات عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، الذي ساوى بين الأسلوب والنظم، (المنوال أو القالب) فهو يماثل بينهما، حيث يذهب أنّ الأسلوب "ضرب من النظم والطريقة فيه"⁶

اتبع ابن شهيد أسلوبا خاصا في بنائه لنصّه الإبداعي، مغريا المتلقي لضمان تفاعله، إذ يعدّ الأسلوب جزءا أساسيا من وسائل إقناع الجماهير⁷، بتلك المهارة في استخدام اللغة لتمير

¹ جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1979م، ص20

² عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب (2000)، ص43

³ صلاح فضل، علم الأسلوب - مبادئه وإجراءاته - منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت (ب.د.)، ص72

⁴ Michael Riffaterre, La production du texte, Editions du Seuil, Paris, 1979, p8

⁵ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون ج1، ص67

⁶ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قراءة وتعليق محمود شاكر، ص361

⁷ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، 1982، ص117

أفكاره، وتثبيت قناعاته، ونقل رؤيته من خلال السياقات ذات الحمولات الاجتماعية والنفسية والثقافية، وليس صحيحا أن نتصور أن المرسل: "يختار بكيفية حرة هذا أو ذاك من الوحدات المعجمية، أو هاته وتلك من البنيات التركيبية في مخزونه من العناصر اللغوية، ويستمد من هذا الخزان الشاسع من أجل توظيف إرسالية دون قيد آخر سوى ما يريد قوله، بل هناك قيود تظهر وتشتغل تحد من إمكانية الاختيار"¹:

ب/- العنوان:

حجاجية العنوان أو ما يعرف بالعنوان "كعتبة نصية أولى"، إذ يشدّ انتباه القارئ كإشارة أولى منه قبل ولوجه عوالم النصّ، مستهدفا التركيز على المؤثرات البصرية كعنوان النصّ ولوحة الغلاف وعلامات الترقيم، فالعنوان في شكله المادي أول ما يبرز من الكتاب، مُشكّلا عنصرا سُلطويا مُنظّما للقراءة، لهذا يرى ليو هوك (Léo Hoek) في كتابه سمة (علامة) العنوان (La marque du titre) أنّ للعنوان وظائف متعددة ترتبط بالمتلقي، يحصرها في (الإخبار/الإنجاز/الإغرائية) كما عرّفه بكونه: "مجموعة من الدلائل اللسانية.. يمكنها أن تثبت في بداية النص من أجل تعيينه، والإشارة إلى مضمونه الإجمالي، ومن أجل جذب الجمهور المقصود"²، لأنّه ليس مجرد كلمة أو جملة تحدّد هويته، بل هو بناء دلالي يخلق للقارئ توقّعات بشأنه، مع دعوة له بجذب وإغراء لاستكناه خباياه، فالطبيعة الحجاجية للعنوان تحمل علامة سيميائية، يعمل من خلالها على استمالة مدركات المتلقي، كما يراه جيرار جنيت (Gérard Genette) في كتابه معمار النص والعتبات (Seuils): "نصّا صغيرا يختزل النص الكبير"³، لهذا سعى ابن شهيد من خلال العنوان إلى أن يكون وسيلة تدرّج لإقناع المتلقي، كما نلمس سعيا منه إلى التماهي في فضاء السرد، والنهل من معطياته، إذ اختار لرسالته عنوان (التوابع والزوابع)، محاولا بتّ مقصده برمّته عبره، لأنّه يُدرك أنّه لا يُحيل على النصّ

¹ ك.أوركيني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نظيف، إفريقيا الشرق، 2007، ص81

² Léo Hoek, La marque du titre, éd. Mouton, 1982

³ Gérard Genette, Seuils(4), Collection Seuil, Paris, 1987

فحسب، لكنّه يُحيل على المتلقّي لإنتاج دلالات تأويلية عبر قراءته قراءة دالّة، مُتّكناً على الرّمز كعنصر فاعل في العمل الأدبي، لما يحويه من دلالات رمزية، يفصحُ عبرها عن مخبّات نفسه، "ولأنّ الرمز كذلك يتناسب مع الغموض في القول الأدبي، ويوفّر متنقّساً رحباً للتعبير بعيداً عن التصريح"¹، لهذا وسم رسالته بهذه التسمية، لأنها تخدم الموضوع الذي أقام أحداثه المُتخيلة في عالم الجنّ، ذلك العالم الذي يستهوي المتلقي بغرائبية شخوصه، وعجائبيّة أحداثه، مُشكّلة عامل جذب وإغواء له، إذ يشترط شارل أميراتي(Charles Ammirati) لكتابة نص حجاجي جذب انتباه القارئ إليه بسحر خياله²، لهذا عمد إلى استيحاء أحداث قصّته من فكرة شياطين الشعر، لأنّ أغلب الأمم تنسب الشعر إلى قوى خارقة خارجة عن طبيعة البشر، "فقد كان إله الشعر في اليونان "أبوللو"، والإغريق "ديونيز"، والهنود "سارا سوتي"، وعند المصريين "تحت"³، "وقد نسب العرب كل أمر عجيب إلى الجن..فلا عجب أن يصلوا الشعر بالجنّ، ولا عجب أن يتخيلوا أن لكل شاعر شيطاناً يلهمه القريض"⁴، كما أنّه استلهم عنوانه من المقامة الإبلية لبديع الزمان الهمداني، كما سمّى ابن شهيد رسالته باسم: "شجرة الفكاهة"، "لما فيها من تهكم ودعابة"⁵

ج/- الألفاظ والعبارات:

إنّ كون اللغة لها وظيفة حجاجية، يعني أنّ التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبرّ عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محدّدة أيضاً وأساساً بواسطة بنية هذه الأقوال

¹ السمحي علي حمود، داخل أزال خارج صنعاء، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص197

² Charles Ammirati,Principes et méthodes de l'épreuve écrite de français,Etude d'un texte argumentatif,Presses Universitaires de France,Puf,1ere éd,1996,Paris,p16:

«C'est que l'humour,l'esprit et la ruse sont les principales qualités d'une démonstration efficace.Voltaire et Montesquieu ont même exploité la séduction des histoires fictives...Convaincre c'est d'abord séduire,et séduire c'est attirer à soi,capter l'attention d'un public»

حميدة عبد الرزاق، شياطين الشعراء، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 1956م، ص127³

⁴ أحمد الحوفي، شياطين الشعراء، مجلة الرسالة، ع 853(1949/11/7)

⁵ شوقي ضيف، محاضرات جمعية، ط1، القاهرة، مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1998، ص248

نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها¹، لهذا اختار ابن شهيد ألفاظه بعناية قصد الوصول إلى المتلقي بأيسر سبيل، ففي صدر رسالته، يُبين لأبي بكر صديقه دواعي رسالته "الزوابع والزوابع" يقول: "لله أبا بكر! ظنّ رميته فأصميت، وحدث أملتَه فما أشويت! أبديت بهما وجه الجليّة، وكشفت عن غرّة الحقيقة، حين لمحت صاحبك الذي تكسّبتَه ورأيتَه قد أخذ بأطراف السماء، فألف بين قمرِها ونظم فرقيدها"²

في سياق جمالي بترادف صوتي تتوالى سجعته، انطلق أبو عامر مُنافحا عن مجده الأدبي، مُخاطبا أبا بكر بتعجب سماعي (لله أبا بكر!) يكشف اندهاشا أثار دواخله لشيء خفي سببه بالنسبة إليه من موقف (صاحبه)، الذي تكسّب صداقته عبر الزمان، مما يوحي أنّه به أعرف، وإلى نفسه أقرب. وقد ورد في الذخيرة ما كان بينهما من مكاتبات ومعارضات. ليقيم عليه الحجّة وهو: ما كان يخالجه من ظنون، وما يدور في خلدِه من حدس بشأن مقدّته البلاغية واللغوية، فإذا بها تتكشف (جليّة) لا نقاش فيها، وتظهر (حقيقة) ساطعة كشمس النهار، عبر استعارته للظنّ فعل (الإصماء) الذي قرّبه للمتلقى عبر تصويره له كصيد يُرمى بسهم فيصيبه، ويقع بين يدي صائده، و (حدث) رماه من باب التخمين ف(ما أشواه)، أي أنّ الرمية ما كانت لتخطئ ذلك الصيد، فما أطلقه أبو بكر من ظنون وتفكير بشأن براعته الأدبية، إلى درجة نسبتها لقوّة غيبية قادرة على ذلك، إذ صرّح بأنّ له "تابعة تُؤيده وزابعة تُنجدُه"، بل إنّ ما به من إبداع لهو من وحي "شيطان يأتيه، وشيصبان يهديه"، فقد ظهر حقيقة جليّة، تكشّفت عن إبداع يُطاول عنان السماء بتأليفه بين (قمرِها وفرقيدها)، عبر هذه الاستعارة التصريحية التي تُصوّر مقدّته البلاغية في جمعه بين (الشعر والنثر)، والمقصد الحجاجي الذي يرومُه من ذلك هو: إقناع المخاطبين أنّ ما به من بلاغة ومقدرة لغوية، هي قوى فاقت أقرانه وخصومه وغيره من الأدباء، وابن شهيد يعي جيدا أنّ اختيار مליح الألفاظ، ورشيق الكلام وشرف المعاني، كما أنّ بين الحروف صلوات، وبين الأفعال وشائج حُوق على الأديب مراعاتها، إذ يقول: "إنّ للحروف

¹ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 17

² ابن شهيد، التوابع والزوابع، ص 88

أنساباً وقرابات تبدو في الكلمات، فإذا جاور النسيب النسيب ومازج القريب القريب طابت الألفة وحسنت الصحبة، وإذا ركبت صور الكلام من تلك، حسنت المناظر، وطابت المخابر¹، بل إنه لحذقه في اللغة، ليبتدع لحيوان الجنّ لغة خاصة بحمير الجنّ، حينما التقى بغلة أبي عيسى في قوله: "فتقدّمت إليّ بغلة شهباء.. فضحك زهير، وتماسكت، وقلتُ للمنشدة: ما هويثُ؟ قالت: هو هويثُ، بلغة الحمير"².

لهذا جاءت لغة التوابع "رشيقة طليّة، موشاة أنيقة، غنيّة بالأوصاف والصور والألوان"³، وكون الأسلوب وسيلة إقناعية هامة للجماهير، لهذا أدرجه اليونان والرومان تحت موضوع علم الخطابة، وذلك في "الجزء الخاص باختيار الكلمات المناسبة لمقتضى الحال (èlocutio)، وتكلم عنه أرسطو في الكتاب الثالث من بحثه في الخطابة، ثم تعرّض له كينثيليانوس (Quintilianus) في الكتاب الثامن من بحثه في نظم الخطابة"⁴، وهو يتوافق وما يدعو إليه ابن شهيد أصحاب صناعة الكلام أنّ: "من الواجب على الناقد أن يبحث عن الكلام، ويُفتش عن شرف المعاني، وينظر مواقع البيان، ويحترس من حلاوة خدع اللفظ، ويدع تزويق التركيب، ويُراطل بين أنحاء البديع.. وإنّما يستحقّ اسم الصناعة بتقّم بحور البيان، وتعمّد كرائم المعاني والكلام، وأن ينطق بالفصل، ويركب أثباج الجد، ويطلب النادرة والسائرة"⁵.

3 . نظام بناء رسالة التوابع والزوابع

¹ أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص393، وينظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص233-243

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص149-148

³ المصدر نفسه، ص113

⁴ مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ص 542

⁵ الشنتيري، ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص310-311

اقتضى النظر إلى زاوية بناء رسالة التوابع، وما ترتكزُ إليه من وحدات تعمل على ترتيب الخطاب فيها، إذ يتعدى الحجاج ذلك "إلى إستراتيجية حجاجية تستند إلى كيفية تقديم النص وبنائه"¹، لهذا ظهر تأطير التوابع من خلال النظامين: العاطفي والنظام البرهاني العقلي.

3.1- النظام العاطفي: الاستهلال (L'exorde) / الخاتمة (La péroraison)

الاستهلال²(L'exorde) يعمل على تهيئة المتلقي لتقبل المضمون الذي سيُطرح واستمالاته إليه، عُرِف في البلاغة القديمة عند فلاسفة اليونان كجزء أساس من الخطاب، يعمل على لفت انتباه المتلقي، ونظروا له أنه أداة فعّالة للإقناع، إذ تناوله كوراكس (Corax) وأرسطو (Aristote) كعنصر أساس لبناء علاقة ثقة بين المتكلم والمتلقي، لهذا أعطاه أرسطو أهمية كبيرة في كتابه "فنّ البلاغة"، فوظيفته الجوهرية "هي أن يُبين ما هي الغاية أو الغرض الذي يقصد إليه المتكلم"³، غير أن كوراكس يُركّز في الاستهلال على الجانب العملي والتقني، بما يشترط فيه من إيجاز ومباشرة في الطرح، لتقبل القضية وطرد الملل عنه، بينما يُركّز أرسطو على الجانب النفسي والأخلاقي منه، ذاهبا أنه يجب أن يكون أكثر إثارة لمشاعر المتلقي، ممّا يُهيئُه للاقتناع بالرأي المطروح، أمّا الرومان فاستحدثوا تقنية خطابية، تكون في بداية الاستهلال⁴(Exordium) في الخطاب باسم (captatio benevolentiae)⁵ تعمل على جذب انتباه المتلقي، واهتمامه لخلق تواصل ناجح، بإنشاء علاقة إيجابية معه عبر صيغ: كمدح الجمهور ومُجاملته (Formules polies et de flatteries)، أو مواضع وقيم مشتركة (Lieux communs et valeurs partagées)، أو لمسة من الفكاهة (un trait

¹ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 31

²Aurore Billard, La rhétorique antique (2): Principes et Pratiques de l'art de l'éloquence, odysseum.eduscol.education.fr (consulté le 02/03/2021): يُنظر:

³ أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، 1979، بيروت، ص 235-238

⁴ Marcel Delaunois et Claude Loutsch, L'exorde dans le discours de Cicéron, Revue belge de philologie et d'histoire, vol.75, n1, 1997, p184 -185

⁵ Fr.m.wikipedia.org على captatio benevolentiae يُنظر:

(d'humour، أو قصة قصيرة مسبقة (courte histoire a priori) ذات علاقة بالقضية، فالاستهلال عند اليونان والرومان يعتبر مهارة رئيسة في فنّ الإقناع.

الاستهلال عند العرب لغة هو: أوّل المطر..رفع الصوت بالتلبية..عُزّة القمر..والابتداء بشيء¹، أما اصطلاحاً فيختلف معناه حسب السياق، في الأدب والشعر هو بداية الكلام في خطبة أو رسالة أو قصيدة، يمثّل مرحلة مهمّة في العمل الأدبي، ويُعنى باختيار الألفاظ والتعابير للفت انتباه المتلقّي، وتهيئته لما سيأتي، مع شدّه للخطاب، بذلك الانطباع الأول الذي يتركه فيه، وقد يرقى إلى أعلى الدرجات ليصل لـ"براعة الاستهلال" أو "حسن المطلع" وهي أعلى درجات البدء والافتتاح، لهذا نظر له العرب كمفتاح لفهم النص وتذوّقه، إذ عدّه ابن رشيق "حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح..²"، كما دعا حازم القرطاجني أن يكون الاستهلال "مناسباً لمقصد المتكلم من جميع جهاته. فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه بهاء وتفخيم، وإذا كان المقصد التّسبب كان الوجه أن يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة من جميع ذلك، وكذلك سائر المقاصد. فإن طريقة البلاغة فيها أن تفتتح بما يناسبها ويشبهها من القول من حيث ذكر³

يبرزُ الاستهلال والخاتمة كأهمّ مقومين نصّيين يعملان على بناء رسالة التوابع، إذ برزا كعنصرين هامّين من النظام العاطفي، كون خطابها يقوم على فعلي الاتهام والردّ عليه، باتهام خصومه له بالتلصّص والتقصّص، كما شكّك أبو بكر في قدراته، ونسب ما به من إبداع إلى قوى غيبية تُتجده، مع الردّ عليهم بالدفاع عن نفسه، ومُحاجبتهم لإثبات تفوّقه عليهم، مستهلاً في مسعاه الحجاجي بإفراده الخطاب المباشر لأبي بكر، لأنّه كان محرّك دعوى التّشكيك فيه

¹ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "ه ل ل"

² ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (باب المبدأ والخروج والنهاية)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص1/217

³ ابن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، فيفري 2008، ص406

بقوله: "فأما وقد قلتها، أبا بكر، فأصخ أسمعك العجب العُجاب:"¹، لهذا استهلّ رسالته بتعجب سماعي، مُعرباً عن دهشته واستغرابه منه، ليدفع المتلقي إلى التفكير فيما يطرحه، وتبني موقف بشأنه في قوله: "لله أبا بكر ظنّ رميته فأصميت، وحدهس أملتة فما أشويت!"²، مبدياً تعجبه من عمله، بهذا التعبير العربي الذي يستخدم للمدح والثناء والإعجاب بعمل قام به شخص ما، إذ ورد في لسان ابن منظور: "وأما قولهم: لله درك، فالدرّ في الأصل: ما ينزل من الصّرع من اللبّن.. كناية عن فعل الممدوح الصادر عنه.. نحو قولهم لله أنت، والله أبوك، فمعنى لله درّه: ما أعجب فعله!"³، فاختياره سلسلة نعوت وصفه بها، فهو (لله أبا بكر/الصّاحب الذي تكسبه/لا يُسمّيه ولا يلقبه بل يُكنّيه توقيراً: بأبي بكر)، لا تخرج عن دائرة قيم ومعتقدات المتلقي، لتحظى عنده بالقبول، كونها مقتبسة من الفضاء المشترك بينهم، ليحصل الإجماع عليها (Consensus)، عبر احترام أفق المتلقي من الاختراق، "باعتبارها إمكانات لغوية"⁴، ليحقّق عبرها التأثير فيه، ممّا يولّده في نفسية المتلقي من مواقف متباينة، فهذا المدح والثناء قد يُؤوّل نمّا وقدحاً، لذا يعتبر الاستهلال "أهمّ النقط النصية الإستراتيجية المسؤولة عن تأمين رحلة القارئ في عالم النص، والإبقاء على حبل التواصل، بين الكاتب والقارئ موصولاً غير مقطوع، دون ملل ولا سأم"⁵.

حرص أبو عامر عبر الاستهلال على اتخاذه مقياساً يُظهرُ براعته كسارد، بمدّ وشائجه وربطها بمفاصل النص، وربط المتن بالخاتمة، مع تناسبه وحجم النصّ وخلوّه من النقل والتناثر، عبر دفع المتلقي للتعاطف مع هذه الصورة الاستهلالية (حين لمحت صاحبك الذي تكسّبه)، التي رسم ملامحها بألفاظ وجُمَل مشحونة بجوّ النصّ، الذي بصدّد تأسيسه لأنّ الاستهلال "كلام توليدي، ديناميكي، فاعل، الكلمة فيه مشحونة بالمعرفة والإحالة والتأويل، لأنّ

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 88

² المصدر نفسه، ص 87

³ ابن منظور، لسان العرب، ج 4، ص 279

⁴ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، المجلد 30، 2001، ص 99

⁵ عبد العالي بوطيب، مساهمة في نمذجة الاستهلالات الروائية، مجلة مقدمات، ع 21، 2000-2001، ص 28

النصّ ليس جملاً متراصّة يقولها راو أو متكلّم، وإنّما هو نسيج يترابط ببدايته الاستهلاكيّة، فثراء الكلمة فيه ليس معناه غناها فقط، وإنّما صياغتها وكفايتها الذاتية وإحالتها المستمرّة على الخارج والدّاخل معاً¹، على اعتبار أنّها صورة أوليّة يستقبل بها المتلقي نصّه، ليدحض بها ادعاءات أبي بكر وغيره من الخصوم، والكشف عن ضعف موقفهم، مع بروز قدرة المتكلّم، وهو ما سثّبين عنه البنى السردية في قوله: "حين لمحت صاحبك الذي تكسّبتة ورأيتة قد أخذ بأطراف السماء..أبا بكر، فأصخ أسمعك العُجب العُجاب"².

وتنسحب أهمية الاستهلال على أهمية الخاتمة، إذ تدخل "في علاقة عضوية بمختلف عناصر البنية النصّية وخاصة الفاتحة ولذلك يهتمّ المؤلّفون بالاختتام اهتمامهم بالابتداء"³، فالخاتمة (La péroration) هي خلاصة تجميع الحجج للموضوع، التي تسعى إلى تكثيف التأثير في المتلقي، وما تولّده فيه من مشاعر تعمل على قيادته للاقتناع، لهذا حافظ أبو عامر على تماسك نسيج النص، من خلال تذكيره بنموذج هؤلاء الخصوم والحُساد المُنتقدين، ليبيّن الوهم الذي تمكّن منهم، حتى ظنّوا أنّهم نُخبة الأندلس الفكرية، الذين لا يُشقّ لهم غبار في سماء الأدب والنّقد واللغة، إذ راحوا يستصغرونه ويشكّكون في قدراته:ب(الإوزة الأدبية) إذ ربطها بما سبق طرقة منهم ك(ابن الإفليلي وبغلة أبي عيسى وحُمُر الجنّ)، كرموز عن النقاد والفقهاء واللغويين والساسة، كما جاءت الخاتمة ذات وشيجة ممتدّة للمقدّمة، إذ كان الاستهلال عن أبي بكر، وأنهاها بالإوزة و"هي تابعة لبعض الشيوخ تريدُ مناظرته في النحو والغريب، فيردعها، ويُذكّرها بسخفها وحُمقها، وينتهي عندها ما بلغ إلينا من رسالة التوابع والزوابع"⁴، وليضمن للخاتمة المزيد من الفعالية والديمومة، أنهى توابعه بوضع الإوزة وأمّثالها في الموضع الذي يليقُ بها، عبر إقرارها هي بنفسها بقصور عقلها، وحُمق تفكيرها، في قوله: "قلتُ: فهل تعرفين في الخلائق أحق من إوزة، ودعيني من مثّلم في الحُبّاري؟ قالت: لا.قلتُ: فتطلّبي عقل التجربة،

¹ ياسين ناصر، الاستهلال فنّ البدايات في النصّ الأدبي، ط1، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص31

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص87-88

³ مجموعة من المؤلّفين، معجم اللسانيات، إشراف محمد القاضي، ط1، دار الفارابي، لبنان، 2010، ص 166

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص74

إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة، فإذا أحرزت منه نصيباً، وبُوت منه بحظّ، فحينئذ ناظري في الأدب"¹، لتتمّ الرسالة بقوله: "فانصرفت وانصرفنا".

3. 2- النظام البرهاني العقلي:

هو ذلك القسم المكمّل لعنصري العادات والانفعالات، وتحتلّ البراهين أو الاحتجاج مكانة متميّزة من بين المكونات الأخرى"²، لهذا "اعتمدت الفلسفة اليونانية الحُجّة بهدف إقناع القارئ وإخضاعه لسلطة اللوغوس"³، فهو من أجزاء الخطاب الهامة عند أرسطو، وتتمثل في تطوير الحجج والأدلة التي تدعم الأطروحة (Confirmation)، وعرض الحجج المُعارضة لها بالتفنيد والإبطال (Réfutation)، سمّاه شيشرون بالاختراع (L'inventio) ممّا يتطلب من الخطيب من قدرة على إيجاد الحجج المقنعة، عبر ما يتمتّع به من إبداع وثقافة، بينما يهتمّ بيرلمان بالحجاج إجمالاً مع مراعاة الجمهور (L'auditoire)، باعتبار قيمه ومعتقداته ودورها في بناء الخطاب، والسياق (Le contexte) وهكذا عمل أرسطو وشيشرون على تنسيق أجزاء الخطاب في منظور أكثر معيارية (Dans une perspective plus normative)، بينما طوّر بيرلمان لهذه الأقسام مقارنة أكثر عملية وسياقية (Une approche plus pragmatique et contextualisée) للحجاج مع تركيزه على أثر الخطاب في الجمهور.

عمد ابن شهيد على بث حُجج جاهزة بين ثنايا رسالته، ببنائه سلسلة حجج لإقناع متلقّيه، عمل عبرها على إخضاعهم لأطروحته، وقد كانت حُجّة السلطة ذات هيمنة عليها، لما تحظى به من سلطة فوقية (appeal to authority) باحتكامها إلى سلطة قائلها (ad verecundiam) التي ترى أنّ المصدر النهائي للمعرفة هو سلطة من نوع ما . مع ما يحدث من تداخل وحجج أخرى . إذ كان الشاهد الأدبي . الشعري . منه خاصة أكثر طغياناً في الرسالة،

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص152

² هنريث بليث، البلاغة والأسلوبية، تر وتع: محمد العمري، ص36

³ أرنست كاسيرر، مدخل في فلسفة الحضارة الإنسانية أو مقال في الإنسان، ترجمة: إحسان عباس، مراجعة: محمد يوسف

نجم، دار الأندلس، بيروت، 1961، ص69

باستلهاهم أشعار الشعراء (إمرؤ القيس/ طرفة/المتنبي/أبو تمام/البحرّي..)، وآراء الخطباء وأقوال النقاد (بديع الزمان/ الجاحظ/ عبد الحميد/ ابن الإفريقي..)، كما استدعى الشواهد الدينية من قرآن وحديث، لأنها من "الحجج الفاعلة... حتى عُدَّت من أركان الخطاب وبانياته وهي إلى جانب كونها حجة مركزية تأتي لتدعم ما أدمج في الخطاب من حجج تستجمعها داخل مدارها وتستقطبها في نواة محيطها"¹ في التذليل بها عبر ما تعمل به من تثبيت الصفات، كما استعان بالحجة الشخصية (ad hominem) باستهدافه الأعداء والخصوم بالقدح فيهم شخصياً لا خطابهم، وقد يكون بالتهجم الشخصي أو نقد المصادقية أو بإظهار عدم الاتفاق بين كلامهم وأفعالهم، في سبيل زعزعة رأيهم وحجتهم، عبر تغيير زاوية الرؤيا من الفكرة المطروحة إلى شخص صاحبها، ومن أشكالها في الرسالة سخريته من التوابع (Moqueries) من شخصية (الفقيه) السلوكية في رسالة الحلواء، وفي تناوله شخصية أنف الناقة تابع الإفريقي بخلق زعزعة في الخصم، عبر نقل مجال الحجاج إلى أرضية شخصية الخصم، لتحويل أنظار الجمهور عن صلب القضية المطروحة، والتشكيك في قدراته، وإبطال دعواه في قوله على لسان أنف الناقة مفتخراً: "دع عنك، أنا أبو البيان"، ليستعرض تناقضات أقواله وأفعاله ودحض حججه في الردّ عليه: "إنما أنت كمغنّ وسط، لا يُحسن فيُطرب، ولا يُسيء فيُلهي.. ليس من شعر يُفسّر، ولا أرض تُكسر"²، كما عمل أبو عامر على تعزيز المنطق العقلي للحجج، باستعانته بطائفة من الأمثال الشائعة عند العرب، كما استعان بحجج تستند للواقع بسرده تلك الوقائع والأحداث (سجنه/الفتنة البربرية..).

3.3- البعد الحجاجي في الرسالة

تميّزت رسالة التوابع بطاقة حجاجية عبر ما وظّفه أبو عامر من حجج، وما استعان به من أساليب لغوية وبلاغية، في الردّ على خصومه وحُسادهم، لإفحامهم وإبطال ما يرمونه به من سرقات لإبداع غيره، إذ "تنكّر له جماعة من أبناء طبقتهم وأهل حرفته، وحسدوه على نعمة من

¹ علي بن عبد العزيز الشبعمان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص158

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 125

خفيض العيش يتقلب فيها، وهبة من توقّد الذهن يشتمل عليها: نعمة الأرض، وهبة السماء. فراحوا يسعون به لدى الملوك، وينتقصون شعره وأدبه وأخلاقه، حتى حبسه ابن حمّود، وأعرض عنه المستعين¹، إذ عني أبو عامر بأرائه ومقدماته، متّكئاً على ما يحظى به من مخزون فكري وثقافي في الأدب واللغة والنقد، كما كان المكوّن الحجاجي أبرز ما ميّز رسالته، انطلاقاً من بيئة الأندلس الخصبة بالحوار والمناظرات والصراع الفكري، الذي شهدته النخب الفكرية الأندلسية آنئذ، إذ كان ابن حيّان، وابن حزم، وابن شهيد، وابن عبد البر كما سمّاهم محمود علي مكي "جيل قرطبة"²، "بل هم من نتاج تلك النهضة الفكرية الرائعة التي نضجت واكتملت في ظلّ خلافة بني مروان، وإن لم تُؤت أكلها وثمراتها إلا بعد أن تصدّعت هذه الخلافة وعصفت بها الفتنة"³، إذ كان الوزراء والساسة والأدباء "يُساجلونه ويُساجلهم، أمثال الكاتب أبي المغيرة عبد الوهّاب بن حزم.. والعالم الفقيه أبي محمد بن حزم صاحب كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل، وكتاب طوق الحمامة في فلسفة الحب وصفاته"⁴، كما أنّ التنشئة التي عاش فيها أكسبته القدرة على الجدل والمناظرة والمطارات الفكرية، إذ كان أبو عامر نقطة الدائرة الأدبية في عصره، يرفع الأمراء قدره، ويخطب الوزراء صداقته، ويتبارى الشعراء والكُتّاب بمساجلته، واستحثّات قريحته⁵.

خلاصة:

تقوم العملية التواصلية بالتفاعل بين المتكلم والمتلقي، لهذا تناول ابن شهيد عناصر التواصل بينهما، بتوسّله مجموعة صفات يستوجب الخطاب أن يتحلّى بها الخطيب، لكسب ثقة المستمع وضمان تعاونه، إذ تفاعلت شخصيات التوابع وتجاوزت وتناظرت، كما أبانت عن مواقفها إزاء القضايا اللغوية والبلاغية والتّقديّة، وقد برز اهتمام ابن شهيد بمتلقّيه في الرسالة،

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 28

² ابن حيّان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقّدم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، القاهرة، 1941، ص 22

³ المصدر نفسه، ص 22

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 25

⁵ المصدر نفسه، ص 24

عبر استيعابه لتوجّهاتهم وأهوائهم وانفعالاتهم، لـ" أنّ الحجاج لا يكون فعّالا إلا بالمعرفة العميقة لطبائع المخاطب القارّة والثابتة، أي ما ينزع إليه هذا المخاطب نزوعا طبيعيا"¹، كما أقام بنيتها على بناء يستقيم وما سطرّ له من أغراض، حيث عمل على ترتيب الخطاب وما تتطلبه أسس ترتيب القول في العملية الحجاجية، كما بنى الرسالة على النظام العاطفي بحسن الاستهلال والختام بما يتوافق مع صلب موضوعها، والنظام البرهاني العقلي وما رصده من حجج وشواهد وأشعار وأمثال ووقائع وحقائق لتحقيق البعد الحجاجي فيها.

¹ محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ص 35

الفصل الثاني: الآليات المنطقية في رسالة التوابع

والزوابع

1 . الطرائق الحجاجية: مقدمات الحجاج في الرسالة:

1. 1-المواضع 1. 2- القيم 1. 3- الوقائع 1. 4- الحقائق

2. تقنيات الحجاج في الرسالة:

2. 1- الطرائق الاتصالية في الحجاج:

2. 1.1- الحجاج شبه المنطقية:

(أ) حجة التعريف والتحديد

(ب) حجة التناقض وعدم الاتفاق

(ج) حجة المقارنة

2. 1. 2- الحجاج المؤسسة على بنية الواقع:

(أ) حجة السبب

(ب) حجة الاتجاه

(ج) حجة الشخص وأعماله

3 . الطرائق الانفصالية في الحجاج: الفصل بين المفاهيم

1 - الطرائق الحجاجية: مقدمات الحجاج في رسالة "التوابع والزوابع"

1.1 - مقدمات الحجاج (Les prémisses):

إنّ القدرة على الإقناع تتأتى من جملة من العناصر المؤثرة في الخطاب، وعلى منشئ الخطاب أن يتوسّل آليات لتحقيق "الإذعان"، "فليس هناك حجاج جاهز أو معطى منذ البداية، بل هناك عملية يتم بناؤها تدريجياً وتتطلب تكييفاً مستديماً لعناصرها إلى نهاية إتمام الحجاج سواء على شكل خطاب أو عرض أو خطبة أو جدال، إذ أن الادعاء بوجود قواعد كلية ومطلقة لا يمكن أن يحالفه الصواب"¹، وعليه فبناء الخطاب الإقناعي يتطلب أدوات إجرائية تُراعي مختلف التوجّهات للمخاطبين، فالمخاطب ينشد لحظة خطابه المتلقين الانطلاق من أرضية اتفاق مسبق، لما تضمنه لخطابه من موافقة وقبول²، ومن هنا أصبح تكييف الحجج وتصنيفها، نقطة ارتكاز يستند عليها الحجاج منها: المقدمات³ (Les prémisses) التي يقول المتكلم على تسليم الجمهور بها، ومن هذه المقدمات نذكر منها الوقائع والحقائق والافتراضات والمواضع⁴، كما تستدعي المقدمات طريقة عرض خاصة، حيث "إنّ نجاعة العرض شرط ضروري لكلّ محاكاة هدفها التأثير

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل بغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1427هـ-2006م، ص129

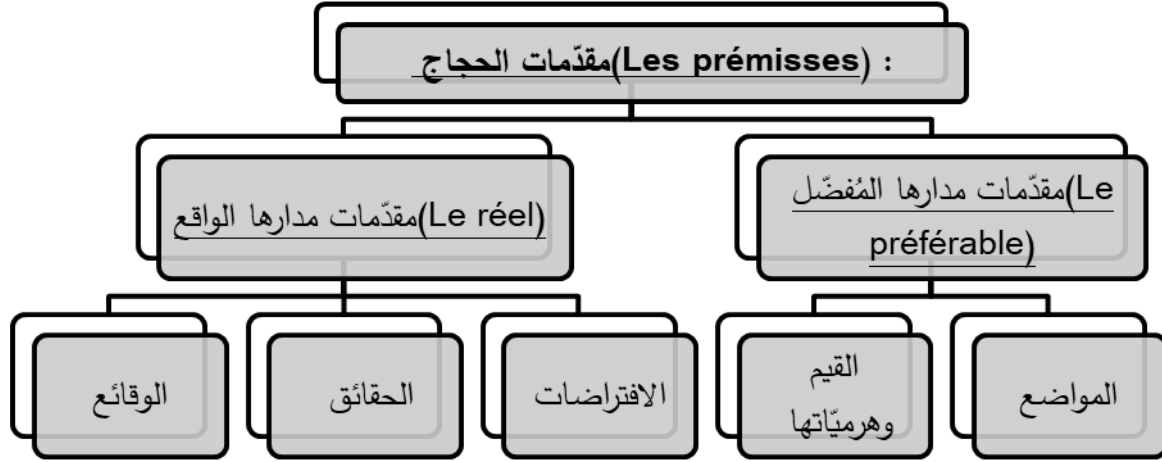
² Nicole d'Almeida, Présentation générale. Retour à l'argumentation, L'argumentation) Les Essentiels d'Hermès, CNRS Editions, 2011, p 9_25

³ Bertrand Buffon, La parole persuasive, Chapitre 5, Les prémisses de l'argumentation, L'interrogation philosophique, PUF, p133_152:

«Argumenter, c'est d'abord se mettre en phase avec son public, c'est partir d'un accord préalable, partir de prémisses et d'une entente sur des valeurs et hiérarchies communes»

⁴ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص301

في جمهور السامعين بتهيئتهم للعمل المباشر سلوكا وبتوجيه أذهانهم وجهة معينة فكرا¹، ويمكن ردها إلى نوعين اثنين وهي:



1. 1. 1 - المواضع: (Les lieux ou topos)

المواضع أو المعاني (Les lieux) أو كما يسميها أرسطو (Topoi) وهي المقدمات الحجاجية (Les prémisses de l'argumentation) العامة التي يلجأ إليها المُحاجج للبناء الحجاجي، ينطلق منها كمُقترحات انطلاق أوليّة (Propositions de départ) أنها تدعم أطروحته، وهي أعمّ من الوقائع والحقائق والقيم، كما تساعده على تهيئة المتلقي للخطاب، لهذا يُلحّ أرسطو على أنّها "ما يجب حسن امتلاكه"²، ويسمّيها شيشرون (Cicéron) المواضع المشتركة التي ترجمها من اليونانية (Topos) إلى اللاتينية (Locus Communis)

¹ المرجع السابق نفسه، ص316-317

² عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، الحجاج أطره ومنطقاته، ص312

ويرتّبها على أنّها "مخازن للحجاج"¹، حتى يحقق الملفوظ وظيفته الحجاجية وهي أنواع منها:

أ/- مواضع الكمّ (Lieux de quantité):

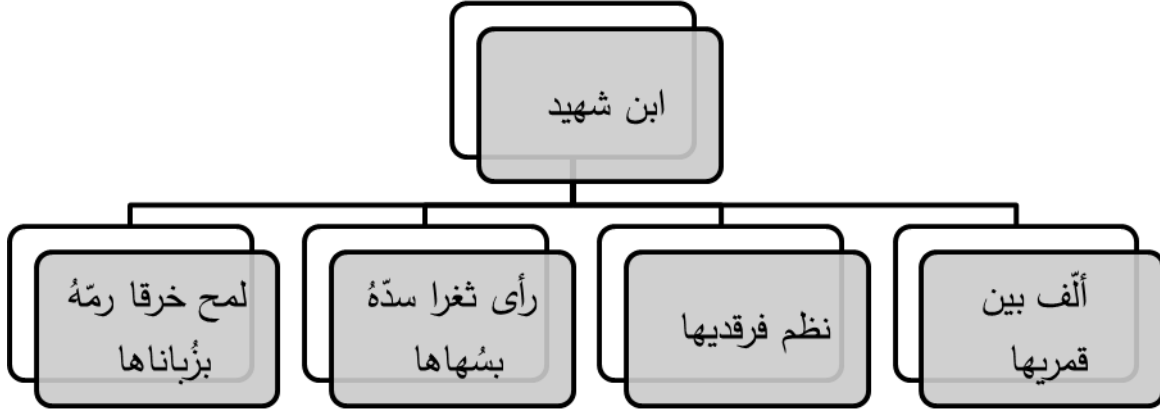
وتُعنى بالمفاضلة بين شيئين لاعتبارات كميّة، لأنّها تدخل حسب بيرلمان (Perelman) وتيتكاه (Tyteca) في مواضع المفاضلة (Les lieux du préférable) ويرياها على أنّها مخطّطات أو أشكال حجاجية (Des schèmes argumentatifs)، ولا علاقة لها بالتقنيات الحجاجية (Techniques argumentatives)، كما اعتبرها بلانتان² (Plantin) في قاموس الحجاج مقدّمات عامّة للحجاج، فهذه المواضع تُثبت أنّ شيئاً ما أفضل من شيء آخر لأسباب كميّة، فابن شهيد انتقى المواضع المناسبة التي تخدم الغرض الحجاجي من توابعه، إذ انطلق من مواضع كميّة ليبرهن بها على تحامل خصومه عليه وإنكارهم إبداعه الأدبي، ساخرا من عجزهم عن مجاراته في حقله، فهو الذي "أخذ بأطراف السّماء، فألّف بين قمريةا، ونظم فرقديها، فكلمّا رأى ثغرا سدّه بسّهاها، أو لمح خرّقا رمّه بزباناها"³، ولإثارة وجدان المتلقي حتى يشاركه الرأي، ويحقّق المقصدية الحجاجية في ردّه على خصومه، دعّم هذا القول بقول ثان يصرّح عبره لصاحبي الجاحظ وعبد الحميد بشأن خصومه وحسّاده: "ولكنّي عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيْتُ بغباوة أهل الزمان.. فقلتُ: نعم، إنّها لحاء الشجر، وليس ثمّ ثمر ولا عقب.. ليس لسبيويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه

¹ Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Topos –Lieu commun: «Magasin des arguments, et celle de l'argument moyen servant à convaincre d'une chose douteuse»

² Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, 2021: «Ces lieux du préférable sont définis comme des prémisses d'ordre général permettant de fonder des valeurs et hiérarchies»

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 117

طريق، ولا للبيان عليه سمة. إنّما هي لكنة أعجمية يُؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط¹



(هو) = أخذ بأطراف السّماء



(هم) = لكنة أعجمية يُؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط

أظهرت مواضع الكّم عبر ما تتمتع به من توافقية وإجماع، وما تقوم عليه من اعتبارات كمية (Des raisons quantitatives) التي ترى أنّه (Plus il y en a, mieux c'est)²، إذ يعدّها بيرلمان وتيتكاه من المقدمات التي تعمل على توجيه الحُجج وفق

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص108، 109

² Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Topique du préférable...

عامل المفاضلة، لأنها الأكثر عددا (Plus nombreux)، أو الأكثر انتشارا (Plus répandu)، أو الأكثر شيوعا وتكرارا (Plus fréquent)، أو الأكبر حجما والأكثر امتدادا (à plus d'ampleur)، لأنها تعتمد على قيمة الكمية (Quantité/Fréquence/Abondance)، وأهميتها أكثر من الكيفية¹ (Qualité)، سعى عبرها ابن شهيد في توابعه على الانتصار لنفسه، وافتكاكه الإجازة منهم، مع تصديده لتوابع الخصوم عبر دحض أطاريحهم بل والسخرية والتهمك منهم، "وهو في الغالب يستطيل على معاصريه أكثر منه على المتقدمين، ولأهل الجاهلية في نفسه حرمة ووقار"²، "كما برهن بها على مزاياهم، إذ أن أبا عامر ألبس التوابع أثواب أصحابها.. وأبانت عن شخصيات الشعراء والكتّاب في الصفات والأخلاق والآداب"³، مستغلا مواضع الكم التي أظهرت خصال توابعه ومقدراتهم وكفائاتهم، لوعيه أنها "تقوي حضور الفكرة في أذهان المستمعين"⁴، وما تثيره في وجدان المتلقي حتى يشاركه الرأي، فتحقق مقصدية الخطاب من ذلك، "فالموضع محل إجماع"⁵ كما يراه عبد الله صولة.

ب/ - مواضع الكيف (Lieux de qualité):

تبرز خاصيتها الحجاجية في التمايز الحاصل بين الأشياء والأفعال فيما بينها من حيث فضيلة العدد، كما يراها بيرلمان وتيتكاه بقولهما: «Le lieu de la qualité conteste la vertu du nombre»⁶، إذ كلما قلت كمية الشيء أو الفعل، أو ندرت، ازدادت فضيلته وقيمه في الحجاج بقوله: «Plus c'est rare, plus c'est précieux»، أمّا

¹Ch.Perelman et L.Olbrechts-Tyteca, La nouvelle Rhétorique. Traité de L'argumentation, Isay Gaston, Revue Philosophique de Louvain, 1960, 636 - 641 يُنظر:

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 106

³ المصدر نفسه، ص 104

⁴ علي الشعيان، الحجاج والتأويل، ص 243

⁵ يُنظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 604

⁶ Ch.Perelman et OlbrechtsTyteca, Traité de l'argumentation, 1958, p119

بلانتان(C.Plantin) في قاموس الحجاج فأعرب عن وجهة نظره بشأنها، مورداً أنّ هذه المواضع تعمل بصفة تدرّجية(Scalaire)تحت صيغة(..أكثر..أكثر..) و(..أقلّ..أكثر)¹، لهذا انطلق ابن شهيد من مواضع كيفية، هيأت لبناء قاعدة مهمّة من القبول عند المتلقي، ومن ذلك وقوفه عند الموضع الآتي: تصديره التّوابع حين لقائه وزهير بتابع امرئ القيس بقوله: "فظهر لنا فارس على فرس شقراء كأنّها تلتهب..فقال لي:أنشد، فقلت: السيّد أولى بالإنشاد.فتطامح طرفه، واهتزّ عطفه، وقبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط..²، فالموضع المنتقى هنا بعناية هو إدراكه ارتباط العرب بالتراث العربي القديم، إلى درجة الإجلال والتعظيم لرموزه، وتخصيصه امرئ القيس في صدارة رحلته، بكونه في رأيهم أفضل الشعراء، إذ "قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: يقول من فضله: إنّهُ أوّل من فتح الشّعْر"³، فهو "السيّد(ال)أولى بالإنشاد"، صاحب المسيرة الحافلة والقصيدة الفريدة الخالدة، "بسقط اللوى فحومل، ويوم دارة جلجل"⁴، فالموضع الكيفي يُبرز تفوّقه، وما يحظى به من توقير وإكبار، بسيادته مملكتي: الشّعْر وكندة، حتى قيل: "بُدئ الشّعْر بكندة، وخُتم بكندة"⁵، وإمعاناً منه في إبراز ما يحظى به امرؤ القيس من فضيلة وقيمة عن غيره من الشعراء، أنّه لم يقو على الإنشاد أمامه، بل فكّر في الهروب منه في قوله:.."ثمّ قال لي:أنشد، فهملتُ بالحیصة، ثمّ اشتدّت قوى نفسي وأنشدتُ..⁶، مستغلاً ما تحظى به مواضع الكيف من "أنّها نسيج وحدها فهي واحدة ضد جمع، وتستمدّ قيمتها

¹Christian Plantin,2021,Dictionnaire de l'argumentation,Une introduction aux études d'argumentation, ENS Editions:

«Du point de vue formel,cet topoi fonctionne de manière scalaire selon la forme «plus...plus» et «moins...plus» »

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 92

³ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط2، ج1، ص 128

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص 91-92

⁵ السرقسطي، المقامات اللزومية، تح: حسن الوراكلي، جدارا للكتاب العالمي، مان، عالم الكتب الحديث، إريد، ط2،

2006، ص 266

⁶ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 92

من وحدانيته تلك¹، لحمل المخاطب على الإذعان الذي لن يتأتى له، لو لم يكن ابن شهيد على دراية تامّة بتوجّهات ومعتقدات متلقّيه، لأنّها ذات وشائج بالقيم والتجارب والمعتقدات والعادات الفكرية التي تتقاسمها المجتمعات، وهو ما يجعل الفرق بين المواضيع الحجاجية (Les lieux) والبرهنة (Démonstration) جلياً واضحاً²، لهذا يتوقّف تواتر المواضيع على صلتها بالسياق والجمهور (La pertinence dépend du contexte et de l'auditoire)، كما تردّ بطريقة صريحة (Explicite) أو بطريقة ضمنية (Implicite).

ومن مواضيع الكيف التي انطلق منها ابن شهيد، ليُظهر خصال توابعه وما يحظون به من تميّز، لقاءه وزهير بحارثة بن المغلس صاحب المتنبي بوسمه بـ"خاتمة القوم" في قوله: "فقال لي زهير: ومن تُريد بعد؟ قلتُ له: خاتمة القوم صاحب أبي الطيّب.."³الذي ظهر: "فارساً على فرس بيضاء، ينظرُ من مُقلّة شوساء، قد مُلئت تيتها وعُجبا، ولا يرضى الشّعْر إلاّ متينا شديد الأسر، شأن أبي الطيّب"⁴، وختم به رحلته إلى أرض الشعراء بعد أن قَبَل على رأسه وانصرفا، لأنّ الموضوع الكيفي يتّفق و"إنّ مبدأ الشعر ومنتهاه بالنسبة لابن شهيد هو"كندة" (و) رسوخ هذا المعتقد النقدي لدى معظم النقاد العرب القدامى، فحركيّة الإبداع والإنتاج الفنّي موصولة من طرفيها بالكنديين (إمرؤ القيس وأبو الطيّب المتنبي)..⁵

¹ عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم "الحجاج أطره ومنطقاته، ص 312

² Nicole d'Almeida,Présentation générale.Retour à l'argumentation,p9 –25:

«C'est sur la base de ces lieux communs que l'orateur calera ou coulera ses arguments.L'argumentation vaut donc dans un cadre marqué par l'échange,c'est ce qui distingue argumentation et démonstration,cette dernière n'ayant pas besoin de recueillir l'assentiment de l'auditoire»

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 111

⁴ المصدر نفسه، ص 111

⁴ المصدر نفسه، ص 77

⁵ مرزاقّة عمرانّي، قراءة ابن شهيد الأندلسي للنص الشعري القديم، ص 159

أبرزت مواضع الكيف التي وظّفها ابن شهيد(السيد، الزعيم، خاتمة القوم، أبو الطبع، زبدة الحقب..). تميّزهم وفرادتهم، فهذه التراثية الشعرية تعكس رؤية ابن شهيد للإبداع بأن الشعراء يتفاوتون ويتفاضلون، إذ ورد له هذا التصريح الذي سجّله ابن بسّام(ت542هـ) في الذخيرة بقوله: "أهل صناعة الكلام مُتباينون في المنزلة، مُتفاضلون في شرف المرتبة، على مقدار إحسانهم وتصرفهم"¹، لهذا فاز هؤلاء التوابع بهذه المنزلة التي أنزلهم إياها، وتفوّقوا في مواضع كثيرة . كما وكيفا . باستدعائه مقدّمات تنتمي إلى ثقافة مخاطبيه، لإدراكه بدورها في استقطاب المتلقي، وجاءت الكفاءات والأخلاق كقيمة معنوية تُعلي من شأن الأشخاص والحالات.

1. 1. 2- القيم (Les valeurs):

هي مبادئ أخلاقية أو اجتماعية أو جمالية كالخير والجمال والحق والعدل وغيرها، وهي تختلف من شخص لآخر، كما تخضع القيم إلى هرميات (Hiérarchies)، فالجمال درجات والقبح درجات في القيم المجردة، كما في القيم المحسوسة فالإنسان مثلا أعلى درجة من الحيوان، وهرمية القيم في البنية الحجاجية أهم من القيم نفسها، وما يميّز كلّ جمهور ليس القيم التي يُسلم بها بقدر ما يميّزه ترتيبه إياها"²، ووظيفتها الحجاجية الأساس التي تضطلع بها في الخطاب هي توجيه الحجج والآراء، كونها تُمثّل مواضع مشتركة يتقاسمها المتلقين له، ويتبنونها بالقبول والاستحسان، لامتداداتها بالأبعاد الأخلاقية، ممّا يُكسب المتكلم صدقية في خطابه وتأييدا لما يذهب إليه من أفكار، "فالمتكلم يرفض فكرة ما، بحجة أنها تعارض قيمة معينة، ويدعو إلى موقف ما، باسم قيمة محدّدة وينعى على الخصم سلوكا ما لأنه يتنافى مع قيمة واحدة أو مجموعة قيم"³، كما نستطيع تقسيم القيم إلى "أصناف ثلاثة يتواتر استعمالها في مجالات الحجاج فتحدث عن قيم كونية وقيم

¹ الشنتيري، أبو الحسن علي بن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج1، ص238

² ينظر: عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، "الحجاج أطره ومنطقاته"، ص130

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم . ص 270

التزام وقيم فعل محسوسة¹، فالحجاج اعتمادا على القيم الكونية "يعني استدعاء الخير والحق والجمال واتخاذها مراجعا في الكلام وخلفيات إليها يستند القول وعليها يتأسس الرأي والموقف"²

من المقدمات الضرورية التي اتكأ عليها ابن شهيد، لضمان تمرير خطابه، وتحقيقها صدى لدى المتلقي، وهو يدرك أنه سينصاع لفكرته المطروحة، بل سيُقبل عليها ويعمل على الإقتداء بها، "لذلك غالبا ما تكون النماذج الجيدة وراء تشكيل سلوك وثقافة الأفراد والجماعات، انطلاقا من الطريقة التي تتصور بها النماذج والكيفية التي تتحقق بها ضمانا لقيمتها"³، ومن مجموعة القيم التي آمن بها ابن شهيد: القيمة النفعية للشعر والخطبة، وما يندرج تحتها من قيم معنوية، حيث كانت رسالة التوابع أبرز قيمة أدبية، كونها عمل من روائع الأدب العربي، وما انمازت به من أسلوب فريد، وقدرة عجيبة على جذب القارئ بأحداثها وشخصها ونمط حكيها ومعمار بنائها، مع قيم نقدية قدّمت رؤية أبي عامر النقدية للأدب والشعر، وأساليبه في النقد الأدبي، إذ ورد على لسان عتاب بن حبناء رثي أبي تمام يوصي أبا عامر فقال: "إن كنت ولا بُدّ قائلًا، فإذا دعتك نفسك إلى القول فلا تكذّ قريحتك، فإذا أكملت فجمامُ ثلاثة لا أقلّ. ونقح بعد ذلك"⁴، كما دعا إلى الصدق الفني، وتشجيعه الشاعر على الفرادة، واعتماد الموهبة في تحقيق التميز، بتناوله في توابعه قضية: السرقات الأدبية والمعارضة والمناقضة والتضمين والاقْتباس، إلى درجة أنّ الجبّي الناقد فاتك بن الصقعب يدعو لإظهار لمحاته النقدية، بل يُنهي حوارَه معه بإجازته في النقد بقوله: ".فاستدار نحوي، مُكرما لمكاني، فقلت: جُد أرضنا، أعزك الله، بسحابك، وأمطرنا بعيون آدابك. قال: سل عما شئت. قلتُ: أيُّ معنى سبقك إلى الإحسان فيه

¹ محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، المغرب، 2010، ص 103

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 271

³ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص 96

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 110

غيرك، فوجدته حين رُمته صعبا عليك إلا أنك نفذت فيه؟¹، "لأنّ معظم آراء ابن شهيد صادرة عن وعي ورأي تجريبي لا نظري، ودارت ملاحظاته حول مشاكل كان له فيها ضلع، وناقش أمورا أخذها على غيره، أو عدّها خصومه من العيوب في كلامه ونظمه"²، وغيرها من المصطلحات النقدية التي وردت عند ابن رشيق في كتابه العمدة وعند عبد القاهر الجرجاني، إذ كانت قضية السرقات قد شغلت النقاد القدماء لارتباطها بالمفهوم الأخلاقي، كما نُعتت هذه الظاهرة وقُذفت بأرذل الصفات، فهي مسخ وسلخ وانتحال وإغارة، مما يُعرضُ صاحبها ليكون منبوذا في مجتمعه، كقول طرفة بن العبد:

ولا أُغِيرُ على الأشعار أسرفها *** عنها غنيثٌ، و شرّ النَّاسِ من سرقا³

ويُصحّح ابن شهيد مصطلح "السرقة" بـ"الأخذ" لأنّه يراه غير دقيق، معتبرا إياه استعارة معنى أو فكرة من شاعر سابق، مُشترطا تطويرها والإحسان إليها بالإضافة إليها، لأنّ "هناك من الشعراء من يأخذ ويزيد فهو محسن، ومنهم من يقصّر فهو سيء"⁴، لهذا يصرّح على لسان شيخ من الجنّ يعلمُ بنيا له صناعة الشعر، وهو يقول له: "إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك، فأحسن تركيبه، وأرقّ حاشيته، فاضرب عنه جملة. وإن لم يكن بدّ ففي غير العروض التي تقدّم إليها ذلك المحسن، لتتنشط طبيعتك وتقوى مُنتك"⁵.

ومن القيم المشتركة ذات الامتدادات الأخلاقية التي استحضرها ابن شهيد في ذهن مخاطبيه ودعا إليها: التصدي للأعداء والخصوم . من الفقهاء واللغويين والنقاد ورجال السياسة في عصره . بالردّ عليهم، وإبطال ما يرمونه به من تلصص على كنوز غيره، مع

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 135

² محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، دار الأنوار، بيروت، 1968م، ص296

³ طرفة بن العبد، الديوان، شرح وتقديم: سعدي الضناوي، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، د.ط، 2004، ص120، 121

⁴ محمد رضوان الداية، تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص 303

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص134-135

ما يُضمرونه تجاهه من حسد، عبر توابعه الذين سيُنصفونه بل سيجيزونه شاعرا خطيبا، "فهؤلاء الخصوم والحساد أقضوا مضجع ابن شهيد، وكدرّوا صفو حياته السياسية والاجتماعية، وأفلقوا حياته الأدبية باعتراضاتهم ومناقضاتهم، فشغلوا جانبا من شعره ورسائله"¹، منهم **ابن الحنّاط الضرير**، إذ يروي ابن بسّام عنهما: "وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه بأسبابه، وانحياشه . كان . إلى جنبه، مناقضات في عدة رسائل وقصائد أشرقت أبا عامر بالماء، وأخذت عليه بفروج الهواء"²، كما راح يعيب عليه زهوه واعتداده بنفسه: "وأخونا أبو عامر يُسهبُ نثرا، ويُطيلُ نظما، شامخا بأنفه، ثانيا من عطفه، متخيلا أنّه قد أحرز السبق في الآداب، وأوتي فصل الخطاب، فهو يستقصّر أساتيد الأدباء، ويستجهل شيوخ العلماء"³، ومنهم **الفرضي** الذي اضغطن على ابن شهيد كشفه أمر اشتغاله بالكيمياء . وكان الاشتغال بها غير محمود . إذ قصده مرة على غير موعد، فانكشف له اشتغاله بها، فأطلع أحد ثقاته على ذلك، لكنّه أشاعه بين الناس، فحقد عليه **الفرضي**، وناصبه العداة الذي اشتدّت وطأته عليه أيام المستظهر، إذ حاول الإيقاع به لديه، بانتحاله شعرا في هجائه، إلا أنّ مكيدته باءت بالفشل، كما تصدى ابن شهيد لأبي بكر الكاتب المعروف بـ**أشكمياط**، حينما عُرضت عليه فصول من كلامه، فانقدها معرّضا بتقصّصه لغيره وتلصّصه عليهم بقوله: "فقر حسان إلا أنّه عشر عليها"، فردّ عليه أبو عامر: "ما أغيرك أبا بكر على نظم ونثر.. لأقطعنّ حبالك هاجرا، ولأتركنّ ليلك ساهرا"⁴، فالتصدي للخصوم والدعوة لمناظرتهم بالحجاج المقنع، والدعوة للعلم وتوقير العلماء وغيرها من القيم والمبادئ التي تحظى بالاتفاق والقبول، بتوظيف الحجاج عبر دفع المتلقي إلى تبنيها، والتحذير من السلوك الهجين الذي تمجّه الأخلاق والمجتمع، كما كانت التوابع ذات قيمة تاريخية عظيمة، إذ أبرزت الرسالة بعض الجوانب الثقافية والأدبية

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 49

² المصدر نفسه، ص 49

³ المصدر نفسه، ص 49

⁴ ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ص 231

والسياسية في الأندلس في فترة ابن شهيد، وما يضطرب في حواضرها من صراع فكري وسياسي وسجال ومناظرات، كان حقل الأدب والفقه والسياسة مسرحا لها، وما مُنيت به الأندلس من فتنة مدلهمة انتهت بإلغاء الخلافة الأموية عندما "خلعوا هشام في 12 ذي الحجة 422هـ"¹.

1. 1. 3- الوقائع (Les faits):

هي منطلقات شبه جاهزة أو جاهزة لأنها ترتبط بضمانات ومعطيات موضوعية يمكن التحقق منها (vérifiables)، تستند إليها الحجج كدعائم (Fondements)، لما تتمتع به من وجود مادي ملموس، كما "تمثل ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس. والوقائع لا تكون عرضة للدحض والشك"²، وهذا ما يُكسبها الإقناع، لهذا يُدرجها بيرلمان وتيتكاه كذلك في رسالة الحجاج³، عليه فالحجج المستندة إلى الوقائع هي في الغالب الأكثر حظاً في الإقناع، لما تتمتع به من صلاحية (valables) وضمانات واقعية من حجج تستند إلى تجارب أو معتقدات لأنها عناصر أكثر ذاتية، وقد ترد في صيغة إحصاءات أو أمثلة ملموسة أو شهادات حيّة أو ملاحظات في الحجاج، مثلاً لو كنا نُدعم قضية الارتفاع الحراري كمشكلة بيئية، علينا باستعمال الوقائع العلمية كذوبان الثلوج في المناطق المتجمّدة، وارتفاع درجات الحرارة في غير موسمها، وكثيراً ما تعتمد الوقائع كحجج قوية داعمة، لأنها مبنية على ملاحظات ومعطيات ملموسة (Tangibles) يصعب دحضها (Difficiles à réfuter) وكونها تحوي الكمية الموثوقة (Quanti-fiabiles) من

¹ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص145

² عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم "الحجاج أطره ومنطقاته"، إشراف حمادي صمود، ص308

³ Ch.Perelman et Olbrechts Tyteca,1958,Traité de l'argumentation,p88 :

«Le réel constitué par les faits,les vérités et les présomptions»

المعلومات، لهذا فهي في الغالب لا تقبل الجدل فيها (Incontestables)، فتلقى صدى من الجمهور بالموافقة والتبني لها.

وإن كانت التوابع رحلة متخيّلة إلى عالم الجنّ، وما اتّسمت به من طابع عجائبي، وما جرى فيها من حوار معهم، فإنّ ابن شهيد دَعَمَهَا بالكثير من الوقائع والأحداث التي لا يمكن دحضها، نأياً بها عن أن تكون مجرد انطباعات أو معتقدات ذاتية، أصدرها في ردّه على خصومه، فما تعرّض له من إنكار لمجده الأدبي، مع ما رافقه من حملة تشكيك في قدراته، وما انطوت نفوسهم عليه من حسد له، عبر السّعي للوشاية به للخلفاء، منها سعيهم للإيقاع به عند الخليفة الأموي "المستعين"، "حتى اتّهموه بشعر قاله، فأنكروه عليه، أو شكّوا فيه"¹، "ولعلّ أبا محمد كان أهم هؤلاء في هذا الحين، وقد كان طريقه إلى الخليفة سهلاً، فاتخذه لكي يهمس في سمعه بأنّ شعر ابن شهيد موضع شبهة"²، وقد صوّر أبو عامر هذه الحادثة، التي استند عليها كحجّة يدلّل بها لإذعان متلقيه، معتمداً عليها كركيزة تُكسب خطابه قوّة، كقوله في رسالته مصوّراً حاله: "أمّا أبو محمد، فانتضى* عليّ لسانه عند المستعين*، وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين"³، كما اعتمد ابن شهيد في حجاجه على وقائع مؤنّقة ثابتة، مثل تلك الحادثة التي عاش أحداثها بمرارة، إذ "لم ينعم عند الحمّوديين في إبان دولتهم، فإنّ سعايات الخصوم والحُساد أفضت به إلى السجن، إمّا في عهد عليّ بن حمّود أو في عهد أخيه القاسم"⁴، وما لحقه من ضيم ومهانة عند الخليفة العلوي "علي بن حمود"، يقول:

قريب بمحتلّ الهوان بعيدُ *** يجودُ ويشكو حُزنه فيجيدُ

ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص17¹

² ابن شهيد الأندلسي، الديوان، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969، ص27

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص123 (*انتضى: أخرج الشيء من مخبئه أو غمده/المستعين: الخليفة الأموي سليمان بن الحكم الذي انتقلت الخلافة في قرطبة بعد مقتله إلى علي بن حمود الإدريسي)

⁴ المصدر نفسه، ص17

فراق و سجن واشتياق وذلة *** وجبار حفاظ علي عتيد

وما اهتر باب السجن إلا تظطرت *** قلوب لنا خوف الردى وكبؤد¹

فهذه الحادثة (السجن) لا يمكن دحضها، لأنها وقعت على مرأى ومسمع من جميع الحاضرين، وعليه فانطلاق أبي عامر من وقائع موثقة، كان بقصدية إعطاء دفع قوي لدعوته، وهي انتصاره لنفسه ولأدبه، والرد على خصومه، ليس من قبيل الصدفة أن يُورد ابن شهيد هذه الوقائع، التي لم يجد بداً من سرد أحداثها، لأنها كانت بمثابة حقائق تاريخية، لا يمكن أن يرتقي إليها الشك في حقيقتها، كما يراها تستحوذ على الإجماع والاتفاق لإثبات تفوقه وبراعته في الأدب والنقد واللغة.

1. 1. 4- الحقائق: (Les réalités)

الحقائق هي: "أنظمة تربط بين الوقائع ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية"²، كونها مظاهر محسوسة يتمظهر فيها الحجاج، وتتوَّع تحت عدة صيغ حسب الاستراتيجيات الحجاجية المرصودة، والسياقات الاجتماعية والثقافية التي تُساق فيها، وقد تشمل التفسيرات للوقائع (Des interprétations subjectives de ces faits)، أو الأمثلة (Des exemples)، أو شواهد السلطة (Des citations d'autorité)، أو قياس ومماثلة (L'analogie)، أو حتى بصيغ غير مباشرة كالدفاع والاعتذار (L'apologie)، أو بالحكاية (Fable)، أو كالاستدلال بالتناقض (L'argumentation par l'absurde).

تحول ابن شهيد في صياغة نصوصه إلى اعتماد أحداث حقيقية وشخصيات معروفة في الأدب أو اللغة أو السياسة (المتنبّي/الجاحظ/عبد الحميد الكاتب/الإفيلي/ابن نكوان وغيرهم)، ليُقوي فعل التأثير، ويسمح بمرور الخطاب دون اعتراض، كون الباعث

¹ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، جمعه وحققه يعقوب زكي، ص 99-100

² ينظر: عبد الله صولة، أهم نظريات لحجاج من أرسطو إلى اليوم "الحجاج أطره ومنطقاته"، إشراف حمادي صمود،

على الحجاج هو وجود شكّ في مدى صحّة فكرة ما، لهذا تستدعي الحاجة أنّ هناك فكرة ينبغي تدقيقها والتّشديد عليها، لتحقيق الغاية منه، وهي إحداث التأثير العمليّ الذي يمهدّ له التأثير الذهني، "وقد يعمد الخطيب إلى الرّبط بين الوقائع والحقائق، ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة"¹، ومن الحقائق التي تعرّض لها ابن شهيد في توابعه حال قرطبة، وما آلت إليه الأندلس إثر الفتنة البربرية (399هـ-422هـ)، التي أتت على حواضرها (قرطبة/الزّهراء/الزّهارة) وحضارتها وعمرانها، وانتهت بانهايار الدولتين الأموية والعامرية، إذ "رأى أهل قرطبة إبطال الخلافة بالكلية، فخلعوا هشام في 12 ذي الحجة 422هـ"²، لتبدأ ما يعرف بفترة حكم "ملوك الطوائف"³، وقد اتّخذها كمنطلقات شبه جاهزة، لأنّها وقائع عاشتها الأندلس لا يمكن تكذيبها أو دحضها، فهي مُثبتة تاريخياً، وقد صوّر في حوار مع بغلة أبي عيسى اضطراب أحوال الأندلس السياسية خاصة، وما لحقها من تغيير حينما هبّت عليها رياح الفتنة، وضياع حكم العامريين الذي كان كثير الاعتداد به، كقولها حينما سألته عن حال الأحبة، "قالت: فما فعل الأحبة بعدي، أهم على العهد؟ قلت: شبّ الغلمان، وشاخ الفتیان، وتكرّرت الخللان، ومن إخوانك من بلغ الإمارة، وانتهى إلى الوزارة"⁴

القضية (ا): واقعة جزئية هي تغيير حال الأندلس خاصة سياسياً

النظرية (س): من الإخوان من تغير، فأصبح وُصولي، متسلّق ينشدُ المراتب العلا . و لو كان غير كفؤ -

¹ المرجع السابق نفسه، ص 309

² أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت، ص 145

³ محمد عبد الله عنان، (1997)، دولة الإسلام في الأندلس، ج 1، مكتبة الخانجي القاهرة، ص 665-669

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 149

القضية (ب):تغيّر حال إخوان البغلة، بتملّقهم المناصب السياسية كالإمارة والوزارة، وهم غير أكفاء.

هذه الحقيقة التي أكّدها أبو مروان بن حيّان (377هـ-469هـ)، إذ كان من المعاصرين لأحداثها مع الذين سمّاهم محمود علي مكي بـ"جيل الفتنة البربرية"، من أمثال ابن حيّان وابن حزم وابن شهيد وابن عبد البر النمري، لهذا يراهم "فكانوا بذلك نتاج فترة إحباط نفسي"¹، إذ انخرط فقهاء وسياسي عصره في البلاط الأموي في قرطبة، بعدما شهدته من اضطراب، فمنهم من كادوا له عند الوزراء والأمراء، إذ حدّث ابن شهيد عن نفسه: "وجّه أبو جعفر ابن عباس وزيره عن لمة من أصحابنا منهم ابن برد، وأبو بكر المرواني، وابن الحنّاط، والطبني فسألهم عني..فقال لي الحنّاطي، وكان كثير الإنحاء عليّ، جالبا في المحافل ما يسوء الأولياء إليّ..²، كما صوّر أبو حيّان: الإفيلي والفرضي وابن الحنّاط وغيرهم من سياسي وفقهاء عصره، كيف يتزلفون إلى الأمراء لاستكتابهم واستوزارهم في المناصب، خاصة أيام عصفت بالأندلس تلك الفتنة، وما لحق مفاصل الدولة من ضعف وانقسام بقوله: "وكان لحق الفتنة البربرية بقرطبة، ومضى الناس بين حائن وظاعن، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمّود ومن تلاهم إلى أن نال الجاه، واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي بعد ابن برد، فوقع كلامه جانبا من البلاغة، لأنّه كان على طريقة المعلمين المتكلّفين..فزهّد فيه"³، لهذا عمد أبو عامر إلى إلحاق هؤلاء الساسة في عصره بالبغلة في الغباء والقصور، باستعانتة بسجلّ مثير للشفقة (Registre pathétique) عبر الجمل الاستفهامية والتعجبية، وأفعال تُعبّر عن المشاعر كقوله:(ما فعل الأُحبة؟/أهم على العهد؟/شبّ الغلمان/شاخ الفتيان/تتكّرت الخلائن/حالوا عن العهد/نسوا أيام الوُدّ)، ليوحي بالقطيعة مع الماضي السعيد، وآخر مثير

¹ ابن حيّان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تح: محمود علي مكي، ص27

² ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص306

³ المصدر نفسه، ص282، وينظر: أبو مروان بن حيّان القرطبي، معجم الأديباء

للجدل¹(Registre polémique) الذي يتّسم بحرارة المعارضة لفكرة أو شخص أو مؤسسة، مع توجيه النّقد لما يرفضه بشكل صريح أو حتى بتلميح، لخلق تفاعل المتلقي بالغضب أو المفاجأة أو التحقير في قوله: "من إخوانك من.."، كما حدث في تصويره ما آل إليه حاضر الأندلس، ومن أصبح لهم حق السيادة والمكانة الرفيعة فيها (بلغ الإمارة/انتهى إلى الوزارة)، مع توظيفه ضمير المخاطب المفرد أو الجمع كقوله (عن البغلة): "من إخوانك من بلغ الإمارة"، أو عن (الإوْرَة الحمقاء): "هذه تابعة شيخ من مشيختكم"، التي تناول عبرها حقيقة المعلمين واللغويين والشيوخ في الأندلس، خاصة في عاصمة حضارتها قرطبة، إذ تحوّل ابن شهيد في سرد حقائق النّخبة الفكرية والأدبية والسياسية في المجتمع الأندلسي، منطلقاً من ثقافة المتلقي، التي من شأنها أن تُهيئه لقبول الدعوى وتحقيق الإجماع عليها، كما يتخذها حججاً تخدم خطابه، وتدحض دعاوى خصومه المنتقدين له، والمترصّدين لأخطائه، كقوله: "وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النّحو، وحفظ كلمات من اللغة..سقطت إليهم كتب في البديع والنّقد فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على الإيقاع، والزمر على الألحان، فهم يصرفون غرائبها فيما يجري عندهم تصريف من لم يُرزق آلة الفهم"²، كما نقل حقيقة الكتابة عندهم بقوله:

ويح الكتابة من شيخ هبّقة*، *** يلقى العيون برأس مخه رار *

ومنتن الرّيح إن ناحيته أبدا *** كأنما مات في خيشومه فار³

¹Kartable.fr : Les registres littéraires et polémique (cours): définition
<https://www.schoolmouv.fr/Combat/Guerre> مشتقة من (Polemos) وتعني معركة/حرب
(Polémique)اليونانية:

² ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 239-240

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص146(*هبّقة: رجل يضرب به المثل في الحمق/*رار: الدائب من المخ)

استغلّ ابن شهيد المقدّمات (Les prémisses) في توابعه سواء منها ما كان مدارها الواقع (Le réel)، أو تلك التي كان مدارها المفضّل (Le préférable)، لأنها من قبيل المسلّمات عند الجمهور، لما تحظى به من موافقة وإجماع، كما أنّه يعي أنّ اكتشاف المقدّمات الحجاجية في رسالته يقتضي: إظهار أنماط التوافق الضمني بين السارد وبين المتلقي، أي الكشف عن نسق المفضّلات والأفكار العامّة المُسلّم بها باعتبارها مواضع مشتركة، وحججا ضمنية بنى عليها السارد خطابه للحصول على التوافق بينه وبين المتلقي¹، وهو ما كان ينشده في سبيل تعضيد فكرته، وإقناع خصومه بتفوّقه وعلوّ كعبه في الأدب والنقد.

2 - التقنيات الحجاجية (Les techniques argumentatives):

يقوم الحجاج على مجموعة آليات ووسائل، المتبعة داخل النظام اللغوي، وتتوزّع التقنيات التي يقوم عليها الحجاج بالمفهوم الذي وضعه لها بيرلمان وتيتكاه، وتأتي "على نوعين أي لها نوعان من الطرائق، طرائق الوصل أو الاتصال (Procédés de liaison) وطرائق الفصل أو الانفصال (Procédés de dissociation)"²، "وهما مفهومان فلسفيان"³، "ويقصد بالأولى ما يتمّ به فهم الخطط التي تقرّب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم شكل منها بواسطة الأخرى سلبا وإيجابا وتقنيات الفصل هي التي تكون غاياتها توزيع العناصر التي تعد كلا واحدا أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية أو فصلها أو تفكيكها"⁴

¹ محمد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، ص 48

² عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص 324

³ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج -دراسات وتطبيقات- دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط 2011، ص 81

⁴ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، مارس 2004، ص 477

2.1- الطرائق الاتصالية أو الوصل (Procédés de liaison):

هي عبارة عن طرائق تُركّز على إقامة روابط، وتجميع العناصر المتباينة في أصل وجودها، لتدخل ضمن بعضها، لإنشاء وحدة متماسكة ذات بنية واضحة، كما تعمل على التقريب بين الأفكار والمفاهيم لخلق الروابط وتعزيز وجهات النظر، وقد تعدّدت طرائق الاتصال، لهذا حصرها بيرلمان في ثلاثة أنواع من الحجج:

2.1.1- الحجج شبه المنطقية (Arguments quasi logiques):

سُمّيت بشبه المنطقية عند أرسطو "لأنّها تقبل الصياغة المنطقية، ووصفت بالمشابهة لعدم إلزاميتها، فهي تلتقي بذلك مع البلاغة(الحجاج) في البعد عن الإلزام أو الغرض البلاغي"¹، ويوضّح بيرلمان ذلك بقوله: "إنّها حجج تدّعي قدرا محدّدا من اليقين من جهة أنّها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية..²"، فهي شكليا تتلبّس بالصرامة، لهذا يرى بيرلمان أن الحجج شبه المنطقية³ تستمدّ قوتها الإقناعية من مشابقتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة لكن هي تشبهها وحسب وليست إياها"⁴، كما أنّها اكتسبت تسميتها بالحجج شبه المنطقية، كونها في منطقة وسطى بين الحجج المنطقية واللامنطقية، كما أنّها تختلف عن الحجج المنطقية أو البراهين، فهي ليست حججا منطقية لكن في نفس الوقت لا يمكن اعتبارها حججا لامنطقية، لأنها تستند إلى حجج منطقية تشبهها جدا لكنها تفتقر عنها، بذلك الانتقال من حقل المنطق إلى حقل البلاغة، مما يستدعي عند انتقالها إلى برهنة مُلزمة، فيرى بيرلمان أن هذا يستلزم: "تدقيق الألفاظ المستعملة، واستبعاد أي لبس، وإزالة أية إمكانية

¹ نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي العربي، مجلة علوم إنسانية، السنة7، العدد44، شتاء 2010، ص8

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر الجاهلي، ص191

³ Perelman e L.O.Tyteca, Traité de l'argumentation:258:«...Ils se présentent comme des raisonnements formels logiques ou mathématiques comparables à des raisonnements formels logiques ou mathématiques»

⁴ عبد الله صولة، في نظريات الحجاج دراسات وتطبيقات، ص 42

لتأويلات متعددة للاستدلالات¹، "فحقيقة هذه الحجج أن كل حجة منها تستند إلى مبدأ منطقي كالتطابق والتعدية والتناقض.. لكنها خلافا للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن ترد بيسر بدعوى أنها ليست منطقية"²، والحجج شبه المنطقية متعددة منها ما هو قائم على البنى المنطقية، ومنها الحجج القائمة على البنى الرياضية.

2. 1. 2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية Les arguments basées

sur des structures logiques: وتتلخص في:

أ/- حجة التعريف/الحد (Identité et Définition):

- "التعريف: هو بيان حقيقة الشيء أو إيضاح معناه"³، لهذا تقف هذه الحجة عند حدّ الشيء والإحاطة به، وعُدّت من قبيل الحجج شبه المنطقية، "إذ يعمدُ المُحاجّ لفكرة أو مبدأ من خلال التعريف وضبط الحدود: تعريف المفاهيم أو الأشياء والأحداث ولكن ما يقدّمه من تعريفات لا ينتمي البتّة إلى نظام شكلي بل تدّعي قيامها بدور الضبط والتحديد"⁴، وتضمّ العناصر التي تتقاسم نفس الميزات وتتشارك فيها، للربط بينها واستخلاص حجة قوية منها مثل: الديمقراطية، كالحرية والمساواة، هي حق أساس.

اعتمد ابن شهيد حجة التعريف، لأنّه يُعتبر مدخلا للحجاج، إذ يُدرك أنّه يقود إلى حقيقة واضحة، فعول على هذه الحجة، لتقريب المعنى المقصود وتوصيله إلى المتلقي، لأنّ القول أو المفهوم في بعض الأحيان يتطلّب توضيحا أو شرحا، "نظرا لخصوصية اللغة الطبيعية المفعمة بالغموض، ونظرا لإلحاح الإنسان في طلب التوضيح والتفسير"⁵، كهذا الحدّ الذي أثبتته أبو عامر حينما سأله أبو عيينة وأبو هبيرة عن أدباء ونقاد عصره، بعد

¹ الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايبم بيرلمان، دار الكتاب الجديد، ط1، 2014، ص 58

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية، م.س، ص 191

³ ماهر عبد القادر محمد، المنطق ومناهج البحث، منشورات كلية أصول الدين، ط9، ربيع الأول 1428، ص39

⁴ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر الجاهلي، ص200

⁵ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص143

أن وجد نفسه مضطراً لإجلاء ذلك الغموض بوصفه لهم بقوله: "عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيْتُ بغباوة أهل الزمان"، ليستجلباه الأمر: "فقال: أهذا على تلك المناظر، وكبر تلك المحابر، وكمال تلك الطيَّالس؟ قلتُ: إنَّها لحاء الشجر، وليس ثمَّ ثمر ولا عقب، قال: فكيف كلامهم بينهم؟ قلت: ليس لسببويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة"

قدّم ابن شهيد تعريفاً وضّح من خلاله حقيقة هؤلاء النقاد والأدباء في عصره، لأنّ التعريف يكون "بما هو أوضح وأجلى من الشيء المُعرّف لدى المخاطب"¹، مستخدماً التعريف بالتشبيه (إنَّهم لحاء الشجر دون ثمر)، ليتخذ حجةً منطقية يدعّم بها ما يردّ به على خصومه ومنتقديه منهم، مع استغلاله الحدّ لتقويم الأشياء تقويماً إيجابياً أو سلبياً، إذ يرى كريستيان بلانتان في قاموسه للحجاج أنّ منهجية التعريف تُمكن من بناء وتقييم التعريفات، التي تتبني بدورها على المجالات والانتماءات الاجتماعية والعلمية للمعرّف بهم²، كما وظفه بنيتة إيقاف خطاب معارضيه:

تابعا الجاحظ وعبد الحميد ← لهم مناظر جميلة ومحابر كبيرة وكمال الطيَّالس

ابن شهيد ← إنَّهم لحاء الشجر لا ثمر منهم ولا عقب

ابن شهيد ← ليس لسببويه فيهم عمل، ولا للفراهيدي إليهم طريق، ولا للبيان عليهم سمة

¹ ماهر عبد القادر محمد، المنطق ومناهج البحث، منشورات كلية أصول الدين، ط9، ربيع الأول 1428، ص42
² Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Une introduction aux études d'argumentation, ENS Editions:

«La méthodologie de la définition précise les règles permettant de construire, et par conséquent, d'évaluer, les définitions. Ces règles dépendent des domaines sociaux ou scientifiques auxquels appartiennent les êtres définis et s'adaptent aux types de définition»

النتيجة: "هم لكنة أعجمية يُؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط"

بينما استدعى توظيف التعريف بالمخالفة، "لتقريب المفهوم وتمييزه عن الأشياء الأخرى واستحضار المفهوم في مخيلة المتلقي إذ يتم التمييز بينهما وفصل الآخر دونما اعتبارات للقواسم التي قد يشتركان فيها، ويهدف هذا التعريف إلى التقليل من شأن بعض الأشياء والرفع من قيمة الأشياء الأخرى"¹، بتقريبه التعريف عن نفسه، وإبرازه مدى تميّزه عن هؤلاء النقاد والأدباء في عصره، عبر اعتراف تابعي الجاحظ وعبد الحميد بتفوّقه عليهم بقولهما: "إنك لخطيب، وحائك للكلام مُجيد"². ثمّ قال لي الأستاذان عتبة بن أرقم، وأبو هبيرة صاحب عبد الحميد: إنّا لنخبط منك ببذاء حيرة، وتفوّق أسمعنا عنك بعبرة.. اذهب فإنك شاعر خطيب"³

ب/- التناقض (Contradiction) وعدم الاتفاق (Incompatibilité) :

التناقض هو "الاختلاف بين قضيتين بحيث يقتضي صدق أحدهما كذب الأخرى وبالعكس"⁴، كأن نقول (بعض الطلاب ناجحون، لا شيء من الطلاب بناجحين)⁵، أمّا عدم الاتفاق أو التعارض، هو اختيار إحدى القضيتين وطرح الأخرى استنادا إلى الواقع أو الظروف أو المقام، إذ يوضّح بيرلمان ذلك بمثال "موقف من يحجر قتل الكائن الحي، ويدعو رغم ذلك إلى معالجة مريض يشكو التهابا"، هنا تتعارض أطروحتين قتل الكائن الحي (الجرائيم)، ومعالجة المريض، لهذا لجأ ابن شهيد إلى حجة التعارض للردّ على خصومه، لأنّ هذا النوع من الحُجج وبحكم مشابهته للحجج المنطقية، يُقرب الفكرة من ذهن المتلقي ويجعلها تبدو منطقية، لإبطال ما يرمونه به من سرقات لكنوز غيره، ليقيم

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص149

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص116

³ المصدر نفسه، ص131

⁴ ماهر عبد القادر محمد، المنطق ومناهج البحث، منشورات كلية أصول الدين، ط9، ربيع الأول 1428، ص73

⁵ المرجع نفسه، ص77

الدليل على ذلك، وهو من "أساليب الحجاج التي تُثير الإشكال في ذهن السامع حتى يتمثل عناصر المسألة ومواطن الخلاف، وتتصل بهذا الصنف من الحجج دائماً حجة أخرى هي ما يعبر عنها بقلب البرهان على صاحبه، وتتصُّ على اعتماد حجة الخصم وإثبات أنها في حقيقة الأمر تُناقض ما يذهب إليه"¹، ليبيِّن التناقض الصَّارخ في ادِّعائهم، وهو ما يكذِّبه الواقع، بما ظهر في شخصياتهم من صور وسلوكات ومواقف وآراء توابعه من تناقض، وعدم اتفاق مع الحقيقة، كشخصية (الفقيه) في رسالة الحلواء، وما حدث من تناقض بين منصبه وما يتطلَّبه من وقار، وبين ما أبداه من رعونة حينما استقرَّه الشَّره لأصناف الحلواء، و(الإوزة) التي تُسمَّى العاقلة..وهي ذات حظٍّ من الأدب"²، ليظهر التناقض في موقفها لحظة مناظرته لها بذلك التعارض بين الملفوظين، فهي تسمَّى العاقلة، لكنَّها تبدو ذات خفة في قواها العقلية إذ كتَّأها بأَم خفيف في قوله: "فقلت: يا أمَّ خفيف، بالذي جعل غذائك ماء، وحشا رأسك هواء"³، ليُظهر ما ينتابُ الإوزة من عدم اتفاق، ويُثبت عكس ما تدَّعيه "فعدم الاتفاق يدفع بالحجاج إلى أطروحة ما، مبيناً أنها لا تتفق مع أخرى"، بسؤاله لها عن: "أيُّهما أفضل؟ الأدب أم العقل؟ قالت: بل العقل. قلت: فهل تعرفين في الخلائق أحق من إوزة، ودعيني من مثلهم في الحُبَّارى؟ قالت: لا. قلت: فتطلبِي عقل التجربة، إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة، فإذا أحرزت منه نصيباً...فحينئذ ناظري في الأدب"⁴، فهي في مناظرتها اختارت العقل، لتُظهرها حُجَّة التَّعارض أنها في حقيقة الأمر متناقضة بين مظهرها ومخبرها، غير مُتَّفقة مع تصريحها، غير مُتَّسقة بين شكلها القائم على الانتفاخ الموهوم، فهي (بيضاء/شهداء/الجميلة/العريضة/الطويلة/تابعة شيخ من مشيختكم/تُسمَّى العاقلة..)، وبين ما تهياً لها من إمكانات وآليات العقل والجدل فهي: (أمَّ خفيف/غذاؤها ماء/رأسها هواء/محمول عنك أمَّ خفيف/هي كسائر الإوز

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص196

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص150

³ المصدر نفسه، ص150

⁴ المصدر نفسه، ص152

والخُبَارَى* من الطيور التي تشتهر بالغباء والخفة والوزوزة)، وعليه فهي لا تمتلك لا عقل الطبيعة ولا عقل التجربة ولا الأدب، لهذا كشف ادعاءاتها بالمعرفة، وقدرتها على التناظر والجدل في قولها: "أيها الغار المغرور، كيف تحكّم في الفروع وأنت لا تحكّم الأصول؟ ما الذي تحسن؟"¹، إذ جعل ابن شهيد شخصية التابع منهم (الفقيه/الإوزة/أنف الناقة تابع الإفيلي..). وغيرهم من توابع الخصوم خاصّة متحفا للمتناقضات والتضارب عبر "المراوحة بين الوصف الخارجي والوصف الداخلي للشخصية، وفائدة هذه المراوحة التقاط صورة مركبة تتطوي على تناقض بين ظاهر الشخصية وباطنها"²، بذلك التعارض في أطاريحهم، ليُدلّل على بطلان ما يرمونه به، ويدفع المتلقي إلى إعادة النظر في آرائه ومواقفه بشأنهم.

ج- حجة المقارنة (L'argument par comparaison)

سمّاها اللّاتين بحُجّة (ad comparationem) من الفعل اللاتيني³ (comparo)، وتنشأ عن "مقولتين لسانيتين، النعت وتحديد الكم، أمّا بالنسبة إلى النعت فلاّته توجد في أغلب الأوقات خصائص موضوعة موضع النظر وذلك لتمييز المؤتلف أو المختلف فيها، أمّا تحديد الكمّ، فإنّ المقارنة قائمة بين كمّيات وإمّا لأنّ مقارنة الخصائص ذات درجات"⁴، كما يُعرّفها بلانتان في قاموسه للحجاج أنّها مقارنة بين الأشياء والوضعيات لتحديد التشابه والاختلاف بينها⁵، ويرى أنّها يمكن أن تُعقد بين الأشياء من حيث

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص151 (*الخُبَارَى: نوع من الطيور البرية يعيش في شبه الجزيرة العربية تصطاده الصقور)

² محمد مشبال، البلاغة والسرد جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، ص132

gaffiot.fr

³ يُنظر: المعجم اللاتيني- الفرنسي :

(<https://gaffiot.fr>)

⁴ باتريك شارودو، الحجاج، ترجمة: أحمد الودوني، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص88

⁵ Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Une introduction aux études d'argumentation:

اللون/الثلث/الحجم/الوزن، على سُلّم تدرّجي (Sur une échelle graduée)، مثل قولنا: "إنّ الجريمة هي ذاتها سواء كانت سرقة دولية، أو توزيع هبات مضادّة للنظام العام"¹، غير أنّ حُجّة المقارنة لم يفصل فيها أصحاب التخصص، فببرلمان يعدّها من الأساليب شبه المنطقية المبنية على خلفية رياضية باعتبار أنّ جوهر المقارنة عمليّة قيس (Mesure) وهي عملية رياضية خالصة، وآخرون ومنهم أ. روبول يعتبرونها من الحجج المؤسّسة لبنية الواقع، "الذي أكّد أنّ المقارنة عمليّة تجريبية منشدة إلى عمليّة بناء الواقع خاصّة وأنّ المقارنة حين تعقد بين طرفين لا تكون واقعيّة بل تكون مبتدعة"².

أفرد ابن شهيد للمقارنة مساحة مهمّة في توابعه، منطلقاً من مقارنة الاختلاف عبر عقدها بين الأطراف المتحاورة والمتعارضة ليبرز صفاتها وخصائصها، كتلك المقارنة التي أجراها بين أسلوبَي أبي عُيينة تابع الجاحظ وأبي هبيرة تابع عبد الحميد، في تعريفه بعبد الحميد مقارنة بالجاحظ في قوله: "فقلْتُ في نفسي: طبعُ عبد الحميد ومساأقه.. والكلامُ عراقيٌّ لا شاميٌّ. إنّي لأرى من دم اليربوع* بكفّيك، وألمحُ من كُشي* الضّبّ على ماضغيك. فتبسّم إليّ وقال: أهكذا أنت يا أطليس*، تركبُ لكلّ نهجه، وتعجُّ إليه عجه"³، إذ أبانت هذه المقارنة عن بداوة تعبير أبي هبيرة، لأنّه ما زال مُتلحّفاً بعباءة الخشونة والبداوة وكلامه الشاميّ، بقوله: "وانكّ منه لفي عباءة تتكشّف عنها أستاؤه معانيك، تكشّف

«La comparaison est un rapprochement opéré entre deux objets ou situations afin de déterminer leurs degrés de ressemblance et de différence»

¹ بروتون فيليب- جوتيه جيل، تاريخ نظريات الحجاج، تر محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، 2011، جّدة، ص47-49

² سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص248

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص117-118

إست العنز عن ذنبها..¹، عكس تعبير الجاحظ الحضري، لأنّ "الكلام عراقي" بعلّة نشأة الجاحظ في العراق.

غير أنّ أهمّ مقارنة استدعاها ابن شهيد آلية من آليات البراهين الصناعية، التي حاول عبرها استدراج المتلقي، بعرض عليه معايير الانتقاء من خلال تلك المفاضلة التي جرت بينه وبين زُبدة الحقب صاحب بديع الزمان، حينما تحدّاه مشكّكا في قدراته بوصف الجارية ووصف الماء . معرّضا بالفرق بين إبداع أهل المشرق وإبداع أهل المغرب . بقوله: "أتى لك بها يا فتى المغرب؟.. قال: صف جارية. فوصفتها. قال: أحسنت ما شئت أن تُحسن! قلتُ: أسمعني وصفك للماء. قال: ذلك من العُقم. قلت: بحياتي هاته. قال: أزرقُ كعين السنور، صاف كقضيب البلور.. فقلتُ: انظره، يا سيّدي، كأنّه عصيرُ صباح، أو نوبُ قمر ليّاح، ينصبُّ من إنائه، انصباب الكوكب من سمائه.."²

لتُحوّل له المقارنة ترجيح كفته في الوصف، وليُحقّق الانتصار لنفسه، وتخلّص إلى انهزام "زُبدة الحقب" وشُعوره بالخجل، بل إلى درجة تحقيره، بغيابه في بئر برهُوت* وانقطاع أثره فيه في قوله: "فلمّا انتهيتُ في الصفة، ضرب زُبدة الحقب الأرض برجله، فانفجرت له عن مثل برهُوت*، وتدهى إليها*، واجتمعت عليه، وغابت عينه، وانقطع أثره"³، وتلك المقارنة بينه وبين أنف الناقة تابع الإفليلي، الذي ادّعى أنّه "أبو

المصدر نفسه، ص118 (*اليربوع: نوع من الفأر طويل الرجلين، قصير اليدين، يصطاده الأعراب ويأكلونه/* الكشي: جمع الكشية: شحمة بطن الضب، يأكلها الأعراب، ومنها قولهم: أطمع أخاك كشية الضب، وهو حتّ على المواساة، وقيل بل هزه به/* أطيلس: تصغير أطلس: هو الذئب الأمعط في لونه غبرة إلى السواد، والرجل إذا رُمي بقبيح، والسارق/* عَجّ إليه: صاح ورفع صوته، والمراد أنه يسلك طريقه، ويجري على أسلوبه)

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص128

³ المصدر نفسه، ص129

(*برهُوت: بئر برهُوت بفتح الباء وضم الهاء، مسمّى لبئر غير معروفة ولا موصوفة، ذُكرت في مرويات التاريخ والأثر بأنها في واد بحضرموت باليمن يُسمّى وادي برهُوت، وقد وردت "ماء برهُوت" في حديث يُروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم يصفها بأنها شرّ ماء على وجه الأرض (يُنظر: آثار البلاد وأخبار العباد، لذكريا بن محمد بن محمود القزويني)

البيان"، وانتهت بـ"وعلت أنف الناقة كآبة، وظهرت عليه مهابة، واختلط كلامه، وبدا منه ساعتئذ بواد في خطابه، رحمه لها من حضر، وأشفق عليه من أجلها من نظر"¹

2. 1. 3- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد بُنى الواقع Les arguments basés sur la structure du réel

عمد بيرلمان في إمبراطورية البلاغة (L'Empire rhétorique) إلى بعض التعديلات البسيطة كضمّ الحجج المؤسّسة للواقع (Arguments fondant la structure du réel) مع الحجج التي تعتمد بُنى الواقع (Arguments basés sur la structure du réel)، بإسقاط ما بينهما من فروق، عكس ما أجراه في رسالة الحجاج (Le traité de l'argumentation)، والحجج التي تعتمد بُنى الواقع هي: الحجج التي تستند إلى علاقات موجودة في الواقع لتحقيق نتيجة منها، لأنّها حُجج "تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلمّ بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلمّاً بها"²، وتقوم على علاقات التتابع (liaison de succession)، وهي كثيرة نذكر منها:

أ- الحجّة السببية (L'argument de la cause)

تقومُ حُجّة السببية (L'argument de cause): على سبب/نتيجة (cause/conséquence) بـ"الرّبط بين السبب والنتيجة أو العكس"³، لتُظهر أنّ حدثاً كان السبب (La cause) في حدوث آخر (L'effet)، باستنادها إلى مبدأ أنّ أي نتيجة وراءها سبب، وأي سبب يُولّد نتيجة، وتستهدف شرح ظواهر أو قراءة احتمالات لنتائج أو تحديد المسؤوليات تجاه حدث ما، ويشيخ في ميادين عدّة كالعلوم والقانون والحياة اليومية،

*تدهى: تدرج)

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 130-131

² عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته، إشراف حمّادي صمّود، ص 331

³ محمّد مشبال، البلاغة والسرد، جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ، ص 87

ويذهب ك.بلانتان في قاموسه للحجاج أنّ الاستنتاج السببي ضروري للتنبؤ والتوقع¹، وتكون هذه الحجّة بثلاثة أضرب: حُجة ترمي إلى الربط بين حدثين متتابعين، ككشف ابن شهيد عن دواعي تأليفه رسالته، في تصدير خطابه إلى أبي بكر، معللاً حصول ذلك بقوله: "ظنّ رميته فأصميت، وحدثُ أملتُهُ فما أشويت!"²، لتكون النتيجة: "أبديت بهما وجهه الجليّة، وكشفت عن غرّة الحقيقة"³، مُحمّلاً أبا بكر تبعات ذلك الظنّ الذي رماه به، وما استتبعه من نتائج، لأنّه كان كمن رمى صيدا فأصابه في مقتل، وثانيهما حُجة تكون من خلال إظهار الانسجام بين عناصرها، بتوظيف تقنية الرّبط السببي (lien causal)، في قوله عند لقاء حسن الدنان: "فقال لي: اقرع أدن نشوته بإحدى خمرياتك..فصحتُ أنشدُ.. فصاح من حبائل نشوته: أشجعي؟..فأستدعى ماء قراحا، فإشرب منه وغسل وجهه، فأفاق واعتذر إليّ من حاله"⁴، حيث عمل الرابط "الفاء" على الربط بين الجمل، كما أفاد الاتصال بلا مُهلة وهو ما يسمّيه سيوييه بالمُرورين: "فإذا قلتُ مررتُ بزيد فعمرو، فهذا نسمّيه مُرورين، وإذا قلتُ مررتُ بزيد وعمرو فهذا يسمّيه مرورا"⁵، والترتيب الزمني بين الأحداث، كما ساهم في بناء الحجج وتقويتها من خلال ما أضفاه من منطقيّة بين أفكارها، لأنّ الـ"علاقة بين السبب والنتيجة قابلة للتصديق بسهولة"⁶، أمّا الضرب الثالث منها هي: أن تكون حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سببا أحدثه وأدى إليه، كقوله عن أبي الخطّار: "فأستبى لبّي من إنشاده البيت، وازددتُ خوفا لجرّاته، وأنّنا لم

¹Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Une introduction aux études d'argumentation:

«La déduction causale est indispensable de la prédiction/prévision»

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 87

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 87

⁴ المصدر نفسه، ص 105-106

⁵ ابن جنّي الموصلي (ت392هـ)، اللمع في العربية، تح: فائز زكي محمد، دار السلام، مصر، القاهرة، ط1، 2007م، ص 285

⁶ فيليب بروتون وجيل غوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، ص 51

نعرّج عليه.. ولا يُخَطَّرُ عليه"¹، فاستلابُ لبّ أبي عامر كان بسبب إنشاد أبي الخطّار، وازدياد خوفه منه، كان بعلة أنّه وزهير لم يُعرّجا عليه، ومنه نستخلص ما يميّز به أبو الخطّار من براعة شعرية وقوّة وشجاعة، لهذا وظّف ابن شهيد هذه الحجّة بأضربها الثلاث، كونها تعتمد على نتائج الأحداث، وتكون قوّة حجاج الحدث بالنظر إلى النتائج التي يُحقّقها، والتغيير الذي يروّمه في سلوكات متلقّيه.

ب/- حُجّة الاتجاه (L'argument de direction):

تقوم هذه الحجّة على فكرة "التحذير من انتشار شيء ما"²، يستوجب المزيد منه، مما ينتهي بأحداث قد تكون غير مرغوبة، كالتحذير من انتشار ظاهرة ما، وهو ما يسمّى بحجّة الانتشار أو حُجّة العدوى، حيث تنتشر هذه الحجج بسرعة، عندما تأخذ القيم من حجج أخرى لتصبح مثلها، سواء أكانت إيجابية أو سلبية، لهذا وُسمت بحُجّة الاتجاه، لأنّها تؤثر في باقي الحجج، وفي اتجاهها بالأخص، وإن كان أبو عامر كثير الإنحاء على التحذير المبطن، إذ استرشد به آلية حجاجية تُمكن من توجيه المتلقّي عبرها، ليُحصّن خطابه بالزام المتلقّي وفق المنهج الذي ارتضاه، كتحذيره من الإفراط في السّجع الذي راج بين كُتّاب عصره، فأصبح أسلوبا شائعا في الذوق الأدبي عندهم، خاصّة أنّه متمرّس في التّفد في قول أبي هبيرة منتقدا له: "إنّك لخطيب.. لولا أنّك مغرى بالسّجع"³، ليُبّرر ذلك له: "ليس هذا أعزّك الله، منّي جهلا بأمر السّجع.. ولكنّي عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيْتُ بغاوة أهل الزّمان.. إنّما هي لُكنة أعجميّة يؤدّون بها المعاني تأدية المجوس والنّبّط"⁴، مما دفع أبو عيينة إلى تحديهم بالردّ عليهم: "ارمهم يا هذا بسجع

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 96

² عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص 333

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 116

⁴ المصدر نفسه، ص 116-117

الكُهان، فعسى أن ينفك عندهم، ويُطير لك ذكرا فيهم"¹، ممّا يكشف انتشار هذه الظاهرة عندهم، واتخاذهم إياها مقياسا لذیوع الصّيت فيهم، كما استدعى هذه الحجّة مستغلاً طاقة فعليّ الحضّ والتحذير، عبر مقارعة الحجّة بالحجّة، لأنّ حجّة الاتّجاه تتصلّ "بمحاذير الخطاب حتى لا تُفقد النّجاعة ويضيع الفعل"²، في توجيهه على لسان شيخ يعلم صبيّاً في باب السرقات الأدبية الذي صحّح له المصطلح بـ"الأخذ": "إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك فأحسن تركيبه، وأرقّ حاشيته فاضرب عنه جملة. لتتشط طبيعتك، وتقوى مُننّك"³، ممّا يشي بانتشارها وانتقال عداواها بينهم، فهو هنا يدعو إلى ضبط السرقات مع التنبيه لاستفحال أمرها بين أدباء عصره.

ج- حُجّة الشخص وأعماله (La personne et ses actes):

تقومُ هذه الحجّة على الاتصال التواجدي (Liaison de coexistence) بالتداخل بين الشخص وأعماله، لتصبح أفعال الشخص حجّة في حدّ ذاتها، ذلك أنّ مفهوم الإنسان ومفهوم عمله مفهومان مترابطان لا فكاك لأحدهما عن الآخر"⁴، لأنّ الإنسان هو "مجلّ المعلوم من أعماله، أي بتعبير أدق هو العلاقة بين ما ينبغي أن نعتبره جوهر الشخص، وبين أعماله التي هي تجلّيات ذلك الجوهر"، فأعماله تكشف جوهره، وهو بدوره يعرفنا بأعماله من خلال السياق، لأنه ليس كيان افتراضي، بل هو ما يظهر من خلال أفعاله بمعرفة قصده ونيته التي هي مناط الحجاج، الذي ينبنى على معرفة الشخص وجوهره وعمله ضمن السياق، لهذا استدعى ابن شهيد نماذجاً من التوابع كالشاعر، والخطيب، واللغويّ، والنّاقد، والفقهاء، والوزير.. لأنّه يعي أنّ الشخص "لا يتحدّد في الثقافة العربية الإسلامية إلّا بأعماله ولا تُقاس رفعة ووثاقته إلا بمدى وفاء سلوكه إلى عُرف الأُمَّة

¹المصدر نفسه، ص117

² علي بن عبد العزيز الشيعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، ص154

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص135 (*المُنّة بالضمّ: الضعف، والقوة، من الأضداد)

⁴ يُنظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص334

وناموس الجماعة¹، إذ اعتمد آلية الانتقاء باختيار شخصياته من النخبة، بما تتوفر عليه من سلطة وصيت اجتماعي، مُتَّكِّناً على الإشارات الاجتماعية وإحالاتها، ففي الشعر استحضر امرئ القيس أمير مملكة كندة، "السيد" في الشعر، ومقصّد القصيد، والمتنبّي "خاتمة القوم"، بينما في سابقة غير معهودة استحضر من الخطباء والنقاد الجاحظ وعبد الحميد والهمذاني، ومن اللغويين والنحاة استدعى شخصية أندلسية شهيرة ابن الإفيلي فهو "زير علم، وزنبيل فهم، وكنف رواية"، "لأن قيمة الشخص المعترف بها مسبقاً يمكن أن تكون مقدّمة نستنتج منها نتيجة تدعو إلى توخي سبيل من السبل"²، كما انتقى لهم من الصفات ما ينهض بمقام المدح، مع سلب الصفات المستقبحة التي ينفر منها المتلقي، فالمتكلم من "أشجع" الإنس، وزهير من "أشجع" الجنّ، ما يجعلهم نماذج جديرة بالافتداء للمتلقي، عكس قدوة مضادة إذ استعمل هذه الحجة كآلية محاصرة لمتلقيه "بل يحاول توجيه المتلقي إلى قراءة واحدة وفهم وحيد"³

2. 2- الطريقة الانفصالية أو الفصل (Procédé de dissociation):

الفصل (Dissociation) عملية حاجبية تعتمد على الفصل بين العناصر المتصلة في الأصل، أو قد تبدو كذلك، لتسليط الضوء على التناقضات أو الاختلافات الخفية أو المتضاربة، يلجأ إليها المتكلم لتقويض حجج الخصم، عبر تقسيم فكرة أولية لانتقاء الاعتراض الذي يصادفه من المتلقي⁴، وقد وضعها بيرلمان وتيتكاه في رسالة الحاج،

¹ علي بن عبد العزيز الشبان، الحاج والحقيقة وأفاق التأويل، ص 156

² عبد الله صولة، الحاج أطره ومنطقاته، ص 338

³ سامية الدريدي الحسيني، دراسات في الحاج، قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن، ط1، ص 72

⁴ C.Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, 2021, p53:

«La dissociation est une opération argumentative par laquelle le locuteur scinde en deux une notion élémentaire pour échapper à une objection»

حينما لاحظ بيرلمان أنها أهملت في الخطابة التقليدية، رغم ما تحظى به من أهمية في تحليل الفكر الفلسفي¹.

كما عمل على وضعها على قدم المساواة مع تقنيات الاتصال التي يراها تتعلّق بالبيانات²، بينما يرى أن تقنيات الانفصال تُركّز على المفاهيم، أمّا ك.بلانتان فيخلص بشأن هذه التقنيات أنها ليست نوعاً من الحجج، أكثر ما هي إستراتيجية محدّدة تعتمد على إعادة تعريف المصطلحات³، فهي إستراتيجية مقاومة ضد أي اعتراض أو تناقض، كما تعمل في كل الميادين التي يطرقها المحاجّ بغرض إبراز التناقضات، وتقويض حجج الخصم، وإظهار زيف بعض الأفكار أو المواقف أو عدم دقتها، أو لإبراز جوانب سلبية في موقف معين، كما أنها تساعد على معرفة عدم انسجام العناصر المكوّنة للخطاب ومنها:

2. 2. 1- حجة الظاهر والباطن (L'argument apparence⁴-vérité):

¹ Chaim Perelman, L'empire rhétorique, 1977, p13:

«La dissociation est une technique argumentative qui n'est guère mentionnée par la rhétorique traditionnelle, car elle s'impose surtout à celui qui analyse la pensée philosophique, c'est-à-dire celle qui se veut systématique»

Chaim Perelman, l'Empire rhétorique, p261: opèrent sur des jugements, elles «établissent une solidarité entre les jugements acceptés et les autres que l'on souhaite promouvoir»

² Chaim Perelman, L'empire rhétorique, p411: «..En revanche, les techniques de dissociation opèrent sur des concepts»

³ C. Plantin, Dictionnaire de l'argumentation: «La technique de dissociation est une stratégie spécifique qui repose sur une redéfinition des termes»

⁴ Larousse, Dictionnaire de la philosophie: «Du latin apparentia ou apparitio, de apparere, "être visible", qui a donné d'abord "apparition", puis "apparence", probable traduction du grec phainomai "se manifester, être évident, rendre visible quelque chose à la lumière du jour", apparence, ayant dans les deux étymologies, le sens de phénomène»

لأن ما يبدو عليه الشيء قد لا يكون حقيقته، باستخدام أزواج متقابلة مثل الظاهر/الحقيقة، بمعنى آخر التمييز بين ظاهر القول وباطنه، لأن الظاهر ما يظهر للناس عياناً، أما الباطن فهو ما يخفى وراء الظاهر، وقد يكون كالباطن أو مخالفاً له، وقد شاعت هذه الحجّة بين السفسطائيين، كما كان لهذين المفهومين حضور في البلاغة العربية كإجراء تطبيقي وتنظيري، بتسميات مقاربة لما يعرف بالوصل والفصل، ومخالفة المعنى لظاهر القول أو "التفسير والتأويل" كما ورد عند ابن تيمية (728هـ) الذي يقول: "فأما الأول فلا ريب أنّ العلم منه ما يتعلّق بالظاهر كأعمال الجوارح ومنه ما يتعلّق بالباطن كأعمال القلوب"¹، كما "أوضح ابن وهب المقصود بكل من الظاهر والباطن في كل قسم من أقسام البيان الأربعة.. فالظاهر هو ما أدرك بالحس.. وما أدرك بفطرة العقل.. أمّا الباطن فهو على العكس فهو ما غاب عن الحس، واختلفت العقول في إثباته"²، ويكون أكثر تجلياً في الصور البيانية، أو استخدام جمل اعتراضية لتأكيد أو نفي فكرة ما، كقوله على لسان تابعي الجاحظ وعبد الحميد عن أدباء زمانه: "أهذا على تلك المناظر، وكبر تلك المحابر، وكمال تلك الطيالس*؟"³، ليُظهر مبدأ الفصل تناقضات أوصياء الكتابة بين مظاهرها الخارجية وتنفّرها مع حقيقتها، فعلمها ووقارها المصطنع يتصادم مع جوهرها القائم على الهشاشة والانتفاخ الوهمي، لأنّها "لحاء الشجر، وليس ثمّ ثمر ولا عبق"⁴، كما أنّ "الواقع محكوم بمبدأ عدم التناقض.. فإنّه يصبح من الضروري التمييز بين ما ينتمي إلى الواقع وما يُوهم به"⁵.

1. 2. 2- حُجّة النقيض:

¹ ابن تيمية الحرّاني الحنبلي الدمشقي، رسالة في علم الظاهر والباطن، المكتبة الشاملة الذهبية، م1، ص3-4

² جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص152-153

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص117 (*طيالس: جمع طيلس: رداء يحيط بالجسم يلبسه العلماء والفقهاء، يستخدم كرمز للوقار والعلم)

⁴ المصدر نفسه، ص117

⁵ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص164

إذا كان الشيء جيداً من وجهة نظر، فقد يكون سيئاً من وجهة نظر أخرى في قوله على لسان أبي عبيدة: "ارمهم يا هذا بسجع الكهان، فعسى أن ينفك عندهم، ويُطير لك ذكراً فيهم، وما أراك، مع ذلك، إلاّ ثقيل الوطأة عليهم، كربه المجيء إليهم"¹، فالظاهر أنّ أدباء زمانه سيُعجبون بسجعه ويطير ذكره بينهم، لكن حسب حجّة الفصل فهم سيستقلون ويكرهون مجيئه إليهم، وفي هذا تناقض بين حبهم وكرههم له، لأنّ "الطرائق الانفصالية بالمقياس أو القاعدة التي تُتيح لنا أن نميّز بين الحقيقي والزائف"²

4. 2. 3- حجّة التشكيك في التعريف:

هذا التعريف غير دقيق، فهو يشمل أشياء لا يجب أن يشملها، كتعريفه لشخصيات خصومه فظاهرها لا يعكس باطنها، فالإوزة ظاهرها "الإوزة الجميلة، العريضة الطويلة"³، لكنّها "تُكْنَى أمّ خفيف"⁴، والإفيلي "زيرٌ علم وزنبيل فهم"⁵، لكنّه بعد المناظرة: "علت أنف الناقة كآبة، وظهرت عليه مهابة"⁶، والفقيه: "فيهم فقيه"، لكنّه ذو لقم. رأى الحلوى فاستخّفه الشره، واضطرب به الوله، فدار في ثيابه، وأسأل من لُعابه"⁷

يمكن استخدام تقنيات الفصل والوصل معاً لأنهما أداتان حجاجيتان مهمتان، لكن قد تكون التقنيات الانفصالية وسيلة لتقويض الاتصالية والعكس صحيح، كما أنّ اختيار هذا النوع من الحجج يعتمد على السياق والهدف ونوع الجمهور، إذ تساعد الحجج الاتصالية والانفصالية على بناء حجاج فعّال ومقنع، في مختلف أنواع الخطاب الإعلاني والسياسي

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 117

² علي الشبعان، الحجج والحقيقة وآفاق التأويل، ص 198

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 150

⁴ المصدر نفسه، ص 150

⁵ المصدر نفسه، ص 131

⁶ المصدر نفسه، ص 130-131

⁷ المصدر نفسه، ص 119

والأدبي، كما تعمل على فهم عميق للمفاهيم والأحداث من خلال تحليل العلاقات بين العناصر، كما تستخدم في تحليل النصوص وتقويمها.

خلاصة:

استعان ابن شُهيد بآليات منطقية سعيًا منه لانخراط متلقّيه في العملية الحجاجية، تمثّلت في اختياره لمقدمات حجاجية تنوعت في الرسالة، المناسبة حسب كل قضية ناقشها مع توابعه، باستدعائه المواضع على اختلافها بين المواضع الكمية والمواضع الكيفية، والقيم المشتركة مع مخاطبيه لأنّها من ضروريات الحجاج الفعّال، كما توّسل الوقائع باعتبارها تجارب يستفيد منها المستمع، والحقائق باعتبارها أحداث يُقرّها المتلقي، كما اعتمد تقنيات الحجاج الاتصالية، كتوظيفه الحجج شبه المنطقية منها: حجّة التعريف وحجّة التناقض وحجّة المقارنة، أمّا الحجج التي بُنيت على الواقع كحجّة السبب والاتجاه والشخص وأعماله، بينما ظهرت الطرائق الانفصالية من خلال السياق الذي وردت فيه، إذ قامت على الفصل بين المفاهيم عبر حجّة الظاهر والباطن، متوسلا هذه الحجج لبناء حجاج ناجح فعّال.

الفصل الثالث: آليات الاستدلال المنطقي

1 . الاستدلال المنطقي ودوره في الاستنباط والتوليد

1. 1- الإستدلال لغة واصطلاحا

1. 2- أنواع الإستدلال و مستويات الشواهد

2 . مستويات الشواهد

2. 1- الشاهد القرآني

3. 2- الشاهد الشعري

2. 3- المثل

4 . الجدل والمناظرة

4. 1- الجدل : تعريفه /فائدته

4. 2- المناظرة:

4. 2. 1- المناظرة: لغة واصطلاحا وأخلاقياتها وآلياتها

4. 2. 2- المناظرة في رسالة التوابع والزوابع (مناظرة ابن شهيد الأندلسي لأنف

الناقة تابع الإفيلي والإوزة الأدبية)

1 - الاستدلال (Inférence) ودوره في الاستنباط والتوليد

1.1 - الاستدلال لغة:

يقال استدَل فلان على الشيء: طلب دلالاته عليه، وبالشيء على الشيء: اتَّخذه دليلاً عليه، واستدل على الأمر بكذا: وجد فيه ما يرشده إليه، فالاستدلال طلب الإرشاد والاهتداء إلى المطلوب¹، أما عند علماء المنطق فهو "التوصُّل إلى حكم تصديقي مجهول بواسطة حكم تصديقي معلوم"²، بينما يُطلقه علماء الأصول "عموماً على ذكر الدلائل، وخصوصاً على نوع من الأدلة وهو، كل دليل ليس بنص ولا إجماع ولا قياس علة"³، فالاستدلال عندهم دليل عقلي يُراعي العقل والنقل، فاعتمده في استنباط الأحكام.

انبنى الخطابُ عند البلاغيين والنحاة وعلماء الكلام العرب القدماء، على عدة أنساق منها الاستدلال الذي يتَّسم بميزات وخصائص تُمكنه من بناء النصوص وإنتاج المعرفة، كما سلكوا سُبُلًا استدلالية حجاجية متنوعة، "حيث جاءت أغلب نُصوصهم وخطاباتهم مبنية بناء استدلالياً معتمدين في ذلك على أدوات وقواعد وضوابط عقلية، وأخرى نقلية من أجل إقامة الحُجَّة لإثبات قضاياهم ودعواهم، فقد راحت مختلف العلوم العربية كأصول الفقه، وعلم الكلام، والنحو والبلاغة توظِّف هذه الآلية من أجل بناء نصوصها وإنتاج معارفها"⁴، فالاستدلال كونه أحد هذه الأنساق المنطقية التي تسند العلاقات الحجاجية في الخطاب الطبيعي لأن "سياقه العقلي أي تطوره المنطقي، ذلك أن

¹ الرازي، الفصول في الأصول، دراسة وتح: عجيل جاسم النجمي، وزارة الأوقاف، الكويت، ط2، 1414هـ . 1494م، ج4، ص9

² أسعد عبد الغني السيد الكفراوي، الاستدلال عند الأصوليين، تق: علي جمعة محمد، دار السلام للطباعة والنشر، ط2، 2000، ص22

³ جمال الدين أبو بكر المقرئ (ابن الحاجب)، مختصر منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل، درا وتح وتح: نذير حماد، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط، 2006، ص298

⁴ أبو بكر العزاوي، سلب الكلام وقوة الكلمات، ص142

النص الحجاجي نص قائم على البرهنة.. فإذا أعدنا النص الحجاجي إلى أبسط صورة وجدناه ترتيباً عقلياً للعناصر اللغوية ترتيباً يستجيب لنية الإقناع¹، إذ من خصائصه "احتواؤه على مقدمات لا يشترط التصريح بها كاملة، كما لا يمكن صياغتها وفق نموذج علمي صارم، وهي مقدمات ظنية افتراضية قابلة للمناقشة"²، وقد يكون الاستدلال استنتاجياً أو استقرائياً.

1. 2- أنواع الاستدلال ومستويات الشواهد:

1. 2. 1- الاستدلال الاستقرائي (Inductif): هو منهج تفكير يستند للملاحظة والنظر عبر "تتبع الجزئيات للحصول على حكم كلي (قاعدة عامة)"³، يعرفه الإمام الغزالي بقوله: "هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلية تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكم على ذلك الكلي به"⁴، كقوله على لسان أبي الخطار: أنشدنا "يا أشجعي"، وفي قول أبي الإحسان: أشجعي؟ قلت: أنا ذاك! فاستدعى ماء قراحاً، فشرب وغسل وجهه!"⁵، إذ انطلق ابن شهيد من قاعدة خاصة وهي أنه أشجعي: يستنشده الشعراء، ويُفَيِّقُ السَّكران من نشوته، ليستنتج قاعدة عامة مفادها: كل بني أشجع يُجيدون الشعر، ويستنشدهم الفحول، ويستفوق السَّكران من حبائل نشوته من أشعارهم، ودليل ذلك أن جدَّ أبيه أحمد بن عبد الملك ذو الوزارتين كان "من أهل الأدب البارِع، له قوَّة في البديهة، كان في أيام عبد الرحمن الناصر"⁶، وجدَّه وأباه وعمَّه وأخاه شعراء، وقد أشاد

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 26، 27

² حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عالم الفكر، العدد 1، المجلد 30، الكتاب، الكويت، 2011، ص 97

³ ماهر عبد القادر محمد، المنطق ومناهج البحث، ص 104

⁴ أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1،

1410هـ/1990م، ص 184

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والوابع، ص 106

⁶ المفضل الضبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ج 1، ص 237

بذلك في توابعه¹، مما يُستنتج منه قاعدة عامة: كلّ بني أشجع موهوبين ومؤثرين بشعرهم.

1. 2. 2- الاستدلال الاستنباطي (Dédectif): عملية استدلال تبدأ من مبادئ عامة أو مقدمات مسلم بها، للوصول إلى استنتاجات خاصة تستند إلى التحليل والشرح، عرّفه الرازي (ت370هـ) بقوله: "اسم لكل ما استخرج حتى تقع عليه رؤية العيون، أو معرفة القلوب، والاستنباط في الشرع نظير الاستدلال، والاستعلام"²، كقول ابن شهيد عن كتاب ولغويّ زمانه: "إنّها لحاء الشجر، وليس ثمّ ثمر ولا عقب.. ليس لسببويه فيه عمل، ولا للفرايدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة، إنّما هي لكنة أعجمية"³، إذ استند إلى قاعدة عامة: كلّ الكتاب في زمانه قشور دون لبّ، ولم تظهر عليهم أيّ ملامح للكفاءة والإبداع، ليستتبط منها استنتاجاً خاصاً يتمثل في: إنن الإفليبي (أو الفرضي أو الحنّاطي) مجرد شخصيات موهومة وهي مجرد مظهر.

1. 2. 3- القياس (Analogie): نوع من الاستدلال غير المباشر لأنّ الانتقال فيه من المعلوم إلى المجهول يتم بواسطة ما، للوصول إلى نتيجة معينة، وهو "من أعظم أدلّة المعقول شأنًا"⁴، عرّفه أرسطو ب: "قول قدم فيه بأشياء معينة، فلزم عنها بالضرورة شيء آخر غير تلك الأشياء"⁵، وقد سماه طه عبد الرحمن بـ "الاستدلال الكلامي" في كتابه في أصول الحوار، وهو ما يعرف بـ "القياس والمماثلة"، استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين والفلاسفة، فالقياس "فعالية استدلالية خطابية"⁶، ويعدّ وسيلة حجاجية في

¹ يُنظر: ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص144-145-146

² الرازي، أحكام القرآن، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ج2، ص215

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص117

⁴ أبو الوليد الباجي (403-474هـ)، كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، ص148

⁵ حسن عبد الحميد، مقدمة في المنطق، المنطق الصوري، ج1، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، 1980، ص194

⁶ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص98

الخطاب ليكون أكثر نجاعة وإقناع، والقياس أنواع منه: البرهاني، والمماثلة أو القياس العرفاني، والقياس البياني

1. 2. 4- القياس البرهاني (البرهنة) (Démonstratif): تعتمد مقدماته على القطع واليقين ويسمى البرهان، وهي الحجة القائمة على الاستدلال المباشر والقياس الصحيح، وهي تُقيد اليقين الجازم لكونها مكونة من مقدمات يقينية كالبدهييات والحقائق الحسية، آيلة إلى نتائج يقينية، وهي من أعلى مراتب الحجج، هدفه إنتاج معرفة يقينية، فهي: "استنباط بوجه لتأكيد أو إثبات سبق بنتيجة"¹، أي هي صياغة لحقيقة، وإليهما ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع"²، أي أن الهدف من الأمثلة والحجج المقدمة هي برهنة صحة أو خطأ رأي ما وإقناع المتلقي بذلك، وتتعلق بالحقائق العلمية والفكرية، وهذا هو الفرق بين الحجج والبرهنة³

1. 2. 5- القياس المنطقي (Syllogisme): هو عملية استدلالية تنتقل من مقدمات إما يقينية أو ظنية، ف"هو قول مؤلف من قضايا إذا سلّمت بها لزم عنها قول آخر"⁴، المباشر منه ما كانت مقدمته واحدة، وغير المباشر ما تركّب من عدة مقدمات مرتبطة متداخلة⁵، فهو يُثبت حقائق سبق العلم بها، لكن حصلت الغفلة عن جوانب منها، ومن أمثاله على لسان أبي بكر: "وأقسم أنّ له تابعة تُتجدّه، وزابغة تُؤيّدّه، ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذه

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 26-27

² نفسه، ص 27

³ Charles Ammirati, Principes et méthodes de l'épreuve écrite de français, Etudes d'un texte argumentatif, p14:

«L'argumentation emprunte donc une partie de ses procédés à la démonstration la plus rigoureuse, mais ne peut se passer de la puissance de persuasion du langage. C'est avant tout un art de la communication humaine, qui en appelle à la fois au cœur et à la raison. C'est un art de la parole chaleureuse»

⁴ محمد يعقوبي، دروس المنطق السوري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 1999، ص 123

⁵ يُنظر: حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص 97-98

النفس من هذه النفس. فأما وقد قلتها، أبا بكر، فأصخ أسمعك العجب العجاب"¹، لنمثل لها كالاتي:

المقدمة الكبرى: أقسم أن له تابعة تُنجده، وزابغة تُؤيده

المقدمة الصغرى1: ليس هذا في قدرة الإنس

المقدمة الصغرى2: لا هذه النفس من هذه النفس

النتيجة: أصخ أسمعك العجب العجاب

1. 2. 6- القياس الخطابي (Rhétorique):

هو الحجة القائمة على مقدمات مبنية على الظن الزاجح، لكنها غير ملزمة للخصم، والظن الزاجح على مراتب أعلاها قريب من اليقين وأدناها قريب من الشك، وهو موجّه لإقناع الجمهور أو التأثير فيهم، ويسمى كذلك نسبة إلى الخطابة أو الخطب، يستخدمه الخطباء والساسة للتأثير في العامة، كما يستخدم في سياقات تهدف إلى ترغيب الناس في الخير وتنفيرهم من الشر، وتردُّ الحُجج الخطابية غالباً مقترنة بالحجج البرهانية أو الجدلية لبرهنة حقيقة ما، وقد جمع أرسطو مجموعة من البراهين الخطابية تحت ما ترجم بالقياس المضمراً أو enthymème"²، و"إن شئت فقل هو عملية توليد للمعنى"³، وهو يتسع ليشمل التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية، وهذا ما أكده غير واحد من البيانين،

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص88

² محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية. الخطابة في القرن الأول نموذجاً، ص71

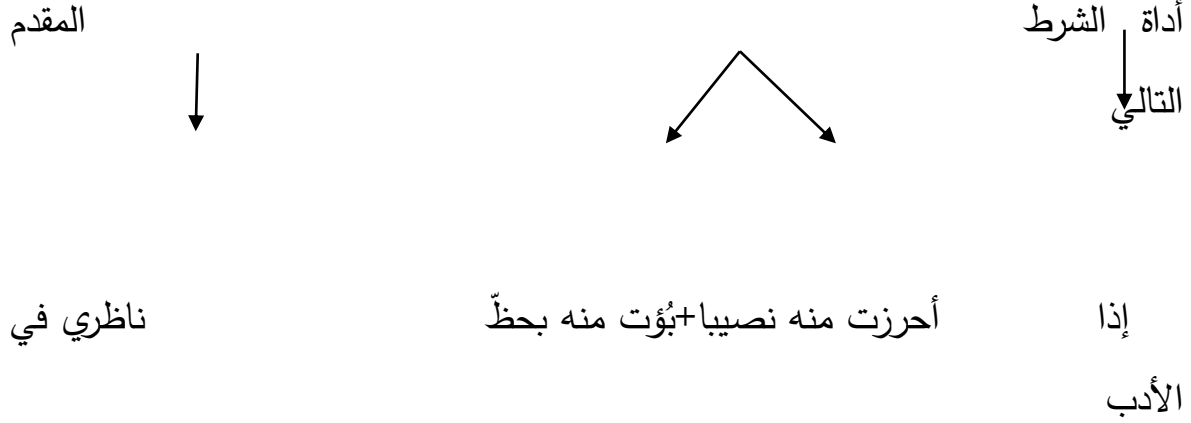
³ علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج، رسائله نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 18-03-2010، ص64

لأنّ القياس استدلال¹، وتتعلق بالأحكام الفقهية والنظريات العلمية المادية، كما تصلح لإقناع المستمع بوجهة نظر معينة

1. 2. 7- القياس الشرطي (Conditionnel):

هو "استدلال غير مباشر"² والقضية الشرطية "هي ما حكم فيها بوجود نسبة بين قضية وأخرى أو عدم وجود نسبة بينهما"³، تتركب من "جزئين تربط بينهما أدوات الشرط. والجزء الأول من القضية الشرطية يسمى المقدم أما الجزء الثاني فيسمى التالي"⁴، وينقسم إلى القياس الشرطي المتصل، والشرط المنفصل، فالقياس الشرطي المتصل هو ما "يلزم من تحقق الشرط تحقق الجزاء"⁵، فيجتمع "الطرفان في الوجود وفي العدم"⁶، ومن أدواته "إذا) و(لو) التي تدخل في الإمكانيات البعيدة عديمة التحقق"⁷، وقد وظّف ابن شهيد هذه التقنية لإثارة عقل المتلقي، مع ربط العلة بأسبابها، وقد أكثر من الاستدلال الشرطي بـ(إذا)، كقوله مُناظرا الإوزة: "فإذا أحرزت منه نصيبا، وبُوت منه بحظّ، فحينئذ ناظري في الأدب"⁸، نمثّل له على النحو الآتي:

¹ السكاكي ، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، ص503-506
² ينظر: ألكسندرا غيتمانوفا، علم المنطق، مكتبة الطالب، دار التقدم، موسكو، 1989، ص182(القياس الشرطي ص205-234)
³ ماهر عبد القادر محمد، المنطق ومناهج البحث، ص55
⁴ عبد الرحمن الأخضر، مبادئ علم المنطق، منار، دمشق، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، ص78
⁵ السكاكي مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص493
⁶ أبو عبد الرحمن الأخضر الأخرى، مبادئ علم المنطق، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، 2005، ص78
⁷ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص364
⁸ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص152



وقد ظهر في مواقع كثيرة من الرسالة كقوله: "فإذا دعتك نفسك إلى القول فلا تكذّ قريحتك"¹، وفي قوله عن كتاب زمانه: "لو فرشتُ للكلام فيهم طولقا*"، لكان أرفع لي عندهم، وأولجُ في نفوسهم"²، وفي وصف الثعلب يقول: "إذا رأى الفرصة انتهزها، وإذا طلبته الكُمة أعجزها"³، وعليه نخلص أنّ ابن شهيد في التوابع سلك الكثير من الآليات الإنتاجية في تناوله لبعض القضايا، لضمان صحّة القول وتماسكه

2 - مستويات الشواهد (Les citations) :

تعدّ الشواهد من الحُجج المؤسّسة للواقع، ويمكن أن تُسمّيها التقنيات أو الآليات النقلية، إنّها أساليب تعتمد على نقل المُحاجج الشواهد"⁴ في استهدافه لمتلقي الخطاب، ضمن سعيه الدائب للتأثير عليه، عبر إثارة تلك الأصوات، وتحريك تلك التراكمات من مكانها، لهذا أطلق عليها أنطوان كومبانيون (A. Compagnon) في كتابه اليد الثانية (La seconde main) مصطلح: (الشاهد/التحريض والإثارة) بتمائلها الصوتي والدلالي⁵، كما يرى الشاهد

¹ ابن شهيد، رسالة التوابع والزوابع، ص101

² نفسه، ص116 (طولق: نبات)

³ نفسه، ص128 (*الكُمة: الفرسان الشجعان)

⁴ عبد الرحمن أحمد السبت، حجاجية المناظرات الأدبية: المناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصري، مقارنة أسلوبية، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد11، العدد2، 2017، ص704

⁵ Antoine Compagnon, La seconde main: ou, le travail de la citation, éditions du Seuil, Paris, 1979, p44:

في جوهره استعارة¹، من خلال استدعاء سلسلة من النصوص والأشكال التعبيرية ذات قداسة بالنسبة إليه، "فقد تكون الإجماع أو الرأي العام أو العلماء أو الفلاسفة أو الكهنوت أو الأنبياء، وقد تكون هذه السلطة غير شخصية impersonelles مثل العلم والعقيدة والدين.. الخ"²، فتوظيف الشواهد يكون لـ"ما تضمنه من طرائق استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم"³، وبالتالي ينضمُّ المُحاجج إلى مصفوفة صاحب الأطروحة، إذ تُشكّل ضرباً من الحجاج بالسلطة (Arguments d'autorité)، الذي يندرج تحت صنف الحُجج القائمة على بنية الواقع (Arguments basés sur la structure du réel)، إذ يستعمل بيرلمان (Perelman) حُجج السلطة لتقوية المصادقية وتعزيدها (renforcer la crédibilité)، وتسهيل الإقناع (faciliter la persuasion)، وإعطاء الانطباع بالحقيقة (créer une impression de vérité)، كما تعمل على تبسيط التعقيد واللبس (simplifier la complexité)، لما تتمتع به من وُجوه سُلطويّة، وما تُعطيه للمرسل من فُرص للإفحام، لهذا يعمد المُحاجج إلى توظيف "الشاهد ويُورده حُجّة على كلامه، ممّا يجعله في معنى الخبر اليقين والحُجة القاطعة، وتخلص الحق من الباطل. فالشاهد يتمتع بقدرة فائقة على الاحتجاج وتحقيق اليقين"⁴، وكون النص كما يذهب إليه رولان بارت (R.Barthes) "نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء، من اللغات الثقافية السابقة، أو المعاصرة، التي تخترقه بكامله"⁵، بينما يرى تدوروف (T.Todorov) أنّ ما من

«Toute citation est une incitation»

¹ Antoine Compagnon, La seconde main, p19 :

«Toute citation est encore – au fond ou de surcroit – une métaphore »

² عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته، ص335

³ عبد الله البهلول، الشاهد الديني في مجال الأدب: سياق التنزيل وبلاغة التحويل، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، بيروت، 28 يوليو 2013، ص4 (مقال ص01-28) على: <https://www.mominoun.com>

⁴ المرجع نفسه، ص4

⁵ رولان بارت، درس في السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العال، دار توبقال للنشر، ط2، 1982، ص20، 21..

"أثر إلاّ وهو يحاور الآثار السابقة ويُحوّرها"¹، وعليه فالمتصفّح لتوابع ابن شهيد سيقف على مخزون غزير من تراكمات من الأقوال التي استقاها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر والأمثال، شكّلت "المرجعيات الثقافية التي تحظى بالتفوذ والمصادقية في الحقل الثقافي الذي ينتمي إليه المخاطب"²

1.2- الشاهد القرآني:

يُمثّل الشاهد القرآني "أقوى الشواهد في الثقافة العربية الإسلامية، وتعود قوته إلى كونه سلطة غير شخصيّة، لأنّه العقيدة والكتاب المقدّس لعموم المسلمين، لذلك يشكّل محط إجماع، دونه الحُجج"³، لعلّ أبرز مظهر تجلّى فيه التناص الديني، هو ذلك التفاعل المتناغم مع الموروث عبر التعالق مع نصوصه لرسم "لوحة فسيفسائية مليئة الاقتباسات"⁴، بتلك التلميحات والإحالات، عبر تعالق توابع ابن شهيد مع نص مقدّس: قصة "الإسراء والمعراج"، باتخاذها إطاراً فضائياً ينعنقُ عبرها إلى عوالم راقية، ينشدُ فيها التعالّي والسموّ، حيث تُحقّق الذات تفوّقها ورقّيها بعيداً عن عوالم البشر السفلية، التي تنكّرت لتفوّقه، ورمته بالتقصّص والتلصّص على غيره، فإسراء الرسول . صلى الله عليه وسلّم . في رحلته المباركة إلى سدره المنتهى، كان لغاية المعرفة، واستيعاب آيات الله البيّنات في قوله تعالى: "سُجّان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام

¹ Tzevetan Todorov, Introduction à la littérature fantastique, Seuil, 1970, p10:

«Le texte n'est pas seulement le produit d'une combinatoire, préexistante, il est aussi une transformation de cette combinatoire»

² حسن المودن، دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي، الحجاج مفهومه و مجالاته، ج4، ص20، 21
³ عبد اللطيف عادل، خطاب المناظرة في التراث الإسلامي - مقارنة لآليات بلاغة الإقناع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، 2004، ص52

⁴ محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 1985م،

إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئريه من آياتنا"¹، وإثباتا لمُعجزته ونبوّته عبر إسرائه ليلا بالبراق نحو السّموات العُلا، فابن شهيد عرّج إلى عوالم الجنّ "التوابع والزوابع" في رحلة أفقيّة، مع صاحب منهم يُدعى "زهير"، عبر "الأدهم" الجواد الذي امتطاه، إذ يصفه بـ"دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفر بهما رجليه.. فيحملني عليه"، ليطيّر بهما محلّقًا، "وسار بنا كالطائر يجتاب الجوّ فالجوّ، ويقطع الدوّ فالدوّ، حتى التمحت أرضا لا كأرضنا وشارفتُ جوا لا كجوتنا"² لينطلقا إلى "وادي الأرواح (عبر) وادي العبقرية والنبوغ، حيث عالم الحقائق والسموّ والإنصاف في الحُكم، فتوابع الشّعراء وزوابع النّقاد والخطباء، سيُعلنون على الملأ ما أنكره حُسادُه ورُصّاده في عالم البشر، وسيُثبتون ما يتمتّع به من موهبة وإعجاز أدبي، بل سيجيزونه شاعرا خطيبا كما فعل تابعي الجاحظ وعبد الحميد، إذ كان مرماه من هذه الرسالة أمران: "الأول هو الافتخار والاعتزاز بالنفس، والثاني، هو التنديد بالخصم والحساد وتأييهم"³، فهذا التعالق بين الرّحلتين . مع ما بينهما من بون واختلاف . كان لمقصديّة تحقيق الذات، وإثبات المقدرة الإبداعية الخارقة التي يُنكرها خصومه، ومن ثمّ إفحامهم وتفنيد مزاعمهم، عن طريق توظيف الشّاهد القرآني، عبر تحويل سياقه فيما يخدم منطلقه الحجاجي، لأنّ قوّة الشاهد القرآني تتأتّى من كون "حُكمه في صعوبة فسحه وتعذّر دفعه"⁴.

كما استدعى ابن شهيد شاهدا قرآنيا آخر، في معرض احتجاجه على ما رماه به صديقه أبو بكر من تشكيك في قدراته، مُبطنٌ بحسد خفيّ متسائلا: "قللت: كيف أوتي الحكم صبيا، وهزّ بجذع نخلة الكلام فاساقط عليه رطبا جنيا؟"⁵، من قوله تعالى: "يا يحيى

¹ سورة الإسراء، الآية: 1

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 91

³ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ص 340

⁴ صالح بن رمضان، أدبية النص النثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان، سوسة، تونس، 1990، ص 51

⁵ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 88

حُذِّ الكتابُ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا"¹، وفي قوله تعالى: "وَهَزَبْنِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا"²، كما استلهم معناها في وصفه الفقيه، وهو يتناول صنوفا شتى من الحلواء: "من أين لكم جنى نخلة مريم؟"³، كما استعار من الشاهد القرآني في قوله تعالى: "القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة"⁴ أهوال يوم القيامة، حينما تفرغ الساعةُ النَّاسَ بعظمتها وهولها، لِيُوظَّفَهُ مَجَسَّدًا حَالٌ وَهَيْئَةٌ الْفَقِيهِ وَهُوَ يَلْتَهُمْ حَلْوَى الْقُبَيْطَاءِ: ".وانتهشها بالنَّابِين، فصاح: القارعة ما القارعة؟!"⁵، لِيُقْنِعَ الْمُتَلَقِّي . عبر ما تتمتع به الآية من قُوَّةٍ إقناعية تأثيرية . أَنَّ الْفَقِيهَ فَقَدَ السَّيْطِرَةَ عَلَى ضَبْطِ النَّفْسِ وَهَدْوئِهِ، رَغْمَ مَا يَتَّظَاهَرُ بِهِ وَأَمْثَالِهِ مِنْ هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ وَمَرْكَزٍ مَرْمُوقٍ، وَأَصَابَهُ مَا يُصِيبُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ اضْطِرَابٍ وَأَهْوَالٍ، حَتَّى سَلُوكِيًّا فَهُوَ يَنْتَهَشُ الْحَلْوَى بِالنَّابِينِ وَيَصِيحُ: الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ، لِأَنَّهُ يَدْرِكُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ "باعتباره أقوى النصوص سلطة في ثقافة المتكلم والمخاطب على حد سواء"⁶، سعى عبر هذا التعالق مع الآيتين لإقناع مُناوئيه وخصومه، بما يتمتع به من موهبة ربانية وإلهام فطري منذ صباه، حرص في الكثير من مناظراته لهم على دحض أطاريحهم، بشواهد دينية تُقيم عليهم الحُجَّةَ، بل ويحاصرهم لتحقيق مقصده، خاصة أَنَّ خصومه من اللغويين يترصدون أخطاءه، بل إنَّهم يتصيّدونها ليذيعوها كمفخرة من مفاخرهم في مجالسهم أو أمام تلاميذهم، وهو ما لا يفتأ ابن الإفليلي في فعله، في قوله: ".وهل كان يضربُ أنف الناقة، أو يُنقص من علمه، أو يفلُّ شفرة من فهمه، أن

¹ سورة: مريم، الآية 12

² سورة: مريم، الآية 25

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 121

⁴ سورة القارعة، الآيات: 3، 2، 1

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 120

⁶ حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ص 34

يصبر لي على زلّة، تمرُّ به في شعر أو خطبة، فلا يهتف بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة* من طراميده؟¹، كما أنّ الإفليلي "كان أشدّ الناس انتقاداً للكلام"²

ولوعيه بأنّ هذا النوع من الشواهد "كثيرة الشيوخ ثابتة الطاقة الحجاجية"³، خاصة في خطاب الأخلاق والمعاملات والعادات وتوظيف هذه الآية من سورة الجمعة: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"⁴، يتعلّق معها تشبيه ابن شهيد لخصومه من اللغويين والنقاد والفقهاء بالحمار الذي يحمل أسفارا، دون وعي منه بمعرفة قيمة ما يحمل من علوم ومعارف، هؤلاء الخصوم الذين كثيرا ما وصفهم ساخطا عليهم مرة بالبعير وأخرى بالقرد وغيرها بالحمار، يقول عن معلّمي ولغوي قرطبة: "وقوم من المعلّمين بقرطبتنا ممّن أتى على أجزاء من النحو، وحفظ كلمات من اللغة، يحنون على أكباد غليظة؛ وقلوب كقلوب البُعران، ويرجعون إلى فطن حمئة، وأذهان صدئة، لا منفذ لها في شعاع الرقبة، ولا مدب لها في أنوار البيان. سقطت إليهم كتب في البديع والنقد، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص على الإيقاع، والزمر على الألحان، فهم يصرفون غرائبها فيما يجري عندهم تصريف من لم يُرزق آلة الفهم، ومن لم تكن له آلة الصناعة، مما هي مخصوصة بها، لا تقوم تلك الصناعة إلا بتلك الآلة، فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضرب العود والطنبور، لتوتّد رُسغه، واستدارة حافره، ولا له بنان يجسُّ به على دستبان"⁵، لأنّه يعي أنّ "ما يمكن تأكيده أنّ الشاهد القرآني يتوسّل بصفته حُجّة مثبتة تضمن التعضيد لرأي ما"⁶، كما استلهم من الشاهد الحديثي كونه يُضفي شرعية ومصادقية للحجّة، قوله يصف مشهد الفقيه وهو يأكل حلوى تمر النّشا، وكيف

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، تح: البستاني، ص131 (*طرمذة: الصلف والمفاخرة)

² ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص51

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص238

⁴ سورة الجمعة، الآية5

⁵ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، ص 240/239

⁶ عبد الله البهلول، الشاهد الديني في مجال الأدب، ص5

تصدّق عليه وأصحابه، بابتياح أروال منها تجمع أنواعها شفقة ورأفة بحاله: "وقد تجمل الصدقة على ذي وفر، وفي كلّ ذي كبد أجر"¹، الذي استدعاه من الحديث الشريف: "في كلّ كبد رطبة أجر"²، واستعان بكل هذه الشواهد لتقوية موقفه وليدعم أطروحته، كما يعي القيمة الإقناعية للشاهد الديني، وذلك عندما "يتخذ منحى عاطفياً يركّز على إثارة انفعالات المتلقي.. فتغدو الإشارة الصريحة إلى بداية آية أو حديث بمثابة المنبّه الذي قد يخرج المتلقي من انفعالاته، وتعصّبه لأرائه، ويُعيده إلى التفكير مرّة أخرى في رأيه، والتراجع عنه، في ظل وجود سلطة دينية تُخالف رأيه"³، ولكون هذا "الضرب من الشواهد له قدرة إضافية لا تتوفّر في سائر الشواهد، وقيمة بيانية إعجازية، وقدرة احتجاجية فمن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز إقامة حُجّة وقطع النزاع وإرغام الخصم"⁴

2. 2- الشاهد الشعري:

يرتبط الشاهد الشعري بالثقافة العربية ارتباطاً وثيقاً منذ وقت مبكر من تاريخها، لما يختزنه من موروث ثقافي وحضاري، إذ كان ذا سطوة وفاعلية وقوة تأثير، فهو ديوانهم الذي "أقامه الله تعالى مقام الكتب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعاً، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً ولأخبارها ديواناً"⁵، "حتى غدا ثابتاً من أهمّ ثوابتها"⁶ عندهم، كما نقل لنا أبو حيان التوحيدي (ت414هـ) عن ابن نباتة في فضل الشعر قوله: "من فضل النظم أن

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص121

² حديث رقم2334، من صحيح أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، من كتاب المظالم(51)، باب الأبار على الطرق إذا لم يتأدّ بها(24)، تح: مصطفى ديب البغا، ج2، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط5، 1414هـ-1993م، ص870

³ عبد الرحمن أحمد السبت، حاجية المناظرات الأدبية: المناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصري، مقاربة أسلوبية، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد11، العدد2، 2017، ص704

⁴ صالح بن رمضان، أدبية النص النثري عند الجاحظ، مؤسسة سعيدان، سوسة، تونس، 1990، ص53

⁵ محمد الأمين المؤدب، الشاهد البلاغي وإشكالية "النموذج" قراءة في أسرار البلاغة للجرجاني، مجلة جذور، ج5، مج3، نو الحجة 1421هـ - مارس، 2001م، ص385

⁶ المرجع نفسه، ص384

الشواهد لا توجد إلاّ فيه، والحجج لا تؤخذ إلاّ منه، أعني(أن)العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين، يقولون: قال الشاعر، وهذا كثير في الشعر، والشعر قد أتى به، فعلى هذا الشاعر صاحب حُجّة، والشعر هو الحُجّة¹

أبدع أبو عامر في توظيف الشاهد الشعري بجمعه بين الطرافة والبراعة في استدعائه، إذ صرّح في بداية رحلته بميله للشعر والشعراء: "الخطباء أولى بالتقديم، لكّتي إلى الشعراء أشوق"²، ليحاوّر عدداً من توابع فحول الشعر كامرئ القيس، وطرفة بن العبد، وأبي تمام، والمنتبي، والبحتري، وأبي نواس، فهذه الشخصيات وما تتمتع به من سلطة، استغلّها ابن شهيد كحجّة مبطّنة لتثبيت ما يدعو إليه، عبر دراسته شخصياتهم وما أتاهم الله من ملكات فطرية ومواهب عقلية وطباع، "ولابن شهيد السبق في هذا الجانب إذ حاول استخدام العلم والفلسفة لدراسة شخصية الأديب وفهم ملكاته الأدبية، وطبعه، والذي يعتبره ابن شهيد أهم ركن في شخصية الأديب وسرّ بلاغته"³، فصاحب امرئ القيس هو "فارس على فرس شقراء كأنّها تلتهب"، وهو "السيد أولى بالإنشاد"، الذي "تطامح طرفه واهتزّ عطفه" في تواصل مع التراث القديم، عبر استدعاء مسيرة حياته بين أيام الترف والرّخاء في "دائرة جلجل"، وأيام البؤس والشقاء بضياح ملك كندة، ببكاء امرئ القيس على "سقط اللوى فحومل"، بتلك الإحالة على مطلع معلّته الشهيرة، إذ بعد لقائه بعتيبة بن نوفل(السيد/الفارس/الشاعر)، وبعد أن تدارسا الشعر، يصرّح ابن شهيد: "فلما انتهيت تأملني عتيبة، ثمّ قال: اذهب، فقد أجزتك"، وهذا الاعتراف من هذه الشخصية، وما تتمتع به من سلطة فوقية، فإجازتها له هي دعم له في أطروحته التي يُشكّك فيها خصومه، بل ستعمل على إفحامهم، لهذا يرى ك.بلانتان(C.Plantin) بشأن حجّة السلطة (L'argument d'autorité) أنّها تدعّم الخطاب بالتبرير له عبر ما تتمتع به الشخصية صاحبة الخطاب

¹ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص136

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص91

³ كتاب مجلة الرسالة، من الأدب الأندلسي، المكتبة الشاملة، ص49، اطلع عليه بتاريخ 2021/03/24

من سلطة¹، وفي سياق استدعائه فحول الشعر، هذا التناص مع شعر المتنبي حينما سأله الناقد فاتك بن الصقعب: " فهل جاذبت أنت أحدا من الفحول؟ قلتُ: نعم، قول أبي الطيب:

أأخلعُ المجد عن كتفي و أطلبُهُ ، و أتتركُ الغيث في غمدي و أنتجعُ؟

قال لي : بماذا؟ قلتُ: بقولي:

و من قُبّة لا يدركُ الطّرفُ رأسها، تزلُّ بها ريحُ الصّبا فتحدّرُ²

كما عارض البحتري في قوله :

ما على الركب من وُقوف الرّكاب *** في مغاني الصّبا ورسم التّصابي

وذلك في قول ابن شهيد :

وارتكضنا حتى مضى الليلُ يسعى، *** وأتى الصُّبحُ قاطع الأسباب

فكأنّ النُّجوم في الليل جيشٌ *** دخلوا للكُمون في جوف غاب³

كما استدعى من شعر الحطيئة قوله في بني أنف الناقة، وهو يصف أنف الناقة تابع الإفيلي:

قوم هم الأنفُ والأذنانُ غيرهم *** و من يسوي بأنف النّاقة الذنبا؟⁴

¹Christian Plantin,Dictionnaire de l'argumentation,Une introduction aux études d'argumentations,ENS ditions,Argument d'autorité:

«D'une façon générale,l'argument d'autorité consiste à justifier un discours par la qualité de la personne qui tient ce discours, c'est –à– dire par la qualité de son énonciateur»

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 137

³المصدر نفسه،ص 102-103

⁴ المصدر نفسه،ص 124

كما تناول بعض القضايا الأدبية والنقدية: كالإلهام والطبع والصنعة واللفظ والمعنى والسرقات الأدبية والسجع والمزوجة، وإن كان "العنصر النقدي محدود لا يتعدى ما استحسنته ابن شهيد من شعر هذا الشاعر أو ذلك، ومقارنتها بنماذج من شعره ومن نثره هو نفسه"¹، وكان الشاهد عنده "في جوهره تحريك الأشياء الساكنة، وبعث الموات وإخراج الفكر من طور التسليم إلى المساءلة، ومن القبول إلى الرفض..ومن هذه الجهة يكون المعنى الأصلي للشاهد هو معنى الإثارة والتحريك، وهو المعنى القائم في الأصل اللاتيني لمصطلح Citation، وهو من Citare، أي تحريك الشيء ونقله من حال الثبوت والسكون إلى الحركة والحياة"²

دعم ابن شهيد حجاجه بسلطة فوقية لما حدث من اعتراض لأطروحته، كما أن وعيه بالوظيفة الإحالية التي يؤديها الشاهد الشعري، عبر ما يتمتع به من قوة تأثيرية، دفعه لتوظيفه كحجة ملزمة، تحدد الغاية منه التي تتمثل في: "توضيح القاعدة، وتكثيف حضور الأفكار في الذهن، وربما كان الاستشهاد أداة لتحويل القاعدة من طبيعة مجردة إلى أخرى محسوسة"³، كما أن الشعر يمتلك سلطة على النفوس في مجتمع يثق في المنظوم أكثر من ثقته في المنثور، فالشاهد الشعري يرتبط بالثقافة العربية ارتباطاً وثيقاً، منذ وقت مبكر يخترنه من موروث ثقافي حضاري في حياة العربي"⁴، أما في النثر فقد كان للمقامة النصيب الأوفر في التوابع، إذ توشحت الرسالة بسمتين من سمات المقامة، خاصة في أسلوبها الساخر، واعتمادها السجع والبديع، ووجود رفيق للرحلة وهو الجني "زهير"، مع العناية الفائقة باللغة، وقد استلهمها من المقامة الإبليلية لبديع الزمان

¹ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، فصول في الشعر الأندلسي، دارالثقافة، بيروت، ط1، 1960، ص181،

² عبد الله البهلول، الشاهد الديني في مجال الأدب، ص22

³ سعيد علوش، الشاهد الأدبي، مجلة الزمان المغربي، العدد 9. 10، سبتمبر 1981، ص64

⁴ عبد الفضيل، بلاغة الوصية ضمن كتاب بلاغة النص التراثي. مقارنة بلاغية حجاجية. إشراف: محمد مشبال، دار العين للنشر 2013، ص 136

الهمداني¹، حيث خرقها ونماها بما يخدم مقصده، بينما اكتفى في المقامة الحمدانية بمحاكاتها في الأوصاف والنّعوت والأسجاع التي وظّفها عند مناظرته للإوزة الأدبية، وعمل على تحويلها لخدمة السياق الذي وردت فيه، وهو السخرية من خصمه الإفليلي، كما استدعى نصّاً تراثياً، مستغلاً ما ورد فيه من سخرية وتهكّم من الخصم، رسالة الترييح والتدوير للجاحظ، واستلهم من الميثولوجيا اليونانية: قصة الحصان المجنّح الأسطوري "بيغاسوس" (Pegasus) أو بغاز (Pégase) وقد حلق بمجرد ولادته طائراً إلى السماء.. وضرب الأرض بحافره فانثقت نبع سُمّي هيبوكريني² Hippocrene، ذلك الحصان الأبيض الطائر، وهو سريع كالريح، سمح له زوس بالوصول إلى السماء وضمّه إلى مجموعة كواكب.. يعتبرُ رمزا للإلهام الشعري³ والحرية والجمال عند اليونان.

يأتي الشاهد الأدبي . الشعري خاصة . ضمن الأمثلة المختارة التي وظفها ابن شهيد محتجاً بها فيما يذهب إليه من أطاريح، لأنّ للشعر قوته في البناء اللغوي والمعرفي والإقناعي.. أكسبته حجّة قويّة وفعّالة في تحقيق الترجيح، وفي قطع الشغب، وفي إيقاع التصديق⁴ في نفس المتلقي.

2.3- المثال:

يبرزُ المثلُ كآلية استدلالية استقرائية لأنّه ينطلق من معطيات خاصّة (أحداث/تجارب)، لينتهي إلى نتائج أكثر عمومية، عبر تقديم أمثلة ملموسة ومفهومة لدى الجمهور، ومنها يتمّ بناء حجّة أوسع وأشمل منها، حيث "يتمّ الانطلاق من حالة خاصّة

¹ كتاب موجز دائرة المعارف الإسلامية، شوقي ضيف، تاريخ فن المقامة، منشورات المكتبة الشاملة على الشبكة، ص 9575، اطلع عليه بتاريخ 2021/03/24

² ثروت عكاشة، (1990)، المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية: انجليزي فرنسي عربي، القاهرة، بيروت، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ص354

³ طلال حرب، (1999)، معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص107

⁴ عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ط، دار الأمان، الرباط، 2013 م، ص234

يقبلها المتلقي، لننتقل بعد ذلك، من خلال التعميم إلى قاعدة عامة تحتوي الرأي المدافع عنه، لهذا يذهب الجاحظ أنه: "وكفاك من علم الأدب أن تروي الشاهد والمثل"¹، إذ تبرز إستراتيجية الأمثال كطريقة فعّالة لبناء الحجج من خلال الانتقال من الخاص إلى العام، مما يصبغها بالقابلية للفهم والتصديق.

ومن الأنواع الأدبية التي تفاعلت معها الرسالة . عبر التحويل . الأمثال العربية والأقوال المأثورة والقصص والتشبيهات، التي استعان بها ابن شهيد كأساليب لغوية يستخدمها لإقناع المتلقي بفكرته، عبر عرض حالات، أو مواقف محدّدة تعكس قيم ومعتقدات المجتمع وذلك في قوله: "وافق شئ العلم طبقة"، فهذا المثل كونه مألوفاً ومقبولاً لدى العربي، جعل منه ابن شهيد حجة أقرب منه وأسهل لديه في الفهم، ليستخلص منه قاعدة عامة تنطبق على مجموعة أوسع من الحالات، فالتعميم لها يوسع نطاق الحجة، ويجعلها ذات صلة بمواقف أخرى، وقد قصد ابن شهيد منها على أنها نتيجة منطقية، عبر استخدام الحالة الخاصّة كدليل على صحة الرأي العام، فتوافق شئ وطبقة في الأفكار والذكاء، جعله ابن شهيد قاعدة عامة تنطبق على كلّ طالب علم (شئ) وبُغيته العلم (طبقة)، والذي عمل على تحويره وفقاً لمرماه، إذ أضفى عليه خصوصية بإضافة كلمة العلم، متسامياً به عن المحاكاة والاجترار، وهذه الإستراتيجية تجعل الحجة أكثر إقناعاً، لأنها تنطلق من أمثال يعرفها ويفهمها الجميع.

غير أنه كُتّف من استدعاء الأمثال في وصفه الثعلب فهو: "أدهى من عمرو"² و"أفتك من قاتل حذيفة ابن بدر*"، و"بقراط*" في إدامه"، و"جالينوس*" في اعتدال

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص68

² أدهى من عمرو: مثل عن عمرو بن العاص يضرب به في الدهاء/ *أفتك من قاتل حذيفة بن بدر: في حرب داحس والغبراء حينما تراهن حذيفة الغزاري وقيس العبيسي من الأسرع منهما، فكاد حذيفة لداحس في السباق ثم انتهت بمقتل حذيفة وأخيه حمل أزيد من أربعمئة قتيل من فزارة وعشرين من عبس / *بقراط في إدامه: مثل يُشير إلى التعاليم والمبادئ الطبية التي وضعها أبقرط الطبيب اليوناني الشهير/ *جالينوس في اعتدال طعامه: يدعو الطبيب اليوناني

طعامه"، وفي وصفه الفقيه وهو يتناول الحلواء: "ووصل خورنقها بسديرها*" و"فنثرتنا شذر مذر*"، وفرقتنا شغر بعر*"، وتوظيفه المثل في مُناظرته لتابع الإفليلي، كحجّة يسوقها على أنّ أنف النّاقة يشبه الإفليلي في: "قلت في نفسي: العصا من العُصيّة*"، ف"المثل استقراء بلاغيّ، والمثل حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتهما، ويراد استنتاج نهاية إحداهما بالنّظر إلى نهاية مُماثلتها"¹، كما كان هدفه من ذلك إثراء النص، واستعراض قدراته المعرفية . خاصة أنّها محل تشكيك . والنيل من خصومه بالسخرية منهم، وإبطال دعواهم عبر استغلال معطيات هذه الآليات الاستدلالية، "وهكذا تعالقت في هذه الرسالة شبكة من النصوص النموذجية التراثية العربية والإسلامية، وتقاطعت في نسيجها أساليب شتى، فغدت . بذلك . حقلا خصيبا تفاعلت فيه هذه المكونات، وتناسلت فأضفت عليها ثراء، وجاذبية، وشاعرية تغري المتلقي، وتستحوذ على أفهامه"²

3 - الجدل والمناظرة:

يُبين طه عبد الرحمن حد الحجاج أنه "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"³، ومنه تتضح حقيقة الخطاب أنه ليس مجرد الدخول في علاقة مع الغير، وإنّما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاء والاعتراض، وهذا يتطلب من المرسل استشراف أفكار المعارض وحججه ودرجة قبوله لما يعرضه عليه "وهنا لا يكفي المستدلّ بالنظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطب، واقفا

جالينوس إلى الاعتدال في الأكل كما ونوعا/ *خورنقها وسديرها: الخورنق والسدير: قصران عظيمان للنعمان بن المنذر ملك المناذرة اللخميّين في العراق ما بين الحيرة وبلاد الشام لهما شهرة حتى نُسب النعمان إليهما/ *نثرتنا شذر مذر: تعبير لغوي يشير إلى التفرق في اتجاهات متباينة/ *فرقتنا شغر بعر: تعبير يعني مفرّقين و يعرب في محل نصب حال مبنية على فتح الجزأين/ *العصا من العُصيّة: للمثل قصة و مضربه في التحذير من الاستهانة بالأمر الصغيرة أو لتشجيعهم على أمور صغيرة قد تكبر وتصبح ذات شأن، لأنّ العصا كانت عصيّة محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 82¹

² لطيفة بوزيان، تجليات التناص في رسالة التوابع والزوابع، ديوان العرب، كانون الأول، (ديسمبر)، 2017

³ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط، 1958، المركز الثقافي العربي، ص 226

عند حدود ما يتوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلق لما يلقي، فيبني أدلته أيضا على مقتضى ما يتعين على المستدل له أن يقوم به، مستبقا استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلها واقتناع المخاطب بها¹، إذ يتميز مبحث الحجج بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله كالفلسفة والمنطق واللسانيات، كما تتميز بتعددية الأنماط التي منها المناظرة التي تعد آلية حجاجية هامة، فيا ترى على ماذا تأسست؟ وإلى أي الشروط احتكمت؟ وأي الوسائل الإقناعية توسلت لتحقيق وظيفتها؟

3. 1- الجدل: (Dialectique)

ترددت مادة (ج.د.ل) في القرآن الكريم بين جدل، جدال، مُجادلة، وأغلب صيغها تُحيل إلى معنى المخاصمة، كقوله تعالى: "الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِيهِ الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ"² أي تقول طائفة: الحج اليوم وتقول أخرى: الحج غدا، وفي قوله تعالى: "وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ"³ ومعناها خصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، وفي قوله تعالى: "قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَادِقِينَ"⁴، أي خصمتمنا فأكثرتم خصومتنا، وعليه فالجدل لا يخرج عن معنى المخاصمة والمغالبة، فكل خصومة شديدة هي جدل في قوله تعالى: "مَا خَرَّبُوهُ لَئِن لَّا جِدَالَ بَلَّ هُمْ فَوَقَّوْهُ خَصِمُونَ"⁵، أي شديداً الخصومة يلتمسونها في الباطل، ويُعرّف ابن منظور (ت711هـ) الجدل بأنه: "اللدُّ في الخصومة، والقدرة عليها، وجداله أي خصمه، مجادلة وجدال والجدل: مقابلة الحجّة بالحجّة والمجادلة: المناظرة

¹ المرجع نفسه، ص 227 - 228

² سورة البقرة، الآية 197

³ سورة النحل، الآية 125

⁴ سورة هود، الآية 32

⁵ سورة الزخرف 58

والمخاصمة¹، بينما يذهب البغوي(516هـ) أن "الجدال: شدة المخاصمة من الجدل..وقيل:الجدال من الجدالة، وهي الأرض، فكأن كل واحد من الخصمين يروم قهر صاحبه وصرعه على الجدالة"²، والجدل عند الشريف الجرجاني(740-816هـ)هو:"دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو بشبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة"³، كما عدّه "مرء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"⁴، وقيل عن المجادلة:"وهي في اصطلاحهم(أي المناطقة) المنازعة لا لإظهار الحق بل لإلزام الخصم"⁵، "أمّا اصطلاحاً فعرفه بعضهم أنه "معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"⁶، أما بن عقيل البغدادي(ت513هـ) فعرفه بقوله:"والنظر المسمى في عرفهم بالجدل، هو الفتل للخصم عن مذهب إلى مذهب بطريق الحجة.ولا يخلو الفتل للخصم عن مذهبه أن يكون بحجة أو شبهة أو شغب"⁷، أما الجاحظ فقد اعتدّ بالجدل، وعدّه فعالية حجاجية يلجأ إليها المتكلمون، فهو الإيمان بقدرات العقل لإجلاء الحقيقة "فما ينتظر العالم بإظهار ما عنده، والتأثر للحق بما يلزمه.فقد أمكن القول وصلح الدهر، وخوى نجم التقية، وهبت ريح العلماء، وكسد الجهل والعيّ وقامت سوق العلم والبيان"⁸، كما اعتبره أسلوباً ناجحاً في توليد المعارف، بآلياته التي تعمل على كشف الحقائق، وتفعيل الحوار بإعطائه طاقة دفع، تلك الآليات التي "لا تكاد تظهر قوتها ولا يبلغ أقصاها إلا مع حضور الخصم، ولا يكاد

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة "ج د ل"

² البغوي(ت516هـ)، تفسير البغوي "معالم التنزيل"، تح:محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1409هـ-1989م، ج 5، ص646

³ الجرجاني، التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، ص74

⁴ المصدر نفسه، ص75

⁵ الأمين الشنقيطي، رسالة الأدب والمناظرة، ت: سعود الريفى، دار عالم الفوائد، جدة، ط1، 1426هـ، ص272

⁶ عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م، ص466

⁷ علي بن عقيل البغدادي، كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ط، / د.ت، ص1

⁸ الجاحظ، رسالة الفتيا، حققها وعلق عليها: علي أبو ملح، (الرسائل الأدبية)، ص150

الخصم يبلغ محبته منها إلا برفع الصوت وحركة اليد، ولا يكاد اجتماعهما يكون إلا في المحفل العظيم..ولا تجود القوة بمكنونها وتعطي أقصى ذخيرتها، التي استخزنت ليوم فقرها وحاجتها، إلا يوم جمع وساعة حفل¹، غير أن الجدل أحيانا ما يُذمُّ، لأن فيه تغيير للحق وقلبه للباطل، فالجدل المذموم ما يكون لدفع الحق، أو تحقيق العناد أو للبس الحق بالباطل، كما أن كلمة الجدل كثيرا ما تختزن داخلها معنى الخلاف والشجار، أما الجدل بالتي هي أحسن فمحمود بتوسّله الحجج، ومغالبة الخصم بالأدلة والبراهين. وللجدل شروط وآداب منها: "أن لا يتجادل إلا النظيران، ومن لا يكون نظيرا فإنما هو مُسترشد وسائل، زمن ذلك استواؤهما في الأمن والصحة والسلامة، وأن لا يكون أحدهما محصورا بخوف أو حشمة وهيبة، والآخر مبسوطا بأنس واسترسال"²

3. 1. 1- فائدته:

إلزام الخصم وإظهار الصواب، والعصمة من الخطأ في المحاجة، و معرفة طرق البحث والمناقشة معه، كما يُستعان به على فهم أبحاث العلوم، ومعرفة حال المستدلّ وحال المُجيب، ومحل وجوب السكوت ومحل الكلام.

3. 2- المناظرة: (The Debate)

ليست المناظرة مجرد خطاب حجاجي معزول، أو مجرد نوع أدبي خاص ضمن الثقافة العربية الإسلامية، بل هي سمة مميزة لكافة ضروب الثقافة، وتعود المناظرة في التراث العربي الإسلامي إلى الدعوة الإسلامية الوليدة، إذ ناظر الرسول صلى الله عليه وسلم سادة قريش من المشركين، كما تناظر الصحابة "يوم وقف الفرقاء في سقيفة بني ساعدة يحتج كل لأسبقته في الخلافة بكل ما يُبررُ غرضه"³، ثم اتشحت في العصر

¹ الجاحظ، رسالة صناعة الكلام، حققها وعلق عليها: علي أبو ملحم، (الرسائل الكلامية)، ص56

² علي بن عقيل البغدادي، كتاب الجدل على طريقة الفقهاء، ص2

³ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي- مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ص 50

الأموي ببروز "معالم الخطابة السياسية أولا في الصراع حول الحكم"¹، ثم ازدهرت وبلغت أوجها على يد المعتزلة والمتكلمين، "وظهرت صنوف من الخطابات تُقَرُّ بالمناظرة منها فكريا.. بل حيثما وجدت مذاهب ومدارس واتجاهات في مجال من مجالات المعرفة الإسلامية كانت المناظرة طريقة التعامل بينها، وهذا شأن الفقه (باب الخلاف)، والنحو (باب القياس)، والأدب (النقائض) ولم تكن المناظرة وجه تفاعل التيارات التي تنتسب إلى قطاع علمي فحسب، بل طبعت أيضا التعامل بين أهل العلم من قطاعات مختلفة"²

3. 2. 1- المناظرة لغة: بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، نجد أن لفظ مناظرة

مصدر على وزن مُفاعلة، فعله ناظر وهو من أصل ثلاثي (ن.ظ.ر)، ووزن مُفاعلة تدل على التشارك بين طرفين أو أكثر، ورد في لسان العرب: التناظرُ: التَّراوُضُ في الأمر، ونظيرك: الذي يُراوِضك وتنتظرُهُ وناظرُهُ من المُناظرة. والنظير: المثل، وقيل المثل في كل شيء وفلان نظيرك أي مثلك لأنه إذا نظر إليهما الناظر رأهما سواء... والنظير بمعنى الندى... ويقال ناظرْتُ فلانا أي صرت نظيرا له في المخاطبة وناظرْتُ فلانا بفلان أي جعلته نظيرا له³، وعليه فمحمد حسن عبد الله يرى أن تعريف ابن منظور يُحدِّد المناظرة على أنها حوار دون سُطوة أو استكراه، إذ فسّر الترويض على أنه يعني "إعادة التكوين"⁴، أما الباجي فيراه أنه: "الجدل تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه"⁵، وعليه فهي من حيث الدلالة تطلق على عدة معان منها: ناظرْتُ فلانا: أي صرتُ نظيرا له في المخاطبة وذلك إذا باحثته وباريته في المحاجة، ناظرْتُ

¹ المرجع نفسه، ص50

² طه عبد الرحمن، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص69

³ ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، مادة "ن ظ ر"

⁴ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات ضفاف/بيروت، منشورات الاختلاف/الجزائر، دار الأمان/الرباط، ط1، 1434هـ-2013م، ص129

⁵ أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، ص11

فلانا بفلان: أي جعلته نظيرا له، تناظر القوم: نظر بعضهم إلى بعض، تناظروا في الأمر: تجادلوا وتراوؤوا فيه، المناظر: المُجادل المُحاج، والمناظر . أيضا . المثل¹

3. 2. 2- اصطلاحا: فهي في تعريفات الجرجاني(740-816هـ): "النظرُ بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهارا للصواب"²، والتناظرُ: "التراوؤُ في الأمر ونظيرك الذي يراوؤُك"³، أما ابن خلدون(732-808هـ) يربط بين المناظرة والجدل في قوله: "وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، و كل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يُرسل عنانه في الاحتجاج.ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب"⁴، غير أن باسم طاش كبرى زادة(ت968هـ) هو من يقدم تعريفا دقيقا لها، بضبطه خواصها القائمة على المباحثة العقلية التي تتم بين طرفين في مهاد خلافي، وقصدها إظهار الحق أو الصواب في قوله: "اعلم أن المناظرة في اللغة مأخوذة إما من النظر أو من النظر بمعنى الإبصار أو الانتظار، وفي الاصطلاح هي النظر بالبصيرة من الجانبين بالنسبة بين الشئيين إظهارا للصواب"⁵، أما من تعريفات المعاصرين، فطه عبد الرحمن يُقرُّ لها بصبغتها الحجاجية فهي "كل خطاب استدلالي يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة يسمى مناظرة"⁶، وعليه تظهر المناظرة أنها فعالية حوارية تجري بين شخصين يتناقشان حول موضوع "ويتبنى فرضية تُخالف فرضية الخصم، ويحاول دعمها بالحجج والبراهين وإدحاض فرضية

¹ إبراهيم أنيس وغيره، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف، ط 2، 1972، ج 2، ص 932

² علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، ص 298

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن.ظ.ر)

⁴ ابن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ص 362

⁵ طاش كبرى زادة، شرح آداب البحث، مجلة المناظرة، السنة الثانية، العدد 3، يونيو 1990، ص 17

⁶ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 81

الآخر وأدلته"¹، فهي شكل من أشكال الخطاب الاحتجاجي التفاعلي بين المتخاطبين، ولكونها انطبعت في التراث العربي الإسلامي بأصولها وأسسها التي انبنت عليها، مما بوأها تلك المكانة للمناظرة بها، عبر كفايتها الحوارية للمشاركين وأهل الكتاب من يهود ونصارى "إذ لا مناظرة بغير صيغة الخطاب"²، وكثيرا ما تتداخل المفاهيم بين المناظرة والجدل، والسبب في ذلك أن "المناقشة قد تكون في بدايتها مناظرة ثم تنقلب جدلا، وربما يتطور الأمر إلى مُكابرة"³، لأن المناظرة "يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب..والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم، والتغلب عليه في مقام الاستدلال، والمكابرة لا يكون الغرض منها إلزام الخصم..بل اجتياز المجلس، والشهرة أو مطلق اللّجاجة"⁴

3. 2. 3 - المناظرة وأخلاقياتها وآلياتها

أ- قواعد المناظرة:

تُبنى المناظرة كممارسة حوارية يضطلع بها طرفان: "المُعَلَّل" وهو المدّعي، و"السائل" وهو "المعترض" أو "المانع"، على هذه القواعد التي يُلخّصها عادل عبد اللطيف بقوله: "بالمتابعة إذن لبنية المناظرة..يمكن تلخيص أصولها في أربعة شروط وهي:- لا بدّ لها من جانبين(مدّع ومانع تتبدّل أدوارهما بتطور المناظرة)- لا بدّ لها من دعوى(القضية موضوع الحوار والمحاجة)- لا بدّ لها من مآل يكون بعجز أحد الجانبين(الإفحام أو الإلزام) - لكل من الجانبين آداب ووظائف"⁵

¹ حسين الصديق، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، ط، 2000، ص63

² طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، القول الفلسفي، كتاب المفهوم والتأثيل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص23

³ محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط1، ص5

⁴ المرجع نفسه، ص5

⁵ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص171

ب/- آداب المناظرة:

تقوم المناظرة على جملة أدبيات يلتزم بها المتناظران، وقد أشار الباجي (474/403هـ) إلى أهميتها في "باب ذكر ما يتأدب به المناظر كالهئية والأخلاق والكفاءة العلمية للمناظر، كأن "يتوقّر في جلوسه ولا ينزعج من مكانه..ويُقبل على خصمه، فإنه أحسن الأدب، ويحسن الاستماع إلى كلامه"¹، وفي هذا يذهب ابن خلدون: "لما كان باب المناظرة في الردّ والقبول متسعاً، ووكّل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب، يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمُجيب، وحيث يسوغ له أن يكون متسدلاً، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام الاستدلال، ولذلك قيل فيه: إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه كان ذلك الرأي في الفقه أو غيره"²، وقد أجملها البهتي في عشرة آداب* في الرسالة الولدية"³

ج/- غائية المناظرة: تسعى المناظرة إلى طلب الحق كونها ذات غائية معرفية أخلاقية، فهي ليست "جُحوداً لا ينتهي، أو مكابرة متواصلة، إنَّها محكومة ببلوغ غايات وتحصيل فوائد"⁴، إذ تهدف لإظهار الصواب، أي الوصول إلى الحق وتحصيل الفائدة، فليس

¹ أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجج، تح: عبد المجيد تركي، ص8

² ابن خلدون، المقدمة، ص362

³ محمد بن حسين البهتي، شرح الولدية، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، 1961، ص126: "إرادة إظهار الحق، أن يحترز المناظر عن الإيجاز والاختصار والكلام الأجنبي، أن يحترز عن التطويل دفعا للملل، أن يحترز عن الألفاظ الغريبة، أن يحترز عن استعمال الألفاظ المحتملة لمعنيين، أن يحترز عن الدخول في كلام الخصم قبل الفهم بتمامه، أن يحترز عما لا مدخل له في المقصود بعدم البعد عن المقصود، أن يحترز عن الضحك ورفع الصوت والسفاهة، أن يحترز عن المناظرة مع من كان مهيباً ومحترماً كالأستاذ، إذ مهابة الخصم قد تُزيل دقة نظر المناظر وتُشتت تفكيره، أن يحترز عن أن يحسب الخصم حقيراً لئلا يصدر عنه كلام يغلب به الخصم عليه"

⁴ عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، ص170

الغرض منها مجرد "حفظ أي وضع كان وهدم أي وضع كان"¹، كونها تقوم على الحجّة والإفحام بدلا عن العنف والإكراه، إذ من مساعيها تنمية مهارات التواصل والإقناع، والتفكير النقدي، ومهارات الإلقاء، ونشر ثقافة الحوار ونبذ الانغلاق.

3. 2. 4- المناظرة في رسالة التوابع والزوابع:

بعد توطيد السّلطة الإسلامية في الجزيرة الأيبيرية، "وشيوخ اللغة العربية بين المستعربين والمسلمين الجدد ومع الانصراف القوي للشباب إلى الثقافة الإسلامية، واللغة العربية لدرجة اطراح ما عداها من المعارف"²، لاقت المناظرة رواجاً عند الأندلسيين، بسبب قيامها في بيئة خلافية، لهذا وجدت في البيئة الأندلسية ضالتها، فالمجتمع الأندلسي يضمُّ أعراقاً وأجناساً متباينة ومذاهب مختلفة خاصة في لُحمة اجتماعية وثقافية، ميّزتها عن باقي أوربا، "وإن كان للأندلس الإسلامية أن تفخر بأشياء فلا شك أن الحوار الحضاري الذي تمّ على أراضيها بين الشعوب العرقية والدينية في مقدمة ما تفخر به وتزهو"³، كما ازدهرت بها حركة الثقافة والعلوم خاصة في القرون الرابع والخامس والسادس، ويرجع ذلك إلى الفترة "التي عاش فيها العالمان ابن حزم والباجي(474.384هـ) حيث شهدت قصور الأمويين والعامريين(138.422هـ)، والطوائف(479.422هـ) ألواناً من المساجلات التي لم تكن مقتصرة على الشعر والأدب بل تعدّتها إلى باقي العلوم والمعارف"⁴، كما فتح الحكّام والأمراء أبوابهم للمناظرات إذ ضمت مجالسهم الكثير من حلقاتها "كجلسة أحمد بن هود لسماع مناظرة المؤتمن والباجي حول موضوع فلسفي، وجلسة ابن رشيق والي ميورقة لمناظرة ابن حزم للباجي، وجلسة المعتصم بالله لمناظرة

¹ طاش كبرى زادة، شرح آداب البحث، مجلة المناظرة، السنة الثانية، العدد3، 1410هـ-1990م، ص17

² يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر:محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ت.ط، 1996، ص230

³ عبد الله بن إبراهيم العسكر، الجدل الديني في الأندلس، مقال من جامعة الملك سعود، الرياض، 2008، ص4

⁴ طه الحاجري، ابن حزم صورة أندلسية، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، د.ع.ط، 1982، ص53

الفقهاء حول التفسير والحديث¹، ولعلّ أشهرها تلك المناظرات الفقهية التي دارت بين الباجي وابن حزم²، ومن تلك الأجواء التحويرية اخترت نموذج عن المناظرة الأدبية من توابع ابن شهيد: مناظرته للإوزة الأدبية و"أنف الناقة" تابع الإفيلي.

مناظرة الإوزة الأدبية وأنف الناقة:

تُؤسّس المناظرة أخلاقيات التواصل عبر الحوار والمناقشة، باستعمال العقل الذي "يعبر عن تلك الطاقة العقلية المنبئية في أساس صلاحية الخطاب"³، ليبدأ ابن شهيد في إدارة مناظرته لأنف الناقة⁴ والإوزة، بإيضاح الصورة عن المتناظرين، فهما ندان متقاربان فيما سمّاه طه عبد الرحمن "بالتقارب بين المتناظرين معرفة ومكانة"⁵، إذ تعني المناظرة عند ابن منظور "النّديّة" والتراؤض، فالإوزة هي "تابعة شيخ من مشيختكم"⁶ في اللغة، والإفيلي "زير علم وزنبيل فهم وكنف رواية"⁷، ليبدأ الحوار بينهما بشكل مباشر عبر اعتماد السؤال والجواب الدال على حضور الذات المتفاعلة، مع تعضيدها باستعمال الضمائر: المتكلم (قلت/أنا/عندي) وضمير الخطاب (قالت/سمعت/عنك/قال/لم أعرف/لمثلي/طارحني)، وهي "ضمائر أشخاص"⁸، تُحيل إلى المتناظرين وما بينهما من مسافة، التي على خلفيتها تنخرط أطراف المناظرة لتحقيق التقارب بينها، أو لتعميق

¹ أمانة بن منصور، المناظرة في الأندلس دراسة في الأشكال والمضامين، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2011-2012، ص13

يُنظر: أمانة بن منصور، المناظرة في الأندلس دراسة في الأشكال والمضامين، ص17-18-19-20-21

³ محمد نور الدين أفالية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص2

⁴ يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص110/ النجوم الزاهرة، ج4، ص203 (أنف الناقة: هو جعفر بن قريع بن عوف، من تميم، من عدنان جد جاهلي، كان لقبه أنف الناقة، وبه عرف بنوه، وكانوا يكرهون هذا اللقب، حتى قال فيهم الحطيئة: قوم هم الأنف والأذناب غيرهم.. فانقلب مدحا)

طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ص75

⁶ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص150

⁷ المصدر نفسه، ص131

⁸ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص110

تباعدها، وهذه الضمائر تتكفل بتوزيع الكلام بينها وإظهار مواقفها بخصوص القضية، إذ يُمثل ابن شهيد الأدب والبلاغة القائمة على الطبع والموهبة، بينما يمثل أنف الناقة والإوزة الأخذ من شيوخ اللغة مسائل النحو وحفظ الغريب، لأنه "كان حريصا على تحقير جماعة من اللغويين والنحويين الذين عاصروه في الأندلس وناصره الخصومة والعداء"¹، فهذه العلاقة التخاطبية التي يُحددها اختلاف الضمائر دليل على الخاصية الاستدلالية للمناظرة، "بمعنى أن الذي يُحدّد ماهية الخطاب إنما هو العلاقة الاستدلالية"²، كما يُحيل كل ضمير على طرف، ولكل طرف قصد إقناعي يتقلّب بين الادعاء والاعتراض، الذي يكون عبر انتظام التناوب بين المتناظرين: بذلك الاستفهام الافتتاحي الذي يُشكل كما يراه مايير (Meyer) وسيلة "إعداد الآخرين وتهيئتهم"³، بسؤال تابعي الجاحظ وعبد الحميد الذي كان كدعوة للمناظرة، وتحضير المتناظرين بإثارة الخلاف بقولهما: "ما قولك فيه يا أنف الناقة؟" ليجيب: "فتى لم أعرف على من قرأ"⁴، وفي قول الإوزة: "كيف تحكّم في الفروع وأنت لا تحكّم الأصول؟ ما الذي تُحسن؟"⁵، بهذه الاستفهامات الافتتاحية المتتابعة التي أرفقاها (الإوزة/أنف الناقة) بالأفعال الحُكمية (Verdictifs) التي ارتبطت بإصدار أحكام (قولك فيه/لم أعرف/تحكّم/لا تحكّم/لا تُحسن)، لتكشف موقفها منه، بإثباتها أنه لا يُحسن من اللغة شيئا كونها أصول العلم، وفي خضم هذه المواجهة يشتغل النفي آلية للنقض، إذ ساقه الإفليلي والإوزة في سياق المنع والاعتراض، لهذا سمّاه ديكرو وأنسكومبر بالنفي السجالي (La négation polémique)، الذي "يأتي لينفي إثباتا سابقا ويحمل

¹ زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، الفصل الخامس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، 2012، ص 401

² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226

³ Michel Meyer, Les fondements de l'argumentation, op.cit, p51

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص 120

⁵ المصدر نفسه، ص 151

تصحيحاً لهذا الإثبات"¹، رغم أنّ النّفي يتعقّب قولاً سبق ادعاؤه ويغيب في بداية المناظرة لأنّ طبيعته بعدية، لكنّه هنا استبقا به ليستعملاه آية تضطلع بدور تشكيكي عبر استصغار الخصم، بوسمه "فتى لا أعرف على من قرأ" "ما الذي تُحسن؟" بنفي النجاة اللغوية والبلاغية عنه، والتشكيك في مُعلّميه وشيوخه، لأنّ "غلبة الخصم الضعيف وهو أشنع وجوه الإلزام"²، كما سعياً عبره لفتح ثغرات في البناء الإقناعي لخصمه، إذ وظّف هذا النفي بغرض التشويش على الدعوى، فالغاية المقصودة منه إزعاجه وإرباك بنائه الحجاجي، مما يدفعه لبذل المزيد من الجهد لتأكيد صحة دعواه، لذلك يرى أرسطو أنّ "التفنيد ليس دائماً صحيحاً، فقد يكون زائفاً"³، وقد نجح في ذلك بدفع ابن شهيد إلى خرق الحوار، ليلوذ بالصمت في قوله: "فقلتُ لنفسي"⁴، ليس اقتناعاً بما احتجّ به، بل إعادة منه لترتيب خطّته الإقناعية، لأنّ الحوار الداخلي أو ما يصطلح عليه بـ"المناجاة" (Monologue)، "لا يشترط مشاركة خارجية في الحوار، ولا تعاقب في الإرسال والتلقي، بل يلقي من طرف واحد وإليه"⁵، حيث اختلى المُناظر إلى نفسه دون "أن يكون هذا الحوار مسموعاً، وإنما يكتفي فيه -أحياناً- بالهمس والتفكير، والتذكر"⁶، إذ يعلّل محمد سعيد محمد لهذه الصرخة المكتومة في المونولوج لترويح الشخصية عن ذاتها، أو لتُشبع رغبة لم تتحقق، نتيجة انكسارها في واقعها في قوله أنّ: "الإحساس بالجرح في كبريائه بسبب الإحباطات التي وقفت عائقاً في طريقه، لتحقيق المجد الذي يحلم به، وهو الوصول إلى أن يكون كاتباً من كتاب الدولة، ووزيراً من وزرائها، وأعدّ نفسه في أن يكون

¹Anscombe et O.Ducrot, L'argumentation dans la langue, op, cit, p10

² طاش كبرى زادة، شرح آداب البحث، ص22

³ أرسطو، فن الخطابة، ص189

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص120

⁵ محمد سعيد حسين مرعي، الحوار في الشعر العربي القديم: شعر امرؤ القيس أنموذجاً، جامعة تكريت الإنسانية، ع2، 2007، ص3

⁶ إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، ط1، عمان، الأردن، 1424هـ- 2003م، ص183

كذلك، وما يزيد من معاناته أنه يرى من هم أقلّ منه وصلوا لمساعدة المؤدبين، واللغويين، والفقهاء الذين وقفوا في طريقه حين اتهموه بالتحرر، وفساد الأخلاق، والمروق، فألف رسالته هذه للانتقام منهم¹، وفحوى هذه الخطة: إعداد الأدوات والآليات لدحض ما يرمونه به من تشكيك واستصغار لشأنه بقوله: "إن لم تُعربي عن ذاتك، وتُظهري بعض أدواتك، وأنت بين فرسان الكلام"²، فهو يُدرك مسعى خصومه للحيلولة دون تمكينه من إنجاز مداخلات منتظمة، عبر التشكيك والتشويش والإرباك الممارس عليه، فنتيجة ذلك: "لم يطر لك بعدها طائر، وكُنت غرضا لكلّ حجر عابر"³، ليكون الردّ بقطع الحوار الداخلي، والجاهزية لذلك عبر أفعال الممارسة (Exercitifs)، لأنها ترتبط بممارسة سُلطة أو حق أو تأثير في قوله: "أخذتُ للكلام أهبتة، ولبستُ للبيان بزّته"⁴، ليردّ بنفي تبكيّتي (Réfutatif) ضمن ثنائية الاستقبال والإرسال، مُتصيّدًا مدخلا من كلام أنف الناقّة، ليعمل على توسيع الحوار عبر تعميق ما بينهما من مسافة، لأنه "حينما تكون الأطراف المتحاورّة متفكّة لا يبقى هناك ما يقال ولكن عندما يكون هناك اختلاف فالمناقشة تبقى سارية وممكنة"⁵، كما أنّ صيغ النفي هي الأكثر تواترًا في المناظرة، وكان هذا الردّ بالنفي والجدد بإنكار أطروحة الخصم مع فعل التعويض، إذ حوّل ما أنكر لصالح أطروحته في قوله: "وأنا أيضا لا أعرفُ على من قرأت"⁶، إذ يرى طه عبد الرحمن في الاعتراض بالنفي تكون "حجّيته معاكسة في قوّتها الحجّية قول العارض"⁷، ليحصل بين التّقيين تدافع إقناعي، من شأنه تغيير الاعتقاد نحو إثبات آخر ينهض على أنقاض المنفي السابق، حينما يعمد أنف الناقّة إلى سؤال محصور عبر حصره نطاق الإجابة،

¹ محمد سعيد محمد، دراسات في الأدب الأندلسي، دار الكتب العلمية، ط1، بنغازي، ليبيا، 2001م، ص259

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص120

³ المصدر نفسه، ص120

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص120

⁵ Jacques Moeschler, Argumentation et conversation, op,cit,p153

⁶ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص120

⁷ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص44

وهو ما يسمّيه ميشال ماير "بسؤال التحديد" كونه الأنسب للمناظرة، وبما تكتنزه من حمولة معرفية مشتركة بين المتناظرين بقوله: "المثلي يُقال هذا؟" ليردّ عليه أبو عامر ب: "فكان ماذا؟"¹، وهو ما حدث مع الإوزة حين قالت: "ليس عن هذا أسألك" ليُجيبها: "ولا بغير هذا أجوابك"²، ليصل التناؤب الحواري إلى تواتر عال (Fréquence élevée) - بتعبير عبد اللطيف عادل - لما تشهده المناظرة من حرارة في المواجهة، ليكتفها أنف الناقة عبر توّسّله أفعال العبارات العرضية (Expositifs)، وهي أفعال تستعمل في سياق التحليل والبرهنة والاستدلال في قول التابع: "فطارحني* كتاب الخليل، فناظرني على كتاب سيبويه"³، وفي قول الإوزة: "وأنا إنّما أردتُ بذلك إحسان النحو والغريب اللذين هما أصل الكلام، ومادة البيان"⁴، لأنها أفعال حوار قائمة على الاعتراض، وهو أعلى ضروب الإقناع، لتكشف موقفهما وتحدّده عبر طاقتها الحجاجية، وهو العناية بالنحو واللغة وغريبها، بالاستناد إلى سُلطة مرجعية (كتاب الخليل وكتاب سيبويه وابن درستويه)، كونها تحظى بالنفوذ والقوة، فهي "حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها"⁵، ليدحض أبو عامر احتجاج أنف الناقة بقوله: "لقد علّمنيه المؤدبون"⁶ بحجّة أعلى في التصديق والسلطة في قوله: "ليس هو من شأنهم، إنّما هو من تعليم الله تعالى حيث قال: "الرّحمن علّم القرآن خلق الإنسان علّمه البيان"⁷، وفي ردّه على الإوزة حينما أنكرت عليه علمه بالجدل، إذ أكّدت ما ذهبت إليه بخبر إنكاري في قولها: "أقسم أنّ هذا منك غير داخل في باب الجدل.. قالت: أقسم أنّ الله ما علّمك الجدل

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص120

² المصدر نفسه ، ص151

³ المصدر نفسه ، ص120 (*طارح، يُطارح، مطارحة:طارحه الحديث، حاوره، بادلته الحديث، طارحها الحبّ: بادلها الحبّ، طارحه الشعر: ناظره في قول الشعر)

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص151

⁵ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص65

⁶ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص121

⁷ المصدر نفسه ، ص121

في كتابه¹، ليُخبرها أنّ ما أجاب به هو أنفذ سهام الجدل، متوسلاً الحجاج بـ"الحُجّة العليا"² بتعبير طه عبد الرحمن، كونها الأعلى في السُّلم الحجاجي، في محاكاة إبراهيم للنمرود في قوله: "رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ"، ليردّ عليه النمرود: "أنا أحيي وأُميتُ"، ليفحّمه إبراهيم عليه السلام بالحُجّة القاطعة: "فإنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأنتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ"³، وهكذا ضمن ابن شهيد التعضيد لأرائه، كما استعمل الشاهد القرآني في مناظرته لصبغة الإجماع التي يحظى بها، مع ثقله الديني حُجّة مُبطلّة لدعاوى أنف الناقة والإوزة، مما يوحي بقُرب حسم المناظرة الذي يتلوه الصمت أو التسليم، هؤلاء اللغويين الذين يراهم ذوي أذهان صدئة، لا يمتلكون آلة الصناعة، لأنّهم دون فهم ولا وعي في قوله: "وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو، وحفظ كلمات من اللغة، يحنون على أكباد غليظة، وقلوب كقلوب البعران، ولا مدب لها في أنوار البيان. سقطت إليهم كتب في البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد.. فهم يصرفون غرائبها فيما يجري عندهم تصريف من لم يُرزق آلة الفهم، ومن لم تكن له آلة الصناعة، مما هي مخصصة بها، لا تقوم تلك الصناعة إلا بتلك الآلة"⁴، فهو يرومُ تعديل سلوكهم، بالاعتراف بتفوّقه الذي أنكره عليه، كما لم يفته توجيههم إلى أن يقرّر أن سرّ البلاغة ومواطن الفصاحة والبراعة يرجعُ إلى الطّبع والموهبة، قبل أن يرجع إلى استيفاء مسائل النحو وحفظ الغريب⁵ في قوله: "وإنّما يتبيّن تقصير المُقصر، وفضل السابق المُبرّز، إذا اصطكّت الرُّكب، وازدحمت الحلق، واستعمل المقال، ولم توجد فسحة للفكرة، ولا أمكنت نظرة لرؤية، أوفي مجالس الملوك عند أنسها وراحتها، فإنّه يقع فيها، ويجري لديها، ما لا

¹ المصدر نفسه ، ص151

² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 262-272

³ سورة البقرة ، الآية 258

⁴ ابن بسام، الذخيرة في محاسن الجزيرة، ص239-240

⁵ يُنظر: زكي مبارك، النثر الفنّي في القرن الرابع، ص 406-407

ينفع له الاستعداد، ولا ينفذ فيه غير الطبع والغريزة المتدقّة¹، كما "يعتقد أنّ البيان نفحة سماوية لا صلة بينها وبين معرفة النحو والتصريف. وإنّما يجب أن تكون هناك فطرة سمحة وطبيعة سخية"²، يتفق مع ما يذهب إليه الروماني شيشرون (Cicéron)، الذي يرى أن من أهم صفات الخطيب المثالي غير الثقافة والذوق والموهبة، البلاغة التي تكون نعمة طبيعية في الشخص وغير مكتسبة، بل يُلحّ على أن تكون في طبيعته، ولا يمكن تعلمها بقراءة الرسائل البلاغية³، بإفحامه أنف الناقة حين قال له أن الأمر ليس ما تعتقد من إجادة النحو، وحفظ الغريب بل الأمر "أن تتناول الوضع فترفعه، والرّفع فتضعه، والقبيح فُحسّنه"⁴، مُحتجًا لما يقول بتقديمه وصفه لبرغوث، ولثعلب، ودليل ذلك أنهما ممن يتّصف بأسوأ الصفات من الحيوانات، ورغم ذلك ارتقى بهما ابن شهيد في وصفه لهما، فرفعهما وحسّن صورتها رغم قُبْحها، وقد وُقّق في ذلك، "فأعلى رُتب البلاغة أن يحتجّ للمذموم حتّى يُخرجه في معرض المحمود، وللمحمود حتّى يُصيّره في صورة المذموم"⁵، وهكذا تمّ إغلاق هذه المناظرة بينهما حسب تعبيراتها ذات الحمولة الحجاجية (السكوت/ العجز/ الإفحام/ الانقطاع/ البهت/ افتقاد الجواب/ سقوط الاستدلال)⁶، بانتصار أبي عامر عليهما، بعجز الإوزة في قوله: "إِذَا أَحْرَزْتَ مِنْهُ نَصِيْبًا.. فحِينُنْذُ نَاطِرِي فِي الْأَدَبِ"⁷، وانتهت بـ"فانصرفت وانصرفنا"⁸، ممّا يشي بوصولهما إلى تسوية وانسجام

¹ ابن بسام، الذخيرة، ق، م 1، ص 244

² زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، الفصل الخامس، ص 271

³ يُنظر: <https://odysseum.eduscol.education.fr>: Aurore Billard, La rhétorique antique (é) Principes et pratiques de l'art de l'éloquence , (consulté le 02/03/2021)

⁴ ابن شهيد، التواضع والزواضع، ص 125

أبو هلال العسكري، الصنائع، تح: علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص 59

⁶ عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، منشورات ضفاف، ط 1، 1434هـ-2013م، ص 198-199

⁷ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع، ص 152

⁸ المصدر نفسه، ص 152

حجاجي، لأنّ نهاية المناظرة تكون بإحدى الصيغتين كما يسمّيها طاش كبرى زادة إما "إلزام المانع" أو "إفحام المدّعي"¹، وهو ما تحقّق مع أنف الناقة حيث "علت أنف الناقة كآبة، وظهرت عليه مهابة، واختلط كلامه، وبدا منه ساعتئذ بواد في خطابه، رحمه لها من حضر، وأشفق عليه من أجلها من نظر"²، منهم أبو الآداب صاحب أبي إسحاق بن حمام، لما رآه قد أفحمه مُبدياً شففته بقوله: "وهل يضرُّ قريحتك، أو ينقص من بديهتك لو تجافيت لأنف الناقة، وصبرت له؟ فاتّه على علّاته زير علم، وزنبيل فهم، وكنف رواية"³، ليظهر مسعاه من مناظرتها: إقناع علماء اللغة والنقاد والفقهاء في عصره بمنهجه الخاصّ المتمثّل في عدم الاعتداد بكثرة الأخذ من الشيوخ، ورفضه أساليب التعليم التي جرى عليها مؤدبو عصره، ورفضه كثرة النقل من كتب اللغة وحفظ الغريب منها، فابن شهيد يُناظر لمدرسة تُطلق الإبداع للأديب، وتراه يعتمد على الموهبة والطبع، لأنّ "إقامة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو، بل بالطبع مع وزنه من هذين.."، أما الأذواق والملكات فتتفاوت وتتأثر بالبيئة والظروف، "وبالتالي في النتائج الأدبي، وبيّن أن فساد الأزمنة ونبوّ الأمكنة وانتشار الفتن تجعل الفهم سلعة بائنة والفن صفقة خاسرة"⁴، وكما يرى: "أن لكل مقام مقالاً فكذلك لكل عصر بيان، ولكل دهر كلام ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة لا يوافقها غيره ولا تركز لسواه"⁵، كما اتّسحت المناظرة عند ابن شهيد بملامح المناظرة عند الأندلسيين، إذ أضفوا عليها "أسلوبهم الخاص الذي غلبت عليه رقة الطبيعة والأجواء الأندلسية

¹ طاش كبرى زادة، شرح آداب البحث، ص21

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص130-131

³ المصدر نفسه، ص131

⁴ منجد مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، مؤسسة السياب، لندن، ط3، 2012،

ص392

⁵ نفسه، ص392

الساحرة"¹، كما انعكس الازدهار الحضاري بكل أوجهه في القرن الرابع الهجري على المناظرة التي أصبحت "من أهم الفنون النثرية التي أبدع فيها الأندلسيون"²، والمتأمل في المناظرات التي عرفتها الأندلس "سيجدها قد لامست جوانب من الحياة متعددة على غرار نظيرتها المشرقية"³، وإن سعت حديثاً لتكون إنتاجاً أندلسياً خالصاً .

خلاصة:

وظّف ابن شهيد الاستدلال كونه أحد الأنساق المنطقية التي مكّنته من إنتاج خطابه، باعتباره متواليات من الأقوال والجمل بعضها بمثابة الحجج، وبعضها ناسب النتائج، ومن الأقيسة التي اعتمدها القياس الإستنتاجي والقياس الاستنباطي التي أتاحت له الحصول على أحكام عامّة أو الحصول على استنتاجات خاصّة، كما استعان بالقياس الخطابي والقياس الشرطي لتوليد المعارف، أمّا القياس الأكثر شيوعاً في الرسالة كان قياس الشاهد، باعتباره يمارس دوراً فعّالاً في إنتاج المعرفة وبناء الخطاب، وتعزّيد الإقناع لما يحظى به من سلطة وإجماع، إذ استدعى الشاهد القرآني لتعزيز فرص إقناع خصومه، كما أنّه يُعتبر أقوى حجّة سلطوية ونفوذ، أمّا الشاهد الأدبي فقد آثر الشعري منه ليهيمن على الرسالة، لما يستند إليه من اعتداد ونفوذ، وما يختزن من موروث حضاري أدبي في الثقافة العربية، كما التقت الرسالة مع الأسطورة والمقامة، وتعزّيزاً منه لفرص الإقناع استدعى من الموروث العربي الجماعي بعض الأمثال، كما بيّنت مناظرته للغويّ ونقاد وكتّاب عصره (أنف الناقة/الإورّة..). صورة المتكلم الذي امتلك ناصية اللغة، وقدرته على إدارة المناظرة في اللغة والنقد والبيان.

¹ غيداء مارديني، المناظرات الخيالية في المشرق والمغرب والأندلس، م.س، ص 435

² منجد مصطفى بهجت، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص 147

³ آمنة منصور، المناظرة في الأندلس الأشكال والمضامين، دار الكتب العلمية، ط1، 2012، ص 21

الفصل الرابع: آليات الاستدلال البلاغية

(أ) الاستراتيجيات البلاغية في الرسالة:

1 . الاستعارة

2 . التشبيه

4 . الكناية

5 . الأفعال الكلامية

6 . الخبر والإنشاء

6 . المحسنات:

6-1- السجع

6-2- الجناس

6-3- الطباق

(ب) - أنواع المقامات في الرسالة:

(أ) المقام السياسي (ب) المقام الاجتماعي (ج) المقام الأدبي كالمدح والسخرية

الحجاج آلية تعبيرية من آليات الخطاب الإنساني باللغة المكتوبة أو المنطوقة، إذ يُعدّ الحجاج أبرز الطرائق التبليغية، بذلك الثراء والتنوع في أساليبه الإقناعية بين أفعال لغوية وأساليب بلاغية منطقية وشبه منطقية، وعليه تظهر حمولة الحجاج البلاغي المشحونة بتلك الآليات البلاغية التركيبية والبيانية والإيقاعية "فلا حجاج بغير مجاز"¹، وقدرتها على تحقيق الحجاج عن طريق التأثير والاستمالة والإثبات والاستدلال، ومن ثمّ ضمان الإقناع بما خطّط له الخطاب من غايات وأهداف، وللكشف عن حجاجة النص من عدمها، تكمن في تبيان ترسانة من الأدوات اللغوية والأساليب البلاغية ولهجة الخطاب وأطروحاته المتوخّاة من لدن المحاجج، لهذا يرى روبول (O.Reboul) أن كل ما في الرسالة اللغوية المكتوبة والمسموعة والمرئية من وحدات تكوينية هي "حجة في ذاتها حتى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثفة.. وبالمثل فالبلاغة لم تعد لباسا خارجيا للحجاج بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصة"²

أ/- الإستراتيجيات البلاغية:

حجاجية الصورة وهي ما يمكن أن يتم القياس من خلاله بلاغياً، كالتشبيه والاستعارة، لهذا يُسميها بعضهم بالقياس، الذي هو "جنس تحته أنواع متعددة من التصنيفات التي تتعدّد بتعدّد مستوياتها في القوّة والثاقّة"³، كون هذه الصور قياسات يسوقها المتكلم حجة على صحة المعنى، مع ما يرافقها من إقناع للمخاطب وتأثير فيه؛ وهي بذلك تكون وسائل حجاجية مهمة في الخطابات، إذ "وراء كلّ حجاج بلاغة، والعكس صحيح، لأن مدار ذلك هو الإغراء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع"⁴ للمتلقّي، بذلك

¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 243

² أوليفي روبول، هل يمكن أن يكون حجاج غير بلاغي، تر: محمد العمري، علامات، ديسمبر، 1996، ص 77

³ محمد آيت حمو، الجدل واستيلاء اليقين، قراءة في الكافية في الجدل للجويني، مجلة المنهاج، ع 59، السنة 15، خريف 1431هـ-2010م، ص 173

⁴ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ج 3، ص 45

المزج بين بُعديها الجَمالي والحِجَاجي، إذ تأتي الصياغة اللغوية البلاغية لتساعد على الإقناع والإمتاع، فالبلاغة استعمال خاص للغة، وقد وضَّح ذلك أرسطو فقال: "لا يكفي أن نعرف ماذا نقول، بل لا بد أن نعرف كيف نقوله ببيان بليغ؛ حتى نؤثر في عواطف السامعين"¹، ليمثل قوة في اللفظ والمعنى معا، "إنَّه خطاب ينقل العقل من المعنى في الحالات التصويرية العادية إلى الحالة التصديقية، فهو بمثابة إحضار المعنى المطلوب ليشاهد في الواقع"²، فالفنون البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية وإن كانت آليات هدفها الأساس الإمتاع، لم تعد تكفي بدورها كحلية يترنن بها الكلام، فهي حاملات للحجاج، تطرح الفكرة طرحا مؤثرا ومقنعا، بما تكتنرُ به من طاقات حجاجية هائلة غايتها الإقناع والإذعان؛ إذ أن وظيفة الحجاج هي: "ترتدُّ إلى طرح الحجج التي تضمن النفاذية للخطاب، وبالتالي حصول الاقتناع الفعلي بالقضية المطروحة، وهذا يعني توظيف الآليات التي تجتاز الاعتقاد الأولي نحو التغيير وبناء موقف مغاير"³، ولتكون الصورة حجاجية بنفاذية عالية، يجب أن تكون ذات آثار انفعالية، أي قابلة أن تحرك في المتلقّي مشاعر معيّنة، وبالتالي تحمله على تبني قناعة ما، وإظهار استعداد لقبول خطاب المرسل، أو تغيير في مُعتقداته، لأنَّ الصورة الحاملة على العمل النَّابع من رغبة فيه ومن اقتناع به، تصبح بديلا عن الفعل في صيغته الأمرية.

¹ أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح: عبد الرحمن بدوي، لبنان، 1979، ص؟

² علي محمد علي سلمان، الحجاج عند البلاغيين العرب، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، 1 / 177 . ص179

³ عبد الحليم بن عيسى، البيان الحجاجي وإعجاز القرآن الكريم، سورة الأنبياء أنموذجا، العدد102، 2006، دمشق، ص37

1- حاجية الصورة التشبيهية:

1.1- التشبيه لغة:

"التمثيل، والشَّبه، والشَّبه، والشَّبه: المثل، والجمع أشباه وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله"¹، أمَّا اصطلاحاً: فقد عرّفه عبد القاهر الجرجاني(ت471): "بأن تُثبت للمشبه معنى من معاني المشبه به أو حكما من أحكامه"²، أما الخطيب القزويني(ت739هـ) فيراه: "هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى، والمراد بالتشبيه ها هنا: ما لم يكن على وجه الاستعارة الحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد"³، ويعقد التشبيه "بواسطة أداة من أدوات التشبيه كالکاف ونحوها، أي التماثل بينهما عن طريق عقد مقارنة بين طرفين لاشتراكهما في صفة من الصفات، أو حال من الأحوال للصورة التشبيهية دور في الإقناع، بالتأثير في نفسية المتلقي ووجدانه، حيث يقوم التشبيه بدور حاجي كبير، من خلال تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي، فيقتنع بالفكرة التي يريد المخاطب توصيلها؛ إذ تكمن وظيفته داخل الخطاب في: "تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حيا، ومن ثم فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يريد المصور، فإن أراد صورة متناهية في الجمال والأناقة شبه الشيء بما هو أرجح منه حسنا، وإن أراد صورة متداعية في القبح والتفاهة شبه الشيء بما هو أردأ صفة"⁴، وتتراوح قوة التشبيه الحاجية بين حذف عناصره وذكرها، مع المقام الذي يرد فيه، إضافة إلى مُرسل الخطاب ومضمونه ومتلقيه؛ إذ يُعدُّ التشبيه "طريقة حاجية تعلق قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، فلا يرتبط

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش.ب.ه).

² عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص78

³ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح وت: غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب

العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص147

⁴ محمد حسين علي الصغير، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم، دار المؤرخ العربي، لبنان، بيروت،

1991، ص87

التمثيل بعلاقة المشابهة دائماً، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة¹، فالتشبيه الحجاجي يعدُّ حُجَّةً قياسية تستميلُ القلوب، وتأسر العقول، فهو لا يؤتى به ليكون زينة زخرفية تحسنيّة، بل ليزيد المعنى وضوحاً، فيقتنع به المتلقي، بتلك المزيّة الإقناعية والجمالية عن طريق قوة التصوير، وبلاغة التعبير عن المقصود؛ وذلك لأنّ الصورة التشبيهية تتعاون قوى النفس من فكر وخيال في فهمها، لذلك كانت أداة ناجحة في الوصول إلى الهدف، فهي تمتلك النفوس بكل ما فيها من قوى فكرية أو خيالية، علاوة على أنّ النفس بها آنس، ولها أميل.

- حجاجة التشبيه " في التوابع والزوابع "

1. 2- النموذج الأول:

"قال: فمن تريد منهم؟ قلت: صاحب امرئ القيس.. فظهر لنا فارس على فارس شقراء كأنها تلتهب.. فتطامح طرفه واهتزّ عطفه، وقبض عنان الشقراء. وضربها بالسوط"²

يصفُ ابن شهيد مشهد لقاء تابع امرئ القيس، ليعطيه اسماً يليق به وبمنزلته الراقية في نفسه، فإن كان أعطى توابع علماء اللغة والنقد والسياسة في عصره، تسميات لا تليق بهم، كأنف الناقة وحمير وبغال وإوزة حمقاء، عبر إرساله رسالة القدح فيهم بأيسر سبيل لأنّ البلاغة في التبليغ تقوم على: "تعديل المستوى العادي للتكرار بخرق القواعد أو بإبداع قواعد جديدة"³، أما توابع امرئ القيس وقيس بن الخطيم والمنتبي وبديع الزمان، فأفردهم بأسماء تحمل دلالات التعظيم والتوقير.

¹ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 97

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 91-92

³ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 55 - 56

"قيل بُدئ الشعر بكندة، وخُتم بكندة"¹، فابن شهيد لم يشذَّ عن هذه القاعدة التي تعتقد بزيادة امرئ القيس للشعر وفتح بابها، وعليه فهو مبدأ الشعر ومنتهاها، فالشوق للقاء تابع امرئ القيس، وافتكاك الشهادة منه هو أقصى مُناه بقوله: "لكني للشعراء أشوق، قال: فمن تريد منهم؟ قلت: صاحب امرئ القيس"، هذا التوق الذي عبّر عنه باللون الأحمر الموحى بالتعطش لهذا اللقاء بقوله: "وأَيّ حمرة يا عتيبة فقال لي: أنشد، فقلت: السيد أولى بالإنشاد!"، ف"رسوخ هذا المعتقد النقدي لدى معظم النقاد العرب القدامى، فحركية الإبداع والإنتاج الفني موصولة من طرفيها بالكنديين (امرؤ القيس وأبو الطيب المتنبّي)، وكأنّ الأفق القرآني العربي امتد بين هذين الشاعرين، إنّها . في الحقيقة . مبتدأ ومنتهاى تاريخ الشعر العربي"²، فراح يحتال لحصوله (قلت: هل حيلة في لقاء؟)، وفي حوار هادئ وقور وقار العلماء، وبسلوك حضاري ينبئ عن بيئة حضارية مُترفة، حتّى ابن شهيد الطلب في لقاء تابعه، عبر تواصله مع التراث العربي القديم، بتلخيصه مسيرة امرئ القيس بين حياة الترف والرخاء في (دائرة جلجل)، وأيام البؤس والشقاء بزوال ملك كندة، باستنكار البكاء على (سقط اللوى) و (حومل)، حتى "يهمّ بالحبصة"³، ويطلب الفكاك من الموقف "الذي بدا له صعبا، إنه موقف امتحان، وقد يشتدّ عليه الامتحان فيفتضح لذلك أثر الهروب على البقاء. غير أن نداء شاعريته وقوته الأدبية قد ألحّ عليه في البقاء، "فاشتدّت قوى نفسي"⁴ أمام (عتيبة بن نوفل) الفارس المغوار، وليصوّر ابن شهيد عظمة هذا الفارس؛ باعتلائه لفرس غير كل فرس آخر، فهي لشُقرتها اللامتناهية حتى يخالها **تلتهب**، من خلال دوام الالتهاب واستمراره بصيغة المضارع (**تلتهب**)، ولو أنّه وصفها بـ (**ملتبهة**)؛ لأتت الصّورة باهتة غير مقنعة بشدّة شُقرتها، فعتيبة بن نوفل فارس يشقّ الفلوات، تُرافقه في رحلته الشّاقة (**الشُقراء**): فرسه القوية التي تُقاسمه مشاق الصحارى،

¹ السرقسطي، المقامات اللزومية، تح: حسن الوراكي، ص 266

² مرزاقة عمرانى، قراءة ابن شهيد الأندلسي (426هـ) للنص الشعري القديم، ص 159

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 92

⁴ المصدر نفسه، ص 92

ولا يمكن للفارس أن يتصف بذلك، ما لم يكن شجاعاً مقداماً، يشبه الأسد في قوته وبطشه بالأعداء، وما يكفل لهذه الصورة قدرتها الحجاجية، هي سموها بالمتلقي إلى أعلى صورة؛ باستخدامه كفاءة يحصل من خلالها مواطن الحذف (حذف وجه الشبه)، وهنا مكن طاقتها الحجاجية، فطلبه مقابلة صاحب امرئ القيس، وفي قوله: "السيد أولى بالإنشاد"، فيه دلالة على نفسيته النزاعة إلى القمة، وعلى أن السيد لا يُقابل إلا السيد، وقد عُرف عن ابن شهيد فخره الشديد بنسبه (قبيلة أشجع بن ريث بن غطفان)، إذ "له النسب المشهور والمكان الذي لم يعده للظهور، وهو من ولد الوضّاح، المتقلّد تلك المفاخر"¹، واعتزازه بأسرته وأجداده (شُهد) وسيادتهم أيام عبد الرحمان الداخل، وجدّه (أحمد بن عبد الملك) وزير الخليفة عبد الرحمن الناصر، ولا شك أنه يزوم من خلال هذا التدرج الذي ساقه في تشبيهه (لعتيبة) هو لغاية مقصودة، فالحُجج التي وظفها ترمي لتحقيق هذه الغاية، وترسيخ مقصده الكامن في النتيجة التي يسعى إليها حثيثاً؛ إذ شبّهه بالفارس المغوار، يؤكّد ذلك ظهوره بتلك الصورة المفعمة بالحركة والحيوية (ظهِر)، مع صورة لهيئته (فارس)، ليعاضدها بحجة أخرى تدعّم سابقتها وهي الصورة اللونية لهذه الفرس (شقراء)، ليردّفها بوصفها فرسا متميزة، قوية، تعكس قوّة وشجاعة مالكها (عتيبة)، بهذه الصورة الحركية اللونية، بدمج الحركة واللون، فهي (تلتهب) بديمومة واستمرار بتلك الحركة الدؤوب، بامتزاج وتداخل اللون الأحمر مع الأصفر لفعل الالتهاب، ليسترسل في سوقه الحجج لتأكيد فروسية وإقدام صاحب امرئ القيس، فالتشبيه يكون "إذا قيمة حجاجية، لأنه له القدرة على جعل المتلقي قادراً على فهم المعنى واستيعابه من خلال معناه التشبيهي لينفتح على حقيقة باطنية تؤثر في النفس"²، يُضيف جزئيات مُكملة للصورة، عبر رسالة مُضمّنة مُرسلة، لتحقيق الترابط بين ما يسوقه من حُجج، وما يتلازم معها من نتائج، وللمزيد من الفعالية الحجاجية استعاض عن القناة الشفهية إلى تعزيز

¹ أبو نصر الإشبيلي، مطمح الأنفس ومسرح التأسس، تح: محمد علي شوابكة، دار عمار مؤسسة الرسالة، ص189

² مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج البلاغي والتداولي، منشورات الاختلاف، لبنان، ط1، ص169

خطابه بالقناة غير الشفهية، لأنها "تستخدم للتفاوض في المواقف ما بين الأشخاص، وفي بعض الحالات كبديل للرسائل الشفهية"¹، ومن أقسام التواصل غير اللفظي اعتماده وضعية الجسد، إذ ظهر عتبية معتليا ظهر الشقراء في: (ظهر فارس على فرس شقراء) فالشكل العام لجسده يوحي بالتحكم والسيطرة وحب الاستعلاء، أما الإيماءات كالتلويح والإشارة في تلك التعبيرات التي أظهرته فارسا محترفا، مُروّضا (للشقراء) في: (قبض عنان الشقراء)، و(ضربها بالسوط)، مما يعكس إحكامه السيطرة والانقياد لأوامره، أما تعابير الوجه فقد أثر ابن شهيد منطقة التفكير من الوجه كالاتصال بالعين والحاجب، وقد أظهرت لغة جسده ما كان مختفيا وراء الكلمات، إذ كشفت حركة رأسه وتعابير جسده عن غروره وتعاليه؛ بحركة عينه المتعالية واهتزاز عطفه؛ إذ (تطامح طرفه، واهتز عطفه) التي استمدها من الواقع الحسي الحركي لعتبية، ليكشف عن واقعه النفسي الشعوري القائم على التحكم والسيطرة والغطرسة، وقد وظّف أسرار لغة الجسد كحجج يدعم بها ما ينتهي إليه من نتائج، فاللغة والإيماءات، والنظرة، والمحاكاة الجسدية، والفضاء الفاصل بين المتحدثين، وعليه لا يمكن الفصل بين التواصل اللفظي، و التواصل غير اللفظي، والتواصل غير اللفظي السيميائي، لأنّ الفعل التواصل هو فعل كلي²، ليخلص بعد فكّ شفرة الشخصية القائمة على الامتلاء والقوة والسيطرة، إلى الاستسلام والمهادنة لـ: (يُجيزه)، بعد فترة من تفكير وتأمّل (فلما انتهيت تأملني عتبية)، ليأتي تتويج اللقاء بـ(أذهب، فقد أجزتك)، وتكون النتيجة المنطقية مما استدعى لها من مقدمات حجاجية بـ: إذعان عتبية له أمام الملام بأجازته في الشعر، وهو ما توضحه السُّلمية الآتية:

نتيجة ← ن = فارس شجاع قوي سيّد القوم يُجيز أبا عامر بالنبوغ والتّجاجة

¹ يُنظر: جوزيف ميسنجر، (2008)، لغة الجسد النفسية، ترجمة: محمد عبد الكريم إبراهيم، (مؤرشف من الأصل في 18-04-2023)

² رضوان القضماني، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، ص3

(حركة+هيئة+طبع)- → تطامح طرفه واهتزّ عطفه

(حركة + لون+صوت)- → قبض عنان الشقراء وضربها بالسوط

(لون + حركة+صوت) - → فرس شقراء كأنها تلتهب

(هيئة + لون) -- → فارس على فرس شقراء

(حركة+هيئة)- → ظهر فارس

1. 3- النموذج الثاني:

"..قلتُ: ..اصرف وجه قصدنا إلى صاحب أبي تمام..ويشتدُّ في أثرنا فارس كأنه الأسد، على فرس كأنها العقاب...فاستربتُ منه، فقال يا زهير: لا عليك هذا أبو الخطار صاحب قيس بن الخطيم. فاستبى لبيّ من إنشاده البيت، وازددت خوفاً لجرأته.."¹

من المشهد يلتقي ابن شهيد تابع قيس بن الخطيم(عرضا)، وهو يركض إليهما، قاطعا الفلوات، ممتطيا فرسه، عبر استدعائه المقدمة (Prémisse) التي ترمي لاستدراج المتلقّي، ليخلص عبرها إلى نتائج، بالتعريف بالتابع بهذه الإضافة (أبو+الخطار) مع صياغته على صيغة مبالغة(الخطار) التي توحى بشدّة خطورته، بل إنّ خطورته توحى بالتنازل إذ جعله أباهما، ولإضفاء المزيد من الفعالية الحجاجية، يضيف له نعتا أنّه (صاحبُ قيس بن الخطيم)² أحد رجالات الجاهلية وأشدّها بأسا، كما نحت اسميهما (أبو الخطار+بن الخطيم) من أقوى حروف التفخيم حرف(الطاء)، وحرف الاستعلاء

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص96

² قيس بن الخطيم: بن عدي الأوسي، كنيته أبو يزيد، توفي 2قبل الهجرة-620م، من صناديد الجاهلية وأشدّ رجالاتها، قُتل أبوه وهو صغير من رجل من الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه الخطيم، كما قتل قاتل جدّه عديا، ونشبت لذلك حروب بين الأوس والخزرج، أدرك الإسلام وترثت في قبوله، قتله الخزرج قبل أن يدخل فيه، أسلمت زوجته حواء الأنصارية، من أبنائه الصحابي ثابت بن قيس، وابنه عدي بن ثابت من الرواة الثقات

حرف(الخاء)، ليظهر أبو الخطار بهذه الصورة: فارس كأنه الأسد، على فرس كأنها العقاب، إذ شبّه أبا الخطار بالأسد الهصور، أمّا فرسه فهي العقاب الجارح المنقض على فريسته، وتظهر هذه المبالغة من حيث القياس الشعري تتكون من مقدمتين واستنتاج حيث(ق) قضية، و(م/ك) مقدمة كبرى، و(م/ص) مقدمة صغرى، و(ن) نتيجة كالاتي:

ق1=(م/ك):الأسد شجاع + ق2 (م/ص) أبو الخطار كأنه لأسد، (ن)=: أبو الخطار شجاع

وق1=(م/ك):العقاب سريع+ق2=(م/ص):فرس أبي الخطار كأنها العقاب، (ن)=فرس أبي الخطار سريع

رغم حذفه مقدمتيها الكبريين، لتظهر الفعالية الحجاجية في هذا التشبيه، الذي أبان حدّه الأوسط عبر قاعدة الاستغراق بين حدّيه البعيدين، عن نتيجة مفادها قوّة وشجاعة هذا التابع، وإن كان لا يهّمه صدق المقدمتين، أكثر ما ينشد صحّة الانتقال من المقدمات للنتائج، لأنّ اللوغوس(Logos) يستدعي ذلك عبر قوّة الحجّة نفسها، بما تكتنر به من مهارات أسلوبية، وتأثيرات بلاغية، تكمن في حمله المخاطبين(خصومه)على تبني وجهة نظره، وإقناعهم بها، بدحض مزاعمهم في التشكيك في براعته القولية وسموّ مكانته الأدبية، عبر ترتيب الحجج بما يتناسب، واستدراجهم إلى فسحة الاقتناع بقبولهم الاعتراف بذلك، بالحجج المنسجمة المؤدية بهم للتسليم والإذعان لما يرمي إليه، بتشكيله الصورة لهذا التابع عبر الكشف عن تناسب يجمع بين علاقيتين متشابهتين: أبو الخطار والأسد، والفرس والعقاب في هذا التشبيه الذي سيعمل على "إخراجه الخفيّ إلى الجليّ وإدناؤه البعيد من القريب، فيزيد المعاني رفعة ووضوحا، ويكسبها توكيدا وفضلا"¹، ولشحن القول بطاقة إقناعية أكثر منها جمالية بشأن هذا التابع، دعمه بعبارات مُشعّة بالحمولة

¹ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعنى والبيان والبديع، ضبط وتدقيق:يوسف الصميلي، ص219

الحجاجية المتوشّحة بالظلال النفسية، حينما يرقى التشبيه لـ"ينفي الرّيب، ويؤمن صاحبه من تكذيب المخالف.. فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وإن كان ذمّا، كان مسّه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشدّ"¹، إذ اقترب من أبي الخطّار شيئاً فشيئاً، بتحديد بعض ملامحه وطباعه، فهو مُثير للشك، مُلفت للانتباه، مُريع ومُرعب في قوله: (استربُّ منه+استبى لبّي+ازددتُ خوفاً لجرأته)، ولا عجب فقيس بن الخطيم من صناديد الجاهلية وأشدّ رجالاتها قوّة، وبطل حرب بُعث بين الأوس والخزرج؛ كما أخذ بثأره بقتل قاتل أبيه وجده، فابن شهيد يعمد إلى هؤلاء الشعراء وتوابعهم في اختيارهم من ذوي السلطة والصفّ الاجتماعي المرموق (امرؤ القيس) أو ذوي الصّيت الاجتماعي (المتبّي)، أو من الذين يتمتعون بكفاءات ووظائف متميزة (عتيبة بن نوفل، أبو الخطّار، حارثة بن المغلس، زُبدة الحقب)، "وقد كثر استعمال هذه الألفاظ الأخيرة بالإضافة إلى الجنّي والشيطان عند الحديث عن القوة الخفية أو التي تظهر وتوحي للشعراء والكهّان بأرائهم وأدبهم. وكثيراً ما حاورتهم شعراً أو نثراً كالشعر"²، إضافة لما تشي به كلمة (جنّ) من معاني القوة الخفية الخارقة، فلو تتأمّل معنى "جنيوس Genius في اللاتينية ترى أنّ الجنّ في كل حالة مسئولون عن التفوق الذهني كما هم مسئولون عن الخبل العقلي"³، وهذا التوقير والتعظيم الذي يبديه ابن شهيد لهؤلاء التوابع؛ لأنّه ينتظر شهاداتهم بتفوّقه الأدبي، معرّضاً بناقديه، ساخراً من حسّاده، "وقد تكون شهادة الآلهة أو الجنّ إكباراً أيضاً، كما شهدت آلهة دلفي Delphy لسقراط...وعُدّت شهادتهم برهانا على السبق والتقدم، وها هو ابن شهيد في رسالة "التوابع والزوابع" اخترع لنفسه شيطاناً يخرج معه في رحلة يلقي فيها عدد من شياطين الشعراء والكتاب...يشهدون له بالتقدم والسبق، ويحكمون لشعره بالامتياز

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمد الفاضلي، صيدا، بيروت، ط2، 1999، ص69

² عبد الرزاق حميدة، شياطين الشعراء، ص54

³ هوراس، فنّ الشعر، ص53

والسمو"¹، بل حتى أسماء التوابع جعلها تحمل علامات سيميائية²، لم تخرج عن حقل السيادة والقوة والعبرية والتميز، فأسماء التوابع هي لسادة فرسان مغاوير ذوي شأن في زمانهم أو بحسب مكانتهم في قلبه، كما أنه يستخدم هذه الأسماء بناءً على ما يريده من دلالة تصويرهم على صفات ارتبطت بشخصيات الشعراء والكتّاب في واقعهم، عبر التشبيه لأنه "مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فنّ البلاغة، وأنّ تعقيب المعاني به - يُضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذمّا، أو افتخارا، أو غير ذلك"³

---- النتيجة (ن) = شجاعة و سرعة أبي الخطار تابع قيس بن الخطيم

إشْتَدَّ <u>فَارِسٌ</u> عَلَى فَرَسٍ كَأَنَّهُ الْعَقَابُ	5ح---
اشْتَدَّ <u>فَارِسٌ</u> كَأَنَّهُ الْأَسَدُ	4ح---
ازْدَدْتُ خَوْفًا مِنْهُ	3ح---
إِسْتَبَى لِيَّيْ	2ح---
اسْتَرَيْتُ مِنْهُ	1ح---

1. 4- النموذج الثالث:

"... قال لي زهير: ومن تريد بعد؟ قلت له خاتمة القوم صاحب أبي الطيب..يركض بنا.. قال: هي آثار فرس حارثة بن المغلس.. فلم يزل يتقرأها حتى دفعنا إلى فارس على

¹ عبد الرزاق حميدة، شياطين الشعراء، ص95

² يُنظر: مرزاقه عمراني، قراءة ابن شهيد الأندلسي(426هـ) للنص الشعري القديم، ص158-165

³ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح وتع: غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، ص164

فرس بيضاء كأنه قضيب على كئيب..وعلى رأسه عمامة حمراء قد أرخى لها عذبة صفراء. فحيّاه زهير، فأحسن الردّ من مقلة شوساء، قد ملئت تيهًا وعجبًا¹

بطلب من أبي عامر للقاء صاحب أبي الطيب المتنبّي، يضع زهير له شروطاً(أشدد له حيازيمك وعطرّ له نسيمك وانثر عليه نجومك)، فهو لقاء بـ(خاتمة القوم)، يستجيب لها أبو عامر بطيب خاطر، لتبدأ الرحلة باستحضار آليات القوة والسرعة للقاء، فيميل زهير عنان الأدهم(صورة حركية)، ذلك الفرس الشديد السواد، القويّ، الأصيل(حركة+لون)، ليبدأ الرّكض على راحلتيهما السريعتين(حركة)، ليلمح زهير آثار فرس هناك، فاللقاء سيكون بفارس قنّاص(هو صاحب قنص)، إنّه حارثة بن المغلس صاحب المتنبّي، وليزيل ابن شهيد كل لبس بشأن هذا الفارس، وقوّته بعد تتبع لآثار فرسه (هي آثار فرس حارثة بن المغلس صاحب أبي الطيّب)(حركة)، ليردّها بحجة أخرى وهي قوله لكل مُشكّكٍ عبر ذلك التصريح باستظهاره للمتلقّي ما يتمتع به من آليات القوة والنجابة:(أنّه صاحب قنص)، خبير بالصيد والمفاوز والصحارى، وبعد سلسلة أفعال إنجازية كما يسميها العزاوي:(يتأمّل/تتبع/يتقرّى)، حتى تظهر الصورة التشبيهية لحارثة في شكل(فارس على فرس بيضاء)(هيئة ولون)، هذا الفارس يتمتع بمهارات أساسية في ركوب الخيل، منها لياقته البدنية التي تتيح له استخدام جسمه خلال الركوب، وما ينتج عنه من إحساس التوازن والتنسيق، ولفرط رشاقته واستقامة واستواء عوده فهو(كأنه قضيب)، كما أنّه فارس طويل العهد بالفرس والفروسية، فخبيرته بركوبها أتاحت له شدّاً للقوام، وتعزيزاً لعضلاته شدّاً ومرونة، وعليه من التشبيهات السابقة نستنتج:جنوح ابن شهيد إلى الإكثار من توظيف التشبيه المرسل، إذ فاقت نسبة وروده أنواع التشبيه الأخرى، كقوله:(انصرف كلمح البصر)و(التمحّت أرضاً لا كأرضنا) و(شارفتُ جوّاً لا كجوّنا) و(سار بنا كالطائر)، لقدرته الفائقة على الإقناع، كما أنّ فيه إعمال للعقل وإثارة

ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 111¹

للذهن، فهو أمتع وأوقع على النفس خاصة وأنه جاء مُجملاً، وقد عقد هذا التشبيه بأداة (كأن) التأكيدية، بعدم ذكر وجه الشبه في الأمثلة السابقة التي تردُّ على النحو الآتي:

عتيبة بن نوفل (امرؤ القيس) ← (فارس على فرس شقراء كأنها تلتهب)

أبو الخطار (قيس بن الخطيم) ← (فارس كأنه الأسد، على فرس كأنها العقاب)

حارثة بن المغلس (المتنبّي) ← (فارس على فرس بيضاء، كأنه قضيب على كثيب)

فحذف وجه الشبه . الذي يُعدّ النواة المركزية للحجاج . هو آلية هامة من خلال ما يكمن فيها من طاقة حجاجية، يسمو الكلام إلى أعلى صورة تتطلب من المتلقي تقدير ذلك الحذف، للوصول للغرض المقصود "فالخلو من وجه الشبه يسمو بأسلوب الكلام إلى مستوى يقتضي من المتقبل إماما خاصا بإطار الحديث، أو ثقافة معينة واسعة تمكنه من الوقوف على الهدف المقصود"¹، وذلك لأنه يشدُّ المدارك، ويكون للعقل حضور، حيث يحاول أن يسدّ المكان الفارغ، أو المحل الشاغر على حد تعبير عبد الله صولة، وهو ما يمثل بؤرة الحجاج ومناطه، عبر دعوة المتلقي للبحث عن طريق كفاءته الثقافية والمنطقية عنه بأن يملأ فراغه من خلال المفهوم الذي هو مناط الحجاج وهذا كاف على حجاجية الصورة، فنصف كلام الصورة المصرّح به من صنع المتكلم، ونصف كلام الصورة الآخر وهو الضمني من صنع المتلقي، وهذا الوضع هو الذي يكفل للصورة قدرتها الحجاجية"²، إذ توّسل عبر هذا التشبيه، بتعمّده ترك فضاء للمتلقي، لـ"يتحرك داخله، ويحمله على الإسهام في صنع نصف الكلام الضمني فيكون بذلك قد خطا خطوة أولى على درب

¹ محمد الهادي الطرابلسي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، دط، 1981، ص147

² عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، ص562

الاقتناع بما يعرض عليه"¹، كما أظهرت صورته التشبيهية شغفه "بالصور السايحة المعتلية عن مستوى الأرض، المقترنة بالجوّ أو الطيور، أو بظهور الخيل، وهو يتصوّر نفسه على ارتفاع، ومردّد هذا إلى شعوره بالاستعلاء لمن حوله، وإلى خوفه من الموت"²، كما استخدم تقنية التشخيص (Personification) بعمده إلى عناصر الطبيعة (الأسد، العقاب، الفرس، الكتيب، الصحراء..)، كما اختار هذه العناصر التي تتسم بالغموض كالليل والصحراء والماء والسفر والضياع وفقدان الراحة لتخدم الجو الأسطوري، وملاءمتها للهواجس الإنسانية الموحية بالخوف من الموت والعطش والفقد، إذ تجمع الميثولوجيا (La mythologie) بين العناصر الواقعية المعهودة في الواقع وبين الأحداث الأسطورية وما يمليه سياق التتابع، ثم عمد إلى بعث الحياة فيها (Animation) بجعله التشبيهات حية، حسية، حركية، لونية، أجلى لنا صورة واضحة القسمات، بتصوير الموصوف وتتبع جزئياته في: الأعضاء (مُقلّة شوساء، اهتز طرفه)، والألوان (فرس شقراء، فرس بيضاء، عمامة حمراء لها عذبة صفراء)، والصوت (حيّاك، ينفث)، والحركة (ظهر/تطامح/اهتز/يركض/أمال/ضرب)، والهيئة (على فرس/قضيبي على كتيب)، والطباع (مُلدت تيهًا وعجبا/استبى لبي/ازدبت خوفًا لجراته) قصد التأثير في المتلقي، جعل الموصوف أمامه مُحسّسًا، بارز الشخصية، واضح المعالم لا شبحًا غامضًا، وهذا ما يجعل الصورة التشبيهية تشعّ بوهجها الحجاجي لإقناع المتلقي، إضافة لإمتاعه بجماليتها الفنية؛ إذ "للتشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعةً ووضوحًا ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونُبلاً، فهو فنٌ واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي مُتَشعّب الأطراف مُتوعرُ المسلك، غامضُ المدرك، دقيقُ المجرى غزيرُ الجدوى"³، لهذا

¹ المرجع نفسه، ص 567

² محي الدين ديب، ديوان ابن شهيد ورسائله، ص 59

³ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 219

فقد جاء النص عند ابن شهيد "يبعث في نفوسنا الدهشة والتعجب ونحن نجد الكاتب يتكلم مع حيوان الجن، ويصفهم بهذا الأسلوب الذي يصف البشر ويجعل أسلوبه يرقى في التشبيهات والاستعارات، حتى كأنه يريد أن يوصل رسالة القدح في علماء اللغة والنقد في عصره إلى المتلقي بأيسر السبل لأنّ البلاغة في التبليغ تقوم على: "تعديل المستوى العادي للتكرار بخرق القواعد، أو إبداع قواعد جديدة"¹

2- حجاجية الاستعارة في التوابع والزوابع: الاستعارة (La Métaphore):

2-1- الاستعارة لغة:

جاء في لسان العرب: "وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه..وتعور واستعار: طلب العارية. واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يُعيره إياه..وهو اسم من الإعارة. تقول: أعرته الشيء أعيّره إعارة وعارة"²، أمّا في القاموس المحيط للفيروز آبادي (729هـ-817هـ) ف جاء: "أعاره الشيء وأعاره منه، وعاوره إياه، وتعور واستعار: طلبها. واستعاره منه: طلب إعارته"³، بينما تناول مرتضى الزبيدي في تاج العروس الاستعارة أنّها: "وهو اسم من الإعارة، تقول أعرته الشيء..واعتوروا الشيء، وتعوروه..وأما العارية والإعارة والاستعارة..يتعاورون العواري ويتعورونها، إذا أعار بعضهم بعضاً"⁴، وعليه فالاستعارة لغة "مأخوذ من العارية الحقيقية التي هي ضرب من المعاملة، وهي أن يستعير بعض الناس من بعض شيئاً من الأشياء..فالمشاركة بين اللفظين في

¹ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص55-56

² ابن منظور، لسان العرب، مادة(ع.و.ر)

³ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (ع.و.ر)،

⁴ مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مادة (ع.و.ر)،

نقل المعنى من أحدهما للآخر كالمعرفة بين الشخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما للآخر".¹

2.2- اصطلاحاً:

فقد تردّد مفهوم الاستعارة في التراث البلاغي واللغوي العربي على ألسنة ثلة من العلماء أمثال: الخليل، وأبو عبيدة، والأصمعي، وسيبويه، ويُعدُّ الجاحظ (ت255هـ) أول من عرّف الاستعارة بقوله: "الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"² أي إذا كانت علاقة مشتركة، تُشكّل جسراً لانتقال الدوال، وهي عنده (فهم وإفهام)، إذ كان من البلاغيين الأوائل الذين انتبهوا إلى ظاهرة الاستعارة في النصوص الأدبية، كما عدّد وظائفها، فهي عنده "آلية بسط الشجاعة والإقدام، كما أنها تجنب المتكلم عدم المس بالحياء العام من حيث الجانب الأخلاقي والاجتماعي"³، وهي لفظ استعمل في غير معناه الأصلي بشرط أن تكون العلاقة بين ما استعمل فيه الآن وبين ذلك الأصلي المشابهة"⁴

كما عرّفها أبو منصور الثعالبي (961م/1038م) بقوله: "إنّها (الاستعارة) من سُنن العرب وهي أن تستعير للشيء ما يليق به، وتضع الكلمة مستعارة له من موضع آخر كقولهم في استعارة الأعضاء لما ليس من الحيوان، رأس الأمر، ورأس المال، ووجه الأرض، وعين الماء، وحاجب الشمس، وأنف الجبل..⁵، وقد أولى الجرجاني (ت471هـ) عناية خاصة للاستعارة في كتابَيْهِ "الدلائل والأسرار"، وإن كان الجاحظ قد سبقه في التعريف، لكنّ

¹ ابن الأثير، المثل السائر، ص83

² الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص153

³ المصدر السابق نفسه، ص153

⁴ سعد الدين التفتازاني، شروح التلخيص، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دار الهادي، بيروت، لبنان، ج4، ص45

⁵ الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، تح: يسين الأيوبي، ط3، مج1 المكتبة العربية، القاهرة، مصر، 2002، ص412،

الجرجاني هو من أسس هذا العلم بشكل دقيق، حيث بين أقسامها والفروق بينها باعتباريات متعددة، وقد عرّفها بقوله: "اعلم أنّ (الاستعارة) في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً تدل الشواهد على أنّه اختصّ به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية"¹، وهي عنده تقوم على: من (النقل إلى الإداء)، أما الاستعارة عند أرسطو فهي (نقل واستبدال)، فهو أول من حدّد المبادئ والأسس التي قامت عليها من خلال كتابيه "فن الشعر" و"الخطابة"، ويعرفها بأنها: "إعطاء اسم يدل على شيء إلى شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل"، إذ ربطها بالاسم تحديداً، بانتقالها من وضع "حقيقي" إلى وضع "مجازي" مع احترام قيود المشابهة، أي أن الاستعارة لم تصل إلى الجملة أو الخطاب²، وساد هذا الاعتقاد لقرون، حيث كان همّ البلاغيين هو الاعتناء بالمحسنات البلاغية التي لا تتجاوز الكلمة، مما أدى إلى انحسار البلاغة وموتها، كما عرّفها بقوله: "والاستعارة هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر، فإما أن ينقل من الجنس إلى النوع، أو من النوع إلى الجنس، أو من نوع إلى نوع، أو ينقل بطريق المناسبة Analogie"³.

غير أنّ بيرلمان كان له الفضل بإدراج الاستعارة والتشبيه ضمن بلاغة الحجاج، بالسبق في إخراجها من حقل البلاغة التقليدية؛ وإكسابها تلك الحمولة الحجاجية، في قوله: "إنّ محسناً لهو حجاجي إذا كان استعماله، وهو يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتاداً في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة. وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع"⁴، كما كان البلاغيون التقليديون

¹ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط، 2006، ص 39

² أرسطو طاليس، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ص 187

³ أرسطو، فن الشعر، تر: شكري محمد عياد، ص 116

⁴ Chaim Perelman. L'empire rhetorique. Vrin, 1977, p :53

ينظرون إلى الاستعارة باعتبارها: "تغييرا سعيدا لدلالة كلمة أو عبارة"¹ عن طريق ما تحمل في طياتها من طاقات لتحقيق الفاعلية الإقناعية، فهي "استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يشغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، ويقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية"²، فالاستعارة عند بيرلمان قبل أن تكون صورة أسلوبية، فهي عنده حُجّة؛ كونها امتداد للمماثلة، بذلك التكثيف لها بفضل الاندماج بين الموضوع والمثيل، بضربه المثال بعبارة أرسطو "مساء الحياة" (Soir de la vie) ويقصد بها التقدم في السن، ويُراد منها الإقناع بأنها النهاية، لأن التقدم في السن يُماثل المساء بالنسبة لليوم، فالوظيفة الحجاجية للاستعارة تكمن في قوتها التدليلية والتأثيرية داخل الخطاب، ولذلك تُعدُّ "تقنية خطابية تؤدي وظيفة حجاجية إقناعية"³، إذ أنّ توجيه الخطاب وجهة ما لتحقيق أغراضه الحجاجية، انطلاقا من تلك الفكرة الشائعة: "أنا نتكلم عامة بقصد التأثير"⁴، "ولا بدّ للاستعارة من ثلاثة أركان هي: المُستعار منه، وهو المشبه به، المُستعار له، وهو المشبه، المُستعار، وهو اللفظ المنقول، ويسمى الأوّل والثاني طرفي الاستعارة"⁵.

2. 3- نموذج من (توابع الكتاب): رسالة الحلواء

"خرجتُ في لمة من الأصحاب.. فيهم فقيه ذو لقم.. وغريم بطن ولم أشعر له، ورأى الحلواء فاستخفه الشّره، واضطرب به الوله.. ورأى الخبيص* فقال: بأبي هذا الغالي

¹ Chaim Perelman et Olbrechts Tyteca. Traite de l'argumentation. p 434/435

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 108

³ حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص 249

⁴ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 14

⁵ أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ص 86

الرخيص، هذا جليد سماء الرحمة، تمخضت* به فأبرزت منه زبد النعمة، يجرح بالحظ، ويذوب من اللفظ"¹

يصف ابن شهيد مشهد خروجه وأصحابه إلى السوق، وكان منهم "فقيه"، فراح يعمل على رسم صورته وتقريبه من المتلقي، وذلك عن طريق الدقة في استقصاء جزئياته، مع التركيز على الجانب المادي، فالفقيه حينما رأى الحلواء وقد استخقه الشره، صاح: بتشبيهه حلوى الخبيص وهو (المشبه)، بمشبهه به محذوف، ودكر قرينة تدلّ عليه وهي: "تمخّضت" و"زُبد" أي (اللبن) الذي يُحرّك في الممخّضة على سبيل الاستعارة المكنية، لأن "الاستعارة أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدّعا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به"²، فالقدرة الحجاجية لهذه الصورة هي تحريك مشاعر المتلقي وعواطفه، وحملها له على الاقتناع بواسطة انتقالها من المجرّد والمعنوي (المستعار له: تحرّك شهوة الفقيه واضطراب عقله للخبيص)، إلى ما هو حسي من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تستمد صورتها من المحسوس (المستعار منه: تحرّك اللبّن في الممخّضة وإبرازه للزُبدة)، فالصورة مقصودة عبر المبالغة في التشبيه مع الإيجاز فيه بحذف أحد طرفيه (المشبه به)، فابن المعتز (296هـ) يرى أن "استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها مثل أم الكتاب، ومثل جناح الذل"³، وهو ما يريد بها ابن شهيد توجيه سلوك المتلقي بغرض إفهامه شيئا يقصده، لأنه يدرك أن هذا المتلقي يكون في بعض الأحيان شاكا ومترددا بشأن (الفقيه)، عبر ما وقر بذهنه تلك الصورة النمطية عنه، خاصة عند الأندلسيين نظرا

¹ ابن شهيد، التواضع والزواضع، ص 120 (*الخبيص: نوع من الحلواء المخبوصة من التمر والدقيق والسمن، وهو طبق تقليدي -اليوم- في الإمارات والكويت والبحرين، ويؤكل في الغالب في الإفطار/ *تمخّض اللبّن: تحرّك في الممخّضة)

² السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ص 174

³ ابن المعتز، البديع، ص 3

لما أولوه للفقهاء من حُظوة ومكانة، حتى نُعت بعضهم بـ"علو الرتبة وسُمو الرياسة"¹، و"الخطوة والعزة والرفعة"²، كما خوطبوا في المراسلات بأفخم العبارات التي تنم عن الهيبة والجلال، وحققوا مكانة اجتماعية رفيعة حتى أن بعضهم كان يدخل المدن دخولا رسميا يشبه دخول الأمراء"³، إذ اكتسبوا سُلطة فعلية في الأندلس، بأن أصبح منهم الوزراء والقضاة، مما يستوجب عليه إقناعه بالحجة والدليل الدامغ، والصورة هنا وردت كبديل للمفهوم أو الفكرة بغية التأثير والإقناع، لذا كان أرسطو قد أسند الوظيفة الحجاجية للاستعارة، لأنها ستغدو عملية عقلية منطقية تؤدي فعالية الإقناع، كونها تحمل شحنة تأثيرية حجاجية بتلك الحمولة من مُحفزات الإقناع، إذ تُعوّل النظرية الحجاجية على الصورة البلاغية، وترى فيها طاقات عظيمة، إلى حد اعتبارها حجاجا في حد ذاتها، أو يمكن القول بأنّ: "وراء كل حجاج بلاغة، والعكس صحيح، لأن مدار ذلك هو الإغواء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع"⁴، فالمقصدية الحجاجية من خلال هذه الاستعارة التي يرمي إليها هي: تشويه صورة خصومه من الفقهاء واللغويين ورجال السياسة، وفضح تصرفاتهم المخالفة للأداب، رغم ما يُظهرونه من ورع وزهد وعلم، بإرضائه الذائقة البصرية للمتلقي، عبر رصد حركات الفقيه، إذ "ينظر الباحثون إلى علم السلوك الحركي، على أنه يساعد في ربط الوظائف الخطابية بطرق مختلفة بالسمات السياقية أو الموقفية لما وراء النص⁵ extra-textual features situation"، فالاستعارة جسّدت سقوط هؤلاء الخصوم، وزيف ارتقائهم في السلك الاجتماعي والعلمي والسياسي، خاصة أنّ هؤلاء

¹ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: محمد الأحمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1972 ص 303

² ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة و تحقيق محمد علي شوابكة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص 289، 299

³ إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1998، ص 145

⁴ حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ج3، ص45

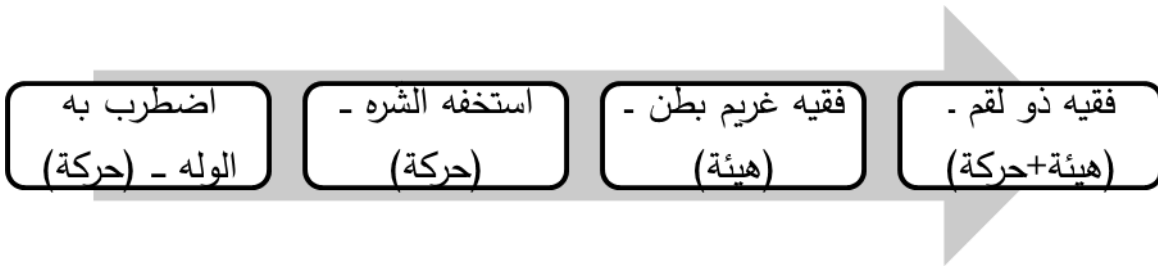
⁵ محمد العبد، المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1426هـ-2006م، ص146

الفقهاء كانوا أصحاب الحل والربط، إذ "كانت الأندلس تحت سلطة الفقهاء، ويرجع نفوذهم إلى سيطرتهم الفكرية والسياسية، فكانوا يشاركون في جميع مظاهر الحياة، كما تقلدوا المناصب السياسية الكبرى، وشاركوا في القضاء، كالقاضي أبي بكر بن العربي المغافري(ت543هـ) والقاضي محمد بن سليم(ت367هـ)، وابن حزم الذي خاض المناظرات مع دعاة المذهب المالكي، وكان الانتصار حليفه"¹، عبر تصوير شهوة (النهم) التي ألمت به لحظة إبطاره الخبيص، بشكل متصاعد، متمم للأعلى، إلى درجة أن يستهلك صوته حدّ(الصياح)، وتتحدّد القوة الحجاجية للاستعارة داخل السلم الحجاجي على النحو الآتي:

-النتيجة = خواء الخصوم من الفقهاء واصطناعهم الزهد والعلم، مقابل امتلاء شخصية ابن شهيد وكفاءته

-الفقيه شره، مضطرب السلوك، مصطنع الوقار والعلم

قال (صاح): هذا جليد سماء الرحمة، تمخضت به فأبرزت زُبد النعمة(حركة+هيئة)



لقد سعى ابن شهيد عبر هذه الاستعارة إلى وضع خصومه في حالة شكّ، وتشويه لمنظومتهم الثقافية والفكرية، ومحاصرتها، لتعويض ما عاناه من انكسار نفسي، بتقليلهم من شأنه وحسدهم إياه، وتحقيق النصر عليهم، "وذلك أنّ غاية الحجاج الأساسية إنما هي

¹ ابن حزم الأندلسي، الرسائل، تح:إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات، ط2، 1978، ص145

الفعل في المتلقي على نحو يهيئه للقيام بالعمل المطلوب أو الإمساك عنه¹. كما تظهر الفعالية الحجاجية في هذه الاستعارة بما تكتنزه من مهارات أسلوبية، وتأثيرات بلاغية، " فالعلاقة الاستعارية هي أدلُّ ضروب المجاز على ماهية الحجاج"²، كما تكمن في حمله المُخاطبين (حُساده) على تبني وجهة نظره وإقناعهم بها، بدحض مزاعمهم في التشكيك في براعته القولية، وسمو مكانته الأدبية عبر ترتيب الحجج واستدراجهم إلى الاعتراف بذلك، وقد أشار كريستيان بلانتان (C.Plantin) في قاموسه للحجاج إلى ذلك التعاون الذي تخلقه الاستعارة بين المتكلم والمتلقي للخطاب، بتلك الاتفاقات المسبقة التي تقويها بينهم³ (..Créant de la coopération, la métaphore force les accords préalables)، بفضل ما تحمله بين ثناياها من قوة مستلزمة مقامياً تتمثل في السخرية السلوكية من الفقيه، بفضح بعض التصرفات المناقضة والمخالفة للأداب، فأزال القناع عن تلك المظاهر الزائفة التي يُبديها بعض الناس، مع الإشارة إلى تقلب الأوضاع في عصره، وما لحق الأندلس من جراء الفتنة التي ضربت بها، وإن كان الغرض منها ليس إثارة الضحك والتندر من الفقيه، ولا يخفى من أن "السخرية مؤلمة موجعة كئيبة، ولو انبعث منها أو معها الضحك فهو ضحك حار كالبكاء"⁴، لأنها تسعى إلى التوجيه والتقويم لنقائص

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، ص 21-22

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 232

³ Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation: une introduction aux études d'argumentation, éditions, coll. Langages, 2016, Lyon (633pages) : (Métaphore-Analogie-Modèle)

« Par la métaphore, le locuteur sollicite ouvertement la coopération interprétative du destinataire ; il lui laisse quelque chose à faire. Créant de la coopération, la métaphore force les accords préalables. Cette explication fonctionnelle de la métaphore est identique à celle qu'on donne de l'enthymème comme syllogisme abrégé, reconstruit au terme d'un processus de coconstruction liant l'orateur et l'auditoire. Dans les deux cas, la fonction argumentative de cette condensation est l'activation du partenaire)

⁴ أحمد بن علي مريع، مفهوم السخرية في الأدب وقيمتها، المجلة العربية، ص؟

ومتناقضات عند الأفراد والجماعات، وتعديل السلوك وهو بُعد من أبعاد الحجاج، فمكوّن السخرية عنده غرضه إيصال أفكاره ومقاصده الحجاجية، فالسخرية كما يقول برجسون: "شيء حي قبل كل شيء"¹، فهذه الاستعارة يروم منها حجاجياً نوعاً من الضغط لإقناع المتلقي والتأثير فيه، بمزيتها التدلّيلية الإثباتية بجعل المستعار منه (تحرك اللبّن في الممخضة)، دليل على إثبات صفة يدعيها المتكلم للمستعار له (اضطراب أحوال الفقيه واهتزاز جسدياً ونفسياً لحظة إبطاره الخبيص)، وهذا دليل على شرهه وخفة عقله واضطراب سلوكه، لتظهر فعاليتها في الأذهان والأفهام وتعني: "نوعاً خاصاً من الاستدلال العقلاني ومن الفضائل المعرفية والإدراكية البعيدة عن الإلغاز والتعمية"²، فروبول (O.Reboul) اعتبر أن كل ما في الرسالة اللغوية المكتوبة والمسموعة والمرئية من وحدات تكوينية هي "حجة في ذاتها حتى الاستعارة التي هي استدلال قائم على المقايسة المكثفة.. وبالمثل فالبلاغة لم تعد لباساً خارجياً للحجاج بل إنها تنتمي إلى بنيته الخاصة"³

كما بنى ابن شهيد صورة الفقيه باعتماده حدّين: حدّ مادي متمثل في البعد عن الكمال الجسمي فهو: (فقيه ذو لقم.. وغريم بطن، صاح)، وهذا الحدّ يخدم حجاجية الصورة ويجعلها "أكثر ترسيخاً في ذهن المتلقي فمن شأن اللفظ الحسي أن يزيد في درجة حضور الفكرة، فتتجم عن ذلك مصادقة السامعين"⁴، وحدّ معنوي متمثل في خفة عقله، واضطراب أمره، واهتزاز شخصيته، إذ (فاستخفه الشره، واضطرب به الوله.. صاح)، "فإن كان الموصوف معروفاً مثل قطع الأثاث والمألوفة، فإن الاستعارة والتشبيه تخرجها من مألوفها إلى عالم الخيال لإضفاء الظلال والأضواء عليها و لتوظيفها جمالياً"⁵، كما اعتمد في بناء

¹ هنري برجسون، الضحك، تر: سامي الدروبي وعبد الله الدايم، دار اليقظة العربية، ط1، دمشق، 1964م، ص13
² أحمد الصاوي، مفهوم الاستعارة في بحوث اللغويين والنقاد والبلاغيين، دراسة تاريخية فنية، منشأة معارف الاسكندرية، 1988، ص90

³ أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي، تر: محمد العمري، علامات، ديسمبر 1996، ص77

⁴ عبد الله صولة، أهم نظريات الحجاج من أرسطو إلى اليوم، ص319

⁵ سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص98

استعاراته على ما تسميه البلاغية كريستين بروك روز (Christine.brook-rose) في كتابها نحو الاستعارة (A Grammar of Metaphor) الربط الإضافي (the genitive link) ودور الإضافة في بناء الاستعارة¹، كهذه الاستعارات: (غريمُ بطن) و(جليدُ سماء الرحمة) و(زُبد النعمة)، ولا يخفى ما في هذه الإضافات من دور في بناء الاستعارة، وتعزيز لفعاليتها للتأثير على الأذهان والأفهام، فالكلام البليغ يؤدي دوراً فاعلاً في إقناع المتلقي وإدعائه لتجسيده المعنويات، لهذا ربط السكاكي (ت626هـ) علم البيان بالحجاج، لأنه بمثابة الدليل المقنع يقول في ذلك: "من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه، لتحصيل المطلوب به أطلع ذلك على نظم الدليل"²، فتشويه الخصوم، يُقابله إبراز الذات المبدعة في الأدب في قول أبي بكر: "أخذ بأطراف السماء، فألف بين قمرها، ونظم فرقيها"³، وفي قول تابع المتبني: "إن امتد به طلقُ العمر، فلا بد أن ينفت بدُرر"⁴ إذ ذكر المشبه به: (القمران/الفرقدان/الدُرر)، وحذف المشبه وهو المعنى الأصلي المقصود (الشعر والنثر/والشعر)، عبر استخدام القوة التأثيرية للاستعارة التصريحية - وإن كانت أقل تأثيراً بالنسبة للجرجاني مقارنة بالمكنية - كوسيلة إقناع للمتلقى، بتوجيه تفكيره نحو نتيجة معينة وهي تجسيم معنى بتحويله من المجرد (تمكّنه من الشعر والنثر)، إلى صورة محسوسة (التأليف بين القمرين، وتنظيم الفرقدين، النفت بالدُرر)، إذ من مناقبها: "أنها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ"⁵، بالتصوّر الجديد الذي قدّمه الجرجاني لها أنها: "ضرب من التشبيه، ونمط من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتستقي منه

¹ يُنظر :

Christine.Brook.Rose, A Grammar Of Metaphor.Seckerd, Warburg. London,1958 ,pp 26

² السكاكي، مفتاح العلوم، ص182

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص87

ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص114⁴

⁵ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص42-43

الأفهام، والأذهان لا الأسماع والآذان"¹، مما يُكسبها التوضيح والتأثير عبر ما تحظى به من "المبالغة والإيجاز"²، لذا يراها العزاوي أنها انعتقت عن كونها مجرد زخرف قولي، إلى كونها "خاصية من أهم الخصائص الجوهرية للغات الطبيعية مثلها في ذلك مثل الالتباس والشرح والقياس.. ولم تعد تعتبر شكلا بلاغيا وأسلوبيا، أو نوعا من أنواع الزخرف اللفظي والبياني ينتمي إلى الأدب بوجه عام والبلاغة بشكل خاص"³، كما أنه استعمل في استعاراته تقنيتين فنيتين ذاتي حمولة حجاجية قوية تتمثل في: المبالغة في التصوير والوصف وهي كما عرّفها الجرجاني: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تصفح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّيه عليه"⁴، إذ وصف أبو عامر: الفقيه والماء والبعوضة، والبرغوث بقوله: "شُرْبُهُ عَبٌّ، ومشيئُهُ وثب، يكمنُ نهاره، ويسري ليله، يُداركُ بطعن مؤلم.."⁵، والثعلب بوصفه: "كثيرُ الوقائع في المسلمين، مغرَى بإراقة دماء المؤذنين، إذا رأى الفرصة انتهزها"⁶، والإوزة بوصفها: "تكسرُ حدقتها، وتؤلّبُ قمحودتها*.. فدخلها العُجب من كلامي.. قالت: أيها الغارُ المغرور.."⁷، لهذا ذهب الروماني لونجينيوس (Longin) الذي اعتبر الوصف الرائع يعتمد على رسم الأشياء "وكأننا نراها"⁸، كما حشد الأوصاف والأحوال مع الدقة في استقصاء جزئيات الموصوف، مع التركيز على الجانب المادي منها، واستند عليها كوسيلة للاستدلال وما ينطوي عليه من إثبات، إذ أنها من حيث التركيب المنطقي نوع من القياس، إلا أنه قياس مختزل، وبعبارة أدقّ قياس إضماري، أي قياس حُذفت مقدّماته واكتفى بالنتيجة، لهذا ارتقت نظرية

¹ المصدر نفسه ، ص26

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص373

³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص90-100

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص51-52

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص126

⁶ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص127

⁷ المصدر نفسه ، ص150 (*القمحودة: مؤخر القذال، والهتة الناشزة فوق القفا، وأعلى القذال خلف الأذنين)

⁸ Longin, Traité du sublime, Ed, Librairie générale française, Paris, 1995, p 85

الاستعارة التصويرية (المفاهيمية) (Conceptual metaphor) التي وضع أسسها الأميركيين جورج لاكوف (G.Lakoff) ومارك جونسون (M.Johnson) في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها¹ سنة 1980 (Metaphors we live by)، وفي هذا الكتاب ينتقدان وجهة النظر القديمة التي مفادها أن الاستعارة زينة لغوية وزخرف أسلوبية، بل هي أداة معرفية أساسية تُشكّل طريقة تفكيرنا وفهمنا للعالم، ويريان أن نسقنا التصوري في معظمه استعاري وأن اللغة الطبيعية كلها استعارية، وقد تبنّى العزوي مقولة لاكوف وجونسون (الاستعارات التي نحيا بها) وتمثلها بقوله: (بدون الاستعارة لا تفكير ولا تعبير، ولا فهم، ولا إدراك، ولا تواصل، ولا حجاج، ولا تأثير) زيادة على تبنّيه تقسيماتهما للاستعارة².

3- حجاجية الكناية في "التوابع والزوابع":

3.1- الكناية في اللغة:

هي مصدر كنييت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به وعليه فلامه ياء، وقد يقال كنوت به عنه بالواو، فتكون لامه واوًا، ولكن هذه اللغة قليلة إذ لم يسمع كناوة بالواو³، أما في الاصطلاح: هي لفظ أُطلق وأريدَ به لازم معناه مع جواز إرادته معه، وهي بهذا المعنى أخص من معناها اللغوي، وتطلق على ذلك اللفظ المأتي به، وهذا المعنى هو الكثير في استعمالها⁴، وقد عرّفها عبد القاهر الجرجاني: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفّه في الوجود، فيؤمى به إليه ويجعله دليلا عليه"⁵، وضبطها الزمخشري: "أن تذكر الشيء بغير

¹ يُنظر: جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر

² باسم عبيد عباس، جهود الدكتور العزوي في الدلالة المعرفية، مجلة العلوم الإنسانية، ع2، 2020

³ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك.ن.ي)

⁴ بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ضمن شروح التلخيص، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ج4، ص237

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، ص66

لفظه الموضوع له كقوله: طويلُ النَّجادِ والحمائلُ لطولِ القامةِ، وكثيرُ الرِّمادِ للمضيافِ. ولعلَّ الزمخشري يريد أنها تدل على لازم معناها الأصلي، مع دلالتها على معناها الحقيقي تبعاً¹، ويمكن القول أن: "حدُّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبيّ الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز"²، كما عرّفها بعضهم "أنها اللفظ المحتمل" أي اللفظ الذي يحمل الدلالة على المعنى وعلى خلافه.

-الكناية (The metonymy) هي لون من ألوان التصوير، وضرب من ضروب البيان "يُستعان به على رسم الصورة البيانية، فيمنح التعبير جمالا، ويهبُ المعنى قوة ورسوخا"³، لما تحمله من ستر للمعنى مع تعريض لطيف عنه، تستلطفه النفس عند استنباطه وكشفه، فعبد القاهر الجرجاني يراها: "الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح"⁴، فهو يضع الكناية أرفع مرتبة من الإفصاح بالكلام، والتعريض والتلميح أوقع وأشدّ تأثيرا في النفس من التصريح به، فضلا عما يحققه التصوير الكنائي من إيجاز وإيحاء بقوة الرمز والإشارة، عبر سوقها كدليل إثبات على ما يذهب إليه المرسل في خطابه فهي: "أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، أكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها، فنتبثها هكذا ساذجاً غفلاً وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف، وبحيث لا يشكّ فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط"⁵، أمّا التعريض (The insinuation) فهو "اللفظ الدال على الشيء عن طريق

¹ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف . القاهرة . بيروت، ط1، (د.ت)، ص235

² ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ج2، ص182

³ إبراهيم بن عبد الرحمن الغنيم، الصورة الفنية في الشعر العربي، مثال و نقد، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص160

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، ص70

⁵ المصدر نفسه، ص72

المفهوم، بالوضع الحقيقي وإلا المجازي، وهو أخفى من الكناية¹، وقد عرّف السيوطي الكناية والتعريض بقوله: "هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة وقد تقدم أن الكناية أبلغ من التصريح وعرفها أهل البيان بأنها لفظ أريد به لازم معناه"²، وقد وجد الفرق بينهما أنّ: "للناس في الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة فقال الزمخشري الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض أن تذكر شيئاً تدل به على شيء لم تذكره.. وقال السكاكي: التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ومنه أن يخاطب واحد ويُرَاد غيره وسُمِّيَ به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشارا به إلى آخر يقال: نظر إليه بعرض وجهه أي جانبه"³.

استثمر ابن شهيد هذه الوسيلة الإقناعية الخفية في نقد خصومه، والدفاع عن أدبه، وإثباته أن سرّ العملية الإبداعية يرجع إلى الموهبة والإلهام، وهذا ما أنكره حسّاده وخصومه منه، متهمين إياه بـ"التقصُّص والتلصُّص"⁴، حاسدين ما حقّقه من مجد أدبي، زاعمين بأن له "شيطانا يهديه، وشيطانا يأتيه"⁵، ومن ثم انطلق في تعزيز أفكاره في مناظراته ومطارحاته لأعدائه ومناوئيه، لأنّ التعريض أبلغ وأوقع في النفس، فهو كما عرّفه السجلماسي: "اقتضاب الدلالة على الشيء بضده، ونقيضه من قبل أن في ظاهره إثبات الحكم لشيء نفيه عن ضده ونقيضه"⁶، كون الكناية أبلغ من التصريح، فقصد التعريض بهم للتأثير في المتلقي، عبر نقل صورة عنهم، بقلب زاوية الرؤية لهم، ومن ثم تشويه منظومة هؤلاء الخصوم والحساد الثقافية والأدبية والسياسية، لهذا تراه اتكأ على

¹ ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تق: أحمد الحوفي ويدوي طبانة، ج3، ص57

² السيوطي، كتاب الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص159

³ المصدر نفسه، ج3، ص 163 - 164

⁴ ابن بسام ، الذخيرة، ص231

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزواج، ص88

⁶ محمد السجلماسي، المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، علال الغازي، 1980، مكتبة المعارف، الرياض، ص266

الرمزية في خطابه، معتمدا لغة الإشارة والإيماء، كوسيلة لغوية يرمي بها تحقيق مقاصده، إذ استعار أسماء بعض الحيوانات، وأسند لها وظائف فاعلة في التأشير على طبيعة الدور الذي ستقوم به، وما شاع عنها من صفات (الحُمق/الغباء/الطيش/الجبين/الجشع)، لأنّ "الأمثلة الحيوانية كالتشبيه تستخدم لأغراض كثيرة: التوضيح والترويح والتشويق"¹ منها:

3. 2- حيوان الجنّ: بغلة أبي عيسى:

"وقالت لي البغلة: أما تعرفني أبا عامر؟.. فإذا هي بغلة أبي عيسى.. فتباكينا طويلا، وأخذنا في ذكر أيامنا، فقالت: ما أبقت منك؟ قلت: ما ترين. قالت: شبّ عمرو عن الطوق! فما فعل الأحبة بعدي، أهُم على العهد؟ قلت: شبّ الغلمان، وشاخ الفتيان، وتتكّرت الخلان، ومن إخوانك من بلغ الإمامة، وانتهى إلى الوزارة"²

سمّاها ابن شهيد بهذا التركيب الإضافي: "بغلة أبي عيسى" تمييزا لها عن سائر حيوان الجنّ، كما أنّها سلوكيا تختلف عنهم، إذ "لم تدخّل فيما دخلت فيه العانة من سوء العجلة وسُخف الحركة"³، ليظهر من خلال تحاوره معها أن بينهما ألفة، فهي بغلة صديقه أبي عيسى في قولها: "أما تعرفني أبا عامر؟.. وأخذنا في ذكر أيامنا"، كما جمعتها مودّة ومشاركة وجدانية في قوله: "فتباكينا طويلا"، واختار "البغلة" لما يحمل هذا الحيوان من رمزية عن ضخامة الجسد، وما يشيخ عنها من غياب وبلادة، لتكون رمزا لرجال السياسة في عصره، لتبليغ رسالة مضمنة (Implicite) للمتلقّي، "قاصدا الطعن على منافسيه من الوزراء والأدباء وأهل السياسة والقلم، ثم منافحته عن أدبه بالرد على غمزات نُقّاده، ثم إظهار محاسنه وفضائله في المتقدمين والمتأخرين"⁴، دون أن يجد حرجا في هذه المعاني

¹ فريال الجبوري، قصص الحيوان بين موروثنا الشعبي وتراثنا الفلسفي، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، مج13، ع3، ص144

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزواج، ص149

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزواج، ص148

⁴ المصدر نفسه، ص70

المُستهجنة والصورة المستقبحة عنهم، لأنه يقصد النيل من خصومه، دون أن يدع لهم سبيلا عليه، إذ "من خواص الكناية أنها تمكنك من أن تشفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل له إليك سبيل ودون أن تخذش وجه الأدب"¹، غير أن مثار السخرية هنا هو في تشبيه رجال السياسة بها في تفكيرهم وسياستهم وإدارتهم لشؤون الدولة الأندلسية، فهم بلغوا الوزارة، وارتقوا إلى الإمارة، وهم لا يملكون من أدوات السياسة سوى التسلق والتزلف للوصول إلى أعلى المناصب، ولعل حرمانه من الوزارة هو ما نمى فيه ذلك الإحساس لأنه استوزر لشهرين ثم تمّ عزله، "إذ إنه لم يصل إلى منزلة الكتابة في الديوان ليلقب بالوزير الكاتب، على شدة تشوقه إلى بلوغ هذا الشرف، أسوة بغيره من الوزراء الأدباء"²، كما أنه سعى إليها عبر "تقرّبه بنثره وكتابته الفنية، التي كانت أمنية سعى إلى تحقيقها، وبلغ أهمية الكتابة أن أصبحت جسرا يعبره الكتاب للوصول إلى المناصب العليا، فيبلغ مرتبة الوزارة لكنه لو انفرد بالشعر دون الكتابة لما استطاع أن يبلغ تلك الوظيفة"³، كما أنّ آفة الصمم التي أصابته، بحرمانه من تولي منصب أمين السر، أو كاتب الرسائل، المسؤول عن كل المكاتبات الرسمية، فاقمت من شعوره بالحنق على السياسيين، إذ "يبدو أنّ ابن شهيد كان يعاني من الصمم معظم أيام حياته، ولعله أصيب في هذه الأيام الأولى بهذا النقص الذي كان سببا في يوم من مستقبل أيامه في أن لا يصل إلى المنصب الذي كان يرنو إليه وهو الكتابة.. وكان شعور ابن شهيد بالمرارة، إذ فاته المنصب لصممه"⁴، كما أنّ الأوضاع السياسية في عصره تسير إلى أسوأ حتى انتهت بتلك الفتنة، إذ "قدرت

¹ السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، ص354

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص9

³ فايز القيس عبد النبي، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ط1، دار البشير، عمان، 1989م،

ص145

⁴ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، مقدمة المحقق يعقوب زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ت، القاهرة، ص16

الفتنة البربرية التي ضربت الأندلس 400هـ. 422هـ¹، وأصابتها في مقتل، لهذا يصفها ابن شهيد في ديوانه بالفاجعة الكبرى بقوله:

ودوية من فتنة مُدلهمة *** دريس الصوى معروفها منتكّر²

هؤلاء الساسة الجهلاء الذين يُصورهم ك"حُمُر فوق الصواهل" بحسرة صارخا يقول:

وأصبحتُ في خلف إذا ما لمحتهم * تبيّنتُ أن الجهل إحدى الفضائل

أرى حُمرا فوق الصواهل جمّة * فأبكي بعيني ذلّ تلك الصواهل

وريت الكتاب إذا قيل زوّروا * بكت من تأنيهم صدور الرسائل³

رجال السياسة في عصره الذين تقلّدوا أسمى المناصب في الدولة، كانوا مثار سخريته منهم ومن عقولهم، ولا عجب في ذلك لأن "السياسة هدف طبيعي للسخرية، إذ هي مسرح دائم للرشوة، والفساد المنفعة الطبقة"⁴، وقد عمد ابن شهيد في سخريته على التلميح دون التصريح، بتجاوزه التجريح ومشاعر الهجاء، لأنها ما هي "سوى تعبير مادي عن تلك الضلال الشعورية الموحشة"⁵، فالهجاء يستند على المباشرة والإيضاح في إبراز العيوب، عبر السعي للتحقير والتشهير بالمهجو لأنه يصدر من نفوس حاقدة، عكس السخرية التي تركز على المراوغة والإخفاء الموحى بالمعنى الحقيقي المقصود، وتصدر في الغالب من نفوس متألمة من أوضاع تتمنى لها الإصلاح، فمكوّن السخرية عند ابن شهيد غرضه إيصال أفكاره ومقاصده الحجاجية، إذ بعد لقاء أبي عامر بالبغلة، وتبادلها البكاء والذكريات "فتباكيننا طويلا..وأخذنا في ذكر أيامنا"، تسألته عن حاله: "ما أبقت منك

¹ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تح وتع: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، 79/1

² ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، رجعه: محمود علي مكي، ص108

³ المصدر نفسه، ص144

⁴ إليزابيث دور، الشعر كيف نفهمه ونذوقه، تر: محمد إبراهيم الشوش، ط1، بيروت، 1961، ص89

⁵ إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ص7

الأيام؟" يجيب متألماً: "ما ترين"، "قالت: شبّ عمرو عن الطوق" مستدلّة بالمثل العربي لتوحي من خلاله بعوامل الزمن وآثاره بطلوها ومُرّها التي غيرت شخصيته، ليستذكرا أيام الماضي القريب، وما كان فيه من ازدهار واستقرار، تحت حكم رجال سياسة أكفاء (العامريين)، إذ "كان وفيًا مع آل عامر ويذكرهم بالخير ويعترف لهم بالفضل ولا يزال يحنُّ إلى عطفهم، ويتطلع إلى شروق شمسهم، الذين كان يرى في حُكمهم الوحدة والازدهار، يقول:

أيام كان الأمرُ فيها واحداً *** لأميرها وأمير من يتأمر¹

حيث "لم يكد يصل سن الرابعة والعشرين حتى زُجَّ به في السجن لأنَّ وزير ابن حمود أفسدا العلاقة بينه وبين ابن شهيد، وظلَّ يستعطفه حتى ردَّ إليه حريته"²، إلى تبدُّل الأزمان وهمم الفتیان وتغير الإخوان، إذ كثيراً ما اشتكى من عاديات الزمان وتقلبات الأيام، كقوله:

جار الزمانُ عليهمُ ففترقوا *** في كلِّ ناحية وباد الأكثرُ

جرت الخطوبُ على محلِّ ديارهم * * * وعليهمُ فتغيّرت وتغيّروا³

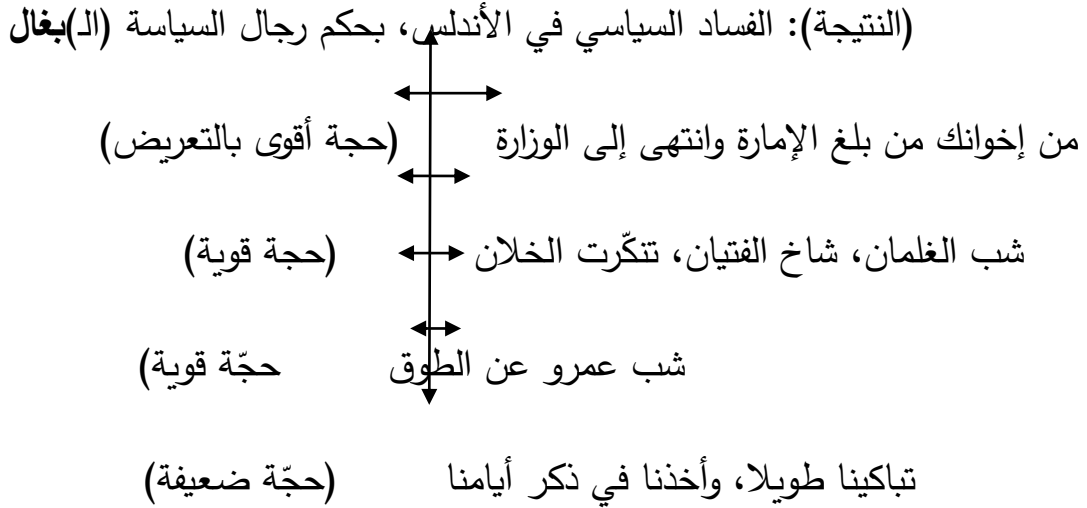
لتسأله عن الأحبة، فيجيب: "شبّ الغلمان، وشاخ الفتیان، وتكرت الخلان"، وبعد سلسلة من الحجج الجزئية التي ساقها على سوء الأحوال (شبّ/شاخ/تتكر)، لينتهي بهذا التعريض الذي يأتي كدليل على صدق دعواه: "ومن إخوانك من بلغ الإمارة، وانتهى إلى الوزارة"، يرومُّ منه التلميح لما آلت إليه الأندلس من اتضاع وفساد سياسي، ويسوقه بينة (Evidence) ذات ثقل منطقي عبر التعريض الذي كان "وسيلة لتقديم السقوط وزيف

¹ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، يعقوب زكي، ص 111

² شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات: الأندلس، دار المعارف، ط 2، 1994، ص 450

³ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، يعقوب زكي، ص 109 - 110

الارتقاء"¹، بأن إخوانا لها من البغال تسلّقوا في سلّم المجد والمعالي حتى أصبحوا وزراء وأمراء، "لأنّ ذكر الشيء ومعه دليله وبرهانه أوقع في النفس وأعمق بالفؤاد من أن يتركه من غير برهان"²، وعليه يمكن تشكيل ذلك وفق التمثيل الحجاجي الآتي:



فالتعبير الكنائي: "ومن إخوانك من بلغ الإمارة وانتهى إلى الوزارة"، جاء أكثر حملا للطاقة الحجاجية، كونها دليل على صدق دعواه، كما تُجبر المتلقّي على التخيل وإعمال الذهن لفهم المقصود المضمّر، لهذا تجد هذه التعابير تحتل الرتبة الأعلى في السلّم الحجاجي، "لأن القول الاستعاري ينطوي على قوة حجاجية عالية"³، وهذا ما ينشد أبو عامر تحقيقه في متلقيه. وقد روى بن حيان عن الإفريقي وغيره من فقهاء وسياسي عصره، كيف يتزلّفون إلى الأمراء، لاستكتابهم واستوزارهم في المناصب خاصة أيام عصفت بالأندلس تلك الفتنة، وما لحق مفاصل الدولة من ضعف وانقسام بقوله: "وكان لحق الفتنة البربرية بقرطبة، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود ومن تلاهم إلى أن نال الجاه، واستكتبه محمد بن عبد العزيز المستكفي بعد ابن برد، فوقع

¹ سيزا قاسم ، المفارقة في القصص العربي المعاصر، فصول، ص149

² الثعالبي ، الكناية والتعريض، دراسة وشرح وتح: عائشة حسين فريد، دار قباء للنشر والتوزيع، مصر، 1997، ص44

³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص1021

كلامه جانبا من البلاغة، لأنه كان على طريقة المعلمين والمتكلمين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهّد فيه..¹

3.3- حيوان الجن: الإوزة الأدبية:

"وكانت في البركة بقربنا إوزة بيضاء شهلاء.. فقلت لزهير: ما شأنها؟ قال: هي تابعة شيخ من مشيختكم، تسمى العاقلة، وتكنى أم خفيف، وهي ذات حظ من الأدب، فاستعدّ لها. فقلت: أيتها الإوزة الجميلة، العريضة الطويلة.."²

-الإوزة (Goose) في اللغة مشتقة من (الوزوزة*) : وتعني الخفة والطيش³، اتخذ أبو عامر من هذا النوع من طائر الماء "الإوزة" رمزا لرجال النحو واللغة والكتابة، الذين يراهم بنفس صفاتها (الخفة والطيش) فقال فيهم:

ورُبّت كُتّاب إذا قيل: زوّروا *** بكت من تأنّهم صُدورُ الرّسائل

وناقل فقه لم ير الله قلبه *** يظنّ بأنّ الدّين حفظُ المسائل⁴

ويتخذ من التّعريض أسلوبا مكتنزا بالحمولة الإقناعية، يروم من خلاله تحقيق الإذعان لأفكاره، "فإذا كانت الكناية معنى المعنى فإن لفظها محتمل للمعنى ومعنى المعنى في الوقت ذاته، فمن وقف على المعنى فهو في إطار الحقيقة ومحيطها، ومن انتهى إلى معنى المعنى فقد تجاوز الحقيقة والتعبير المباشر"⁵، وحينما لُقّب ابن شهيد تابع امرئ القيس بـ"السيد"، كان هذا ضمن خطته التراثية للشعراء، إذ لا يتساوون في

¹ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص282

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص146

³ ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص203 (حرف الواو)*الوزوزة: الخفة والطيش، ورجل وزواز و وزاوة: طائش، خفيف في مشيه، والوزوزة أيضا: مقارنة الخطو مع تحريك الجسد، وفعلها وزوز: بمعنى خفّ وطاش

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص154

⁵ محمد جابر فياض، الكناية، دار المنار، القاهرة، مصر، ط1، 1409هـ ص84

مسألة الإبداع، كما يختلفون في القدرات، ويتفاضلون فيما أتاهم الله من ملكات بإقراره: "وأهل صناعة الكلام متباينون في المنزلة، ومتفاضلون في شرف المرتبة، على مقدار إحسانهم وتصرفهم"¹، وهذا لا يتأتى إلا ببراعة المتكلم التصويرية، وقدرته الفنية واتساع ثقافته وعمق أفكاره؛ مما يُكسب الكناية قوّة حجاجية، يتوسّلها المتكلم كوسيلة إقناعية، يكشف من خلالها شخصية رجال اللغة والأدب في عصره، وما يتمتعون به من هيبة ووقار مصطنع في اللغة والكتابة، من خلال تلك الصور النمطية التي يظهرون بها، وتلك الهالة من الاحترام والتبجيل التي يتعامل معهم المجتمع بها، لذلك يصفهم ساخرا "قلت: نعم إنها لحاء الشجر، وليس ثمة ثمر ولا عبق"²، فهم كالإوزة يتمتعون بجمال المظهر المزيف والمصطنع (بيضاء، شهلاء، كأنما نُزّ عليها الكافور)، أما في الجوهر فهم مجرد أوعية تحفظ اللغة، دون أن تفهمها، إذ "ولا للفرايدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة، إنما هي لكنة أعجمية يؤدون بها المعاني تأدية المجوس والنبط"³، وقد التقت الجاحظ إلى حسن اختيار الحجج المناسبة، التي تناسب دورها المقام، بالتفاته إلى توضيح بعض تقنيات البصر بالحجة وهي الكناية إذا كان التصريح طريقة غير مأمونة في تحقيق الغاية من الحجاج وهي الظفر بالخصم في قوله: "قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر"⁴، يروم بها التأثير في المتلقي، وآلياتها التأثيرية، وقدرتها على تحريك الأذهان، وإثارة العواطف، ولها قدرة على إبراز المعاني وأدائها خير أداء، إذ كل كناية تتضمن الحكم مصحوبا بدليله، وذلك

¹ المصدر نفسه ص 91

المصدر نفسه ، ص 117

³ المصدر نفسه ، ص 117

⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج 1، ص 88

أبلغ في تأدية المعنى وتثبيته في النفس"¹، "فلذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دَوّنته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم. ونطقت ببعضه على ألسن الوحش والطيور. وإنّما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها. والمقدمات مضمونة إلى نتائجها"²، وكان ابن شهيد عبر البغلة والإوّة "يدعو نُقاد الأندلس ولغوييها خاصة الذين يطالبون الشاعر الأندلسي بالتجمد في "طريقة الأوائل" إلى تأمل تاريخ الأدب، وإدراك أن الشعر له تاريخ تتغير محطاته بتغير الظروف المحيطة بالنص الشعري، فإذا كان "امرؤ القيس" ذاته الواقف على الديار الخربة والباكي عليها، الفاتح للشعراء هذا الباب، قد تقبل النص الجديد والمقدمة الجديدة، فكيف لا يكون هذا حال لغويي الأندلس؟"³، كما اعتمد ابن شهيد الكثير من **التعابير الكنائية** ممزوجة بالهزل الذي يُراد منه الجد، وإن كان ظاهره غير ذلك، لأن الهزل هو "الذي يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدًا، أما التهكم فظاهره جد وباطنه هزل"⁴، كقوله يهجو بعض كتاب زمانه:

ويح الكتابة من شيخ هبنقة * * * * يلقى العيون برأس مخه رار *

ومنتن الرّيح إن ناجيته أبدا * * * كأنما مات في خيشومه فار⁵

استغلّ ابن شهيد الكناية لأنها تقوم على "الانتقال في الجميع من الملزوم إلى اللازم، فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء ببيئته، ولا شك أن دعوى الشيء ببيئته أبلغ في إثباته من دعواه بلا بيئته"⁶، كما وظّفها بتفاوت ما بين "تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء،

¹ عبد الغني بن بركة، أسلوب الدعوة القرآنية، الطبعة 1، مكتبة وهبة، 1983م، ص 129

² جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، ص 158

³ مرزاقه عمراني، قراءة ابن شهيد الأندلسي للنص الشعري القديم، ص 160

⁴ الحلبي شهاب الدين محمود، حسن التوصل إلى صناعة الترسيل، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، 1976، ص 319

⁵ ابن شهيد، الديوان، يعقوب زكي، ص 106 (*هبنقة: رجل يُضرب به المثل في الحمق/الرار: المخّ الذائب)

⁶ القزويني، الإيضاح في البلاغة، تح وتغ: غريد اليخ محمد وإيمان الشيخ محمد، ص 233

وإشارة¹، أسند بها خطابه الحجاجي بوصفه ما لاقاه من تشكيك وطعن فيه من حساده، بتعريضه على لسان تابعي الجاحظ وعبد الحميد: "أنتك لا تجازى في أبناء جنسك، ولا يُملُّ من الطعن عليك"²، هؤلاء الخصوم الذين منهم حتى الصديق كأبي بكر، وهم من الشخصيات ذات الحضور والوجاهة في المجتمع الأندلسي، كما كان منهم الفقهاء والوزراء والقضاة، لكن كشف حقيقتهم متكأ على التصوير الكنائي لهم، لأنّ التعريض هو "إمالة الكلام إلى عرض (بضم العين)، وهو الجانب والناحية تقول (عرضتُ لفلان) وذلك إذا قلت قولاً لغيره وأنت تعنيه هو"³ كقوله: "ولكنّي عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيْتُ بغباوة أهل الزمان"⁴، كما عرض بامتلائهم الموهوم أمام خوائهم الفكري والعلمي، بحرصهم الشديد على الظهور بتلك الصورة النمطية المعهودة منهم في: "أهذا على تلك المناظر، وكبر تلك المحابر، وكمال تلك الطيالس؟ قلتُ: نعم، إنّها لحاء الشجر"⁵، فابن شهيد يعي أنّه كلما خاض "المتكلم في نفسية المخاطب إلا وكان ذلك أكثر تأثيراً وجذباً له وهو علامة لكل حجاج ناجح"⁶، "وعليه شكّل أسلوب الرسالة بناء على منزلة المتلقي العلمية ومكانته الاجتماعية، فتوسل سُبُل النفاذ لقلوبهم وعقولهم، وبالتالي قبولهم بدعوى الرسالة، فالأنشطة الذهنية التي يقوم بها السامع وهو ينظر في القضية المعروضة عليه، ويحكّم فيها عقله، لينتقل بعد ذلك إلى تبني رأي معين واتخاذ قرار ما، إلا أن ذلك كله يتم بتأثير من العواطف التي يثيرها الخطيب في السامع"⁷

¹ المصدر نفسه ، ص 231

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 122

³ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديح، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 11، 1428هـ-2007م، ص 259

⁴ المصدر نفسه، ص 116

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 117

⁶ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، عالم الفكر، العدد 3، المجلد 28، 2000، ص 82

⁷ حاتم عبيد، منزلة العواطف في الحجاج، مجلة عالم الفكر، ص 242

4- نظرية الأفعال الكلامية (Speech act theory)

تعد التداولية ملتقى لحقول معرفية عديدة، بتجاوزها المعاني الضيقة للفعل في حد ذاته بدلالاته المختلفة، ومنه تبرز الأفعال الكلامية كعنصر مهم في الفكر التداولي، وسعيها لتحقيق أغراض إنجازية وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي، والبدايات الأولى لهذه النظرية كانت فلسفية، لأن بدايتها ترتبط وبشكل وثيق بفلاسفة اللغة الذين أسهموا في نشأتها "والدافع الذي كان وراء دراستهم للغة هو التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذهن في تصويره للعالم"¹

4.1- أوستين Austin والأفعال الكلامية (Speech Acts) (1957):

رأت نظرية الأفعال الكلامية النور على يد الفيلسوف المعاصر ج.ل. أوستين (J.L. Austin) 1960، ثم عمل على إجلاء معالمها الفيلسوف ج. سيرل (Searle) ليصوغها الصياغة النهائية، وتقوم فلسفة أوستين على إيلاء العناية للمقاصد التواصلية، إذا كان البلاغيون يبحثون عن الجمال في الخطاب، فالتداوليون يبحثون عن مقاصد المتكلم في الخطاب، ولدراسة البعد التواصلية الإبلاغي للظواهر الخطابية، في كتاب الفيلسوف الإنجليزي أوستين (Austin) كيف ننجز الأشياء بالكلام؟² (How to do things with words?) الذي يعتبر "ثورة في تجديد الفكر الفلسفي واللساني بوجه عام"³، ولدراسة استعمالات اللغة بالسعي للإجابة عن أسئلة مهمة: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟ كيف نتكلم شيئاً ونريد شيئاً آخر؟ وهو عبارة عن اثنتا عشرة محاضرة ألقاها في جامعة هارفارد الأمريكية سنة 1955م،

¹ طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994م، ص.أ، ص 119-125

² أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قيني، أفريقيا الشرق، 1991

³ أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص4

وترجمت إلى الفرنسية، وكذلك إلى العربية، والكتاب شهادة ميلاد حقيقية لنظرية أفعال الكلام، التي تُعدّ من الموضوعات الأساسية للسانيات التداولية، ويعد الفعل الكلامي (Act de parole) المفهوم الأساس الذي انبنت عليه، ويشير سيرل (Searle) إلى أن هذا المصطلح كان مستعملاً من قبل لغويين بنائين أمثال بلوم فيلد (Bloom Field) في العقد الثالث من القرن العشرين، غير أن معناه الحديث من إبداع أوستين (Austin) فهو من قَدَم مفاهيم دقيقة حول طبيعته وخصائصه، غير أن علماء آخرين طوروه أمثال سيرل (Searle) (وريكانتي¹ (Récanati) وغوفمان (Goffman) وأوركينيوني (Orecchioni) وهابرماس (Habermas)، وقد أثار مصطلح (Speech acts) الذي وضعه أوستين حيرة للترجمات الموازية في اللغة الفرنسية، إذ تعددت بين (Actes de langage) أفعال اللغة (Actes de parole) أفعال الكلام (Actes de discours) أفعال الخطاب، وقد قابله نفس القلق في الترجمات العربية، بين (أفعال اللغة) و(أفعال الكلام) و(أفعال الخطاب)، وقد فصل ديكرو (Ducrot) في ذلك، وذكر أن حمل هذا المصطلح على مقابلته بأفعال اللغة² (Actes de langage) لأنه راج بشكل كبير في الأوساط اللسانية، فاللغة حسب أوستين "ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب. وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية"³، بل هي "أيضاً تحقيق فعلي للحدث، تحقيق تحكمه القواعد وتوجّهه الأهداف"⁴، "حيث الأمر والنهي والإخبار والاستفهام وغيرها تمثل إنجازات لغوية"⁵، لأنّ الفعل في نظر هذه النظرية مفاده: "أنّ التكلم في حد ذاته يمثل

¹ François Récanati, «Qu'est -ce qu'un acte locutionnaire?» (article), in Communications n32, 1980, p190-215

² عبد السلام إسماعيلي علوي، التلفظ والإنجاز (مقال)، ص 51-60، يُنظر على: www.fikrwanakd.aljabriabed.net

³ أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 5

⁴ C.K.Orecchioni, L'énonciation de la subjectivité dans le langage, éd Armand Colin, Paris, p185

⁵ عبد السلام إسماعيلي علوي، التلفظ والإنجاز

شكلا من أشكال السلوك الإنساني المنظم"¹، كما أدخل أوستين (Austin) مفهوم القصدية (Intentionnalité) لأنّ الفعل اللغوي "فعل قصدي. فبناء على أننا لا نتكلم لأجل لا شيء، وأننا نتكلم بالضبط لأجل غايات وأهداف محددة"²، فالفعل الكلامي Speech (act)، والفعل المتضمن في القول، يخرج لأغراض إنجازية (Actes illocutoires)، إذ يرى "قد تبين أنه من المناسب أن نرجع إلى احتكام آخر، وأن ننظر كم هي الجهات التي يمكن معها أن ندعي بأن قول شيء ما هو إنجازه"³، وغايات تأثيرية في الفعل الناتج عن القول (Actes perlocutoires)، والفعل الكلامي الكامل (Acte de discours intégral)، وقد ركز أوستين على الفعل المتضمن في القول والفعل الناتج عن القول، فإذا قلنا الباب مفتوح، فهي جملة إنجازية تعني أغلق الباب، والفعل الناتج هو الغلق، أو أن تقول الوالدة لابنها المتمدرس: "الامتحانات على الأبواب" معناها واضح، لكن هذا القول يتضمّن معاني أخرى مضمرة، لا يمكن فهمها إلا بالعودة إلى السياق المقامي لهذا القول، ومنه قد يفهم البعض أنّ الأم تطلب من ابنها الاجتهاد بالمراجعة قبل الامتحانات، وقد يفهم البعض الآخر أنّها تُذكره بمعدل الفصل الفارط الذي استهتر فيه بعدم المراجعة، وقد يفهم آخرون أنّها تهدّده بالعقاب إذا لم يُحسن من مستواه في هذا الفصل، وغيرها من معاني مضمرة، تمثّل في حد ذاتها جملة من الأفعال الكلامية المنجزة ضمن صنف التوجيهيات (Les directives)، ويتكوّن الفعل الكلامي حسب أوستين (Austin) من: فعل لغوي (Acte illocutoire) مثال: لا تُدخّن، فعل إنجازي (Acte illocutoire)، وهو النهي عن التدخين، وفعل تأثيري (Acte perlocutoire)، يتمثّل في رد فعل المخاطب بالاستجابة أو الرفض، غير أنّ الفعل الإنجازي يكون أكثر وضوحاً، من خلال أدائته الصريحة، وهي توافق ما سمّاه أوستين (Austin) (الأدائية)، ويقوم الفعل الكلامي على عناصر تركيبية ثلاث هي:

¹ John Searle, Les actes de langage, par H. Pauchard, préface O. Ducrot, éd Hermann, p59

² Oswald Ducrot, dire et ne pas dire, éd Hermann, Paris, 2éd 1980, p10

³ John. Langshaw. Austin, Quand dire c'est faire, Tr G. Lane, éd Seuil, 1970, p109

الفعل التصويطي (L'acte phonétique) ويكون بإصدار الأصوات، والفعل التأليفي (L'acte phatique) ويعني متواليات الأصوات طبقاً لنظام تأليفها، والفعل الإحالي (L'acte rhétique) الذي ينشأ من ارتباط الوحدات التأليفية بالمراجع الخارجية، وتحقيق هذه الأفعال يتحقق الفعل الكلامي، كما أننا "كلّ ما حَقَّقنا فعلاً كلامياً في سياق استعماله معين، نكون منجزين للفعل، كأن نُخبر أو نعد أو نتساءل"¹، عبر ما ينطوي عليه الفعل الكلامي من قوى إنجازية (Forces illocutoires)، قد يمثلها الإخبار أو الوعد أو الاستفهام، لتمكّن "الفعل الإنجازي الذي من خلاله تبرز معالم اعتبارات الاستعمال"²، وقد خلص أوستين إلى أنّ تحقيق الإنجازية يتمّ بشروط

4. 2- سيرل (Searle) بين الفعل القضوي والقوة الإنجازية (1969):

حاول سيرل عبر إدراجه الفعل القضوي (L'acte propositionnel) تدارك الالتباس الذي حصل بين الفعل الإحالي والفعل الإنجازي، لسهولة تصورنا للفعل التصويطي والفعل التأليفي، "لأنّ نظام التصويت والتأليف يظل في الواقع هو هو، سواء تعلق الأمر بإنجاز الطلب أو الوعد أو الاستفهام أو غيره"³، غير أنّ الصعوبة تظهر مع الفعل الإحالي لأنّه يقوم على إدراج المعنى وإدراجه قبل القوّة الإنجازية، لهذا عمد إلى إعادة صياغة تركيبية الفعل اللغوي بالتفريق بين المحتوى القضوي والقوة الإنجازية، عبر إمكانية ظهور المحتوى القضوي الواحد مع تحقيق أفعال إنجازية مختلفة عبر عناصر الفعل الكلامي (Speech act): الفعل اللغوي/الفعل القضوي/الفعل التأثيري/الفعل الإنجازي⁴، كما فرض سيرل شروطاً لتحقيق الإنجازية¹ بنجاح

¹ J.L.Austin, Quand dire c'est faire, p112-113

² J.L.Austin, Quand dire c'est faire, p112

³ John Searle, Les actes de langage, La préface de O. Ducrot, p26

⁴ الفعل اللغوي: الفعل الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين: يطلب/ينصح/يأمر (أغلق النافذة)/الفعل القضوي: نسبة إلى القضية التي تقوم على المتحدث عنه أو المرجع أو المتحدث به أو الخبر/الفعل الإنجازي: الجملة توجيه مباشر، الغرض

4. 3- غرايس Grace ومبدأ التعاون (Principe de cooperation):

سمّى غرايس (Herbert Paul Grace) هذه الظاهرة اللغوية الاستلزام الحوارية (L'implication conversationnelle) ومسلمات المحادثة، هو جملة من المبادئ تُحيلُ إلى معنى مُضمر، خاضع لجملة من القواعد يتوخّاها المتكلم ويُدركها المتلقّي، فلو قلنا لأحدهم: هل ذهبتَ لعرس أحمد ليلة أمس؟ فيجيب: والدّه لم يُقدّم هديّة لأخي لَمّا تزوّج، فالجوابُ هنا لا شأن له حرفياً بالسؤال، ولكنّه أجابَ بطريقة إستلزامية، يعرف حقيقة تأثيرها المتكلم والمخاطب، فقد أجاب بأنّه لم يذهب مع قوّة إنجازية حجاجيّة تكمن في سبب قويّ ومشروع ومُراعي للأعراف الاجتماعية، فالكلام العادي في الاستلزام الحوارية يدلُّ على المعنى غير المباشر للقول، وينهض مبدأ التعاون على أربعة مسلمات: مسلّمة القَدْر Quantité/الكيف Qualité/الملاءمة Pertinence/الجهة Modalité، وتُعرف تلك المقاصد غير المعلنة قي الخطاب **بمتضمّنات القول Implicites**:² ويرتكز الفعل المُتضمن في القول على مركزين:

الإنجازي منه هو حث المخاطب على القيام بفعل معين (إغلاق النافذة)/القوّة الإنجازية: تتراوح قوّة التوجيه بين الطلب برفق والأمر، واعتماده على نبرة الصوت والسياق، إضافة إلى "من فضلك" التي تُخفّف من حدة الأمر و تقرب من الطلب بلين، وقد وضع سيرل شروطاً لتحقيق الإنجازية هي: الملاءمة: الشرط التمهيدي: النافذة مفتوحة-المخاطب قادر على إغلاق النافذة*/الإخلاص: المتكلم يريد فعلاً أن تُغلق النافذة*/الشرط الأساسي: القول محاولة لجعل المخاطب يغلق النافذة*/الاستجابة المتوقعة: يتوقع هذا التوجيه الاستجابة وهي قيام المخاطب بإغلاق النافذة، أو تقديم سبب عدم القيام بالتوجيه*/درجة الإلزام: رغم الصيغة المهذبة للتوجيه، إلا أنّ درجة الإلزام تعتمد على العلاقة بين المتكلم والمخاطب والسياق العام للتوجيه.

¹ حدّد سيرل (1975) خمسة أصناف للأفعال الإنجازية هي: الإخباريات: يعني الفعل اللغوي الذي يُلزم المتكلم بحقيقة الغرض القضوي المتحدّث عنه: أي ينقل الواقع كما هو مثال قراءة ورقة حكم*/الموجّهات أو التوجيهيات: تعني الفعل اللغوي الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين، مثال يطلب/ياأمر/ينصح*/الإلزاميات: تعني الفعل اللغوي الذي يُلزم المتكلم بفعل والالتزام بشيء في المستقبل مثال: يعدّ/يتعهّد*/التعبيريات: الفعل اللغوي الذي يعبر عن خلاله المتكلم عن موافقه وسلوكه ومشاعره تجاه الغرض مثال: يُهنئ/يعتذر/يشكر*/الإعلانيات: يعني الفعل اللغوي الذي يُغيّر الواقع بما يتوافق مع المحتوى القضوي (الحدث) للإعلان مثال: يُعلنه بريئاً/ يُعلنهما زوجين.

² يُنظر: Edoardo Lombardi Vallauri, L'implicite comme moyen de persuasion: une approche quantitative, 2018, Open Edition Journals, corela (revue de sciences du langage).

- (أ) الافتراض المُسبق (Pré-Supposition): مصطلح الافتراضات المسبقة¹ هو من وضع الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة (Fredje)، وهو المعنى الذي يُنتزع من القول الخطابى، أي أنّ هذا الافتراض مسجل في الملفوظ ولا نحتاج إلى معطى السياق الخارجى، فهو قصد المتكلم ومدى إدراك المتلقي لما عناه هذا الأخير من افتراضات سابقة (Pré-supposition) لدى كليهما مع افتراض معرفة مسبقة من قبل المتخاطبين، وما يتفقان في معرفته وعليه لا يحتاج إلى جهد عقلي لمعرفة ما يريده المتكلم ويكتفى بالكفاءة اللغوية عكس القول المُضمر

- (ب) القول المُضمر (Sous-entendus): منذ غرايس (Grace) أصبح مدار البحث هو التفريق بين القول والإضمار (What is said and what is implied?) فما يُقال هو المنطوق، وما يُضمر هو المعاني التي لم ترد صراحة (Implicit Meaning)، إذ هو مجموعة رموز يمكن فكها من خلال الخطاب، عبر الاستعانة بكامل إدراكات الفرد الذهنية والعقلية، ويحتاج المتلقي في القول المُضمر لفهم مراد المتكلم إلى أعمال الذهن، أكثر مما يبذله في الافتراض المسبق، لحاجته إلى كفاءات معرفية لتأويلها بناء على الظروف السياقية

5- الأفعال الكلامية في التقسيم العربى (الخبر والإنشاء):

تدرج ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربى "ضمن علم المعاني، وتحديدًا ضمن الظاهرة الأسلوبية الخبر والإنشاء"²، هذه المسألة التي استرعت انتباه وجهود علماء المنطق وأهل الاعتزال والمتكلمين، فالخبر في علم المنطق "هو الجملة التامة التي تحتمل الصدق والكذب"³، بينما أنكر الجاحظ انحصار الجملة في الصدق والكذب، ورأى أنّ

¹ يُنظر Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, 2021, Présupposition:

² مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص74

³ عبد الهادي الفضلي، خلاصة المنطق، مؤسسة أم البنين للمطبوعات، بيروت، لبنان، د.ت، ص21

الحكم في الكلام ثلاثة أقسام: خبر صادق، وهو المطابق للواقع مع الاعتقاد بذلك، و خبر كاذب، وهو ما لا يطابق الواقع، مع الاعتقاد بعدم مطابقته له، وخبر غير صادق ولا كاذب¹، أمّا ابن قتيبة (ت276هـ) فيرى أنّ الكلام أربعة أقسام: "أمر وخبر واستخبار ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر"²، بينما يُشير السكاكي إلى كون الجملة تحمل طبيعة استدلالية ذات صبغة حجاجية، من كون الخبر يستطيع النفي والإثبات للمبتدأ، ثمّ إنّّه في دراسته لقانوني الخبر والطلب في علم المعاني، قرّر أنّ فعل الإخبار أو الطلب يتضمّن إنجازاً لُجمل ذات مقاصد وأغراض تواصلية عديدة، وتُفيد إنجاز أفعال كلامية مباشرة، إذا ما وردت بحسب أصل الاستعمال، وتتجاوز ذلك لإنجاز أفعال كلامية غير مباشرة، إذا تمّ خرق أحد شروط إجرائها على أصل الاستعمال، ومحدّد المعنى الذي يضمن سلامة وصول القصد للمخاطب هو السياق أو المقام بصورة عامة؛ وبذلك فللمقام دور كبير في تحديد أغراض الخبر والطلب، إذا كانت تُفيد القصد الحقيقي أم لا، "فمتى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولّد منها ما ناسب المقام"³، والحجاج وطيد فهو "العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"

1.5- أضرب الجملة الخبرية :

صنّف علماء البلاغة ومنهم السكاكي في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري، بالنظر إلى طبيعة المتلقي في استقباله للخبر إلى حصرها في ثلاثة ضروب:

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، ج2، ص7-8

² ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، د.ت، ص7

³ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندواوي، ص416

5. 1. 1- الخبر الابتدائي: أشار اللغويون أنّ المخاطبين الذين يُلقى إليهم الخبر يُصنّفون إلى ثلاث أصناف: مخاطب خالي الذهن، مخاطب شاكّ متردّد، مخاطب جاحد منكر¹، فالمخاطب خالي الذهن من الحكم الذي يُلقيه المتكلم، ولا علم له به، غرضه مُطلق الإخبار²، كما يكون خال من أيّ مؤكّد، تنوعت مصادر الخبر في توابع ابن شهيد إلى مصادر إخبارية ثلاثة هي: ما يُخبر به الرّأوي، وما تُخبر به الشخصيات ذاتها، وما يستنتجه القارئ من أخبار عن طريق سلوك الشخصيات، ويترتّب عن هذا التصور أن تكون الشخصية الحكائية الواحدة متعددة الوجوه، وذلك بحسب تعدّد القراء، واختلاف تحليلاتهم³، كقوله في صدر رسالته: "تذاكرت يوماً مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء، وما كان يألّفهم من التوابع والزوابع.."⁴، كان الغرض من هذا الأسلوب مطلق الإخبار عن انطلاق أحداث التوابع، وقد استغنى فيه عن المؤكّدات، لأنّ القول جاء على سبيل سرد أحداث الحكاية، في موقف لا يحتاج فيه المخاطب التأكيد على ذلك، لأنّه خالي الذهن غير مُنكر للخبر، الذي لا علم له بما يحتويه من مضمون، حيث يقول السكاكي: "فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عمّا يلقى إليه، ليحضر طرفاً عنده، وينتفش في ذهنه استناد أحدهما إلى الآخر ثبوتاً أو انتفاءً، كفى في ذلك الانتقاش حكمه، ويتمكن لمصادفته إياه خالياً"⁵، مما يعني من منظور تداولي أنّ متلقّي الخطاب الخالي الذهن يستقبله ولا يعترض عليه، مما يُعطي خطاب المتكلم فرصة الإقناع والتأثير

¹ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ط2، 2002، ص35

² السكاكي، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 170

³ محمد عزام، شعرية الخطاب السري، اتحاد الكتاب العرب، د.ط، دمشق، سوريا، 2005م، ص9-10 (بتصرف)

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص91

⁵ السكاكي، مفتاح العلوم، ص170

5. 1. 2- **الخبر الطلبي**: هذا الخبر يكون فيه المخاطب شاكّ ومُتردّد بين القبول والرفض، يتطلب استخدام ما يؤكّد الخبر، وإليه يذهب السكاكي: "وإذا ألقاها إلى طالب لها، متحير طرفاها عنده دون الاستناد، فهو منه بين بين، ليُنقّذه عن ورطة الحيرة، استحسن تقوية المنقذ بإدخال اللام في الجملة أو إن¹، وعليه فالمرسل يحتاج استعمال إحدى المؤكّدات الخبرية المتمثلة في: (إنّ/أنّ/كأنّ/قد/لام الابتداء/القسم/التكرار..)، كقول ابن شهيد يصف لقاء تابع طرفة: "فبدا إلينا راكب جميل الوجه، قد توشّح السيّف، واشتمل عليه كساء خزّ، وبیده خطي²، إذ أكّد خبر عنتر بن العجلان أنّه من عليّة القوم، وأزال أي تردّد عنه عند المخاطب بشأن هويته ومكانته الاجتماعية فهو (جميل/فارس/سريّ ثريّ/شجاع)، كما حرص على انخراط المتلقي وتفاعله مع ما قدّمه عن توابعه في قوله عن صاحب قيس بن الخطيم: "ويشتدّ في إثرنا فارس كأنّه الأسد، على فرس كأنّها العقاب"³، ليأتي التأكيد بدرجة إنكار المتلقيّ ليزيل أي شكّ بشأن شجاعته وفروسيته، أو في قوله على لسان أبي الإحسان صاحب أبي نواس يُقرّ بتفوّقه، بعد إنشاده من غزله وخمريّاته مُقسما على ذلك: "فلما سمع هذا البيت قام يرقصُ به ويردّده، ثمّ أفاق، ثمّ قال: هذا والله لم نُلهمه نحن⁴، وهو ما يسعى إليه بمحاولته تغيير اعتقاد المتلقي أو حكمه، عبر تقوية الخبر بالتدرّج فيه، حسب المقام والحال التي يكون عليها.

5. 1. 3- **الخبر الإنكاري**: لإقناع المخاطب الجاحد المُنكر للخبر، يحتاج المتكلّم إلى أكثر من مؤكّدين، "وإذا ألقاها إلى حاكم فيها بخلافه، ليردّه إلى حكم نفسه، استوجب حكمه ليترجح تأكيدا بحسب ما أُشرب المخالف الإنكار في اعتقاده، كنحو: صادق إنّي، لمن يُنكر صدقك إنكارا، وإنّي لصادق، لمن يُبالغ في إنكار صدقك، ووالله إنّي

¹ المصدر نفسه ، ص170

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوايج، ص93، 94

³ المصدر نفسه ، ص96

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوايج، ص111

لصادق. على هذا¹، ويلاحظ أنّ الضربين الأخيرين من الخبر هو الذي يستدعي توظيف تقنيات الحجاج التي تدفع الشك والتردد لدى المتلقي . حسب البيان الحجاجي . لأنه يكون في حالة إنكار شديدة للخطاب، كقوله حينما سأله زهير هل يريد أن يرى تابع البحري، "قلت: ألفتُ أجل، **إنه لمن أساتيذي**، وكنْتُ أنسيته²، كما بيّنه في قوله على لسان أبي هبيرة صاحب عبد الحميد، يُجيزه خطيباً بين خُطباء مرج دُهمان: "قصمت أهلُ المجلس، فقال: **إنك لخطيب**، وحائك للكلام مُجيد، لولا **أنك** مغرى بالسّج³، وليُضفي المزيد من التأكيد على ما يذهبان إليه، ليُقنع المتلقي بصحة دعواه، أقام على لسانيهما أقوالاً بمؤكّدات بسوقه كأنّ ولام الإبتداء، دفعا لأيّ إنكار كقولهما: "ثمّ قال لي الأستاذان عُتبة بن أرقم، وأبو هُبيرة: **إنّا لنخطبُ** منك ببيداء حيرة، وثُقتُ أسماغنا منك بعبرة⁴، خدمة منه للخطاب بدفع أي شكوك أو تردد، كقول فاتك بن الصقعب بعد حضور أبي عامر وزهير مجلس أدب، مع نقّاد الجنّ بعد أن أنشده أبو عامر" فقال: **والله لئن** كان الغيثُ أبلغ، **فلقد زدت زيادة** مليحة طريفة، واخترعت معاني لطيفة⁵

5. 2- الجملة الإنشائية:

الجملة الإنشائية "ضربان: طلب، وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، لامتناع تحصيل الحاصل"⁶، والإنشاء هو ما لا يصح أن يُقال لقائله: إنّه صادق فيه أو كاذب، لأنّ المتكلم لا يُخبر عن شيء، بل يطلب إيجاد معدوم⁷، ويشمل الاستفهام، الأمر، النهي، النداء.. وتُحدّد المعاني التي تُقيدها بالنظر إلى

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، ص171

²المصدر نفسه، ص102

³المصدر نفسه، ص116

⁴ المصدر نفسه ، ص131

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوايج، ص137

⁶ القزويني (ت739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، ص109

⁷ يُنظر: محمود أحمد نخلة، علم المعاني، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص81

السياق الذي قيلت فيه، إذ "ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة.."¹

5. 2. 1- الإستفهام:

هو أسلوب إنشائي طلبى يُرادُ به طلب الفهم، تتاوله الجرجاني في دلائل الإعجاز، كما عبّر عن أهميته، ويراه في نظرية النظم ليس مجرد سؤال، وقد يخرج إلى التقرير والإنكار والتوبيخ حسب تقديم الأفعال أو الأسماء²، بينما أدرج أوستين (Austin) وسيرل (Searle) الاستفهام ضمن الأفعال الإنجازية، أمّا ديكرو (Ducrot) وأنسكومبر (Anscombe) فاهتمّا بـ"الاستفهام الحجاجي" الذي ذهبوا إلى أنّه "نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله، انطلاقًا من قيمته الحجاجية"³، ليدلّل أنّ الاستفهام يستدعي النظر والتأويل، لعمولته المكتنزة بالافتراضات الضمنية.

استجاب الاستفهام عند أبي عامر لقصدية المتكلم، بخروجه إلى أغراض كالإنكار والتعجب والنفي، كقوله على لسان أبي عيينة وأبي هبيرة يستفهمان عن خصومه: "أهذا على تلك المناظر، وكبر تلك المحابر، وكمال تلك الطيالس؟"، قلت: نعم، إنّها لحاء الشجر.."⁴، استخدم ابن شهيد الاستفهام بحرف الهمزة (أهذا على تلك المناظر؟)، التي يرى فيها الجرجاني أنّ له دلالات خاصة تختلف باختلاف موضع الاسم والفعل في الجملة، فإذا قلت: "أزيد قام؟" غير إذا قلت: "أقام زيد؟"⁵، كما أنّ التقديم والتأخير فيه ليس

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص45

² المصدر نفسه، ص113

³ أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص57

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص117

⁵ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي، ص141

مجرد ترتيب شكلي، لهذا وظّفه أبو عامر لما له من أثر في المعنى والدلالة، إذ أظهر عبر هذا الترتيب تعجّب صاحبي الجاحظ وعبد الحميد وإنكارهما لحقيقة هؤلاء الخصوم القائمة على حرصها على المنظر، رغم علمهما بها، وعدم انتظارهما منه جواباً لأنّه خرج به عن الاستخبار، لتمكين المتلقّي من الحكم الصحيح على هذه الشخصيات، ودحضه ادّعاءات الخصوم، كما اتخذهُ حُجّةً يبيّنُ من خلالها قدراتهم الفكرية والثقافية القائمة على جمال المنظر (المناظر/المحابر/الطيّاليس) وخواء الجوهر، فهم قشور دون لبّ (هم لحاء الشجر)، لأنّ الهمزة حرف استفهام يُستعمل "لطلب التصديق، أي الاستفهام عن حقيقة نسبة فعل أو صفة إلى شخص معيّن"¹، كما اتخذ ابن شهيد الاستفهام حجةً توصل بها تدعيم فكرته لينساق المتلقّي وراء أطروحته، وعليه فالاستفهام يحمل افتراضاً ضمناً يقتضي ب:

مقدمة كبرى ← العلماء يهتمّون بالجوهر والعلم الحقيقي، أمّا جمال المنظر فهو شكلي

مقدمة صغرى ← خصوم أبي عامر يهتمّون بالشكل والمنظر، أمّا الجوهر فهو غير مهمّ عندهم

النتيجة ← خصوم أبي عامر لا يمتلكون جوهر ومعرفة العلماء، إذن هم ليسوا علماء.

كما يتوقف الفعل اللغوي على السياق المقالي والسياق المقامي، لأنّ "الجملة الواحدة يمكن أن تستعمل لإنجاز الإخبار أو الإنكار أو التوبيخ.. فإنه يجب أن نعرف

¹ عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم غرضه . إعرابه، ط1، 1421هـ - 2000م، مطبعة الشام، توزيع مكتبة الغزالي، ص8

ليس الجملة فحسب، بل المقام المستعملة فيه لمعرفة ما ينجزه متلفظها بها من فعل¹، لهذا خرج ابن شهيد بالاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض الفخر، "حين يكون المستفهم عنه أمراً عظيماً يفخر به المتكلم"²، كفخره بنفسه وإثبات تفوقه على خصومه في قوله عند لقاء تابع امرئ القيس: "حيّاك الله يا زهير، وحيّا صاحبك! أهذا فتاهم؟ قلت: هو هذا"³، ليوحي من خلال سؤال عتيبة أنّ ابن شهيد خير من يمثل أدباء الأندلس، بحضوره الطّاعي في لقاء تابع امرئ القيس، لتؤكد الإشارة المكانية الدالة على القرب الفيزيائي والتّفسي ذلك، عبر توظيف اسم الإشارة "هو هذا"، والتحقير "حين يكون المستفهم عنه وضعياً لدى المتكلم"⁴، كقوله في مناظرته للإوزة الأدبية مبدياً احتقاره لها، ساخراً من خفة عقلها وضحالة تفكيرها: "قلّت: يا أمّ خفيف، بالذي جعل غذاءك ماء، وحشا رأسك هواء، ألا أيّما أفضل: الأدب أم العقل؟"⁵، الذي يرمي من خلاله إلى التسوية في الحكم، ليتخذ هذا الاستفهام دعامة يستند إليها في دعم مقولة: أنّها تفتقر إلى العقل والأدب، ليخلص إلى أنّها . كسائر لغويّ وأدباء عصرها . لا تمتلك آليات المناظرة سواء أكانت العقل أم الأدب في قوله: "قلّت: هل تعرفين في الخلائق أحقّ من إوزة؟ قالت: لا"⁶، وهذه حجة يقيّمها عليها، ولإعطاء المزيد من الوزن فيما يذهب إليه من وجهات نظر عبر أسئلته، اختتم رسالته بتوجيهها إلى المزيد من الاطلاع والعلم، "قلّت: فتطلبني عقل التجربة، إذ لا سبيل لك إلى عقل الطبيعة، فإذا أحرزت منه نصيباً، وبؤت منه بحظّ، فحينئذ ناظري في الأدب"⁷، وهو ما كان يرمي إليه عبر استحوازه على الأسئلة

¹ Oswald Ducrot, Les lois de discours, in langue française n42, éd Larousse, p22

² عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص17

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص92

⁴ عبد الكريم محمود يوسف، أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم، ص18

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص152

⁶ نفسه، ص152

⁷ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص152

الحجاجية، من خلال إزالته الغموض والتعتيم بما طرحه من استفهامات، وما فرض فيها من إجابات مقدّمة على أنّها توافقية حسب كريستيان بلانتان¹

5. 2. 2- الأمر:

الأمر أسلوب نحوي بلاغي إنشائي طلبّي، وهو "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"²، بإحدى صيغته الأربع: فعل الأمر، اسم الفعل، الفعل المضارع المجزوم بلام الأمر، المصدر النائب عن فعله³.

وقد يخرج عن حقيقته لأنّه قد يُستعمل في غير ذلك حسب السياق الذي يرد فيه⁴، وصوره الآتي⁵: اللتماس، الدّعاء، التعجيز، التهديد، التحقير.. وقد أدرج مسعود صحراوي الأمر ضمن الأفعال الإنجازية⁶، إذ عرّفه بقوله: "يعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسّل أفعالا قولية Actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ)، وغايات تأثيرية Actes perlocutoires تخصّ ردود فعل المتلقي

¹Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation: une introduction aux études d'argumentation, 2021, ENS Editions:

«...Le locuteur prend possession de la question argumentative et la "désambiguïse", au sens argumentatif du terme, en lui imposant une réponse présentée comme consensuelle»

² حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تح: عبد الحميد هندواوي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص271

³ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، ط2، مصر الجديدة، 1979، ص14

⁴ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، شرح وتنقيح: عبد المنعم خفاجي، ص116

⁵ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية، ص14-15

⁶ الأفعال الإنجازية: مفهوم تداولي نادى به اللساني الفرنسي ج.ل. أوستين بتقسيمه الفعل اللغوي (الكلامي) في نظريته إلى فعل القول/ الفعل المتضمن في القول (الإنجازي)/الفعل الناتج عن القول (التأثيري)، واعتبر الفعل الإنجازي هو ما تقوم عليه نظريته، باعتباره تتجلى من خلاله جل الأبعاد التداولية الحجاجية، وجاء تلميذه سيرل وطوّر نظريته، ليدرج الأوامر ضمن نظرية الأفعال اللغوية غير المباشرة.

(كالرّفص والقبول)¹، لأنّها مُتحقّقة فعليا "فالأمر هنا يُحوّل القول إلى إنجاز حقيقي"²، أمّا عز الدين النّاجح فيرى أنّه من الناحية الحجاجية، فيمكن إدراج الأوامر والنواهي ضمن العوامل الحجاجية في اللغة العربية³، لأنّها تُعدّ من أبرز الوسائل اللغوية التي تقوم عليها الإستراتيجية التوجيهية⁴، وكأهمّ وجوه التوجيه الحجاجي⁵.

وظّف ابن شهيد الأمر على سبيل الإلزام بفعل، "لأنّ الأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإيجاب"⁶، كقوله لتابعه زهير: "اصرف وجه قصدنا إلى صاحب أبي تمام"⁷، غير أنّه خرج عن معناه الأصلي⁸ في الكثير من المواضع، إذ عمد ابن شهيد إلى استخدام الأمر الحجاجي، باتخاذ آية لغوية ناجعة، عمل عبرها على توجيه المتلقي في خطابه انطلاقاً من أبعاده البلاغية والحجاجية، بهدف التأثير في المتلقي وإقناعه بوجهة نظره، وقد ورد الأمر عنده في مواضع وصيغ متعددة، وإن وردت في أغلبها بصيغة فعل الأمر (افعل)، وكان أول أمر في الرسالة في تصديرها مخاطباً أبا بكر صديقه، بعد ما رماه به من تشكيك في قدراته في قوله: "فأمّا وقد قُلتها، أبا بكر، فأصخ

¹ مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص40

² فريدة لعبيدي، لغة الخطاب الإداري، مقارنة لغوية تداولية، دار الوسام العربي، ط1، منشورات زين، بيروت، لبنان، 2011، ص270

³ يُنظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، ط1، صفاقس، تونس، 2011

⁴ عرف الأمر والنهي في العديد من المؤلفات تسميات منها: الأفعال اللغوية/الأفعال التوجيهية/أفعال الطلب/آليات التوجيه الحجاجي الإلزامي/آليات الإستراتيجية التوجيهية/آليات التوجيه الحجاجي وكلّها تصبّ في نفس المصّب

⁵ التوجيه الحجاجي يعني: ذلك المسار الذي تسلكه حُجّة معيّنة نحو نتيجة محدّدة، بعيداً عن التعدد الاستلزامي لتلك الحُجّة، فهو يقوم بدور تقييد الاحتمالات لقول ما، لأنّه ينشد حصر الإمكانيات التأويلية والدلالية في نتيجة معيّنة، حماية للمتلقي من التأويلات الخاطئة أو غير المهمة، وهو مسألة تتشابك فيها العديد من آليات الحجاج، كالعوامل والروابط الحجاجية ومختلف الصيغ الصرفية.

⁶ عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص14

⁷ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص96

⁸ المعنى الحقيقي للأمر هو الإلزام والوجوب على سبيل الاستعلاء

أسمعك العجب العُجاب"¹، عاملا على توجيهه إلى وجهة محددة يريد لها هي دون غيرها مستغلا فعل الأمر (أصخ)، وما يحظى به من قوّة توجيهية "في الأمر والنهي تُكتسب من مكانة ومقام المخاطب (كسر الطاء) وليس من الصيغة نفسها، لذلك كان التوجيه فيها توجيها صريحا ومباشرا"²، وهو ما عبرت عنه فريدة لعبيدي باعتباره: "وتدخل في الفعل الكلامي الأمري عوامل منها دلالة بعض أدواته، القرائن الأخرى كرتبة المرسل مثلا"³، فالأمر والنهي ينبعان من علاقة سلطوية، لهذا أخضعهما عبد الهادي الشهري لهذه العلاقة في قوله: "فالتوجيه في الأمر والنهي نابع من علاقة سلطوية بين طرفي الخطاب. وتُشكّل عاملا من عوامل نجاح الإستراتيجية التوجيهية"⁴، هذا التوجيه الذي سعى عبره ابن شهيد لتقييد أقواله للبلوغ بها لنتيجة محدّدة، تظهر معالمها من خلال الأغراض الحجاجية التي يعمل السياق على تحديدها كالتحذير والتهديد في: "أصخ أسمعك العجب العجاب"، أو في إظهاره الفخر بنفسه وإثبات ذاته، أمام خصومه في قوله على لسان "عتيبة": "أذهب فقد أجزتك"⁵ و"عنتر": "أذهب فإنك مجاز"⁶، وكقول أبي الخطّار: "أنشدنا يا أشجعي"⁷، وفي قول صاحبه: "فقال لي زهير: "أقرع أذن نشوته بإحدى خمرياتك، فإنّه ربّما تنبّه لبعض ذلك"⁸، وغرضه المدح لأبي عامر بنسبه لآل "أشجع"، وإظهار علوّ كعبه في الشعر، إلى درجة استفاقة أبي الإحسان من سكرته من فرط تأثيره عليه، وهذا لتعضيد رأيه وتقويته في الردّ على منتقديه، من خلال تقديم الأمر كأنّه حقيقة

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 88

² هامل لخضر وخيرة حمر العين، التوجيه الحجاجي في لامية ابن الوردى التوجيه الإلزامي أنموذجا، مجلة فصل الخطاب، تيارت، الجزائر، مج 5، ع 22، جوان 2018، ص 13

³ فريدة لعبيدي، لغة الخطاب الإداري، مقارنة لغوية تداولية، دار الوسام العربي، ط 1، منشورات زين، بيروت، لبنان، 2011، ص 270

⁴ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 325

⁵ ابن شهيد، رسالة التوابع، ص 93

⁶ المصدر نفسه، ص 95

⁷ المصدر نفسه، ص 96

⁸ المصدر نفسه، ص 105 - 106

مسلم بها، والمدح لأبي الطيب وسمو مقامه في الأدب، بطلبه من زهير إعداد العدة والتجهز لهذا اللقاء، لأنه ليس كغيره في قوله: " ومن تريد بعد؟ قلت له: خاتمة القوم.. فقال لي: أشدُّ له حيازيمك، وعطر له نسيمك، وانثر عليه نجومك"، وقد كانت أفعال الأمر هنا (أنشد/إقرع/أشدد/عطر/أنثر) أقرب منها إلى صنف التعبيرات أو البوحيات (Expressives) التي أدرجها سيرل (Searle) ضمن الأفعال الإنجازية، كما عمد ابن شهيد إلى استغلال أسلوب الأمر كأداة فعالة في الخطاب، باعتماده كحجج وأدلة لإضفاء قوة وتأکید على ما يطرحه من آراء، لأنه حرص على أن الأمر عنده "يصدر ضمن درجات مختلفة، وعليه فإن الأمر يكون أمرا عندما يتوافر على شروط معينة، ويتضمن قوة التلقظ، وهو السعي لحمل المستمع على إنجاز أمر معين"¹، من خلال تعضيدته بالقوة الإنجازية للاستفهام، كتحدّي وتعجيز زبدة الحقب له في وصف الجارية والماء في: "قلت: من هذا؟ قال: زبدة الحقب، صاحب بديع الزمان. قلت: يا زبدة الحقب، اقترح لي. قال: صف جارية. فوصفتها.. قلت: أسمعني وصفك للماء. قال: ذلك من العقم"²، وفي مناظرته أنف الناقة صاحب الإفيلي الذي تحداه: "فقال لي: دع عنك، أنا أبو البيان.. قلت: إنما أنت كمغنّ وسط.. قال: أسمعني مثالا. قلت: حتى تصف برغوثة فتقول.."³، وكقوله بعد مناظرته الإوزة الأدبية معتمدا مكوّن السخرية والتحقير: "ألا أيما أفضل: الأدب أم العقل؟ قالت: بل العقل"، فهل تعرفين في الخلائق أحق من إوزة؟ قالت: لا"، "فتطلبني عقل التجربة.. فإذا أحرزت منه نصيبا .. فحينئذ ناظري في الأدب"⁴

ليخلص ابن شهيد من هذه الأوامر المتبادلة بينه وبين تابعه . المدعومة بالاستفهام أو النداء أو النهي، التي حملت الكثير من الأقوال المضمرة (Sous entendus)،

¹ عبد الله البهلول، الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع الهجري، ص 165

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 128 (* ذلك من العقم: أي لا يولد شبيه له)

³ المصدر نفسه، ص 125

⁴ المصدر نفسه، ص 152

إلى تأكيد صحة رأيه بشأنهم، بأنهم عاجزين عن مجاراته، وأن ما يرمونه به لا يعدو أن يكون حسدا منهم له، وهو ما يراه نتيجة منطقية، بعد ما أقامه عليهم من حجج، ودليله ختام الرسالة بتعجيز الإوزة عبر فعل لغوي من الإلزاميات (Commissives). (فتطلبني عقل التجربة... فحينئذ ناظري في الأدب)، كما جاء الأمر في الرسالة لغرض الإرشاد والتوجيه بالأفعال اللغوية المدرجة ضمن التوجيهات أو الموجّهات (Directives)، كقول عتاب بن حبناء صاحب أبي تمام، ينصحه . متكأ على ما يحظى به الأمر والنهي من قوة توجيهية صادرة من سلطة أبي تمام . بعدما سمع منه شعرا في الرثاء: "فقال: فإذا دعتك نفسك إلى القول، فلا تكذّ قريحتك، فإذا أكملت فجمامُ ثلاثة لا أقلّ، ونفح بعد ذلك، وتذكّر قوله.."¹، وفي قول فاتك بن الصقعب يُعلمُ بنيا له صناعة الشعر: إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك، فأحسن تركيبه، وأرقّ حاشيته، فاضرب عنه جملة.."²، يشير إلى قضية نقدية هامة: السرقات الأدبية، التي اصطلح ابن شهيد على تسميتها بالـ"الأخذ"، وقد كان من الذين رُموا بشبهتها على لسان صديقه أبي بكر: "وأقسم أنّ له تابعة تُجده.. ليس هذا في قدرة الإنس"³، كما رماه أبو بكر المعروف بأشكمياط "مُعرضاً بالتقصص، ومُشيراً إلى التلصص"⁴، أمّا الالتماس فجاء قليلا في الرسالة، لأنها أصلا انطلقت من موقف الردّ على الخصوم، وإفحامهم كونه من موقف قوّة، حينما تصدّى أبو الآداب، صاحب أبي إسحاق بن حمام بالدّفاع عن أنف الناقة، مشفقا عليه بعدما علتة "كآبة، وظهرت عليه مهابة، واختلط كلامه"، فقال له ملتصقا بالرفق به، بصيغة المصدر النائب عن الفعل: "يا أبا الآداب، وزهرة ريحانة الكتاب، رفقا على أخيك بغرب لسانك"⁵، وفي التماسه مع دعمه بالدعاء من فاتك بن الصقعب للنزول عندهم وإمطارهم بأدبه

¹ المصدر نفسه ، ص101

² المصدر نفسه ، ص135

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص88

⁴ ابن بسّام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عبّاس، ، ص231

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص131

في: "فقلتُ: جُد أرضنا، أعزك الله، بسحابك، وأمطرنا بعيون آدابك"¹، وعليه فأسلوب الأمر عند ابن شهيد تنوع باختلاف السياقات والمقامات، مستندا فيها إلى عنصر السلطة كأهم عنصر مقامي قام عليها الأمر، كما عمل على إخضاعه للتوجيه الحجاجي.

5. 2. 3- النهي:

النهي هو "طلب الكفّ عن الفعل على وجع الاستعلاء"²، ويرد بصيغة واحدة وهي المضارع المقرون بلا الناهية، والأصل فيه طلب الكفّ عن الفعل على سبيل التحريم بإذعان المخاطب وتسليمه بما حُرّم، كما ورد عند السيوطي في كتابه الإتقان في قوله: "هو طلب الكفّ عن فعل، وصيغته (لا تفعل) وهي حقيقة في التحريم"³، وقد يخرج إلى معاني أخرى (غير حقيقية) ك: الدعاء، والتمني، والالتماس، والتهديد، والتحقير، والإرشاد...، وظّف ابن شهيد الأمر والنهي كأبرز آليتين استراتيجيتين لغويتين، وكان بهدف توجيه المتلقّي للقيام بسلوك معيّن (فعل/ترك) لما لهما من أبعاد حجاجية، وإن كان مُقلّا في توظيف النهي مقارنة بالاستفهام والأمر والنداء، والأصل في النهي هو إفادة الوجوب واللزم، وجاءت صيغة (لا تفعل)⁴ مختلفة المعاني لخروجه عن غرضه الأصلي إلى معان تُحدّد من السياق، كالنصح والتوجيه في قول عتاب بن حبناء ناصحا له: "فإذا دعتك نفسك إلى القول، فلا تكُدّ قريحتك"⁵، كما اكتسى النهي بعدا حجاجيا تجلّى في اتجاه الحجّة في قوله على لساني تابعي الجاحظ وعبد الحميد: لا يغرّك منه، أبا عيينة، ما تكلف لك من المماثلة، إنّ السجع لطبعه..ولو امتد به طلق الكلام..لصلّى كودنه وكلّ

¹المصدر نفسه، ص135

²عبد العزيز أبو سريع يس، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 1989، ص12، 11 (الاستعلاء أن يكون الأمر أو الناهي أعلى درجة ومقاما من المأمور والمنهي)

³السيوطي، ، الإتقان عي علوم القرآن، تح: مركز الدراسات القرآنية، ج5، ص، 15-17

⁴ ينظر لتوسيع الفكرة: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص351 (قد يستعمل المرسل ألفاظ للنهي تسمى ألفاظ النهي، كما أنّها تدلّ على النهي عند إطلاقها، وتسمّى صيغ النهي وهي: مادة حرم وخطر ومنع ونهي، مشتقاتها)

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع، ص101

برثته.. فصاح به أبو عيينة: لا تعرض له، وبالحرأ أن تخلص منه"¹، نحو النتيجة: وجوب الحذر من ابن شهيد بعدم التعرض والنقد له، "فبمقدار الذات الآمرة أو الناهية عند المتلقي يكون الإلزام أكد وأنجح"²، فالنهي هنا نابع من علاقة سلطة المرسل وهما: الجاحظ وعبد الحميد، لأنه كما يذهب إليه الباحث هامل لخضر بقوله: "يأخذ الأمر والنهي قوته من قوة قائله، ومكانته من مكانة المخاطب عند المتلقي"³، فسلطة الجاحظ وعبد الحميد المعرفية والعلمية تضمن ذلك التوجيه، وعليه ستكون ملزمة للمرسل إليه، لهذا وظف أبو عامر الأمر والنهي . على قلة . ف"الحض والنهي مثلا عملا بالقول متقابلان لكنهما يَحَقِّقان هدفا بالقول واحدا وهو المشاورة. والهدف بالقول هو الإطار الذي يتحدّد فيه اتجاه العمل بالقول"⁴، لهذا يُعتبران من أقوى الأعمال التوجيهية الإنجازية، كونها أفعال توجي بالتخاطب، وتخدم جوّ الحوار الذي تفاعلت به شخوص الرسالة.

5. 2. 4- النداء:

هو أسلوب إنشائي طلبى، يهدف إلى استدعاء شخص ما للفت انتباهه، ومن أدواته: "يا/أيا/هيا/أي/الهمزة، يُنادى بالأربع الأولى منها للبعيد، أو ما نزل منزلة كالتائم والساهي ويُنادى القريب بالهمزة، وقد يُنادى بغيرها لضرب من التوكيد"⁵، أما النداء الحجاجي فيكون عند استخدام الأسلوب لتحقيق أغراض حجاجية، تتجاوز مجرد استدعاء المنادى، ليشمل التأثير في رأيه أو تعديل سلوكه، ويُصنّف ضمن الأعمال اللغوية باستعمال عبارات أو أفعال تدعّم الحجّة أو الهدف من النداء، عناصره أداة النداء، المنادى، الجملة

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزواج، ص118، 117

² هامل لخضر، التوجيه الحجاجي في لامية ابن الوردى، ص20

³ المرجع نفسه، ص14

⁴ John Searle: Sens et expressions, Les éditions de minuit, 1979, p 40-41

⁵ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، مراجعة أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1425 هـ - 2005 م، ج1، ص552

أو العبارة التي تتبع النداء هي التي تحمل الرسالة الحجاجية، وقد تكون أمر أو نهي أو خبرا مرتبطة بالهدف من النداء، الذي يُعدُّ من أساليب التأثير اللغوي بتطويره مهارات التواصل والإقناع، كونه أداة قوية في التواصل الفعّال، كقول أبي عامر على لسان زهير: "حلت أرض الجنّ أبا عامر"، فهذا النداء جاء عبر إيجاز بالحذف لأداته (يا)، مستغلا الدور الحجاجي له لإقناع المتلقي بقرب المنادى منه مكانيا بسرعة تلقّفه للحديث، وقربه نفسيا لموقعه من قلب زهير، إذ صوّرت التعابير الآتية ما بينهما من المشاعر الودّية (هوى فيك/رغبة في اصطفاك/أهلا بك أيها الوجه الوضّاح/تحدثنا حيننا/تذاكرت مع زهير)، كما صاغه بأسلوب الإضافة (أبا+عامر)(أبا+بكر)(أبا+الإحسان)(أبا+هبيرة)، ليكسب المنادى تعريفا حقيقيا بالمزج بين المضاف والمضاف إليه أو التعريف بالألف واللام، سعيا منه لوضع المتلقي مباشرة في مواجهة المفاهيم، ولقدرتها على تقرير الحقائق وإثباتها له، لهذا استعمله تبعا لمنزلة المنادى في ذهن المُنادي، لأن المنادى له وظيفة مركزية في المقام الذي وقع فيه بدلالة التخصيص الظاهر، حيث أُسندت هذه الوظيفة إلى المكوّن الدال على الكائن المنادى في مقام معين¹، لهذا أدرجها رضوان القضماني في الوظيفة الندائية (Conative) التي تُؤلّد لغويًا بالتركيز على عنصر المرسل إليه، وتسعى متوسّلة باللغة إلى إثارة انتباهه أو الطلب إليه القيام بعمل ما، فتدخل في صلبها الجمل الأمرية.. كما تسعى أيضا إلى تحديد العلائق بين الرسالة والمرسل إليه بغية الحصول على ردّة فعل هذا المرسل إليه، لأنّ لكلّ اتصال هدفا وغاية وُضع من أجلها²، لهذا أخرج المقام النداء في التوابع إلى معانٍ أخرى، وحالة المتوجّه إليه بالنداء (مقتضى النداء) وتوجيهه إلى وجهات يقصدها المتكلم، إذ وظّفه ابن شهيد لما ظهر من قدرته الإنجازية في فعله الكلامي وبنيته اللغوية، بتأديته وظيفة مركزية متمثلة في مقدرته التعبيرية والتلفظية، قصد إنشاء أفعال التخاطب بين المتكلم والمتلقي، باعتباره من الأفعال

¹ أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص161

² رضوان القضماني، نظرية التواصل المفهوم والمصطلح، ص9

التوجيهية التأثيرية، بتجاوز القصدية منه التنبيه إلى استمالة المتلقي، لأنّ المنادى حسب أحمد المتوكل "بوصفه فعلا كلاميا خطابيا بأن تُسند إليه مجموعة وظائف من قبيل: الاسترعاء، والحفاظ، والتخصيص، والتصحيح، والتعديل، بحسب وقوعه قبل الخطاب أو خلاله أو بعده على الترتيب بناء على أدواره"¹، كالفخر وإثبات الذات في قول أبي الخَطَّار: "أُنشدنا يا أشجعي"²، والمدح والتبجيل في: "يا زُبدة الحقب، اقترح لي.. فقلت: انظره، يا سيدي"³، والسخرية والتحقير في: "يا أنف الناقة" و"يا أمّ خفيف"⁴، بتجاوز ابن شهيد التنبيه إلى سعيه عبر الجمل الندائية والاستفهامية والأمرية وغيرها من أساليب الإنشاء الطلبي إلى مطابقة العالم الخارجي مع كلامه، مستغلاً بما يحظى به هذا النوع من الجمل من قوّة في توجيه القصد وتحديد المعنى المراد.

-المحسّنات:

6 - السّجّج L'Assonance :

السّجّج لون بديعي لفظي، شاع في التعبير العربي القديم كعُرف جمالي صوتي منذ العصر الجاهلي، خاصة عند كهنتهم وعزّافهم في حُطبتهم، كما شاع في الرسائل والوصايا والمقامات، ويعني لغة الاستواء والاستقامة، سجع سجعا أي "استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً"⁵، يُطلق على كل تعبير فيه "تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد"⁶، غير أن بعض العلماء ذمّه، ونفى وجوده في القرآن الكريم كالباقلائي والرمّاني الذي يقول: "الفواصل بلاغة وأمّا الأسجاع عيب، وذلك أنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأمّا

¹ أحمد المتوكل، مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، مارس 2009، ص، 106، 107

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص96

³ المصدر نفسه، ص128

⁴ المصدر نفسه، ص152

⁵ ابن منظور، لسان العرب، 1990، مادة (س.ج.ع)

⁶ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، ، تح: إبراهيم شمس الدين، ج6، ص296

الأسجاع فالمعاني تابعة لها"¹، مفرّقين بين كلام تكون فيه الفاصلة تابعة للمعنى من غير تكلف، وهذا هو الذي تتحقق فيه أسمى درجات البلاغة، وهو ما نجده في القرآن الكريم، وصنف يكون فيه المعنى تابعا للفاصلة "وهذا النوع يمثل في نظر هؤلاء عيبا ولكنة وتكلفا"²، غير أنّ مجموعة من العلماء عارضتهم فيما ذهبوا إليه منهم: ابن حمزة العلوي وأبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي وابن الأثير، محتجّين "بأن السجع والفاصلة قد يتبعان معا المعنى، ويكونان حينئذ بليغين، وقد يكون المعنى تابعا لهما فيكونان معا متكلفين"³، كما ردوا عليهم في احتجاجهم أن النبي صلى الله عليه وسلم كره السجع بقوله: "أسجّع كسجع الكهّان" بأنه لم يكره السجع مطلقا، بل أنكره إن كان على هذا الوجه، كما ورد في كلامه الكثير من الكلمات المسجوعة "وهذا مما يدل على فضيلة السجع"⁴، فأقبل عليه علماء البلاغة بالدّرس، لسبر أغواره الصوتية واللغوية، حتى ارتقى علما يُدرّس، باعتبارهم أنّ "الإسجاع في النثر كالتقوافي في الشعر"⁵، كما وضعوا له الشروط، لتخرُج الظاهرة البديعية طبيعية، غير ممجوجة ولا متكلفة.

كانت "عناية أبي عامر بالصنعة اللفظية، وحرصه على توشية كتابته بشتى أفانين البيان والبديع..ومقدمة ذلك السجع الذي يكاد يكون الصفة الظاهرة والعامّة لكتابة أبي عامر"⁶، إذ اعتمده في طرح أفكاره في توابعه، وكان السجع أبرز وسيلة بديعية فيها، وما مكّنه من ذلك قصر الرسالة، كما أنه يدرك أهميته البلاغية والحجاجية فهو "أرفع مراتب

¹ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، مصر، د.ت، ص97

² المصدر نفسه، ص56

³ ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982، ص173-174

⁴ ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت: أحمد حوفي وبدوي طبانة، ص211

⁵ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، ص296

⁶ الشاذلي بويحي، ابن شهيد الأندلسي، حياته شعره ونثره، رسالة التوابع والزوابع، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1993، ص192

الكلام وأعلاها، وأجل علوم البلاغة وأسناها¹، مما جعله يأتي متجانسا بين المعنى والمبنى، إذ نادرا ما تظهر لنا صياغة له على غير سجية أو بتكلف، لهذا حرص ابن شهيد على أن ينطق (عتبة بن أرقم) و(أبو هبيرة) حينما قرأ عليهما رسالة الحلواء، بانبهارهما بسجعه وتأثيره في النفوس: "وقالا: إنَّ لسجعك موضعا من القلب ومكانا من النفس، وقد أعرته من طبعك، وحلاوة لفظك، وملاحة سوقك، ما أزال أفنه، ورفع غبنة"²، فهو يُحبِّد السجع الجاري على الطَّبع، غير المتكلف الذي كان يراه في أهل عصره، حينما شهد له عتبة بن أرقم بالتمكن في الشعر والنثر، لكن آخذه في الإكثار منه في كتابته بقوله: "إنَّك لخطيب، وحائك للكلام مجيد، لولا أنَّك مغرى بالسجع فكلامك نظم لا نثر"³، مما يوحي بتوسُّل ابن شهيد للسجع كأداة تعبير عن شخصيته المُبدعة، ونمط تفكيره، وطبعه وخصوصيته، فهو لم يعد يطلب به التزيين والإمتاع، بل إنه يسعى من خلاله إلى تحقيق التأثير والإقناع لخصومه وحساده، وإن جاء متفاوتا . أحيانا . في مستوياته، تبعا للمقام وما يعرض له من رؤى وأفكار .

يقول ابن شهيد مخاطبا أبا بكر في صدر رسالته: "فقلت: كيف أُوتي الحكم صبيًا، وهزَّ بجذع نخلة الكلام فاسَّاقط عليه رطبا جنيا، أما إن به شيطاننا يهديه، وشيصبانا بأبيه، وأقسم أنّ له تابعة تنجده، وزابغة تؤيده، ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذه النفس من هذه النفس"⁴، إنَّ السياق الذي ورد فيه هذا التعبير هو: اعتداد أبي عامر بمقدرته الأدبية، التي أنكرها عليه حسَّاده ورُصَّاده، مع وصف ما انتاب أبا بكر صديقه من انبهار من إبداعه، وحسد انطوت عليه نفسه لدرجة التشكيك في قدراته، بنسبته إلى مصدر غيبي أرقى وهي الجنّ، أو لدرجة تشبيهه بمعجزة مريم العذراء، وما اسَّاقط عليها من رُطب،

¹ يحيى العلوي، الطراز، ت: عبد الحميد هنداي، ط1، ج3، المكتبة العصرية، بيروت، 2002، ص 18-28

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص122

³ المصدر نفسه، ص116

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص88

فكذلك بلاغة أبي عامر فهي كالرطب حلاوة ومذاقا، بصياغتها في تركيب موسيقي متناغم في اللفظ والمعنى بتوالي سجعته، وتساويها وزنا وتقفية بين: (صبيّا/حنينا)، بذلك السجع المتوازي عبر "توافق الفاصلتان وزنا وتقفية دون مراعاة غيرها"¹، كما صاغه على أحسن السجع، بأن تتساوى فيه الجملتان، ويليه في الحسن أن تطول الجملة الثانية عن الأولى"²، إذ حينما تطول الفقرة الثانية عن الأولى، ما يُولدُ وقعا صوتيا تستحسنه الأذن، بل إنّه ليتدّد فيها بذبذباته مما يسهّل وعيه وحفظه:

كيف أوتي الحكم صبيّا، بجذع نخلة الكلام، فاسأط عليه رطبا حنينا³

كما أن حرف السجع من خلال تواتره بين الفواصل ومن خلال ما أحدثه من نغم موسيقي، ساهم في تحقيق الانسجام بين الجمل، وترابطها معجميا ونحويا بتناسق فواصلها وتعالقها صوتيا، مما يحقق التأثير والاستمالة، فيكون الكلام "متحدرا كتحدّر الماء المنسجم، بسهولة سبك وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف حتى يكون للجملة من المنثور. تأثير في القلوب ما ليس لغيره"⁴، وسعيا منه للمزيد من التأثير في أبي بكر، دعم هذا التعبير بالاقتراب من القرآن الكريم من سورة مريم، بل إن هذا التعبير يرتقي ابن شهيد فيه بسجعته إيقاعيا إلى مستوى أوسع غير الحرف الأخير، لأنه يعي جيدا أنّ "السجع أكثر الوسائل تأثيرا في وضع المتلقي تحت طائلة منظومة من المعاني التي تتدافع فيها الأفكار بين الوضوح والمباشرة من جهة، والغموض والإيحاءات المتنوعة من جهة ثانية"⁵، فهو يجعل جملا ومقاطعا مسجوعة ليأتي بوصف أبي هلال العسكري

¹ تعليق محمد خفاجي، على الإيضاح في علوم البلاغة، ج6، ص107

² ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، ج6، ص108

³ ابن شهيد الأندلسي، التواضع والزواجع، ص88

⁴ ابن أبي الأصعب، بديع القرآن، تح: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت، ص166

⁵ عبد الله إبراهيم، التلقي والسياقات الثقافية، الجزائر منشورات الاختلاف، (2005)، ص155

"سجعا في سجع"¹، مع ما فيه من صعوبة استجلابه لقصر عباراته، ليرتفع صدى الإيقاع الصوتي إلى مستوى أعلى، بذلك الاعتدال والتساوي بين العبارات، مع فيها من براعة التعريض بعنوان رسالته "التوابع والزوابع" في قوله: "به شيطاننا يهديه، وشيصبانا يأتيه"، له "تابعة تُنجده، وزابعة تُؤيده"².

وظف ابن شهيد في هذه العبارات السجع البليغ، الذي عبّر عنه بعبارات قصيرة وتراكيب معتدلة، فأنتت رغم قلة ألفاظها من "أحسن وجوه السجع"³، وهذا الضرب من السجع يأتي مؤثراً، مختزلاً، تأنس النفس لسماعه، وتطرب الأذن لنغماته، حتى أن ابن حمزة العلوي عدّه: "أوعر أنواع التسجيع مسلكا، وأصعبها مدركا، وأخفها على القلب، وأطيبها على السمع، لأن الألفاظ إذا كانت قليلة، فهي أحسن وأرق، لأنها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها، ولين معاطفها"⁴، وتظهر براعة ابن شهيد القولية إلى درجة الارتقاء بالسجع إلى تحقيق التوازن الصوتي في لفظتي: "النفس/النفس" بالجمع بين محسنين بديعيين في نفس العبارة وهما: السجع والجناس دون تكلف ولا استهجان، وإنه ليتواتر في الرسالة خاصة في وصف الحلواء والثعلب والماء، مع انسجام موسيقاه وموصوفيه، ففي رسالة (الحلواء) أتى السجع خفيفا، ضاجًا بالحركة والحياة المناسبة لجو السوق وجلبة الباعة، محمّلا بالتصوير النفسي والانفعالي للشخصيات، كوصفه (الفقيه) "وقد استخفه الشّره، واضطرب به الوله"⁵، وهو يُقبل عليها في جوّ هزلي من الحركة واللّهفة والمرح كقوله:

"فجعل يقطعُ ويبلغُ، ويدحو فاهُ ويدفعُ" (وصف الفقيه)

¹ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 263

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 88

³ أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص 263

⁴ يحيى العلوي، الطراز، ج 3، ص 23

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 119

"ورُفِع له تمر النَّشَا، غير مهضوم الحشَا" (وصف حلوى تمر النَّشَا)

"فأثبت في صدره العصَا، فجلس القرفصَا" (وصف الحلواني وهو يُقَطِّعُهَا)

"يُذْري الدُّمُوعَ، وَيُبْدي الخُشُوعَ"¹ (وصف الفقيه)

أما في وصفه (الثعلب) فجاء السجع مناسباً لخفته، ورشاقته، وإقباله، وإدباره، وحيلته في سبيل تحصيل قوته، مع تساوي الفقرات واعتدالها في التركيب، مم شدَّ انتباه السامع كقوله:

"كثير الوقائع في المسلمين، مُغرى بإِراقة دماء المؤذنين"

"إذا رأى الفرصة انتهازها، وإذا طلبته الكُماة أعجزها"

"غداؤه حمام أو بحاج، وعشاؤه تدْرُج * أو دُرْج *"²

استخدم أبو عامر السجع وسيلة فعالة في تحريك النفوس، سعى من خلالها لإقناع خصومه، فأتى عنده دليلاً فنياً على براعته البلاغية، لكنّه سعى جاهداً في التحلّل مما شاع في عصره من الذوق العام الذي كان مسيطراً في الأندلس، إذ كان طاغياً على أساليب الكتابة، لهذا فهو يعترف أنه يُجاري أدياء عصره، كما أنه غير جاهل بأمر السجع، لهذا يعلّل بقوله: "ليس هذا أعزك الله مني جهلاً بأمر السجع.. ولكنتي عدمتُ ببلدي فرسان الكلام ودُهِيت بغباوة أهل الزمان.. قال: فكيف كلامهم بينهم؟ قلت: ليس لسببويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة.. فصاح: إنّ الله، ذهب العرب وكلامها! ارمهم يا هذا بسجع الكهان. فعسى أن ينفعك عندهم، ويطيّر لك ذكراً

¹ المصدر نفسه، ص121

² ابن شهيد الأندلسي، التوايح والزوايح، ص127 (*الكُماة: الأبطال الشجعان/ *التدْرُج: طائر جميل المنظر، يغرّد في البساتين بأصوات عذبة، موطنه بأرض خراسان وفارس وغيرها، شبيه بالذُرْج إلا أنّه أفضل منه لحما/ *الذُرْج: طائر جميل المنظر ملون الريش، زعموا أنّ لحمه يزيد في الفطنة)

فيهم"¹، كما مثل حضارة الأندلس تمثيلا يعكس ازدهارها وتوهجها، ولا عجب في ذلك فهو "هو أحد هذه النتائج الحضارية..ولو لم يوجد في المشرق، لأوجده الأندلسيون، لأنه نتاج طبيعي للقاء بين الخصائص التعبيرية والموسيقية للغة العربية، وبين ما يفترضه التطور الحضاري من تنميق وزخرفة"².

7 - الجناس:

لون من ألوان التحسين اللفظي، ويُعرف بفنّ الجناس والتجنيس والمُجانسة، يُسمّى "الكلام مجانسا لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد"³، باتفاق الحروف في نوعها وأعدادها وترتيبها وهيئتها، تماثلا كليا أو جزئيا، ليولد في الكلام نغمة موسيقية بتردد الجرس الصوتي فيه، مما يشي العبارة بوجه بلاغي جميل، يقول ابن الأثير مُشيدا ببلاغته: "فما جاء منه عفو خاطر غير بائن الصنعة، أو شديد التكلف، رديء اللفظ، مبذول المعنى، فهو الغرّة الشادخة* في وجه الكلام، والبديع المؤثر في بلاغة البيان"⁴

آثر ابن شهيد تطعيم رسالته بالجناس، فهو يدرك أنه فن بلاغي تأنس له الأذن، إذ يجعل المتلقي أشدّ "ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة، وتجعل العبارة على الأذن سهلة مستساغة، فتجد من النفس القبول، وتتأثر به أي تأثير وتقع من القلب أحسن موقع"⁵، وإن كان استخدام الجناس عنده يسيرا مقارنة بالسجع، إلا أن بلاغته النغمية دفعته إلى الاستفادة من موسيقاه في حدود المعاني وقبولها للتجنيس والسياق الذي يرد فيه، إذ صرح عبد القاهر الجرجاني بشأنه: "فما يعطي التجنيس من فضيلة، أمر لم يتم

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزواج، ص117

² علي بن محمد، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس، مضامينه وأشكاله، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ج2، ص693

³ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، ص241

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص241 (شدخت غرة الفرس: اتسع بياضها)

⁵ عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، الناشر دار المعارف، مصر، ط5، 1997، ص155

إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسن، ولما وجد فيه معيب مستهجن، لذلك ذم الاستكثار منه والولوع به. وذلك أنّ المعاني لا تدين في كل موضع لما يجذبها التجنيس إليه"¹، كقوله يُحاجج ابن الإفليلي: "هيهات حتى يكون المسك من أنفاسك، والعنبر من أنفاسك.. وحتى يكون مساقك عذبا، وكلامك رطبا، ونفسك من نفسك، وقلبك من قلبك"²

فهو تشبيه ضمني يُصوّر ما يتركه الشعر البليغ في السامع من أثر كمسك ذي أريج طيب، كما شبّه مداد الكاتب بالعنبر، مع المجاز المرسل في قوله: (أنفاسك) بذكره النفس وقصده ما يُصاحبه، والعلاقة هنا هي المصاحبة، ليدلّ على أن ما يصدر من الأديب من كلمات، لهي بالنسبة إليه أنفاسه وزفراته التي تخرج من صدره، وتُصاحبه طول حياته، ليُخرج هذا المعنى في إيقاع وتوازن صوتي متمثّل في الجناس والسجع المتوازي في الوزن والتقنية بين (أنفاسك/أنفاسك)، والترصيع وهو من أبلغ صور السجع في قوله: (مساقك عذبا، وكلامك رطبا)، والجناس المحرّف (اختلاف هيئة أحد الحروف) بين (نفسك/نفسك)، والجناس الناقص (نقصان حرف) بين (قلبك/قلبك)، وقد أشاد عبد القاهر الجرجاني بفضيلة الجناس خاصة التام منه بقوله أنّ بلاغته تكمن في أنه: "قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاه، ويُوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاه، فبهذه السريرة صار "التجنيس" وخصوصا المستوفي منه المتفق في الصورة من حلّى الشعر، ومذكورا في أقسام البديع"³، ومن الجناس البديع قوله في وصفه حلوى القُبيطاء: "ولمّح القُبيطاء، فصاح: بأبي نُفرة الفضة البيضاء، لا تردّ عن العضة. أبنار

¹ الجرجاني، أسرار البلاغة، ص8

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص125 (*الأنفاس: الحبر)

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص8

طُبخت أم بنور؟ فإني أراها قطع البُور، وبلوز عُجنت أم بجوز؟ فإني أراها عين عجين الموز"¹

يُظهر الفقيه الشَّره وقد لمح حلوى القُبيطاء، فاضطرب به الوله، وأنطقه الشَّره، إذ راح يصفها بالفضة السائلة، ليتساءل في اندهاش عن سرِّ إشعاعها وتوهجها: (أتراها طُبخت بنار أم بنور؟)، منبها من صفاتها فهي (كقطع البُور)، وفي تركيبها ومادتها أتراها: (عُجنت بلوز أم بجوز أم هي عجين موز؟) فالجناس (نار/نور) و(نور/بُور) و(لوز/جوز/موز) أحدث في العبارة لحنا موسيقيا متواترا بانتظام، نتج عن تطويع ابن شهيد للألفاظ في خدمة المعاني بحذق وبراعة.

8- الطباق:

محسّن بديعي معنوي، والتضاد في اللغة من "ضادّه أي خالفه، وكان له ضدّا، والضدّ المُخالف والمنافي، ويقال: هذا اللفظ من الأضداد، أي من المفردات الدالة على معنيين متباينين"²، كما أنّ الطباق لا يختلف عن فنون البلاغة العربية الأخرى في بلاغته وأسراره الجمالية، فهو "من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، إذ الضدّ أقرب حضورا بالبال عند ذكر ضدّه"³،

كان ابن شهيد تحت وطأة الانفعالات والتي استدعتها طبيعة المواقف والصراعات الفكرية المحتدمة بينه وبين خصومه وحُسادِه، وكان أحوج ما يكون إلى البيّنة الساطعة لإثبات براعته الأدبية، وقد ساهم الطباق في التعبير عن ما يتمتع به من فنية في التعبير، ومستوى راق في التفكير، بتلك الدقة في الوصف، وتلك الصياغة البديعة، كقوله في وصف برغوث: "أسود زنجي، وأهلي وحشي.. شُربُه عبّ، ومشيه وثب، يكمنُ نهاره،

¹ ابن شهيد الأندلسي، التواضع والزواجع، ص 120

² المعجم الوجيز، مادة (ض د د)

³ أحمد إبراهيم موسى، الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1388هـ، ص 471

ويسري ليله، يُدركُ بطعن مؤلم، ويستحلّ دم كلِّ كافرٍ ومسلم¹، فالبرغوث أسود اللون زنجيٍّ، لكنه في طبعه (أهليّ=وحشيّ)، فهو يستأنس بالبشر ويعيش معهم، في المقابل وحشيّ التصرف في هجومه عليهم، في النهار يستسلم للسكينة، غير أنه دائم النشاط والسعي في الليل (بكمُنُّ نهاره ≠ يسري ليله)، فهو كفارس شديد الطعن لأعدائه، بتلك الخفة والقوة الليلية التي تجعله يستبيح ضحاياه، إذ (يستحلُّ دم كلِّ كافرٍ ≠ مسلم)، فالطباق كشف عن دقائق تفاصيل البرغوث في الأحوال والأوصاف والطباع والأفعال، وهو ما يعكس قدرة ابن شهيد على الوصف والتصوير، مع التأثير في المتلقي عبر التضاد (أهليّ ≠ وحشيّ، كافرٍ ≠ مسلم)، والسجع المتوازي (زنجيٍّ/وحشيّ، مؤلم/مسلم، عيٌّ/وثب)

وفي مناظرته لتابع الإفريقي موضحاً له أنّ البراعة الفنية والمقدرة البلاغية ليست في حفظ اللغة وغريبها، باستظهار كتب سبويه وابن درستويه بل حتى: "تتناول **الوضع** **فترفعه**، و**الرفع فتضعه**، و**القيح فتُحسنه**"²، فالأديب الحق هو الذي يمتلك القدرة والآليات على تحسين القبيح، وتقبيح الحسن، كما حسن هو صورة البرغوث والثعلب رغم ما يشيع عنهما من قُبْح في تناوله لهما بوصف دقائقهما، كما استطاعت المقابلة عبر التناوب اللفظي والمعنوي في تثبيت المعاني في أذهان السامعين، لأنّ المعاني والأشياء تثبت في الأذهان وتتمايز بأضدادها، لهذا ذهب شيشرون (Cicéron) إلى اعتبار أنّ الأضداد هي الأولى في قائمة موضوعات أرسطو البلاغية³، لهذا يُقرّ ابن شهيد في ختام

¹ ابن شهيد الأندلسي، التواضع والزواضع، ص 125-126

² ابن شهيد الأندلسي، التواضع والزواضع، ص 125

³ Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Une introduction aux études d'argumentation ENS Editions, Lyon, 2021 (Les topoi rhétoriques d'Aristote):

«Le topos des opposés est le premier dans la liste des topoi rhétoriques d'Aristote: (.il faut examiner si le contraire d'un sujet à un prédicat contraire à celui du premier; réfuter dans la négative, confirmer dans l'affirmative)»

مناظرته لأنف النّاقة بقوله: "إنّما أنت كمغنّ وسط، لا يُحسن فيُطرب، ولا يُسيء فيُلهي"¹، معتبرا من خلال هذا الطباق أنّ أبا القاسم الإفليلي مجرد عالم متخصص في التدوين العلمي كالنحو وغريب اللغة والنقد، لكن كأديب فنّان ذا خيال وإبداع، فهو ما زال يتأرجح بين (الإحسان) و(الإساءة)، مما ينفي عن أدبه القيمة الإبداعية، لتظهر شخصية تابع الإفليلي عبر هذه الضديات فهو:

لا يُحسن فيُطرب ≠ لا يُسيء فيُلهي، لا يرفع ≠ الوضع، لا يضع ≠ الرفيع، لا يحسن ≠ القبيح، وهذا ما يرمي إليه بإقناع مخاطبيه، أنّ خصومه عاجزين عن الإبداع، وهم مجرد حسّودين، مُنكرين لمجده الأدبي.

أدرك ابن شهيد القيمة الفنية للسجع والمقابلة، وما تكتنزه من أسرار بلاغية، عبر تحريكها النفوس، وجذبها الأسماع، وشحذها العقول، لهذا تجده يطلبها في توابعه، إذ يقول: "ثم قلت له: ليس هذا أعزك الله، مني جهلا بأمر السجع، وما في المماثلة والمقابلة من فضل، ولكنني عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيئتُ بعباوة أهل الزمان، وبالحرأ أن أحرّكهم بالازدواج. ولو فرشتُ للكلام فيهم طولقا، وتحركت لهم حركة مشولم"²، لهذا تنوعت أساليب الطباق في التوابع، كما تميزت بالثراء والتباين حسب السياقات النفسية والفكرية والحضارية التي ساقها ضمنها، كما عكست مستوى ابن شهيد الفني الرفيع.

ب- أنواع المقامات في رسالة التوابع والزوابع:

1- المقام:

سبق تناولنا للمقام في الفصل الأول من الرسالة، باستعراض علاقته بالسياق، عليه سأوجزه بتناول إشارات إليه فقط، إذ تُمثّل نظرية المقام العمود الذي قام عليه صرح

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 125

² ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، ص 116

البلاغة، حتى قيل: "لكلّ مقام مقال"، فالسكاكي (ت626هـ) يؤكّد على ملاءمة الكلام لمقام الاستعمال، كما تتباين المواقف الكلامية تبعاً لأغراض الكلام بقوله: "لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكّر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين الذمّ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب.. وهو الذي نسمّيه مقتضى الحال"¹، ويُخصّص العسكري (395هـ) مقامات المتكلمين وأحوالهم بقوله: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تُقسّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيُخاطب السّوقة، والبدو بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه، فتذهب فائدة الكلام وتعدم منفعة الخطاب"²، وقد أشار صلاح فضل إلى عثوره على سابقة لفكرة المقام عند شيشرون (Ciceron) (106ق.م-43ق.م) بقوله: "وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال" وإن كنا نعثر على سابقتها الواضحة في عبارات شيشرون الروماني.. الذي يقول في كتابه عن الخطابة: "إنّ الرجل البليغ يجب أن يقدم قبل كل شيء البراهين على حكمته، ويتكيّف مع مختلف الظروف والشخصيات. أعتقد بالفعل إنّه لا يجب أن يتكلّم دائماً بنفس الطريقة أمام الجميع، ولا ضدّ كل شيء، ولا لصالح أي شيء، عليه إذن لكي يكون بليغاً أن يكون جديراً بأن يجعل لكلّ مقام مقالا لغويًا ملائماً له"³، وقد عالج قدماء العرب تأثير المواقف على سياق البناء اللغوي كالقاضي الجرجاني (392هـ)، والعسكري (395هـ) وابن رشيق (456هـ)، والسكاكي (626هـ) الذي فطن إلى مراعاة المقام قصد المتكلم وحال السامع، وما يُحيطُ بهما من ظروف وأحوال، وما يتمّ من خلاله الانتقال من الدلالة النحوية المجردة التي تمثّل مستوى أول، التي سمّاها بمستوى أصل المعنى، إلى مستوى ثاني ذي دلالات مقامية مخصصة، ومن هذه المقامات في رسالة التوابع:

¹ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص 168-169

² أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تح: محمد الجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ص 29

³ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992،

2- مقامات الخطاب السياسي:

إنّ أهمّ وظيفة يقوم عليها هذا الخطاب هي بناء الهوية حسب ما يذهب إليه محمد العمري إذ يرى: "إنّ الرّهان الأسمى للخطاب السياسي ليس كما يُعتقد هو حمل رسالة أو نشر إيديولوجية أو التحريك من أجل فعل بل هو تأكيد هوية خطيب من أجل تسهيل انخراط مستمع"¹، وإن كان هذا الخطاب يُسدي النصائح لرجل السياسة حتى يكون سياسياً ناجحاً، إذ الأصل المنغرس في متعلقات السياسة، يردُّ في شكل وصايا تحمل في طيّاتها النصح والإرشاد والتوجيه، بسعيه إلى استثمار ما تمّده به الخطابة من طاقات بلاغية هائلة ووسائل إقناعية فعّالة، بتسرّب الجنس المشاوري إليها، لهذا استعمل ابن شهيد البلاغة كسلاح سياسي للتأثير في الآخر، عبر ما تحظى به قوّة وقدرة على اختراق مكامن الضعف، مستهدفاً التنبيه والتحذير والإيقاظ، إذ صرّح بذلك في قوله:

وما كلُّ من قاد الجياد يسوسها * * ولا كلُّ من أجرى يُقال له: مُجري²

إذ عالج ابن شهيد في التوابع مسألة الحكم وهي من الرسائل السياسية الهامة، كما أنّ هذا الخطاب يشتمل على توقّع ما يفكر فيه الآخرون، أو التنبؤ بما يضمّره المنافسون، وما يؤمن به الأعداء، ومن ثمّ تفنيده أو إضعافه أو تشويبه وتقيحه، كما يتحقق قدر كبير من التفاعل بتفعيل قدرة اللغة على الدلالة على مستويات مختلفة وقدرتها على التعبير عن الواقع³، لهذا عرض لبغلة أبي عيسى ممّا آل إليه وضع الدولة الأندلسية من فساد سياسي بقوله: "ومن إخوانك من بلغ الإمارة، وانتهى إلى الوزارة"⁴، حين بلغ التهافت على المناصب السياسية أوجه ببلوغ أشباه الساسة من البغال الوزارة والإمارة، إذ وصف

¹ محمد العمري، بلاغة الخطاب السياسي، جريدة الاتحاد الاشتراكي، المغرب، 2007/10/02، ص 03

² ابن شهيد الأندلسي، الديوان، تحقيق: زكي يعقوب، ص 114

³ يُنظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية - من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي - شمس للنشر والتوزيع، ط1، 2010، القاهرة، مصر، ص 50

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 149

ابن حيّان القرطبي اتّضاع الأحوال السياسية بقوله: "لا سيما بعد أن هانت تلك المناصب بانحطاط الدولة وأمرائها، حتى لم يعد فيها ما يُغري عاقلاً بالسّعي إليها أو الانتساب فيها"¹، وقد ربط أرسطو الخطاب السياسي بحُجّة المثال، بوصفها الحُجّة الأكثر ملاءمة لهذا الخطاب، حين ربطه بالإيتوس لأنّه يعتمد بدرجة كبيرة على المظهر الخلفي للخطيب، لهذا توّسل ابن شهيد تبليغ رسالته السياسية باستدعائه للمقدمات القائمة على الحقائق والوقائع، كونها لا تقبل التنفيذ كما أنّه صاغها من واقعه المعيش آنئذ، فهو سليل القصور، نديم الوزراء والأمراء وما يدور فيها من "الدسائس البلاطية"، إذ عايش "كيف كان التورّط في المنازعات والمنافسات السياسية التي كانت على أشدّها في أواخر أيام العامريين أمراً قد يؤدّي إلى التهلكة"²، كمصرع صديقه عبد الملك بن إدريس الجزيري(324هـ) في نكبة عبد الملك المظفر بتحريض من وزيره عيسى بن سعيد القطاع، الذي لاقى مصرعه على يد عبد الملك بن المظفر بن المنصور(397هـ-1006م)³، فمصرع القاضي أبو وليد الفرضي⁴، كما تعرّض للسجن للمؤامرات التي حيكت له من خصومه برميّه بالمجون والتهتك كقوله:

فإن طال ذكري بالمُجون فإنني *** شقيّ بمنظوم الكلام سعيدُ

فراق وسجن واشتياق وذلة *** وجبارُ حُفاظ عليّ عتيذُ⁵

وقد صوّر المؤرّخ الأندلسي ابن حيّان الأوضاع السياسية السائدة حينئذ، بوصفه دولة عبد الرحمن المستنصر الذي ولي الخلافة نحو شهر ونصف سنة(414هـ-1023م) بقوله:"وكان قدم على جميع أشغاله وأعماله جماعة من بقايا بني مروان وجماعة من

¹ ابن حيّان القرطبي، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، ص27

² ابن حيّان القرطبي، المقتبس، ص15

³ ابن حيّان القرطبي، ص24

ابن حيّان القرطبي، ص26

⁵ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، تحقيق: يعقوب زكي، ص100

الأغمار كانوا يذهب بهم العجب، قدمهم على سائر رجاله، فأحقد بهم أهل السياسة، فانقضت دولته سريعاً¹، كما أعرب ابن شهيد عن انتصاره لبني عامر، بامتداحهم، وولائه لدولتهم وحزنه عليهم، بقوله في مدح عبد العزيز المؤتمن:

ملك ناصب من خالفكم *** عامريُّ المُنتمى والمنصب

فعلما أنها نفةٌ من *** ورث الجُود أبا بعد أب²

3-مقامات الخطاب الاجتماعي:

تناولت التوابع الكثير من المظاهر المتعلقة بالحياة الاجتماعية في الأندلس، ومن المقامات التي انطوت تحتها مقام الحياة الحضارية الأندلسية، القائم على القصور ومجالس الوزراء والفقهاء والأدباء، وما سادها من مناظرات وآداب الحوار بالاستئذان ولين الجانب بين المتناظرين، وما تحتكم إليه من هدوء وتوقير الشيوخ في قوله: "حتى أستأذن شيخنا"، ومقام التعليم بتوجيه الرسالة إلى موضوعات تدخل في باب: كالبلاغة والإلهام والكتابة والكتّاب والسرقات الأدبية، كما انتقد ادعاء العلم والتعالى به بقوله:

و رِيَّةُ كُتَّابٍ إِذَا قِيلَ: زَوَّرُوا بكت من تأنّهم صُدُورُ الرِّسَائِلِ

وناقل فقه لم ير الله قلبه *** يظنُّ بأنَّ الدِّينَ حفظُ المسائل³

ودعا في المقابل إلى الذكاء والفتنة واعتماد الطبع والفترة، لا إلى حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو، كما ظهرت من الرسالة فئات اجتماعية تقوم بالصناعات كالمؤدّبين والمعلّمين، واهتمامهم بالعلوم اللغوية والأدبية وإجماعها على تربية المتلمذين، وما ساد دروس الحلق فيها من آداب الحوار (تلاميذ الإفليلي وأبي عامر)، والمناظرات

¹ ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلق عليه: محمود علي مكي، ص 27

² ابن شهيد الأندلسي، الديوان، تحقيق: يعقوب زكي، ص 93

المصدر نفسه، ص 144³

والمجادلات بين النقاد والفقهاء وما تناولوه من قضايا نقدية، كما قامت طائفة منهم على تأديب الكتّاب المُلحقين بمؤسّسات الدولة بديوان الرسائل والكتابة، لهذا كانت الكتابة عندهم ذات شأن، فهي "طريقهم إلى نيل الحظوة لدى أولي الأمر والارتقاء إلى المناصب المرموقة في الدولة، لذلك كانوا يأخذون أنفسهم بالثقافة الواسعة، ويسعون إلى تنويع مصادر المعرفة، بالإضافة ما يجب أن يكونوا عليه من أدب النفس ممّا تُحتّمه معايشة الحكّام وخدمة الدول"¹

4- مقامات الخطاب الأدبي:

الذي قام على السخرية (L'ironie) إذ له وظيفة تأثيرية لأنها تتحوّل إلى ممارسة ثقافية هدفها التأثير شأنها في ذلك شأن كل فعل كلامي يروم تغيير الواقع والتأثير في المخاطب"²، لهذا يعدّها بيرلمان "حجّة غير مباشرة"³، إذ رسم ابن شهيد صوراً للإفليلي والفقهاء والإوزة والبعلة (مزيفة) قوامها الكمال الخلفي والحسي، وهذه الصورة هي نتاج خيالات أصحابها، فأبرزت السخرية من خلال عدّة آليات الكمال الموهوم الذي تشكّلت به، باتخاذها حُجّة إذ تظهر "قيمة حاجية معاكسة"⁴، الذي لا يلبث حتى يتوارى، لتفسح المجال أمام شخصيتها المثيرة للضحك والتندر، ورغم ما تعانیه هذه الشخصيات من انتفاخ موهوم، عبر ما يسكن دواخلها من غرور ووهم وتصنّع، يحقق عليها أبو عامر

¹ حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، ص 58

² حافظ إسماعيل علوي، لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حاجية، ضمن كتاب أبحاث في الفكاهة والسخرية، منشورات جامعة ابن زهر، أكادير، 2008، ص 56

³Ch.Perelman et L.O.Tyteca,Traité de l'argumentation-La nouvelle rhétorique,5édition,Éditions de l'université de Bruxelles,1992,p279 :

« Nous continuons de traiter l'ironie en tant que phénomène métadiscursif de nature argumentative cette fois ci ; comme élément centrale sous-tendant une stratégie argumentative indirecte»

⁴ عبد النبي ذاكر، بلاغة الحجاج في سخرية الرحالين العرب، الحجاج مفهومه ومجالاته، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، ص 243

الانتصار وكشف حقيقتها الزائفة كما هجا أساليب الكتابة بسخريته من كُتّاب عصره بقوله:

ويح الكتابة من شيخ هبّقة *** يلقي العيون برأس مُحه رارُ

ومنتن الرّيح إن ناجيته أبدا *** كأنما مات في خيشومه فارُ¹

5- مقام المدح والذم:

يبرز هذا المقام في المحافل الجماهيرية والمناسبات الكبرى بعملَي المدح والذم²، عبر ترسيخها الفضائل في الممدوح، وقد عُرف هذا الجنس الأدبي في الثقافة العربية بالمفاخرة، التي قام الجاحظ على تطويرها، بوضعه أربع عشر رسالة في المفاخرة³، غير أنّ أرسطو يرى أنّ الحجاج يضعف في هذا الجنس من الخطاب، لأن جوهره يقوم على مبدأ الاختلاف، لأنّه يُدرجه في الخطابة الاحتفالية التي تُفسح المجال للمقوم التفضيحي الذي يكتفي بتفخيم الأفكار المتفق عليها عند كلّ المستمعين⁴، استعار ابن شهيد شخصيات: امرؤ القيس والمنتبي والجاحظ وعبد الحميد التي امتاحت مصداقيتها من انتسابها للواقع، كما أفسح لها المجال للتعبير عن آرائها، وعرض حججها، وإن كانت في الخطاب الاحتفالي يخفّت فيها الحجاج، لتتكفّل الصيغ المجازية بإثبات أفضليتهم، عبر إسناد معاني التفخيم لها بترتيب يقتضيه الحجاج، أمّا الذمّ فيقوم على مبدأ استهجان أمر وسلوك، وقد عدّه بيرلمان وتيتكاه واسطة العقد في الإقناع، لأنّ مداره القيم "فالخطيب في هذا الخطاب، يسعى إلى إحداث الإجماع حول بعض القيم التي يقول بها الجمهور. وهو

¹ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، تحقيق: يعقوب زكي، ص 106

² فيليب بروتون وجيل غوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناحي الغامدي، ص 31

³ صالح بن رمضان، الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي (مشروع قراءة شعرية)، ص 429

⁴ محمد الولي، مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر، ص 31

يستعين بمجمل الوسائل التي يُتيحها له فنّ الخطابة لكي يُضخّم تلك القيم¹، كذمه أخلاق الكتاب واللغويين والفقهاء.

خلاصة:

لا يخلو الخطاب الحجاجي من الآليات البلاغية من خلال ذلك التلازم بين الإقناع والإمتاع، لما تتمتع به من قدرة على التأثير والاستمالة والاستدلال، لهذا اتكأ ابن شهيد على الصور البيانية، ووظفها في رسالته، وساقها حُججا قويّة ذات وقع وتأثير في متلقّيه، عبر ما بثّ فيها من الحياة والحركة والألوان والظلال، فكانت الاستعارة والتشبيه والكناية - التي ارتقى بها إلى التعريض - حاملات للحجاج عبر ما اكتنزته من حمولات تأثيرية في المتلقي، بإثارة المشاعر والانفعالات فيه، كما فعّل دور البديع ولم يختزله في الوظيفة التحسينية، بل وظّفه لخدمة القضية التي يدافع عنها، ولهذا عمل على تطويع البلاغة بعناصرها لخدمة الإقناع.

¹ عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، ص 305

الفصل الخامس: الآليات اللغوية الحجاجية

1 . الوسائل اللسانية:

1. 1 - الإحالة

1. 2 - الإشارات

1. 3 - التكرار

2 - الوسائل اللغوية:

2. 1 - الروابط الحجاجية **Les Connecteurs**:

(أ) روابط للخُجج وروابط النتائج

(ب) روابط التعارض والتساوق الحجاجي

2. 2 . العوامل الحجاجية **Les Opérateurs**

7. 3 . السلالم الحجاجية **Les échelles argumentatifs**

2. 4 . المراتب الحجاجية (وظيفتها الترتيبية)

توطئة:

يرتكز التحليل الحجاجي التداولي للتراث القديم على آليات لغوية هامة، يُنَاطُ بها دور أساس وهو حصر وربط دلالة الخطاب وتقييده، بما يقصده المخاطب، بذلك التوجيه للدلالة المقصودة إلى المخاطب، لتحقيق التأثير والإقناع، فضلا عن ما تتمتع به من عظيم الأثر في الترابط والانسجام، كما يتوسل الخطاب الحجاجي تضمينها بين الحجج والنتائج، مع دورها في الربط بين الحجج التي يسوقها، مما يحقق الاستمالة والتأثير في المتلقي، وتكمن هذه الآليات في الروابط والعوامل والسلام الحجاجية، كما يستفيد الحجاج من حقول لغوية مجاورة للبلاغة يستمد آلياته منها لتوظيفها تنظيرا وتطبيقا من منطلق أن المتكلم يتوسل بآليات متعددة، قد تتفاوت بتفاوت متلقيه، والمقام الذي تنتزل فيه لانتظام عملياته الحجاجية وتحقيق أهدافها¹، وهو ما ستأتي الإبانة عنه في رسالة التوابع .

1- الوسائل اللسانية:

وهي أدوات الاتساق (Cohérence) والانسجام (Cohesion) والتي تستعمل استعمالا حجاجيا، ومن أهمّ هذه الأدوات:

الإحالة Referencing والإشارات Diexis:

1. 1- الإحالة (Referencing):

مصدر الفعل أحال، ورد في تاج العروس: "أحال الشيء: تحول من حال إلى حال أو أحال الرجل: تحوّل من شيء إلى شيء"²، فهي في معظم المعاجم لا تخرج عن معنى التحوّل والتغير، وهو ما يتماشى مع معناها الدلالي للإحالة النصية، فاللفظ المُحيل هو الذي يحيلنا على المعنى الدلالي لذات اللفظ، وهي تلك الوحدة الاتساقية النصية التي كثر

¹ محمد سالم الأمين الطلبة، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج2، ص180

² مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مادة (ح و ل)

عنها الكلام في الدراسات المعاصرة، وسيلة من مسائل الاتساق النصي، وتطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب¹، بوصفها جزءا من ظاهرة أعم هي ظاهرة الربط، حيث تُحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، كما تعمل على رصّ أجزائه، ليزداد تماسكا مشكّلا كلا موحدا، تُبنى فيه المعاني على نسق يصعب التأويل لها دون الرجوع إلى المعنى الذي خرجت منه، وهي تعمل في الجملة كما تعمل في النص، وعملها فيه أوضح، لأنها تربط النص بمقامه الذي وجد فيه، من خلال الإحالة إلى ما هو خارج النص، بذلك الجسر الذي تمده بين ما هو لغوي وما هو غير لغوي وتقوم الضمائر عبر إحالتها بصنع التماسك (Cohérence) الدلالي داخل النصوص، مستندة على ما أوتيت به من قدرة على التأليف والربط بين أجزائه على مستوى اللفظ أو المعنى

1. 2- الإشارات (Deixis):

الإشارات² (Deixis) أو الإشارة أو التأشير أو المُشيرَات هي "وحدات لغوية تتواجد في جميع لغات العالم"³ متنوعة الدلالة، تتغير بتغيّر السياق، يعرفها جورج يول (YuleJ.) بأنها "مصطلح تقني يُستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة"⁴، كما يكون القصد بها التلويح ولفت الانتباه، وقد أفسحت الفلسفة المعاصرة للغة المجال للتركيز على الإشارات، إذ أصبحت آلية من آليات التحليل اللساني، هي أحد أبرز مجالات الدرس التداولي، لهذا أولها النحاة واللسانيون والفلاسفة عناية في مؤلفاتهم محاولين كشف أبعادها المختلفة من خلال

¹ الأزهر الزناد، نسيج النص المركز الثقافي العربي، ط1، 1993، ص121

² ، <https://www.larousse.fr> أخذت من الجذر الإغريقي: (Deiksis) وتعني فعل (إجراء) العرض والإظهار: ³ عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص84

⁴ جواد ختام، التداولية: أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1437 هـ . 2016م،

علاقتها الوطيدة بقضية الدلالة والإحالة المرجعية، فهي تعبيرات تُحيلنا إلى مكونات السياق التواصلية، وتندرج ضمن نظرية التلفظ أحد تيارات التداولية المعاصرة التي وضعها هانسون (Hansson)، وتحدّد دلالاتها من خلال السياق التواصلية، كونها "علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها"¹، وينحصر دورها "في تعيين المرجع الذي تُشير إليه، وتتعلق دلالتها بالمقام؛ لأنها أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وتقوم بوظيفة تعويض الأسماء"²، أي تقوم بالوظيفة المرجعية، التي يصنفها ر. جاكبسون (Jakobson) ضمن الوظائف اللغوية الستة، كما تختص بدراسة المرامي التي تهدف إليها الضمائر، ويسميا جورج يول (J. Yule) التعبيرات التأشيرية (Indexicals) تتنوع بين التأشير الشخصي (Person Diexis) أنا/أنت...، والتأشير المكاني (Spacial Diexis) هنا/هناك، والتأشير الزمني (Temporal Diexis) الآن/آنذاك، مع الضمير واسم الإشارة واسم الموصول، لتتنوع بين إشارات شخصية واجتماعية وزمانية ومكانية، وتدرس الإشارات لكي تُعرف مرجعياتها في خارج النص، لهذا كثّف ابن شهيد من استعمال العناصر الإشارية بكل أنواعها، لوعيه بأهميتها في التواصل الإنساني بين منتج النص ومتلقيه، ودورها في فهمه، إذ "تظهر أهميتها البالغة حين تغيب عنّا ما تشير إليه فيسود الغموض ويستغلّق الفهم"³ منها:

1. 2. 1 - الإشارات الشخصية (Person Diexis):

وتُمثل لبّ الإشارات حيث تُعالج الجانب الشخصي، الذي يقوم عليه الخطاب، ولها وسائل منها الإحالة بضمير المتكلم (أنا/نحن) سواء وردت صريحة بضمير منفصل، أو أتت بضمير متصل (تاء الفاعل/نا الفاعلين)، أو أتت بضمير مستتر مقدّر،

¹ يول براون، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1997م، ص 35

² الزناد الأزهر، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص 116

³ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2011م، ص 17

والمخاطب (أنت/ أنتِ/ أنتما/ أنتن/ أنتم)، لتدلّ على شخصية المتكلم أو المخاطب، وهي التي يراها ولفنسون (I. Wolfensohn): "أوضح العناصر الإشارية الدالة على الشخص" عكس ضمير الغياب، وظهرت من الرسالة العناصر اللغوية التي تُشير إلى المشاركين في العملية التواصلية أهمها: ضمير المتكلم الذي دلّ على منشئ الخطاب، أو الذات المتلفظة وبرزت محورا هاما فيه، في قوله لزهير: "قلت: أهلا بك أيها الوجه الوضّاح"¹، إذ ساهمت في تحديد المتكلم والسياق الذي يردّ فيه خطابه، فالمعنى يتغيّر حسب الموقف والظروف المحيطة به، لأنّ هذه العناصر هي بتعبير ميلنر (Milner): "فاقده للاستقلالية الإحالية"، لأنّها عاجزة بمفردها عن تحديد إحالتها دون اعتمادها على السياق، فالغرض الذي يظهر من هذا الحوار هو سعي ابن شهيد لبناء علاقة شخصية مع زهير، تقوم على الاحترام والمودة، وفي قول زهير: "حلت أرض الجنّ أبا عامر، فبمن تُريدُ أن نبدأ؟"²، كما دلّت الإشارة الشخصية على ما يبادله زهير من المودّة، بترحيبه به في أرض التوابع، كما أظهر لهما عتيبة بن نوفل نفس الاحترام في تحيّيتهما: "حياك الله يا زهير، وحيّا صاحبك"³، بل إنّه يُظهر إعجابه بأبي عامر في: "أهذا فتاهم؟ قلت: هو هذا"⁴، محتجّا بإجازته له بتفوّقه في الشعر، رغم أنّه السيّد الذي همّ أمامه بالحیصة، في شهادته: "فلما انتهيت تأملني عتيبة ثمّ قال: اذهب فقد أجزتُك"⁵، كما ظهرت في هذا المشهد الإشارات الشخصية التي تراوحت بين شخصية المتكلم ابن شهيد، وشخصية المخاطب حسين الدنان صاحب أبي نؤاس في قوله: "فصحتُ أنشدُ.. فصاح من حبائل نشوته: أشجعي؟ قلت: أنا ذاك"⁶، وقد حمل ضمير المتكلم أهم ميزة أسلوبية وهي إبراز الذات وهيمنتها

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص 89

² المصدر نفسه، ص 91

³ المصدر نفسه، ص 92

⁴ المصدر نفسه، ص 92

⁵ المصدر نفسه، ص 93

⁶ المصدر نفسه، ص 106

على الخطاب في محاولة لإثبات وجودها إزاء ما تلاقيه من أعدائها من جحود وإنكار، كما عملت العناصر الإشارية الشخصية على إزالة اللبس الناتج عن تعدد مرجعية الضمير، إذ ترى أن روبول (A.Reboul) أنّ "الضمائر لها نتائج متعددة"، بتحديد هوية المتخاطبين، كما وضّحت الأثر البلاغي للضمائر وما حققته من تأثير وإقناع، عبر دورها الأساس في بيان القصد والإنجاز، كما تتفرع من هذه الإشارات أسماء الإشارة والأسماء الموصولة أو (المُبهمات) كما يسميها سيوييه وابن يعيش، "التي تعمل على ربط القضايا وتُسَهّل عملية تركيب واستنباط الموضوع العام"¹، كما يراها فان دايك من وسائل انسجام الخطاب عبر ما يسميه (التطابق الذاتي أو الهوية الشخصية) و(التطابق الإحالي بالعناصر الإحالية)²، كما يبرز النداء كعنصر إشاري شخصي هامّ، يقصد به تنبيه المنادى، باستدعائه بإحدى أدوات النداء مذكورة أو محذوفة، لأنّه ضميمة اسمية تشير إلى المخاطب لتنبهه، وهو كسائر العناصر الإشارية لا يُفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه، وقد أكثر ابن شهيد من توظيفه لطبيعة الرسالة القائمة على الحوار بين الشخصيات التي تحاورت فيما بينها، كما استعانت به في مناظراتها كمناظرته الإقليمي وبغلة أبي عيسى والإوزة، وحقّق عبره أغراضا حجاجية يُوطّرها السياق تُعرف (بمقتضى النداء) الذي تجاوز به لفت الانتباه إلى الفخر كقوله: "أنشدنا يا أشجعي"³، والتهديد في قوله: "فأمّا وقد قُلّتها، أبا بكر، فأصخ أسمعك العجب"⁴، ومدح توابع الشعراء والخطباء وتعظيمهم في: "حيّاك الله أبا الإحسان*، يا أبا الطّبع*، يا زُبدة الحقب*..أنظره يا

¹ يُنظر: تون فان دايك، النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي - تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، لبنان/المغرب، ط1، 2000، ص208-209

² يُنظر: تون فان دايك، النص والسياق - استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي/ يُنظر: تون فان دايك، علم النص - مدخل متعدد الاختصاصات - تر: سعيد حسين بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001، ص60-

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص96

⁴ المصدر نفسه، ص88

سيدي¹، أو السخرية من الخصوم كقوله لتابع الإفليبي: "يا أنف الناقة.."²، أو التحقير عند مناظرته للإوزة الأدبية: "يا أمّ خفيف.."³

1. 2. 2- الإشارات الزمانية (Temporal Diexis):

وهي صيغة لفظية تُشير إلى زمن معين، تدلُّ على زمن التحدث، وتحدّد دلالاتها من خلال السياق التواصلّي قياساً على زمن التكلم الذي يُشكل مركز الإشارة الزمانية، فإن لم يُعرف هذا الزمن التّبس الأمر على المتلقي وتعرّس الفهم والتواصل، ومن هذه الصيغ الإشارية (الآن، أمس، غداً، يوم، شهر، سنة) و(قبل وبعد)، فهي تعمل على تأطير عملية التواصل داخل نطاقها الزمني، وتُعبّر عن اندماج المتكلم والمخاطب معا داخل الزمن النصّي والتلفّظي والتواصلّي.

لمؤشر الزمن دور حاسم في كشف معاني الخطاب، كما أنه يكشف عن التغيرات النفسية والفكرية للمتكلم، ويظهر ما يعتري النص من تأثير الأحداث التاريخية والاجتماعية عليه، لهذا نجد في توابع ابن شهيد حرصه على الزمن، والجو اللذين يرتبطان ببيئته ومشاعره، فعمد إلى تعميق بُناه بالعناصر الزمانية، إذ اختار مجموعة مؤشرات زمنية توطر لعملية التواصل بينهما، مع مجاراتها للسياق العام الذي تجري فيه أحداث التوابع، يقول: "تذاكرتُ يوماً مع زهير بن نمير أخبار الخطباء والشعراء"⁴، فاللقاء بينهما كان لـ"هوى فيك، ورغبة في اصطفائك"⁵، ليظهر لنا زمن اللقاء وجوّه وأرضه وحركته غير ما يحدث عند البشر، فالزمان يجري بوتيرة متسارعة، والحركة خفيفة رشيقة، والأرض غير الأرض فهي تُلتَمَحُ

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص105 (أبو الإحسان: حسين الدنان تابع أبي نواس)، ص102 (أبو الطبع صاحب البحري)، ص128 (زبدة الحقب تابع بديع الزمان)

² المصدر نفسه، ص124

³ المصدر نفسه، ص152

⁴ المصدر نفسه، ص122

⁵ المصدر نفسه، ص120

التماحا، إذ "طار عني، ثم انصرف كلمح البصر.. وطار بنا كالطائر، يجتاب الجو فالجو، ويقطع الدو فالدو، حتى التمحت أرضا لا كأرضنا، وشارفتُ جوًا لا كجونا"، لينتقل إلى رسم مشهد لقاء تابع امريء القيس، فإذا الزمان ربيع يانع، والطبيعة شباب يافع، ووادي الأرواح "وادي دوح تتكسر أشجاره، وتترنم أطياره.. فظهر لنا فارس على فرس شقراء كأنها تلتهب.. فتطامح طرفه، واهترّ عطفه، وقبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط.."، فدلالة الزمن آنذاك تُشير إلى زهو الحياة ونضارة الشباب، فالأشجار (تتكسر)، ووظف لها ابن شهيد الفعل المضارع الدال على الزمن الحاضر المتجدد، والاستمرار فيه مع الشدة الظاهرة على الفعل، لتوحي بكثرة الأشجار وتداخل أغصانها وأوراقها، والأطيوار (تترنم) لتوحي بجو المكان وجماله وحالة الصفاء التي تسوده، وقد وظف ابن شهيد هذه العناصر الزمانية لوعيه أنّ "فالزمن صار ظاهرة تحمل دلالات متنوعة رمزية أو كونية أو فلسفية، ولم يعد ذلك الزمن التقليدي المرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل، بل اتسع لمجالات نفسية، ذهنية على مستوى الذات وليشمل الذاكرة التاريخية، وامتدادات المستقبل للجماعات والأمم"، بين زمن امريء القيس ومغامراته "يوم دارة جلجل"، فهو الأمير الكندي، "السيد"، الفارس صاحب الشقراء، الذي "تطامح طرفه واهترّ عطفه"¹، فالزمن زمن الشباب والسيادة والقوة والسيطرة، إذ "فأمال العنان.. قبض عنان الشقراء، وضربها بالسوط، ثم ركزها"، ليربط هذا بزمنه وبيئته وحضارة الأندلس وازدهارها أيام حكم العامريين، وقرطبة الغراء والزاهرة والزهاء، وبساتينها وقصورها، ومجالس علمائها، وسيادة الأمويين قبل أن تحلّ بها الفتنة، فالإشارات الزمانية "قد تكون دالة على الزمن الكوني الذي يفترض سلفا إلى فصول وسنوات وأشهر وأيام وساعات.. وقد تكون دالة على الزمن النحوي الذي ينقسم بدوره إلى ماضٍ وحاضر ومستقبل، إذ يمكن أن يتطابق الزمن الكوني والزمن النحوي، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني، فتستخدم صيغة الحال

¹ باديس فوغالي، (2002)، الزمن ودلالته في قصة من البطل؟ لزيخة السعودي، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 2،

الحاضر للدلالة على الماضي، وصيغة الماضي للدلالة على الاستقبال، فيحدث ذلك لبسا للقارئ لا يحلّه إلا معرفة السياق الكلامي، ومرجع الإشارة¹، بينما يتناول عناصر زمانية أخرى في مشهد لقائه (ببغلة أبي عيسى)، فإذا الزمان غير الشباب والقوة والنماء، بل زمن الانحطاط والفتن والجفاء، إذ سألته: "ما أبقت منك الأيام؟"²، لئجيبها: "ما ترين" التي تدل على تغير أحواله وسوئها، ثم تستفهم عن حال الأحبة، لئجيبها بقوله: "شيت الغلمان، وشاخ الفتیان، وتنكرت الخلان"³، لتأتي هذه التأشير الزمانية، بصيغة الزمان الماضي دلالة على ما وقع من تغيرات جسدية ونفسية وفكرية طرأت عليهم، بل إن من هؤلاء الأحبة . بفعل طوارئ الزمن . من تعير وأصبح يتملق الحكام، ويستجدي المناصب العليا، إذ منهم "من بلغ الإمارة، وانتهى إلى الوزارة"⁴، لتبقى البغلة مندهشة من هذا التغير في مواقفهم، ولم تجد غير الدعاء بالسُّقيا لزمان مضى من عهدهم، زمن الإخاء والوصال بقولها: "سقاها الله سبل العهد، وإن حالوا عن العهد، ونسوا أيام الود"⁵

1. 2. 3- الإشارات المكانية (Diexis Spacial):

ترجع الإشارات المكانية إلى أماكن، ويعتمد استعمالها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب، وهي لا تُفهم معزولة عن سياقها، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر (Immediate physical context) الذي قيلت فيه⁶، كقوله: "قال أبو عامر: وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممّن أتى على أجزاء النحو"⁷،

¹ يحي ريمة ومرداسي جودي (2021)، المقاصد التداولية للإشارات الزمكانية في شعر عبد الله البردوني، مجلة لغة .

كلام، العدد 3، ص 281

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوايج، ص 205

³ المصدر نفسه، ص 205

⁴ المصدر نفسه، ص 205

⁵ المصدر نفسه، ص 205

⁶ محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 22

⁷ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 239

وفي: "لا قوم عندنا، حظهم من الفهم الحفظ، ومن العلم الذكر.. إذا قرئ عليه الشعر يزوي أنفه"¹

شحن ابن شهيد هاذين التأشيرين المكانيين في قوله: (قرطبتنا) و(عندنا)، شحنه إقناعية عاطفية، لتتحول إلى إشارة لا تدل على معنى فقط، بل يستهدف من خلالها إثارة إشارات أخرى في أذهان السامعين، كما تجلب داخلها صوراً لتثير في المتلقي مشاعر، تمهيدا لحمله على إتيان عمل ما أو سلوك ما تحيلنا على مكان الحدث، إذ هي "تعبيرات تحيل إلى مكونات السياق الثقافي يستقي تفسيرها منه، وهي المتكلم والسامع وزمن المنطوق ومكانه.. الخ"²، كما أنّ هذه التعبيرات تضعنا في السياق التواصلي الذي ينشده أبو عامر من خلال هذه الصيغ: المكان (قرطبة) وظرف المكان (عند)، وربطه بضمير المتكلمين (نا)، لتوجيه انتباه المتلقي إلى المكان ورمزيته وعلاقته به، فالإشارات المكانية لا يمكن تفسيرها ومعرفتها إلا بمعرفة المكان الذي يقصده المتكلم³، لأن (قرطبة) بالنسبة لابن شهيد، انعتقت عن كونها مجرد جغرافيا، فهي تصف حالة وعلاقة ووشيجة تربطه بتلك المدينة الأندلسية، التي هام بطبيعتها الخلابية، وعاش في كنفها في نعيم العامريين، وتقلب في أفيائها وقصورها، يقول:

ورياح زهرتها تلوح عليهم *** بروائح يفتّر منها العنبر

يا طيبهم بقصورها وخدورها *** وبُدورها بقصورها تتخدر⁴

فإذا "كان للأندلسيين أن يدلوا على المشاركة بشيء فبوصف الطبيعة، والعمران

¹ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص 212

² تون أ. فان دايك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن البحيري، دار القاهرة، ط، 2005، ص 136

³ جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010 م، ص 33

⁴ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، جمع وتحقيق: يعقوب زكي، ص 110

حيث كان لهم رَهف الحس، وبراعة الأداء¹، كما اکتوى فيها بنار الفتن والحروب، التي عصفت بأمنها، وأنت على حضارتها، "ففي سن الثالثة والعشرين من عمره سقطت قرطبة في يد الأعداء"²، وكان نتاج هذه الوشيجة ما تركت في نفسه من عظيم الأثر، فبعد الفخر بأيام الرّخاء والنعيم والازدهار، انقلب ذلك إلى إحساس الحزن العميق، والبكاء لما لحق عمرانها من خراب، وموت سُراتها ورجالها وعلمائها، يقول فيها:

حُزني على سرواتها ورُواتها *** وثقاتها وحُماتها يتكرّر

كبدي على علمائها حُلُمائها *** أدبائها ظُرفائها تتفطّر³

فرثاؤه قرطبة حينما حلّت بها الفتنة، هو رثاؤه لنفسه، إذ "يعتبر شعره فيها فاتحة لراثاء المدن في الأندلس"⁴، فقرطبة يراها قرطبة وخاصته، والمؤشر الشخصي ضمير (نا) يُعبّر عن امتلاكه لها، بل إنها منصهرة فيه، حينما أتت الفتنة على أولياء نعمته من بني عامر، الذين تفرقوا في البلاد الأندلسية، يقول:

فلمثل قرطبة يقلّ بكاءً من *** يبكي بعين دمعها متفجّر

يا جنّة عصفت بها و بأهلها *** ريحُ النوى فتدمّرت و تدمّروا⁵

إذ ذهب المؤمن إلى الجهة الشرقية من بلنسية وتُدْمير، واستقر بها دعا المؤمن ابن شهيد إلى الالتحاق به، فاعتذر منه لأنه لا يستطيع هجر قرطبة التي تعلق قلبه بها بقوله: "والذي أشكو منه أغرب الغرائب، وأعجب العجائب: بثّ شاغل، وبرح قاتل، وصبر بغيض، ودمع يفيض، لعجوز بخراء، سهكة درداء، تُدعى قرطبة:"

¹ جورج غريب، العرب في الأندلس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1491هـ، ص66

² ابن شهيد، الديوان، جمعه وحققه يعقوب زكي، ص28

³ ديوان ابن شهيد الأندلسي، تحقيق: يعقوب زكي، ص111

⁴ ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله، تحقيق وجمع: محي الدين ديب، ص7

⁵ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، تحقيق يعقوب زكي، ص109-110

عجوز، لعمرُ الصبا، فانيه، * * لها في الحشا صورة الغانيه

زنت بالرجال على سنّها، * * فيا حبّذا هي من زانيه¹ "

يقول عبد السلام المسدي موضحاً أنّ المكان ليس مجرد خلفية للكلام، بل هو جزء أساس من معناه، وفهم الكلام يتطلب معرفة المحل الذي قيل فيه بقوله: "والتقرير الأولي والمطرّد في هذا المقام هو أن حدث الكلام المنجز مرتين في حيز المكان، انطلاقاً من ضرورة المحل لإنجاز الحروف التي هي أجزاء البناء اللغوي إطلاقاً، فليس الكلام متعاملاً فحسب مع عنصر المكان، وإنما هو حبيس في سياجه"²، لهذا أكثر ابن شهيد من الإشارات المكانية من أسماء الإشارة **كهذا** و**ذاك**، ومن ظروف المكان **كهنا** و**هناك** وغيرها **كعند** و**تحت** و**فوق** و**بين**.. واستعملها للقرب والبعد الفيزيائيين، كما استعملها وجدانياً ليدلّ على القرب والبعد النفسيين، كقوله في لقاء صاحبيّ الجاحظ وعبد الحميد: "قلّقت: مل بي إلى الخُطباء.. فقال لي زهير: جُمعت لك خطباءُ الجنِّ **بمرج دُهمان**، وبيننا وبينهم **فرسخان**.. وانتهينا إلى المرح فإذا **بناد** عظيم، قد جمع كلّ زعيم.. والكلّ منهم ناظر إلى شيخ أصلع.. قلّقت سرّاً لزهير: من **ذلك**؟ قال: عتبهُ بن أرقم صاحبُ الجاحظ، وكنيته أبو عُيينة. قلّت: بأبي هو! ليس رغبتى سواه، وغير صاحب عبد الحميد. فقال لي: إنّه **ذلك** الشيخُ الذي **إلى جنبه**"³

في رؤية جديدة يستحدث ابن شهيد توابعا للكُتاب، ويبدأ بشيخ الكُتاب الجاحظ وعبد الحميد الكاتب، ليرسم صورة جميلة عن مكان اللقاء (مرج دُهمان)، المُوحى بالحياة والانتعاش والخصوبة الفكرية، والمكان هنا عبارة عن (ناد عظيم)، اجتمع فيه (كلّ زعيم) من شياطين الكُتاب الذين سمّاهم (الخُطباء)، وهم مُقبلون على الاستماع لتابع

¹ ابن شهيد الأندلسي، التوابع والزوابع، تح: بطرس البستاني، 19

² عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط3، طرابلس، ليبيا، ص

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 157-158

الجاحظ (عُيُنة)، لا يصرفون عنه النظر، ليتساءل أبو عامر سرّاً من زهير: من (ذلك)؟ فالمدلول الحرفي الصريح، يُشير إلى أن هذا التابع بعيد عنه نفسياً من مركز الإشارة المكانية، بينما الدلالة الضمنية للتلفّظ هنا تُظهر من خلال السياق، التأكيد على المكانة الرفيعة التي يحظى بها هذا التابع، إذ جعل البُعد المكاني ذريعة لإظهار ما يتمتع به أبو عيينة من قرب نفسي، وتوقير وهيبة وإجلال لعلمه: فهو في نادٍ عظيم، يجمع (الخطباء) زعماء الكتابة والفصاحة والبيان، والكلّ مقبل عليه بحواسّه، ناظر إليه، واحتراماً لمقامه وللمتحمّقين حوله، يطرحُ ابن شهيد السؤال على زهير (سراً)، وهو بين الرّهبة: حتى لا يقطع جوّ العلم والتدّارُس مع الشيخ عُيُنة، والرغبة: فهو المطلب والرغبة بالنسبة إليه، هو وصاحب عبد الحميد، الذي يوظّف له نفس العنصر الإشاري على لسان زهير (٢) إنّه ذلك الشيخ الذي حنّبه)، الذي يقربنا من صورة هذا التابع، فهو الشيخ الذي يتمتّع بالأستاذية لمتعلّميه، وهو في مرتبة تابع الجاحظ الذي أعطت الإشارة المكانية (إلى حنّبه) بأنّه في مرتبة أبي عيينة، فعبد الحميد الكاتب ارتقت على يديه صناعة الكتابة، كما كان رائد كُتّاب الرسائل، وعمل كاتباً أوّل للدولة الأموية على عهد آخر الخلفاء الأمويين: مروان بن محمد (72هـ/132هـ)، لينتهي اللقاء بإجازتهما له . بعد مناقشات معهما حول شغفه بالسّجع . "ثمّ قال لي الأستاذان..: إنّنا لنخبط منك بببببب حيرة، وتفنّق أسماعنا منك بعبرة، وما ندري أنقول: شاعر أم خطيب؟.. اذهب فإنّك شاعر خطيب"، وخرج من نادي هذين الأستاذين، وقد "انفضّ الجمعُ والأبصارُ إليّ ناظرة، والأعناقُ نحوي مائلة"¹

1. 2. 4- الإشارات الاجتماعية:

هي تلك المؤشرات التي تُشيرُ إلى استخدام الأساليب اللغوية المختلفة لفهم السياق الاجتماعي للخطاب، وتُحدّد دلالتها وفق السياق التواصلي الكلامي، بما فيها نبرة الصوت، وكلّها تساهم في بناء صورة ذهنية عن العلاقة بين المتخاطبين، وتعمل على

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص 178

تحديد الهوية الاجتماعية للمتكم أو السامع، مع إظهار مستوياتهم المختلفة بتحديد الأدوار الاجتماعية لهم، كما تُساهم في بناء علاقات اجتماعية إيجابية أو سلبية بين المتخاطبين من خلال إظهار الاحترام أو التودد أو حتى العدوانية، للتأثير والإقناع بوجهة نظر معينة من خلالها، منها توظيف أبو عامر الإشارة الاجتماعية في اختياره رفيق رحلته زهير من أشجع الجنّ، بينما كان هو من أشجع الإنس في قوله قلت: بأبي أنت ! من أنت؟ قال: أنا زهير ابن نُمير من أشجع الجن¹، وفي لقاء تابع أبي نؤاس، حينما أنشده ابن شهيد بعض خمرياته، "صاح من حبائل نشوته: **أشجعي**؟ قلت: أنا ذاك"²، إذ بينت الهوية الاجتماعية للمتكم، عبر استخدام الوسيلة اللغوية المباشرة عن انتمائه لإحدى القبائل العربية "أشجع"، كما أشار في شعره إلى ما تحظى به قبيلته وأسرته من مكانة مرموقة بقوله:

من شهيد في سرّها ثمّ من أشدّ. *** جع في السرّ، من لباب اللباب³

وما تحظى به من مكانة ودور في الأندلس وحتى عند العرب، شاركت في الفتوحات الإسلامية في فتح الأندلس، وهي بطن من غطفان، ينحدر من سلالة الوضاح ابن رزاح، إذ ذكر ابن حيان كيف استعان أبو عامر المنصور، وقبله آل مروان ببني شهيد من آل أشجع في توطيد الحكم في الأندلس في: "ودعاهُ ذلك إلى أن يستميل إلى حزبه من استطاع من رجال بـيُوتات الموالى صنائع بني مروان القدامى من أمثال: بني حزم، وبني حدير، وبني شهيد"⁴، كما ساهم أبناؤها في الحياة العلمية والأدبية والسياسية فيها، وشغلوا مناصب رفيعة فيها، إذ كان جد أبيه أحمد بن عبد الملك وزير الخليفة الناصر عبد الرحمن الثالث، وأول من تسمى بذى الوزارتين فيها، كما استعان بالإشارة

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 89

² نفسه، ص 106

³ ابن شهيد الأندلسي، الديوان، تحقيق: زكي يعقوب، ص 87

⁴ ابن حيان القرطبي، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، حققه وقدم له وعلّق عليه: محمود علي مكي 1941م، ص 11

الاجتماعية غير اللفظية في استخدامه نبرة الصوت ولغة الجسد لتابع أبي نؤاس، إلى درجة أنه لم يكذب يُفِيح من سكرته حتى "صاح" مندهشا من انتماء أبي عامر لهذه القبيلة ذات الصيت والنفوذ، ليبيّن عبرها علاقة اجتماعية ايجابية تقوم على الاحترام والتبجيل بينهما، كما استخدم ألقاب الاحترام التي تشيع في الحوارات الرسمية كصاحب السعادة وسيادتكم، للإشارة لمكانة المستمع وتتسم بالانضباط وإخفاء المشاعر، كقوله يحاور زُبدة الحقب في مناظرتها في وصف الجارية والماء، التي اصطبغت بصفة الرسمية في: "أنظره، يا سيدي.."، وفي خطابه تابع امرئ القيس: "السيد أولى بالإنشاد"، وفي خطابه تابعي الجاحظ وعبد الحميد بصفة الأستاذية، لما لهما من مكانة في العلم والمعرفة في: "قال لي الأستاذان"، كما وظّف بعض الإشارات الاجتماعية غير الرسمية باستخدامه اسم الشخص، أو كنية محببة تشيع فيها روح الود والألفة معتمدا بعض الإشارات الودودة كحواره مع البغلة: "أما تعرفني أبا عامر؟.. ما أبقت الأيام منك؟"¹، التي توحى بدرجة قربها منه، وبعض الأساليب اللغوية، كاستخدامه الأمر المباشر، الذي قد يشير إلى عدم الاحترام أو التحقير، كقوله للإوزة: "يا أمّ خفيف.. ألا أيما أفضل: الأدب أم العقل؟"²، بينما يُوظّف أسلوب الاستفهام الذي قد يشير إلى الرغبة في التعاون، كطلبه الإذن من الشيخ: "هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟ قال: حتى أستأذن شيخنا"³، كما استعان ابن شهيد ببعض الإشارات غير اللفظية كنبرة الصوت، وتعابير الوجه، والهيئة والهندام، فلغة الجسد قد تكون إشارات اجتماعية هامة في الخطاب، إذ يمكن أن تُعبّر عن مشاعر المتكلم، كما تؤثر على تفسير الكلام، كما أنّ "حركة الجسم تجعل من الاتصال غير اللفظي عاملا هماً في تفعيل الرسالة اللفظية، وإن كانت مصاحبة لها"⁴ كوصفه تابع امرؤ

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص 149

² نفسه، ص 152

³ نفسه، ص 91

⁴ العبد محمد، المفارقة القرآنية، قراءة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، ط1، 1994، ص 202

القيس بالسيادة: "السيد..فتطامح طرفه، واهتزّ عطفه، وقبض عنان الشقراء"¹، وتابع المتنبّي الذي ظهر مهاب الجانب، معتدًا بنفسه: "ناظرا من مُقلّة شوساء، قد مُلئت تيتها وعُجبا"²، عكس الإشارات الاجتماعية غير اللفظية للإفليلي، إذ أظهرته لغة جسده: "أشمط ربعة وارمُ الأنف، يتظالغ في مشيته، كاسرا لطرفه، وزاويا لأنفه"³، كما أظهرت الفقيه: "ذو لقم..غريم بطن..فجلس القرفصا، يُذري الدموع، ويُيدي الخشوع"⁴، وغيرها من الإشارات الاجتماعية ذات الصلة بالسياق الاجتماعي.

1. 3- التكرار (La répétition):

هو ظاهرة من ظواهر التماسك النصي، وهو "شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما"، ورد في لسان العرب لابن منظور أنه: "الترداد والترجيع من كرّ يكرّ كرّا وتكرار، والكرّ الرجوع على الشيء ومنه التكرار، وكرّر الشيء وكرّره أعاده مرّة بعد أخرى، ويُقال كررت عليه الحديث وكرّرتّه إذ رددته عليه"⁵، وتكمن حجاجيته في إعادة اللفظ أو معناه، فهو بقدر ما يؤكد المعنى، وتعد له هذه الوظيفة حجاجية، عزّفه عمر البغدادي بقوله: "إنّ التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ أو المعنى"⁶، أمّا الجاحظ فسمّاه التّرداد وقد ربطه بالمتلقي في قوله: "وجملة القول في الترداد أنّه ليس فيه حدّ ينتهي إليه ولا يؤتى على وصفه، وإنّما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص..⁷، أما ابن الأثير فيضيف لوظيفة التكرار غير الإفهام والتوضيح والشرح، وظيفته: "توكيد الكلام

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع، ص92

² المصدر نفسه، ص112

³ المصدر نفسه، ص124

المصدر نفسه، ص119-120-121

⁵ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ك.ر.ر.)

⁶ البغدادي، خزائن الأدب ولب لسان العرب، تح: محمد عبد السلام هارون، ج1، ص361

⁷ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: محمد عبد السلام هارون، ج1، ص104-105

وتشييده، وتقريراً للمعنى وإثباته¹، كما يؤكد على أهميته بقوله: "اعلم أن في القرآن مكرراً لا فائدة في تكريره، فإن رأيت شيئاً منه تكرّر من حيث الظاهر، فأنعم نظرك فيه، فأنظر على سوابقه ولواحقه لتتكشف لك الفائدة منه"²، وقد ذهب علماء اللغة إلى أنّ له غايات وأهداف جمّة، لهذا حظي بالدراسة بوصفه ظاهرة بيانية، تضطلع بوظيفة الربط على مستوى البنى النصية، مما يحقق الإتساق (الربط النصي Cohésion) بينها داخلياً، كما أوضح إبراهيم الفقي أن التكرار في النصوص يشتمل على إحالة قبلية أو سابقة. ومن معانيه الكرّ وهو ما ضمّ ظلفتي الرّحل وجمع بينهما وفي هذا تحقيق للتماسك بين هاتين الظلفتين³، كما يرى ابن الأثير أن التكرار قسمان "أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى والآخر في المعنى دون اللفظ"⁴

- التكرار في التوابع والزواج :

1. 3. 1- التكرار في اللفظ :

جاء التكرار في التوابع والزواج متنوعاً، شمل عناصر عديدة، منها تكرار الألفاظ والعبارات والروابط الحجاجية، فالتكرار "هو أن يكرّر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذمّ أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض"⁵، ومنه قول ابن شهيد في لقاء صاحب البحري: "فركضنا ساعة وجُزنا في ركضنا بقصر عظيم قدّامه ناورد يتطارده فيه فرسان، فقلت: لمن هذا القصر يا زهير؟ قال: لطوق بن مالك، وأبو الطبع صاحب البحري في ذلك الناورد، فهل لك في أن تراه؟ قلت: ألف أجل، إنّه لمن أساتيدي... فصاح يا أبا الطبع!

¹ إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج 2، ص 19

² ابن الأثير، المثل السائر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج3، ص 27

³ إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج2، ص 135-136

⁴ ابن الأثير، المثل السائر، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ج2، ص 146

⁵ ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، شرح: عصام شعيتو، ج 1، ص 361

فخرج إلينا فتى على فرس أشعل... فقال له **زهير**: إنك مُؤتمنا، فقال: لا، صاحبك أشمخ مارنا من ذلك لولا أن ينقصه. قلت: **أبا الطبع** على رسلك... **أنشدنا** من شعرك. **فأنشد**.. حتى أكملها. ثم قال: هات إن كنت قلت شيئاً. **فأنشدته**... حتى أكملتها. فكأنما غشى وجه **أبي الطبع** قطعة من الليل. وكرّر راجعاً إلى **ناورده** دون أن يسلم. **فصاح** به **زهير**: أجزته؟ قال: أجزته، لا بورك فيك من زائر، ولا في صاحبك أبي عامر!¹

كان التكرار في هذا المشهد مقصوداً بنية تأكيد ابن شهيد تقفي آثار البحري، وأخذه بمدرسته التي تقوم على الطبع، فلفظة (**القصر**) العظيم فهي تحيل على قصر البحري، الذي أسكنه فيه الخليفة العباسي المتوكل (206هـ/247هـ) في سُرّ من رأى، وما شاع عنه من وصف للقصور (قصور المتوكل)²، وما جاورها من برك وبساتين، ووصفه إيوان كسرى. رغم أنه أعرابي ابن بيئة بدوية. وما عُرف عنه من ملاحقة في وصف دقائق الموصوف، وما أضفى عليها من مشاعر ذاتية، ومثله تكراره للفظه (**الناورد***) التي ترمز للبيئة العباسية وما سادها من تأثر بجمالية القصور السّاسانية، في عهد الخليفة المتوكل وعصر البحري، وما سادها من نفوذ فارسي في شتى مناحي الحياة، أما تكرار ابن شهيد للفظه (**أبي الطبع**) ليؤكد من خلالها أنّ البحري شاعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل، يتوسّط في توظيفه المحسنات اللفظية والمعنوية، مع ابتعاد عن التعقيد والابتذال، حتى عدّ أطلع المحدثين والمولدين، لهذا يتشرف به ابن شهيد أستاذاً له، أما (**أبو الطبع**) الفارس البدوي فيجيزه مرغماً، بعد أن أنشده، وأعطاه الإجازة في الشعر، بعد أن استطاع أبو عامر أن يهزمه، إذ ما أتم الإنشاد حتى "غشى وجه أبي

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 137 - 141

² يُنظر: بشير زهدي، العمارة العباسية، الموسوعة العربية، اطلع عليه بتاريخ 2021/05/20 (من قصور الخليفة العباسي المتوكل: قصر البركة المعروف بالجوسق الخاقاني شمال شرق سامراء، وقصر بلكوارا الشهير بالمنقور يقع جنوب سامراء، وقصر اللؤلؤة، والقصر الهاروني، والقصر الجعفري، وقصر العاشق)

الطبع قطعة من الليل"، ولم يقدر على المواجهة أكثر، و"كرّر راجعا إلى ناورده" دون حتى أدنى تسليم أو توديع.

وقد وظف ابن شهيد التكرار لأغراض بلاغية وحجاجية، وكان المراد منه تأكيد المدح للبحثري، وطريقته القائمة على الطبع والإشادة بها، مع تأكيد الفخر بمنزلته الأدبية ومقدرته البلاغية التي افتكّ إجازتها من تابع البحتري إفتكاكا، وهو ما ينكره حسّاده وخصومه عليه، متكئا على ما يتركه تكرار اللفظة من أثر انفعالي في نفس المتلقي، لطبيعته المكتنزة بالدلالات النفسية والانفعالية التي تفرضها طبيعة السياق، كما تعتمد ابن شهيد تكرار الألفاظ، لإيضاح المعاني والتأكيد عليها، وتشبيتها في ذهن المتلقي، متجاوزا الملل والرتابة وهو ما لفت إليه ابن الأثير الانتباه، إذ أكد أبو هلال العسكري(ت394هـ) على علاقة اللغة والحجاج، مع تأكيده على أهمية التكرار وارتباطه بالحجة ويجعله مدا للقول، ومن ثم "يربط بين مدّ القول، وبلوغه الشفاء والإقناع"¹، منها تأكيد المعنى وتشبيته في ذهن السامع²، لأن التكرار وإن كان ظاهرة لغوية، فهذا لا ينفي عنها البعد العقلي والمنطقي في التأثير، إذ يرى العزاوي "أن المقصود من التكرار الإقناعي" ليس هو ذلك التكرار المولّد للرتابة والملل، أو التكرار المولد للخلل والهلهلة في البناء، هذا التكرار الذي أطلق عليه الرومان التعبير الكنائي: (Argument ad

*الناورد: لفظ فارسي، هو في لغتهم بمعنى القتال وجولان الخيل في الميدان، وقد استعمله المولدون كالبحتري وغيره.
..وقال بعضهم يصف فرسا: و إذا عطفُ به على ناورده *** فكأنه من لينه بركارُ

¹ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد بجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، ص156

² Gustave Le Bon, La psychologie des foules(1895), Paris, PUF, 1988, p70 :

« L'affirmation n'a d'influence réelle qu'à la condition d'être constamment répétée, et, le plus possible, dans les mêmes termes. C'est Napoléon, je crois, qui a dit qu'il n'y avait qu'une seule figure sérieuse de rhétorique, la répétition. La chose affirmée arrive, par la répétition, à s'établir dans les esprits au point qu'ils finissent par l'accepter comme une vérité démontrée... De là, la force étonnante de l'annonce... et nous finissons par en avoir la certitude »

(nauseam) و (Nausea) تعني دوار البحر (Mal de mer)، وقيء (Nausée) مما يوحي بالشعب والرفض والاستهجان لهذا التكرار، أما التكرار المبدع فهو الذي يدخل ضمن عملية بناء النص أو الكلام بصفة عامة، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يضمن انسجام النص وتوالده وتناميه¹، لهذا فالتكرار الإقناعي (La répétition Persuasive) غير التكرار الاستطرادي حسب كريستيان بلانتان (Christian Plantin) فإن التكرار المُقنع يحمل تأكيدا (Une affirmation) أو أمرا موجزا نسبيا وثابتا في شكله (Une injonction). يتم تكرار المقطع الاستطرادي الذي يمكن تحديده بوضوح على أنه نفس وحدة المعنى النموذجي إذا كان له عدة مرات في نفس التسلسل النصي أو المحادثة²

1. 3. 2- التكرار في المعنى:

كقوله: ..أما إنَّ (به شيطاننا يهديه، وشيصانا يأتيه)، وأقسم أنّ (له تابعة تُنجده، وزابعة تُؤيده)...كنتُ أيام كتاب الهجاء، أحنُّ إلى الأدياء، وأصبو إلى تأليف الكلام، فتبعْتُ الدواوين، وجلسْتُ إلى الأساتيد، (فنبض لي عرق الفهم، ودرّ لي شريان العلم)...(فطعنْتُ ثغرة البيان دراكا، وأعلقتُ رجل طيره أشراكا)، (فانثالت لي العجائب، وانهالت عليّ الرغائب)....وكنت أبا بكر، متى (ارتجّ عليّ، أو انقطع بي مسلك، أو خانني أسلوب) أنشدُ الأبيات فيمثل لي صاحبي، (فأسير إلى ما أرغب، وأدرك بقريحتي ما أطلب). وتأكدت صحبتنا.."

¹ أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ص48

²Christian Plantin,Dictionnaire de l'argumentation,(Une introduction aux études d'argumentation),(2021),Entrée publiée dans non classé Le 20 avril 2021:

« à la différence de la reprise discursive,la répétition persuasive porte sur une affirmation ou une injonction relativement brèves et figées dans leur forme.Un segment discursif bien identifiable comme une même unité forme. sens est répété s'il compte plusieurs occurrences dans la même séquence textuelle ou conversationnelle»

إنّ القراءة المتأنية لهذه الجمل المتعاقبة، تُحيلنا إلى أنها تحمل نفس المعنى، بذلك التكرار المعنوي رغم ما بينهما من اختلاف في الألفاظ، سعى من خلاله أبو عامر إلى استخدام وظيفة "التكرار الحجاجية فتكمن في التأثير في المتلقي لتوصله إلى الإقناع بالقضية المطروحة.. أي أنّ وظيفة التكرار تكمن في التأكيد على صحة رأي ما.. فالتكرار وسيلة بلاغية يقصد بها تقوية الحجة عن طريق تأكيدها"¹، من خلال الاحتجاج بها لإقناع خصومه، إذ "تتكرّر له جماعة من أبناء طبقته وأهل حرفته، وحسدوه على نعمة من خفيض العيش يتقلب فيها، وهبة من توقّد الذهن يشتمل عليها: نعمة الأرض، وهبة السماء. فراحوا يسعون به لدى الملوك، وينتقصون شعره وأدبه وأخلاقه"²، ورموه بالعجز عن الإبداع على لسان صديقه أبي بكر بأنّ:

← به شيطان يهديه = وشيصبان يأتيه

← له تابعة تُنحده = وله زابعة تؤيده

ولدحض هذه المزاعم من الخصوم، راح يؤكد عبر سلسلة من الجمل المؤكّدة عبر التكرار، أنّ ما حققه من براعة ومجد أدبي، بفضل ما يتمتع به من موهبة ربانية وعطاء فطري إذ:

← نبيض لي عرق الفهم = درّ لي شريان العلم (هبة السماء كما يسميها بطرس

البستاني)

كما أنّه كان نتاج مجالسة الأساتيد، والإقبال على حلقات العلم، ومدارسة لكتب البلاغة والبيان والنقد، عبر التكرار الذي ترقّع به عن "التنبيه والإخبار، بل مهمته حفر

¹ خرفي خيرة (2014)، حجاجية التكرار في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها،

كلية الآداب واللغات، جامعة وهران، الجزائر، ص8

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، تح: بطرس البستاني، ص38

الاعتقاد الجديد في عمق النفس، وتمكين الأثر المتوخى فيها"، عبر إتقانه علوم البيان والبلاغة بـ:

← فطعتُ نُغرةَ البيانِ دراكا = وأعلقتُ رجلَ طيره أشراكا

وكانت هذه الجمل حجبا اعتمدها عبر التكرار، حتى تحقيقه النتيجة المتوخاة وهي:

← فانثالت لي العجائب = وانهاالت عليّ الرغائب

أي إنكار ما يرميه به حُصّاده من عجز عن الإبداع الأدبي، واعتماده بلسان أبي بكر المعروف بأشكمياط الذي وصف أدبه، أنه مجرد (فقر حسان) استباحها ابن شهيد من غيره (مُعْرَضًا بالتقْصُّص ومُشِيرًا إلى التلصُّص)¹، لأنَّ حدَّ التكرار كما يذهب إليه البغدادي: "أن يكرّر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ أو المعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الأغراض"².

2 – الوسائل اللغوية:

2.1- الروابط الحجاجية (Les Connecteurs Argumentatifs):

الروابط والعوامل الحجاجية هي أساليب لغوية تستخدم لربط الحجج ونتائجها وتعزيز علاقاتها، مما يُسهّم في تحقيق الغرض الحجاجي منها، وإن كان مدلول العامل يختلف عن الرابط، "فالعامل هو الذي يقوم بالربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل ملتحما، أما الرابط فهو الذي يربط بين فعلين لغويين اثنتين، فهو موصل تداولي معناه أنه يكفل هذه المكونات ليجعل منها أفعالا لغوية"³، فالرابط عند

¹ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص231

² البغدادي، خزنة الأدب و لب لباب لسان العرب، ص361

³ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند ديكر و أنسكومبر، مجلة عالم الفكر، ع1، سبتمبر 2005، ص234

النحاة هو ما يربط بين أحد المتصاحبين بالآخر، فقد جاء في معجم المصطلحات النحوية والصرفية: "أنه العلاقة التي تصل شيئين ببعضهما البعض، وتعني كون اللاحق منهما متعلقا بسابقه"¹، وقد اهتم ديكرو (Ducrot) وأنسكومبر (Anscombe) بالروابط الحجاجية لدورها في انسجام النص وتوجيه المخاطب إلى ما يرمي إليه المتكلم²، كما يعرفه العزاوي أنه: "الذي يربط بين ملفوظين أو أكثر في إطار إستراتيجية حجاجية واحدة"³، فإذا أخذنا المثال التالي:

زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان، سنجد أنه يشتمل على حجة هي (زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح) ن والرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما⁴، كما فصل في طبيعة هذه الروابط بقوله: "وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية، الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، فالروابط تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح، وتُسنَد لكل قول دورا محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط الحجاجية بالأدوات التالية (إذن)، لكن، حتى، لا سيما، إذن، بما أن، إذ..)، أمّا العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة

¹ محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية (1985)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، ص95

² Oswald Ducrot, Opérateurs argumentatifs et visée argumentative, Cahiers de linguistiques française, n5, Paris, 1983, p9 :

«Je propose de les répartir dans deux catégories, les connecteurs argumentatifs et les opérateurs argumentatifs. Les premiers sont des signes qui peuvent servir à relier deux ou plusieurs énoncés, en assignant à chacun un rôle particulier dans une stratégie argumentative unique... j'exprimais autrefois ce choix fait en faveur du second énoncé en disant qu'il déclaré plus fort que le premier; en fait la seule chose constante, c'est que le locuteur déclare négliger le premier dans l'argumentation qu'il en train de construire, et s'appuyer seulement sur le second. la force» argumentative supérieure accordée à celui-ci n'étant qu'une justification de cette décision»

³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، ط1، 2006، ص29

⁴ المرجع نفسه، ص30

حُجَج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل (ربما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا، ما إلا) وجُلّ أدوات القصر¹، وعليه فهذه الأدوات تؤدي وظيفة حجاجية جوهرية داخل الخطاب، بتنظيم بنيته وانسجامه الداخلي، وقد قسمها العزاوي عدة أقسام وفق هذه الوظيفة حسب الجدول أدناه²،

والعوامل والروابط في نظرية الحجاج والبلاغة الجديدة عنصران من عناصر انسجام الخطاب، وهي التي تُوجّه المتلقي إلى ما يسمى بالوجهة الحجاجية (La visée argumentative) التي هي "محددة بالبنية اللغوية فإنها تبرز في مكونات متنوعة ومستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلق بمجموع الجملة، أي عامل حجاجي في عبارة ديكرو، فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها ومن هذا النوع نجد: النفي والاستثناء المفرط والشرط والجزاء. ونجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة منها:

أ- الروابط المُدرجة للحجج:

هي من الصيغ اللغوية التي يصطلح عليها بألفاظ التعليل، "والتعليل: تبين علّة الشيء، ويطلق عندهم أيضا على ما يستدل فيه بالعلّة على المعلول... والتعليل لا بدّ فيه من علّة"³، والعلّة: ما يؤثر في غيره، وعلّة الشيء ما يتوقّف عليه ذلك الشيء ومن أدواتها:

¹ المرجع نفسه، ص 27

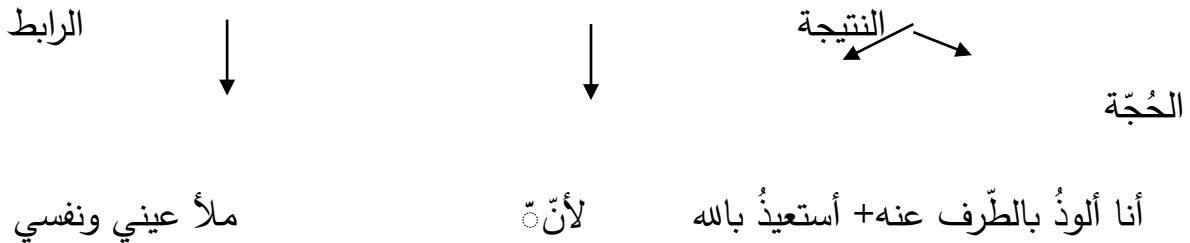
² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ص 30

الروابط المُدرجة للحجج	الروابط المُدرجة للنتائج	الروابط التي تُدرج حججا قوية	روابط التعارض	روابط التساوق
حتى/بل/لكن/مع ذلك/ لأنّ	إذن/لهذا/ بالتالي	حتى/بل/لكن/لاسيم	بل/لكن/مع ذلك	حتى/لاسيما

³ محمد مصطفى شلبي، تعليل الأحكام، عرض و تحليل لطريقة التعليل وتطوراتها، مطبعة الأزهر، 1947، ص 12

الرباط الحجاجي "لأنّ":

هو لفظ من ألفاظ التعليل، وتستعمل لتبرير فعل، كما تستعمل لتبرير عدمه¹، فهذا الرباط يعمل على توجيه القول نحو الجهة المقصودة، إذ يُقوّي الربط بين المقدمة والنتيجة، لأنّها تربط الصيغ الوصلية المقدمة بالنتيجة وتبني عناصر الحجاج، ويتمثّل الرّسم القاعدي للحجاج في ربط معطيات بنتيجة، قد يكون هذا الربط ظاهراً أو ضمناً(بما أن، نظراً لأنّ..)²، إذ حاول ابن شهيد إقناع المتلقّي بما يُلاقيه من خصومه وحُساده من حسد، فاختر الرباط(لأنّ) التي ربطت بين مُتتاليتين، كما أنّها ميّزت ما بين الحجّة والنتيجة، ويتّضح دورها في القول الذي صاغه أبو عامر عن لقاء فرعون بن الجون وقد استخفّه الحسد: "يُحدّقُ فيّ دونهم..وأنا ألوذُ بطرفي عنه، وأستعيذُ بالله منه، لأنّه ملأ عيني ونفسي"³، عبر تلك العلاقة المنطقية بين النتيجة التي تصدرت القول، وأعقبها بالحجّة، إذ يتألّف هذا القول من نتيجة وحجّة، هذه الحجّة التي يدلّل بها على صحّة ما ذهب إليه على النّحو الآتي:



فابن شهيد امتلأت عينه ونفسه رعباً من حسد فرعون بن الجون، الجنّي الذي بدا "كأنّه هضبة لركناته وتقبّضه، يُحدّقُ فيّ دونهم، يرميني بسهمين نافذين"⁴، وهذا حجّة على ما وصل إليه من نتيجة تتمثّل أنّه يلوذ بالطّرف عنه، ويستعيذُ بالله منه، لفرط حسده

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته، ص80

² وتيكي كميّة، الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحّيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة، دار قرطبة ط1، 1425هـ - 2004م، ص295

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص138

⁴ المصدر نفسه، ص138

له من ما أوتي من براعة قولية، فالرابط(لأن) قام بتوجيه القول نحو هذه النتيجة المقصودة، متكاً على ما ينطوي عليه من طاقة حجاجية، و"بالتالي تُكسب طابع الموصولية وهذا الترتيب يدعم الحجة بواسطة الدليل بذلك توجيهها حجاجيا (Orientation argumentative) لملفوظ بواسطة توجيهها الحجاجي"¹.

- الرباط الحجاجي "لام التعليل":

تُفيد لام التعليل أنّ ما بعدها غرض وعلّة غائية لإحداث ما قبلها، إذ وضّح ابن يعيش(ت643هـ) أنّها "قد تدخل على المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم..فكأنّها دخلت..لإفادة أنّ ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم"²، كقول أبي عامر: "إذا اعتمدت معنى قد سبقك إليه غيرك، فأحسن تركيبه، وأرقّ حاشيته..وإن لم يكن بدّ ففي غير العروض التي تقدّم إليها ذلك المحسن، لتنشيط طبيعتك، وتقوى مُنتك"³، ربط بين المقدمة والنتيجة من خلال(اللام)، التي أفادت التعليل بدخولها على الفعل(تنشط)، عبر انطوائها على حجة ونتيجة لفهم المغزى من هذا التوجيه، الذي أدلى به الناقد فاتك بن الصّعب في قضية شغلت بال النقاد العرب قديماً وهي السرقات الأدبية، كما أنّها قضية تعنيه شخصياً، لكثرة ما رُمي بها من خصومه وحتى أصدقائه(أبي بكر)، وقد لمّح لها على لسان حارثة بن المعلّس حينما غمزه بقوله: "فقد بلغني أنّه يتناول"⁴، إذ قدّم تعليلاً لها أفضت إلى نتيجة مُضمّنة منطقياً، فالروابط تُساهم في تشابك النصوص ولحمتها، فهي "تصلُ شيئين ببعضهما البعض وتُعين كون اللاحق

¹ وتيكي كميّة، الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحّيدي بين سلطة الخطاب وقصدية الكتابة، ص296

² ابن يعيش، شرح المفصل، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ - 2001م، ج6، ص20

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص135 (*المئة: الضعف، والقوة، من الأضداد)

⁴ المصدر نفسه، ص112(*يتناول: يأخذ من غيره، أو يأخذ الأشياء القريبة المنال)

منهما متعلّقًا بسابقه¹، لكنّها عبر ما تحمله من قيمة حجاجية تُحيل إلى عدد من النتائج نتيجة العلل التي تخلّلتها.

- الرابطة الحجاجية "حتى":

وقد أدرجها العزّازي ضمن الروابط التي تُدرج حججا قويّة، وعادة ما يكون القول الذي يردُّ بعدها الحجّة الأقوى، وهي من أدوات السُّلم الحجاجي، حيث يكمن دورها في ترتيب عناصر القول، كما أنّ معناها الوظيفي يفهم من السياق الذي وردت فيه، كقوله: "قلتُ: هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟ قال: **حتى** أستأذن شيخنا"²، فقد أدرج الرابط "حتى" ليبرز النتيجة الناجمة عن طلب لقاء التابع هي الاستئذان من الشيخ، إذ عمل الرابط **حتى** على الإيحاء بعمق الشعور بإكبار الشيخ، كما أنّه سلوك حضاري يعكس البيئة المترفة الحاضرة لابن شهيد، والسياق الثقافي الذي سبقت فيه التوابع، وما راج في الأندلس من مجالس الخلفاء والفقهاء والشيخ العلماء زمن الحاجب المنصور، بتواضع السائل وتوقيره للعلم والعلماء

- النتيجة: لقاء التابع يتحقّق بالاستئذان

أستأذن شيخنا ← **حتى** ← هل حيلة في لقاء من اتفق منهم؟

- الرابطة الحجاجية "متى" و"إذا الشرطية":

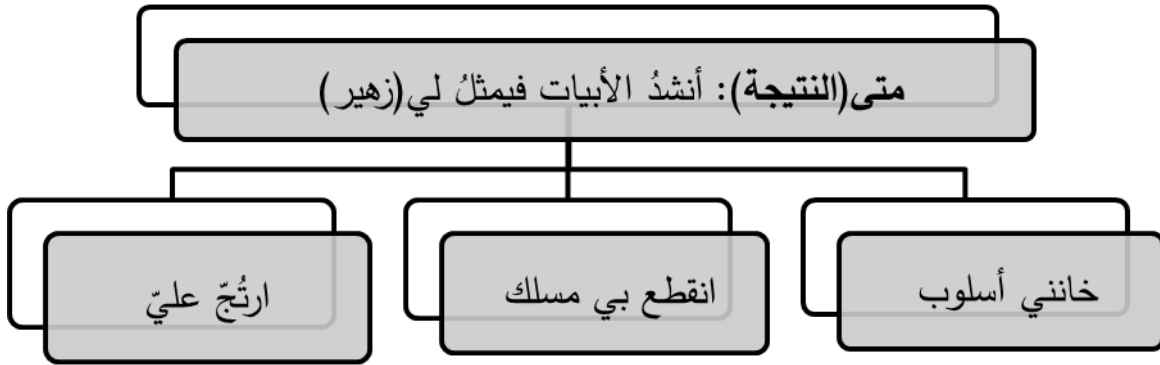
يقوم الرابط الحجاجي "متى" بالربط للمضموني جملة الشرط والجواب يحمل معنى العموم والإبهام في معانيها الخاصّة، ف(متى) ربطتهما برابط الزمان المشترك³، في قوله: "وكنْتُ، أبا بكر، متى ارتجّ عليّ، أو انقطع بي مسلك، أو خانني أسلوب، أنشدُ الأبيات

¹ محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة، ص90

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوايج، ص91

³ يُنظر: بدر الدين المرادي، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1992م، ص202

فيمثل لي صاحبي"¹، إذ ربطت متى بين الشرط وجوابه برابط الزمان المبهم، لأنها دلت على عموم الزمان، كما أنها ربطت بين المقدمة والنتيجة بذلك التسلسل الذي أفرز معقولية بإفضائه إلى نتيجة تبدو شبه منطقية، عبر الطاقة الحجاجية التي شحنتها بها، فكلما أحسّ ابن شهيد بعجز بانقطاع الإلهام عنه، أو باستغلاق مسائل الإبداع عليه، فالنتيجة هي إنشاد الأبيات (أبيات زهير بن نمير) ليمثل أمامه صاحبه الجني.



إذا الشرطية:

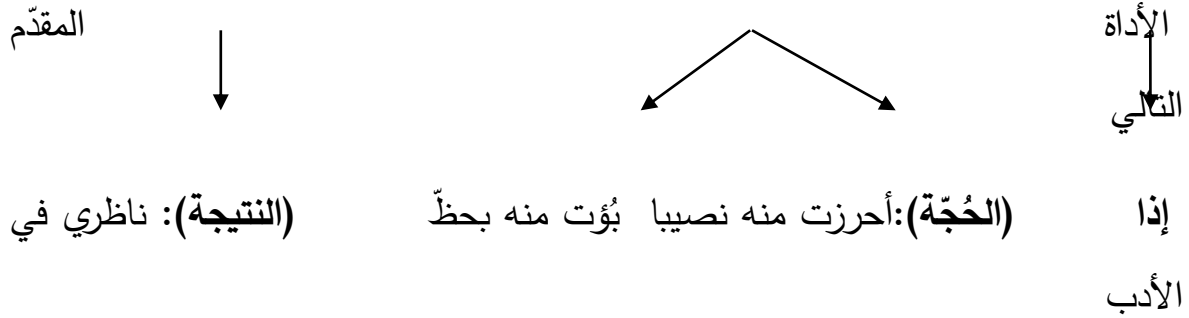
يُعدّ الشرط ذا قيمة داخل الخطاب، وهو من العوامل التي تُقيّد الإمكانيات الكثيرة التي ترد فيه، وهي "ظرف للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختصّ بالدخول على الجملة الفعلية"²، إذ "تستعمل مع المتوقع وقوعه فالأصل في "إذا" أن يكون الشرط مقطوعاً بوقوعه"³، ويستخدم أسلوب الشرط للتأثير على المتلقي، من خلال ربط نتيجة بفعل أو حالة معيّنة، بتوجيهه إليها عبر هذا الأسلوب اللغوي الذي يقوم على جزأين. يتسبب الجزء

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص 90

² ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، (2000م)، ط 1، ج 2، ص 71

³ مهدي المخزومي، في النحو "نقد وتوجيه"، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1406هـ - 1986م، ص 291

الأول وهو جملة الشرط في وجود الثاني وهو الجزء أو الجواب¹، كقوله في مناظرته للإوزة الأدبية، يدعوها إلى طلب عقل التجربة في: "فإذا أحرزت منه نصيبا، وبُوت منه بحظّ، فحينئذ ناظري في الأدب"²



فقد أسهم الشرط في تحقيق علاقة بين جزأيه وهي علاقة الاقتضاء الحجاجي، حيث لا يتحقّق أحد الجزأين إلا بتحقيق الآخر، وتتحقّق علاقة الاقتضاء الحجاجية، بتلك العلاقة التلازمية هنا هي: أنّ مناظرة الإوزة في الأدب متوقف على ما تُحرزه من نصيب من العقل، وما تبوء بحظّ منه، وما تُحرزه من عقل قيده لها في جملة الجواب (ناظري في الأدب)، وعليه فقد قصر مجموعة الخيارات المتعدّدة للإوزة، على خيار واحد فقط (ناظري في الأدب)، وهو ما عمل عبره على توجيه ذهن المخاطب نحو ما أراد.

ب- روابط التعارض:

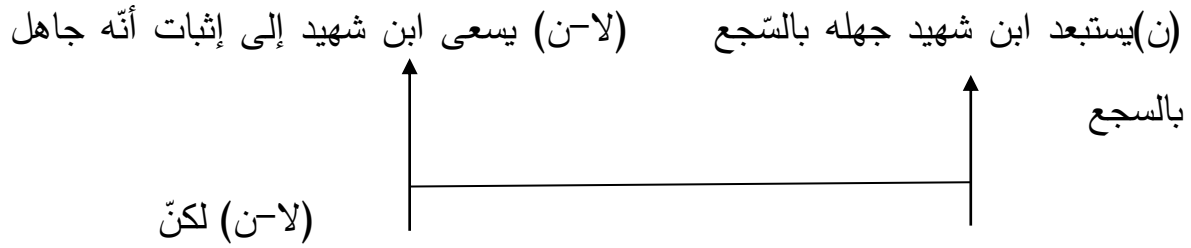
اهتمّ ديكر و أنسكومبر بالروابط اللغوية من منظور حجاجي، وقد وظّفت اللغة الفرنسية الأداة (mais) للحجاج أو للإبطال، بينما توظّف اللغة العربية (لكن، بل) لهذا الغرض¹، ودورهما في نفي كلام وإثبات غيره:

¹ عبد الجليل عياش، (2010م)، أسلوب الشرط والقسم بين لغة الشعر الجاهلي ولغة الحديث الشريف، (رسالة ماجستير)، إشراف: عودة خليل أبو عودة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، د، م، ص66

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص152

-الرباط الحجاجي "لكن":

تُفيد الاستدراك الذي "يقضي أن يكون ما بعد أداة الاستدراك مُخالفا لما قبلها في الحكم المعنوي"²، كما تقوم بالربط بين قولين متفاوتين في القوّة، ويظهر التعارض الحجاجي بين ما يتقدم الرباط وما يتلوه، كقول ابن شهيد بعد أن وجّه إليه تابعي الجاحظ وعبد الحميد نقدا بكونه "مغرى بالسجع"³، ليردّ عليهما: "ليس هذا، أعزّك الله، منّي جهلا بأمر السّجّ..ولكنّي عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيّتُ بغباوة أهل الزمان"⁴، وغاية القول إزالة الوهم الذي يقع فيه السامع، مع سعيه لمعارضة ما رماه به تابعي الجاحظ وعبد الحميد من كلفه بالسجع، وكانت الوظيفة الحجاجية لـ(لكنّ) توجيه القول للعبارة الثانية، بجعلها فعلا مضادا للوحدة الأولى، وجعل الحجّة فيها أقوى منها، الذي يمكن تمثيله على النحو الآتي:



(ح1) ليس هذا جهلا منّي بأمر السجع (ح2) عدمتُ فرسان الكلام، دُهيّتُ بغباوة أهل الزمان

فالحجّة الواردة بعد(لكنّ) هي الأقوى، للإثبات لهما أنّه ليس مفرط الاستعمال للسجع، لكنّه كان تلبية لحاجة عصره بتهافت كتابه على توظيفه، ودليل ذلك سوقه لحجّته

¹ يُنظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص57

² ابن يعيش، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، مصر، ج8، ص501

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص116

⁴ المصدر نفسه، ص116

بطريقة إيحائية تفهم من السياق، وهي خلوّ الساحة الأندلسية من فرسان الكلام، وتفتشي الغباوة بينهم، بل أصبح لسانهم أعجميًا، ليخلص برسالته أنّه مظلوم في عصره، مُحاط بجماعة حسدة، وجهلة طغت عليهم العُجمة في: "إنّما هي لُكنة أعجميّة يؤدّون بها المعاني.."¹

ج- روابط التساوق:

-الرباط الحجاجي"الواو"

(الواو والفاء وحتى) هي حروف التساوق الحجاجي، وهي روابط "تلعبُ دورا هاما في اتّساق النّص وربط أجزاءه، تُساهم في بناء الأقوال غير المصرّح بها بفضل مختلف الاستنتاجات التي يقوم بها المتخاطبون أثناء الخطاب"²، (الواو) حرف يفيد العطف والمصاحبة، يربط بين الحجة الواردة في الملفوظ الأول والحجة الواردة في الملفوظ الثاني، يُمثّل مُوجّها قرائيا طاغيا، ورابطا حجاجيا يتم التنقل بمقتضاه بين الحجج، فلم تقتصر وظيفته على الربط بين الحجج، وإنما استقصى وجوه الترتيب التي يحتملها الخطاب بحسب خاصية القوة والضعف، بوجه أدقّ يُسهم في "ترتيب الحُجج ونسجها في خطاب واحد متكامل، إذ تفصّل مواضع الحجج، بل وتقوي كلّ حجة منها الأخرى"³، كما ورد في لقائه حارثة بن المغلّس: "قال: ومن تريد بعد؟ قلتُ له: خاتمة القوم.. فقال: أشدّد له حيازيمك*، وعطّر له نسيمك، وأنثُر عليه نجومك، وأمال عنان الأدهم إلى طريق، فجعل يركضُ بنا"⁴، فلو قلنا: أنثُر عليه نجومك، وعطّر له نسيمك، وأشدّد له حيازيمك..لما اضطربت العبارة دلاليا، لكن حجاجيا سنجد حرف الواو يقوم بوظيفة

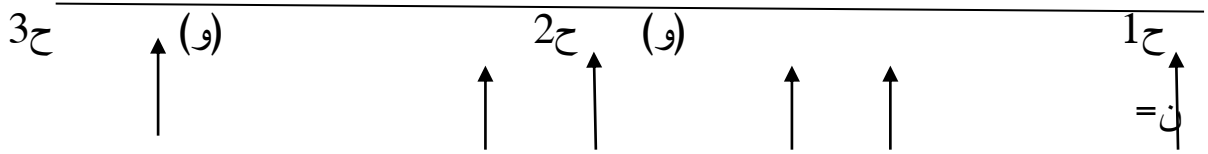
¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص117

² ينظر: عمر بلخير: معالم للدراسة تداولية وحجاجية الخطاب الصحافي الجزائري، (رسالة دكتوراه)، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص191

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص472

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التواضع والزواضع، ص111(الحيازيم: جمع الحيزوم، وهو ما استدار بالظهر وبالطن، يُقال شدّ للأمر حيازيمه: أي استعدّ له وتهيأ)

استغلال الموضع¹ (topos) بين الأقوال، كما يُبيّن الفروق بينها، فالترتيب يكون حسب الحمولة الحجاجية ودرجة قوّة الحجّة، إذ يستدعي لقاء خاتمة القوم أولاً (شَدّ الحيازيم) أي الاستعداد للأمر والتهيؤ له، وذلك يكون بوسائله (بتعطير النَّسيم) له بخلق بيئة بهجة للحوار، (فنثر النجوم) عليه وهي إظهار المدح والتفخيم له، فإمالة عنان الأدهم إليه، فقد عملت الواو على تقوية الحُجج ببعضها على النحو الآتي:



أشدُّ له حيازيمك رابط عطر له نسيمك رابط أنثر عليه نجومك الاستعداد للقاء تابع المتنبي لأنه خاتمة القوم

كما دعمت الواو الجمل المتساوقة، مع ما أفادته من معاني "إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول"²، وقوله في رسالة الحلواء: "خرجتُ في لُمة من الأصحاب، وثُبة من الأتراب، فيهم فقيه ذو لقم، ولم أعرف به، وغريمُ بطن، ولم أشعر له"³، إذ ربط حرف الواو بين الحُجج التي تنتمي لنفس الفئة وتخدم نتيجة واحدة، وعليه فالأداة خدمت الوظيفة الإخبارية، بتسويقها بين الأفكار، كما قامت "بالربط بين وحدتين أو مقولتين أو أكثر في إطار إستراتيجية قولية واحدة"⁴، كما خضعت الرسالة للكثير من الروابط مثل: ذلك/لهذا/ثم/مع ذلك/بل..لا يتسع المقام لذكرها.

¹ صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص41

² المبرد، المقتضب في اللغة، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ج1، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1415هـ - 1994م، ص4

³ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص119

⁴ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص29-30

2. 2- العوامل الحجاجية (Les Opérateurs Argumentatifs):

يستعينُ الخطاب في سبيل تحقيق الإقناع بأدوات لغوية لتحقيق هذه الغاية، فالعامل الحجاجي (L'opérateur) هو: "مورفيم إذا جرى تطبيقه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ"، كما تعدُّ العوامل "محركًا أساسيًا من ضمن المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب"¹، مثل (إنّما) (ما..إلا) (إن..إلا) لأنّها تنقل المتلقّي من التعدّد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد، عبر تقييدها للتأويلات والاستنتاجات، وحصرتها في مفهوم معيّن بتوجيه القول نحوه.

العامل الحجاجي "إنّما":

"القصرُ الغايةُ.. والقصرُ: ضمُّ الشّيء إلى أصله الأوّل، والقصرُ تضيقُ قيد البعير"²، و(إنّما) أداة قصر "لأنّها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء، ونفيه عن غيره"³، وهو ما أقرّه السكاكي بقوله: "وكذلك قدر "إنّما هذا لك" تقدير "ما هذا إلا لك" و"إنّما لك هذا تقدير "ما لك إلا هذا"⁴، وقد أكثر ابن شهيد من توظيف هذا العامل مقارنة بالعوامل الأخرى، كقوله: "قلتُ:.. إنّما أنت كمغنّ وسط، لا يُحسن فيُطرب، ولا يُسيء فيُلهي"⁵، يخاطب تابع الإفيلي بعد المناظرة التي جمعتهما، وكان قد تحدّاه بقوله: "فقال لي: دع عنك، أنا أبو البيان"⁶، وانتهت بتوجيهه المتلقّي إلى المقصود من القول، بحصره إبداع الإفيلي في مفهوم معيّن لا يتعدّاه لغيره، درءا لكلّ التأويلات التي قد تتبادر إلى ذهن المتلقّي، وهو ما أخرج القول من الإبلاغية إلى الحجاجية على النحو الآتي:

¹ عز الدين النّاجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2011، ص21

² ياقوت الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، المجلد4، دار صادر، بيروت، ص354

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح: محمد رشيد رضا، ص258

⁴ السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، ص300

⁵ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص125

⁶ المصدر السابق نفسه، ص125

(أ) الإفليلي: أنا أبو البيان، ابن شهيد: إنّما أنت كمغنّ وسط.. (تقييد للقول)

(ب) الإفليلي: أنا أبو البيان، ابن شهيد: أنت كمغنّ وسط.. (فتح باب التأويلات)



فالقول (ب) بتجريده من العامل (إنّما) يفتح الباب على الكثير من التأويلات، بينما عمل القول (أ) على تقييد القول وتوجيهه إلى نتيجة معينة مقصودة هي: حصر تابع الإفليلي في المفهوم الذي قصده ابن شهيد، وإسقاط الجوانب الإبداعية الأخرى عنه، ورمى إلى إقناع المتلقي به، كما استغلّ هذا العامل لأنّه يُعتبر من ضمانات تسلسل الخطاب وعنصر من عناصر تناسقه، وأخيرا يقوم العامل بتقوية التوجيه نحو النتيجة (ن) وذلك على صعيد ما يسمّى بالسلام الحجاجية¹، كقوله على لسان الإوّة الأدبية: "وأنا إنّما أردتُ بذلك إحسان النحو والغريب اللذين هما أصل الكلام، ومادة البيان"²، إذ وجّه أبو عامر هذا القول إلى إبراز المقام الذي قيل فيه، وهو افتخار الإوّة بمكانتها في اللغة والأدب بوصفها "هي تابعة شيخ من مشيختكم، تسمّى العاقلة.. وهي ذاتُ حظّ من الأدب"³، وفي تحدّيها مُناظرها بقولها: "أبها الغرّ المغرور، كيف تحكّم في الفروع وأنت لا تُحكّم في الأصول؟"⁴ في تلك المناظرة التي عُقدت بينهما، عبر تقليص حظوظ الالتباس والتأويل فيه، بقصرها قدراتها الأدبية في مجال إحسانها للغة والغريب اللذين تراهما فقط

¹ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 35

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 151

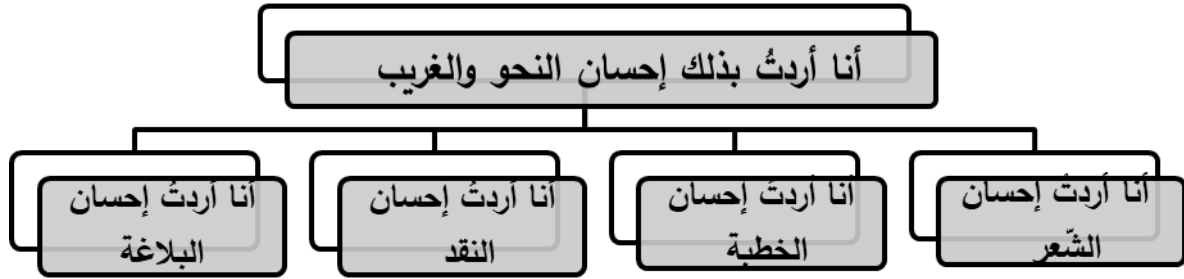
³ المصدر السابق نفسه، ص 150

⁴ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 150

أصول الأدب والبيان، وهو هنا ما يقصده بتوجيه انتباه المتلقين إلى رجال اللغة، "ممن أتى على أجزاء من النحو، وحفظ كلمات من اللغة.. فهم يصرفون غرائبها فيما يجري عندهم تصريف من لم يُرزق آلة الفهم، ومن لم تكن له آلة الصناعة"¹:

الإوزة: وأنا إنما أردتُ بذلك إحصان النّحو والغريب اللذين هما أصل الكلام.. (تقييد القول)

الإوزة: أنا أردتُ بذلك إحصان النحو والغريب اللذين هما أصل.. (تأويلات/افتراضات)



وغيرها من أساليب القصر التي وظّفها ابن شهيد لحصر الاستنتاجات وتقييد الأقوال وحصرها في مفاهيم معينة مقصودة، كقول تابع أبي تمام مُشيدا بمكانته الأدبية السامقة، مُجيزا له رغم كيد الخصوم وإساءة الزمان له: "وما أنت إلا مُحسنٌ على إساءة زمانك"، وقول الشمردل مُشيدا بالمتنبّي ومكانته في الشعر: "وإنما المُحسنُ المُتخلّصُ المتنبّي"²، وفي قوله واصفا الفقيه في رسالة الحلواء: "ورُفع له تمر النشا.. فقال:..من أين لكم جنى نخلة مريم؟ ما أنتم إلا السُّحّار، وما جزاؤكم إلا السيف والنّار"³

3. 2- السلام الحجاجية (Les Echelles Argumentatives):

أ- السلم الحجاجي:

¹ ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحصان عباس، ص 239- 240

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع، ص 133

³ نفسه، ص 121

تنظر نظرية الحجاج إلى أنّ القيمة الحجاجية للمفوض بعين الأولوية على القيمة الإخبارية له فالـتداولية المدمجة (Pragmatique Intégrée) تعتبر أنّ القيمة الإخبارية للمفوض قيمة ثانوية بالنظر إلى قيمة المفوض الحجاجية¹، إذ عمل اللساني الفرنسي ديكرو (Ducrot) على تبيين أنّ العملية الحجاجية ليست موكولة إلى المحتوى الخبري، بقدر ما هي مرتبهة باختيار الحجج، لأنّ الحاجة ليست خاضعة لاعتبارات الصدق والكذب، وإنّما على أساس القوّة والضعف، مع مراعاة قصدية المتكلم وغرض الباث، لهذا تصوّر نظاما للحجج قائم على معيار التفاوت في درجات القوّة والضعف، مرتبة ترتيبا تصاعديا أو تنازليا، بحسب ما ترتضيه العملية الحجاجية، وهو ما سمّاه بالسلالم الحجاجية (Les échelles argumentatives)، منطلقا من نظريته التي تقوم على التوجيه (L'orientation)، كما تقوم على "إقرار التلازم في عمل الحاجة بين القول الحجة (ق) والنتيجة (ن)، ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة للمتكلم إلا بإضافتها إلى النتيجة مع الإشارة إلى أن النتيجة قد يصرح بها وقد تبقى مضمرة²، ومن ثمّ إقناع المتلقي والتأثير عليه بترتيب المفوضات، وعليه فالسّم الحجاجي يعني ترتيب الحجج الواردة في النص بحسب درجات ضعفها وقوتها، لأن الخطاب الحجاجي يقوم على التدرّج في الحجج (Scalaire)، ومنه فكل حجة مقدّمة فهي ترصد نتيجة مرجوة منها، و"العلاقة التي تربط الحجة والنتيجة تدعى "العلاقة الحجاجية" وهي تختلف بشكل جذري عن علاقة الاستلزام أو الاستنتاج المنطقي³، والمتكلم مدعو لترتيب كلامه وفق سلّمه الحجاجي، لأنه عبارة "عن مجموع غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين (ا) كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

¹ Jacques Moeschler et Anne Reboul: Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Ed. du Seuil, 1994, p 87

² شكري المبخوت، الحجاج في اللغة، إشراف حمادي صمود، ص 363

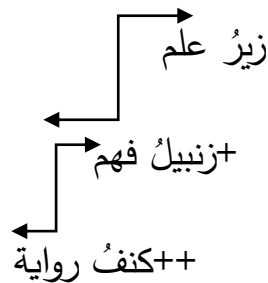
³ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 24-25

كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلاً أقوى عليه¹، لتكون حججه أكثر فاعلية وإقناع، وعليه فنظرية السلام الحجاجية ترى أن صلب الحجاج يتمثل في تدافع الحجج وترتيبها حسب قوتها، إذ لا تثبت إلا الحجة التي تفرض ذاتها على أنها أقوى الحجج في تسلسل الملفوظ بصورة متدرجة صعوداً أو نزولاً، وتحكمها مجموعة من القوانين، وعليه يظهر لنا نوعان من السلام: التصاعدي والتنازلي

ب- السلم الحجاجي التصاعدي:

يعمد الباحث إلى زيادة إيراد الحجم في السلم تصاعدياً، بحيث يكون تسلسلها في الخطاب بناء على درجة الضعف فالقوة فالأقوى بصفة تدريجية، ويرمي إلى ترسيخ دلالة الحجج في ذهن المتلقي وفق المحددات البلاغية والعقلية والسياقية، التي يتوصل بمقتضاها إلى النتيجة المقصودة، كقول أبي الآداب يردّ على ابن شهيد، بعدما لحق أنف الناقة من هزيمة في المناظرة التي جمعتهما: "وهل يضرب قريحتك، أو ينقص من بديهتك لو تجافيت لأنف الناقة؟.. فاتّه على علّته زير علم، وزنبيل فهم، وكنف رواية"²، وهي نتيجة يسعى الباحث لترسيخها لدى المتلقي، لأن ابن شهيد قدّم سلسلة من الحجج التصاعدية عمد على ترتيبها من الضعيفة وصولاً للأقوى، عبر ترك الأثر فيه وترسيخه بتدرج، على هذا النحو:

(ن) = السخرية من أنف الناقة (الإفيلي) بادعائه التمكن من الآداب والعلوم



¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 131

عليه يظهر أنّ ما يتمتع به أنف الناقة من إمكانات ومعارف، تدرّج ابن شهيد في سوقها على لسان أبي الآداب، من حجة ضعيفة (زيّر علم: وهو الدنّ أو الحُب الذي يحوي المعرفة المنظمة من الحقائق والمفاهيم والنظريات)، ليتدرّج إلى حجة أقوى منها (هو زنبيل متنوع وواسع من القدرات الإدراكية والاستيعاب العميق لهذه المفاهيم والحقائق والنظريات)، ليزيد من قوتها في السلم الحجاجي (هو كنف وجانب وحضن لعلم النقل عن الغير بحمل الأخبار والأحاديث والكلام والمعلومات)، ليخلص لنتيجة ضمنية: هي السخرية من مستوى أنف الناقة العلمي واللغوي

-السلم الحجاجي التنازلي:

وفيه يبدأ المتكلم في سوق حججه تنازلياً، بترتيبها بشكل متنازل من الحجة القويّة فالضعيفة فالأضعف، كقوله في سياق تدليله على ما يحظى به ابن شهيد من قدرات وبراعة قولية شكك فيها الخصوم، وحسده فيها الأصدقاء والأعداء ساق هذه الحجج متدرّجا في عرضها تنازلياً من الحجة الأقوى فالقويّة فالضعيفة فالأضعف، كقوله على لسان صديقه أبي بكر مبدياً حسده له، على ما أوتي من مجد أدبي: "حين لمحت صاحبك .. ورأيتك قد أخذ بأطراف السماء*، فألف بين قمرها، ونظم فرقيها*، كلما رأى ثغرا سدّه بسّهاها*، أو لمح خرقة رمه بزبانها*"¹، وفق هذه التراتبية منطلقاً من الكلّ (السماء) إلى ما تحويه من أجزاء (قمرها/فرقيها/سّهاها/زبانها) :

(ن) = حسد الأصحاب والخصوم لابن شهيد على ما حقّقه من مجد أدبي

(حجة أقوى) قد أخذ بأطراف السماء

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 87

(*أطراف السماء: حدودها ونهايتها/الفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي، يُهتدى به لثبات موقعه، يُعرف بالنجم القطبي و يشار إليه مع نجم آخر أصغر منه بقربه "الفرقدان"/السّهى: نجم صغير خفي يقع في كوكبة الدب الأكبر، يستخدمه العرب لاختبار حدة البصر/الزبانى: جمعها زبانيات، وهما نجمان في الميزان هما المنزل السادس عشر من منازل القمر)

(حجة قوية) ألف بين قمرها

(حجة قوية) نظم فرقيها

(حجة ضعيفة) رأى ثغرا سده بسهاها

(حجة أضعف) لمح خرقا رمه بزبانها

-قوانين السلم الحجاجي:

قانون النفي (Loi de négation):

ويكون حين يستخدم المتكلم قولاً ما، ليخدم نتيجة ما، فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة

في قانون القلب (Loi d'inversion):

مقتضى هذا القانون أنه إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإنه نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول¹، هو مرتبط بقانون النفي وهو مكمل له، يرد السلم الحجاجي للأقوال المنفية عكس السلم الحجاجي للأقوال المثبتة، فإذا كان هناك قولان أحدهما أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني يكون أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض هذا المدلول، كقوله يردُّ على أبي الآداب: "وهل كان يضربُ أنفَ الناقة، أو ينقصُ من علمه، أو يفلُّ شفرة فهمه، أن يصبر لي على زلة تمرُّ في شعر أو خطبة، فلا يهتفُّ بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة من طراميده؟"²، تجلّى قانون القلب في هذا المثال في سوجه الحجة الأولى وهي: عدم صبر أنف الناقة على ما يرتكب أبو عامر من زلات في الشعر

¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 131 (* الطرمذة: جمعها طراميد، وهي الصلف والمفاخرة)

أو الخطبة، ليسوق حجة أقوى منها في السلم الحجاجي، عبر قانون القلب الذي يأتي عكس الأقوال المثبتة، وهي هتافُ أنف النّاقة بهذه الزلّات بين تلاميذه، بل جعلها مادة مفاخرة له وسخرية من أبي عامر، لأنّه "إذا كانت إحدى الحجّتين أقوى من الأخرى في التدليل على نتيجة معينة، فإنّ نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة"¹ ويمكن تمثيلها على هذا النحو:

← النتيجة: تعرّض ابن شهيد لحملة التشويه والتشكيك من خصومه

(ح2) ← حجة أقوى: لا يهتف بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة من طراميده (قلب النفي إلى إثبات) ← يهتفُ بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة من طراميده

(ح1) حجة قويّة: يضرّه أن يصبر لي على زلّة تمرُّ في شعر أو خطبة (قلب الإثبات إلى نفي) ← لا يضرّه أن يصبر لي على زلّة تمرُّ في شعر أو خطبة

قانون الخفض (Loi d'abaissement):

مقتضى هذا القانون أنّه ينتج عن الفكرة التي ترى أنّ النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة: "moins que"²، ويرى فيه طه عبد الرحمن: "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإنّ نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها"³، ويرى ديكر و أنسكومبر أنّ الملفوظ حينما يكون بالنفي أو السؤال⁴، يحتكم للقاعدة التي تُغيّر الوجهة الحجاجية، فالنفي والسؤال تقلب أو تُضعف الحجاج، من قبيل ردّه على تابعي الجاحظ وعبد الحميد

¹ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص278

² أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص29

³ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص277

⁴ ينظر: J.C.Anscombe et O.Ducrot, Interrogation et argumentation (Article), Langue française, revue trimestrielle, Larousse, décembre 1981, p5-22

بشأن السجع: "ولكنني عدمتُ ببلدي فرسان الكلام، ودُهيئتُ بغباوة أهل الزمان"¹، ليقلبا له هذه الحجّة باستفهامها معربين عن تشكيك ونفي لفكرته: "أهذا على تلك المناظر، وكبر تلك المحابر، وكمال تلك الطيالس؟"، ويمكن توضيحها كالاتي:

ابن شهيد: لقد ابتليتُ في زمني بخلوّ الساحة من المبدعين، كما انتشر بين الكُتّاب الغباء

← (إثبات)

الجاحظ وعبد الحميد: لا نصدّق ذلك، لجمال منظرهم وطيالسهم، وكبر محابرههم

← (نفي)

ليدعم ما ذهب إليه بنفي حجّتهما:

ابن شهيد: إنّها لحاء الشجر، ليس لهم ثمر.. ليس لسببويه فيه عمل، ولا للفراهيدي إليه طريق، ولا للبيان عليه سمة (نفي النفي)

2. 4- المراتب الحجاجية:

كان الاهتمام بمسألة المراتب أو المدارج باعتبارها ظاهرة لغوية طبيعية، مع انبعاث الدراسات اللسانية ومباحث فلسفة اللغة، وقد تعرض أ. ديكرو (O. Ducrot) لها في كتابه السلالم الحجاجية (Les échelles argumentatives)، قبل أن يطورها في كتاباته الأخرى، خصوصا في كتابه المشترك مع أنسكومبر (Anscombe) الحجاج في اللغة (L'argumentation dans la langue) وقد اتخذت هذه المراتب ثلاث أشكال وهي:

المراتب المتضادة:

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 117

كانت البداية الفعلية لهذا التصور المرتبي من أعمال اللساني الأمريكي إدوارد ساپير (Edward Sapir)، الذي أسس تراتبية تكون فيها الألفاظ دالة على معانٍ، يمكن ترتيبها بين طرفين مُتباينين، إذ أكد على أنّ الكلمات الدالة على معانٍ، يمكن ترتيبها بين طرفين متقابلين فجملة الملفوظات، كترتيب ابن شهيد لألفاظه في مناظرته أنف الناقة الذي تحدّاه بقوله: "فطارحني كتاب الخليل. قلتُ: هو عندي في زنبيل. قال: فناظرني على كتاب سيبويه. قلتُ: خريت الهرةً عليه، وعلى شرح ابن درستويه"¹، إذ استعان أنف الناقة في حجاجه بثلاثة من أعلام النحو واللغة العربية، وهم بهذا الترتيب الخليل*، وهو أستاذ سيبويه*، وسيبويه وهو أستاذ ابن درستويه*، فتدرّج في احتجاجه بهذا الترتيب: من الأستاذ للتلميذ لتلميذ التلميذ: من شيخ الصنعة في اللغة والنحو: الفراهيدي، إلى تلميذه إمام النحو العربي سيبويه، إلى تلميذه العالم النحوي ابن درستويه، مستشهداً بأعلام الفكر اللغوي العربي، بقصد تعجيز ابن شهيد في اللغة إذ ورد في الرسالة، تصيّد أنف الناقة لزلّاته في النحو واللغة بوصفها: "يهتفُ بها بين تلاميذه، ويجعلها طرمذة من طراميده"²

ب - المراتب الموجهة توجيهًا كميًا:

انبعث هذا التصور عند اللسانيان: الأمريكي هورن (Lawrence.R.Horn)، والفرنسي فوكيني (Gilles Fauconnier)، ويريان بأنّ هذا الضرب من المراتب يكون في الألفاظ الدالة على معانٍ تقبل التدرّج في اتجاه واحد، إما على سبيل الزيادة في الوزن كمعايير الوزن التالية: درهم/مئقال/أوقية/رطل، أو على سبيل النقص منه رطل/أوقية/مئقال/درهم، كقول ابن شهيد يصفُ برغوثة، متدرّجاً في وصف شكله وحجمه

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص124

² المصدر نفسه، ص131

ولونه: "أسود زنجي..وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل، أو شونيزة*، أوثقتها* غريزة، أو نقطة مداد، أو سويداء قلب قراد*"¹، أو في وصفه أنف الناقة:

زير علم ← زنبيل فهم ← كنف رواية

ج - المراتب الموجهة توجيهًا قصديًا:

هيمن هذا الضرب من المراتب على تصورات ديكرو وأنسكومبر، إذ حاولا النظر إلى الألفاظ المفردة والجمل بمعيار متساو، بمعنى أن هذا الترتيب يتجاوز الألفاظ للجمل، مما يجعل من "قصدية المتكلم وغرض الباث، عاملا مهما في تحديد اتجاه المراتب التي ترتبها هذه الجمل، ويعد هذا القسم الأوسع أفقا في الاستعمال اللغوي والخطاب الحجاجي"²، مثال ذلك أن يقصد المتكلم التوقف عن السياقة متى شعر بالتعب، وبالأولى متى غلب عليه النوم، فالقولان: شعر السائق بالتعب- غلب على السائق النوم، هما بمثابة مرتبتين متفاوتتين بينهما بموجب القصد، الذي للمشكلة في التوقف عن السياقة"³، وهذا الصنف من المراتب هو ما كان مهيمنا في الرسالة، من خلال إخضاع ابن شهيد لاتجاه ترتيب جملته، والمقاصد التي يرومها، كاستخدامه هذه الطريقة المنظمة لتوجيه المتلقي نحو نتيجة معينة في قوله على لسان صاحبي الجاحظ وعبد الحميد بعد أن استحسنا رسالة الحلواء: "وقد بلغنا أنك لا تُجازي في أبناء جنسك..فمن أشدهم عليك؟ قلت: جاران دارهما صقب*، وثالث نابتة نُوب..فقالا: إلى أبي محمد تُشير، وأبي القاسم

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص 125-126

(*شونيزة: الحبة السوداء/ *أوثقتها: أحكمتها/ *القراد: حلمة الثدي، دويبة تتعلق بالبعير ونحوه)

* الخليل بن أحمد الفراهيدي(100هـ-174) عالم لغوي وموسيقي مؤسس علم العروض، واضع أول معجم في العربية: "العين" أستاذ سيبويه/

*سيبويه: (148هـ-180)عالم نحوي فارسي، اشتهر ب"الكتاب" المرجع في علم النحو أستاذ ابن درستويه/

* ابن درستويه(258هـ-347هـ): أبو محمد بن جعفر بن درستويه النحوي فارسي بصري تتلمذ على سيبويه، له

"تصحيح الفصيح"، من أبرز شُراح "الكتاب" لسيبويه

² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 273-274

³ المرجع نفسه ، ص 274-275

وأبي بكر؟ قلتُ: أجل..أمّا أبو محمد فانتضى* عليّ لسانه عند المستعين*، وساعدته زرافة* استهواها من الحاسدين.. وأمّا أبو بكر فأقصر، واقتصر على قوله: له تابعة تُؤيِّده.. وأمّا أبو القاسم الإفليلي فمكانه من نفسي.. على أنّه حامل عليّ، ومنتسب إليّ¹، فترائبية خصوم ابن شهيد الأشدّ إيذاء له حسب قصدية الحجاجية تأتي بالترتيب الآتي:

1م: أبو محمد الذي انتضى لسانه عليّ عند المستعين، وساعدته زرافة من الحاسدين

2م: أبو بكر اقتصر على قوله: له تابعة تُؤيِّده

3م: أبو القاسم الإفليلي.. حامل عليّ، ومنتسب إليّ

هذه التراتبية أبانت أنّها ليست مجرد ترتيب شكلي، بل هي تعبير عن ترتيب ذهني يقصد هدفا خاصا، إذ رتبت كل جملة في سياق تحديد الأهداف والأولويات، من خلال ما تعكس من قوّة تأثير، فالجملة الأولى بقوّة عناصرها كانت الأقوى حجاجيا عند ابن شهيد في سلم ترتيب خصومه وأعدائه، لأنّ أبا محمد* تجاوز الخصومة الفكرية والأدبية إلى الدسيسة السياسية، لسعيه بالوشاية به إلى الخليفة المستعين بالله² (354هـ-407هـ)، وهي الأشدّ وقعا عليه، إذ انتهت هذه "الدسائس البلاطية" كما سمّاها ابن حيّان في المقتبس، جزاء التآمر والتّحريض عليه من حسّاده بسجنه، وعزله من منصب كاتب الدولة، بل لقد رأى "كيف كان التورط في المنازعات والمنافسات السياسية التي كانت على أشدها في

¹ ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص122-123

(*صقّب: القريب للمذكر والمؤنث، والقرب/*انتضى: سلّ وأخرج الشيء من غمده أو مكنه/*المستعين: الخليفة الأموي سليمان بن الحكم المستعين بالله(354هـ-407هـ)، بمقتله انتهت الخلافة إلى علي بن حمود الإدريسي/*زرافة: الجماعة من الناس، أو العشرة منهم)

² يُنظر: محمد عبد الله عنان، (1997)، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، مكتبة الخانجي القاهرة، ص659

أواخر أيام العامريين أمرا قد يؤدي إلى التهلكة"¹، لتليها حسد وخصومة أبي بكر وهو الصديق في الوقت نفسه برميته بالتشكيك في موهبته، لتأتي بعدها خصومة الإفليبي وهي الأقل شدة عليه، لأنه "وإن تحامل على أبي عامر، لم يكن يُنكر عليه أدبه، وبصره بمذاهب الكلام.. فقد عرض عليه بعض المتأدبين شعرا له استعمل فيه وحشي اللفظ، فقال له: تنكّب عن هذا الكلام، فقال: إنَّ أبا عامر يستعمله، فقال: يرضعه في موضعه، وهو أدرى منك في استعماله"²، فالرُتبتان الأخيرتان هما حُصومتان فكريتان أدبيتان، أقلّ تأثيرا من الخصومة السياسية وما ينجزُ عنها من تبعات، فخصوم أبي عامر انتضوا السنة حدادا في أذيته عبر الدسيمة السياسية حتى في حكم الحموديين، إذ كان يحي بن علي بن حمود (412هـ) " قد اتخذ أبا عبد الله بن الفرضي وابن فتح جعفر بن محمد وأفسدا العلاقة بينه وبين ابن شهيد ممّا جعله يزجُّ به في غياهب السجن فترة ظلّ فيها يستعطفه حتى ردّ إليه حرّيته"³.

خلاصة الفصل الخامس:

استعان ابن شهيد بالوسائل اللسانية لاستعمالها حجاجيا كالأحوال والإشارات، كونها تُحيلنا إلى مكونات السياق التواصلي لأهميتها في التواصل الإنساني، كما وظّف التكرار كظاهرة من ظواهر التماسك النصّي، لما تحقّقه هذه العناصر من اتساق (Cohérence) وانسجام (Cohésion)، أمّا الوسائل اللغوية فتمثّلت في الروابط الحجاجية التي تتوّعت بين الروابط المُدرجة للحُجج، والروابط المُدرجة للنتائج، كما وظّف روابط التعارض الحجاجي ليدفع بالحجّة إلى الظهور، دون أن يغفل عن روابط التساوق

¹ ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص15 (كمصرع صديق ابن شهيد: عبد الملك بن ادريس الجزيري(ت324هـ) لتورّطه في الدسائس وبتحريض من الوزير عيسى بن سعيد القطاع/ مصرع الوزير عيسى بن سعيد القطاع (ت397هـ) ورفع رأسه على باب الزاهرة/ مصرع القاضي أبو وليد الفرضي(ت400هـ.))/*أبو محمد: شأنه شأن أبي بكر في الالتباس والغموض)

² ابن شهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، ص29

³ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص 450

(الواو/الفاء/حتى/ثم..)، لتعمل هذه الروابط على توجيه القول إلى نتيجة بعينها، كما شحنت القول بحمولاتها الحجاجية، بينما أدرج العوامل الحجاجية (إنّما/ما..إلّا/إن..إلّا). لأنها تعمل كمحرّكات أساسية تقوم عليها عملية التخاطب، عبر قضائها على تعدّد النتائج والافتراضات وبذلك تقي المتلقّي من تعدّد التّأويلات، مع اعتماده السّلام الحجاجية وما تحظى به من ترتيب للحجج و تدافعها من الضعف إلى القوّة.

خاتمة

الخاتمة:

تناولتُ في أطروحتي الموسومة ب: بلاغة الخطاب الحجاجي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي - مقارنة حجاجية - وقد سعيْتُ للكشف عبرها عن التقنيات والطرائق الحجاجية والبُنى التي ارتضاها للتأثير في متلقيه، والمقاصد التي سعى لتحقيقها فيه، وعليه يمكن الخلوص إلى النقاط التالية:

- اعتنى ابن شهيد ببنية الرسالة لما لها من أهمية تنعكس في الخطاب، عبر توظيفه عناصر التواصل الحجاجي التي تتبني عليها العملية التواصلية، بذلك التفاعل بين المتكلم والسامع، عبر استيعابه لتوجّهات متلقيه وانفعالاتهم ومكانتهم، وما يطرُعُ في بيئتهم من صراع فكري أدبي سياسي بين النخب الفكرية الأندلسية، كما لم تخلُ الرسالة من بعد أدبي وسياسي وحجاجي تمثّل في الصياغة الأسلوبية.

- عمل ابن شهيد على التنوع في طرائقه الحجاجية، كونها أدوات حجاجية هامة، بين الحُجج الاتصالية كالحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة لبنية الواقع، أما الطرائق الانفصالية التي وظّفها للفصل بين ظاهر القول وباطنه، إذ عملت هذه الطرائق على فهم عميق للأحداث والمفاهيم، كما استدعى المقدمات من قيم ومواضع وحقائق ذات الوشائج بتجارب ومعتقدات وتوجّهات والعادات الفكرية التي تتقاسمها المجتمعات، لإدراكه دورها في استقطاب المتلقي كونها تنتمي لثقافته وموروثه الفكري والاجتماعي.

- وظّف ابن شهيد الاستدلال كأحد الأنساق المنطقية لإنتاج الخطاب، كالاستدلال الاستنتاجي والاستنباطي والخطابي والشرطي، كما استدعى النصوص والأشكال التعبيرية التي تمثّلت في الشواهد التي تحتكُمُ إلى الإجماع، منها شواهد السلطة كالشاهد الأدبي الشعري منه خاصة، والشاهد القرآني والأمثال والأساطير، لما تمارسه من دور فعال في

إنتاج المعرفة وبناء الخطاب، كما استعان بآلية حوارية هامة تمثلت في المناظرة ، إذ تناظر مع خصومه من الأدباء واللغويين والفقهاء، كأنف الناقة والإوزة الأدبية.

- استعرض ابن شهيد في توابعه أفكاره ورؤاه الأدبية والنقدية، بتناوله قضايا كالإلهام والفطرة، والطبع والصنعة، والسراقات الأدبية، كما ظهر من الرسالة البعد الإيديولوجي بذلك الجانب المتمثل في الصراع بين النخب الفكرية في الأندلس بين الفقهاء واللغويين والنقاد، وما شاع بينهم من مطارحات ومعارضات وخصومات، وما استحكم في البلاط الأموي والعامري من منافسات ودسائس بلاطية بين رجال السياسة، وتهافت على المناصب السياسية انتهت بتلك الفتنة التي عصفت بالأندلس وحضارتها

- عمل أبو عامر على تطويع الآليات البلاغية بتحويل ما تكتنزه من حُمولات حجاجية، لتحقيق التأثير في المتلقي، عبر تلك الطاقة الحجاجية الكامنة في التشبيه، الذي أتت صورهُ استعلائية، ذات التأثيرات الانفعالية، كونها متوشحة بالظلال والألوان والحياة والحركة، أما الاستعارة فأقامها على المبالغة في الوصف، مع تركيزه على تصوير الجوانب المادية في الموصوف، واستغلال طاقتها الكامنة في الإيجاز وقوتها الحجاجية للتأثير، بينما ارتقى بالكناية إلى التعريض في خطابه لتوابعه، كونه أخفى منها، كما لم يغفل عن استغلال المحسنات بتوظيفها حجاجيا لاستمالة المتلقي إليه، عبر إخراجها من اختزالها في الوظيفة التزيينية، إلى اعتمادها وسائل للإقناع، بتفعيله دور السجع والجناس والطباق، خاصة منها السجع كأبرز وسيلة بديعية مثلت حضارة الأندلس وتوهجها، عبر المزج بين الإمتاع والإقناع.

- نوع ابن شهيد بين أضرب الجملة الخبرية: الابتدائي والطلبى والإنكاري، حسبما يناسب الخطاب، وما ينتاب المتلقي من شكوك وتردد لتعزيره بالمؤكدات، أما الإنشاء الطلبى فتمثل في الاستفهام الذي خضع لقصدية المتكلم ليفيد الإنكار والتعجب والنفي، كما خرج أبو عامر بالأمر والنهي عن الإلزام إلى الاستفادة منهما كأفعال إنجازية عبر قوتها

الإنجازية إلى التوجيه الصادر عن سلطة، بينما نأى بالنداء عن استدعاء انتباه المنادى إلى توجيهه إلى وجهات يقصدها المتكلم بتجاوزه قصدية التنبيه إلى استمالة المتلقي

- تطويع الوسائل اللسانية من إحالة وإشارات بشتى أنواعها وتكرار عبر رصّها الخطاب وصنع التماسك الدلالي داخله، باستغلال طاقتها التأليفية للربط بين أجزائه، عبر ما تمارسه من سبك وحبك نصي، كما عمل على التنوع في توظيف الروابط والعوامل والسلام الحجاجية، وما حقّقه في الرسالة من ربط بين الحجج ونتائجها، مع ما ضمنته للخطاب من تنام وانسجام بين عناصره، بنقلها المتلقي من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة، عبر ما أوتيت من مزية في تقييدها للنتائج والافتراضات، وغلقها باب الافتراضات والتأويلات أمامه، ومن ثمّ حرصها على توجيهه نحو مقاصد المتكلم، وهو ما يعكس تحكّم ابن شهيد من زمام القول واللغة.

وفي الأخير أرجو أن يكون هذا البحث قد أمّد هذا الجانب من هذه المدونة التراثية الجليلة ببعض الإضاءات، آملة أن يكون إضافة يستعين بها كلّ طالب علم - وإن كان هذا جهد المقل - والله من وراء القصد، والحمدُ والمنةُ لله، والله المستعان .

المصطلحات باللغة العربية واللغة الأجنبية

<u>المصطلح باللغة الأجنبية</u>	<u>المصطلح باللغة العربية</u>
Argumentation Argumentation persuasive Argumentation convaincante Argumentation non contraignante Alpage	حجاج حجاج إقناعي حجاج اقتناعي حجاج غير مُلزم التحاجج
Actes locutoires	أفعال قولية
Actes illocutoires	أفعال مُتصمّنة في القول
Actes perlocutoires	أفعال ناتجة عن القول
Acte de discours intégral Apologie	فعل كلامي كامل دفاع واعتذار
Auditeur Auditoire Auditoire universel Auditoire particulier Analogie Assentiment	مستمع جمهور جمهور كوني جمهور خاص مماثلة/تناظر/قياس موافقة
Assertifs (eng)	تقريريات
Conviction Corpus	إقتناع مدونة
Conversation	(نظرية) المُحادثة
Connecteurs Conative Code Contexte Contexte(linguistique) Contexte(situationnel) Conjonction	الروابط (الحجاجية) إفهامية (وظيفة) الشفرة/الرّامزة السياق السياق اللغوي

Consensus	السياق غير اللغوي (المقامي)
Communication	وصل
Conclusion	إجماع
Cohesion	تواصل
Cohérence	نتيجة انسجام انساق
Cognitivism et modularité	إدراكية و نمذجة
Conditions préparatoires	شروط مُعدّة
Demonstration	برهنة/استدلال
Données	معطيات
Deixis	إشارات/مشيرات/ عناصر إشاريّة
Dialectique	جدل
Didactique	تعليمية
Délibératif	مَشُورِيّ (خطاب)
Déclaratifs (eng)	الإيقاعات
Directifs (eng)	الأمرّيات
Expressifs (eng)	البُوحِيّات
Epidictique	أفوديقيّ برهانيّ (خطاب)
Effet pratique	تأثير عمليّ
Enonciation	قولية
Exordium (latin)	استهلال (لاتينية)
Exorde	استهلال/تصدير
Elocution (latin)	أسلوب (لاتينية)
Explicite	صريح/جليّ/واضح
Echelles argumentatives	
Eloquence	

	سلام حجائية بلاغة
Judiciaire	مُشاجريّ (خطاب)
Intentionnalité	قصديّة
Instructions	تعليمات، إشارات
Irrational	غير معقول (خطاب)
Implicates	مُتضمّنات القول
Implication conversationnelle	استلزام حوارِي
Loi d'abaissement	قانون الخفض
Mode of achievement (eng)	نمط الإنجاز
Rhétorique	خطابة
Réfutations	تفنيدات/تبيكات
Rhéteurs	مُعلّمي الخطابة
Référentielle	مرجعيّة (وظيفة)
Sous_entendus	أقوال مُضمّرة
Sémantique générative	دلالة توليديّة
Promesses non- sincères	وعود غير مُخلّصة
Pragmatique intégrée	تداوليات مندمجة
Passions	أهواء/عواطف
Poétique	شعريّة (وظيفة)
Phatique	انتباهيّة (وظيفة)
Péroration	خاتمة
Prémises	مقدّمات (حجائية)
Opérateurs	عوامل (حجائية)
Orientation	توجيه

المصطلحات باللغة العربية واللغة الأجنبية

Visée argumentative	وجهة حجائية
Valeurs	قيم

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن عاصم

أولاً: المصادر:

1. ابن شُهيد الأندلسي، رسالة التوابع والزوابع، صحَّحها، وحقق ما فيها، وشرحها، و بوبها و صدرها بدراسة تاريخية أدبية بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1431هـ - 2010م

ثانياً: المراجع:

1. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، (1399هـ - 1979م)، ج1، د.ط.ص
2. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1987
3. أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر البلاغة، تح: يسين الأيوبي، ط3، مج1، المكتبة العصرية، القاهرة، مصر، 2002
4. أبو بكر العزّوي، الخطاب والحجاج، نش: مؤسسة الرحاب الحديثة، ط1، 2016، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط، 2010
5. أبو بكر العزّوي، اللغة والحجاج، ط1، الدار البيضاء، منتديات سور الأزيكية، 1426هـ - 2006م
6. أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، المدارس للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1432هـ 2011م.
7. أرسطو طاليس، فنّ الخطابة: تر: عبد الله بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط2، 1986
8. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، مصر، ط5، 1998م.
9. أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبيئة والنمط، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2010م.

10. أمين أبو ليل، علوم البلاغة، دار البركة للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2010م.
11. أحمد الشايب، الأسلوب، دراسة بلاغية تحليلية- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط6، 1966م
12. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د2، (دت)
13. ابن منظور، لسان العرب، تح: عبد الله الكبير، دار المعارف، القاهرة، المجلد2، ج9، دت
14. ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا لبنان، ط1، 2001
15. ابن شهيد الأندلسي: الديوان، جمعه وحققه يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969.
16. إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط1، تاريخ النشر 1960، دار الثقافة، بيروت، لبنان
17. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى الثامن الهجري، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن 2001
18. أحمد بن عثمان رحمانى: النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2008
19. آيزر.ف، (2000)، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة
20. أحمد درويش: دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب، القاهرة.
21. أمين علي السيد: في علم النحو، دار المعارف، القاهرة، 1994، ط7.
22. أيوب جرجيس العطية الأسلوبية في النقد العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2014.

23. أرسطو طاليس، الخطابة، تر: عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959
24. أرسطو طاليس، فنّ الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر
25. إحسان عباس، الأدب المقارن، تأليف: مناهج المدينة العالمية، نشر جامعة المدينة العالمية بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2006
26. إبراهيم عبد القادر، (2005)، التلقي والسياقات الثقافية، الجزائر، منشورات الاختلاف
27. ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط3، 1/79
28. ازيار عبد السلام، (2016)، آليات التفاعل النصّي ودورها في التجنيس الأدبي، - رسالة التوابع والزوابع أنموذجاً - عمان، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع
29. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح وتع: غريد الشيخ محمد وإيمان الشيخ محمد، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1425هـ - 2004م
30. بحر بن محبوب الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003
31. بحر بن محبوب الجاحظ، الرسائل، تح: عبد السلام محمد هارون، مصر
32. البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط1414، 5هـ - 1993م (7 أجزاء)
33. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، 3، 2، 1، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006
34. بكاي أخذاري: تحليل الخطاب الشعري، قراءة أسلوبية في قصيدة قذى بعينك للخنساء، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

35. بوشعيب الساوري، النص والسياق-ابن شهيد بين الرغبة الذاتية وإكراهات السياق الثقافي
لرسالة التوابع والزوابع- النايا للدراسات والنشر والتوزيع، 2013
36. بارت رولان، البلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، افريقيا، الشرق، 1994
37. بن يونس عليوي، آليات الإقناع في النظرية الحجاجية المعاصرة، شبكة
الألوكة، 1437هـ - 2016م
38. تقي الدين أبو بكر علي ابن حجّة الحموي، خزنة الأدب و غاية الأرب، شر: عصام
شعيتو، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج1، 1987
39. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تر وتح: عبد الحميد هنداوي، ج1، المحتوى أ.خ،
منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2003، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
40. الرازي، مختار الصحاح، تح: عصام فارس الحرستاني، دار عمار، عمان، ط9، 2005
41. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية،
بيروت، لبنان، 1419هـ - 1998م
42. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات
الجامعية، الجزائر، 1992 م.
43. المعجم الوسيط، مادة (ح.ج.ج)، مجمع اللغة العربية، مطابع المعرف، 2، ج1، مصر،
1972
44. الولي محمد، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ط1، دار الأمان، الرباط،
2005
45. الحبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب
(الحجاج مفهومه ومجالاته)، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث،
الأردن، ط، 2010، ج3
46. إيلياء الحاوي، فنّ الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت

47. إيزابيث دور، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، تر: محمد إبراهيم الشوش، ط1، بيروت، 1961
48. حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، دار قرطاج للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 1999 م.
49. حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، منشورات كلية الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس.
50. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، منشورات الجامعة التونسية، 1981م .
51. حافظ إسماعيل العلوي، لغة الخطاب الساخر مقارنة تداولية حجاجية، منشورات جامعة بن زهر، أكادير، المغرب، 2008 م.
52. حافظ إسماعيل علوي، علم استعمال اللغة، علم الكتب الحديث، اريد، الأردن، 2014
53. جاك موشر- آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين بإشراف عزالدين المجذوب، المركز الوطني للترجمة، تونس.
54. جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، مكتبة الأدب المغربي، افريقيا الشرق، 2014، المغرب
55. جورج لايكوف ومارك جونسون، تلك الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء
56. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف
57. جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، مصر، 1966
58. رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، يناير 2010

59. زين الدين أبو عبد الله الرازي، مختار الصحاح ، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية - بيروت، صيدا، 1420هـ - 1999م
60. سعد مصلوح، حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة و التخيل في الشعر، مطبعة دار التأليف، نشر عالم الكتب، ط1، القاهرة، مصر، 1980
61. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، سوشبرس، الدار البيضاء، ط1، 1985، 1
62. سيز أحمد قاسم، بناء الرواية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1985
63. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الجديدة، 2003
64. صابر حباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط 1، 2008 م.
65. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992
66. طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب
67. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ط1، 1998
68. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، 1987
69. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2014
70. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، مكتبة المعرفة، منوبة، تونس، ط2، 2006
71. عبد الله صولة، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة لبرلمان وتينكاه، ضمن فريق البحث في البلاغة والحجاج، : أهم نظريات

الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، المطبعة الرسمية، تونس، دط،

72. عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر، ط1، 2011

73. عبد القادر عبد الجليل: الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية، دار صفاء، عمان، ط1، 2002.

74. عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2011

75. عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المحاضرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1434هـ، 2013م

76. علي الشعبان، الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، مسكيلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2008 م.

77. عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002 م.

78. عدنان بن ذريل: النص والأسلوبية (بين النظرية والتطبيق)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2010

79. عقيد خالد عزوي وعدنان جاسم الجميلي: الأسلوبية وتجلياتها في الدرس اللغوي الحديث، دار العصماء، سورية، ط1، 2015.

80. علي الشعبان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 2010م

81. عباس حشافي، خطاب الحجاج و التداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي-، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد، الأردن، 2014

82. علي محمد علي سليمان، كتابة الجاحظ في ضوء نظرية الحجاج: رسائله نموذجاً، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 2010

83. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2006
84. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004
85. فان ديك، النص بنياته ووظائفه - مدخل أولي إلى علم النص، تر: محمد العمري، ضمن نظرية الأدب في القرن العشرين، أفريقيا الشرق، 1996
86. فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز
87. فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال - عبد الواحد التهامي العلمي، قسم علوم الإعلام والاتصال، المركز القومي للترجمة
88. فايز القيس عبد النبي، أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري، ط1، دار البشير، عمان، 1989
89. فريال الجبوري، قصص الحيوان بين موروثة الشعبي وتراثنا الفلسفي، فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994، مج13، ع3
90. كريستيان بلانتان، الحجاج، تر: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، سلسلة مقالات اللغويين، تونس، 2009م.
91. كمال بشر: علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، دط، 2000.
92. كمال عبد الرزاق عجيلي، البنى الأسلوبية (دراسة في الشعر العربي الحديث)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
93. ليلى شحور، فن التواصل والإقناع، قسم التنمية البشرية وتطوير الذات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1430هـ - 2009م
94. محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1999

95. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، الخطابة في القرن الأول نموذجاً، منتديات سور الأزيكية، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002
96. محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، ط1، دار الأمان، الرباط، 2005
97. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان، ط1، 2003
98. محمد بن يحيى: السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن، د.ط، 2011
99. مسعود بودوخة: الأسلوبية والبلاغة العربية (مقاربة جمالية)، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2015.
100. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، يوليو 2005
101. مراد بن عياد، مدونة الشواهد في التراث البلاغي من الجاحظ 255هـ إلى الجرجاني 471هـ أسسها، مقاييسها، مناهجها، وظائفها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، صفاقس، ج1، ديسمبر 2001، ج2، جانفي 2006
102. محمد يطاوي، أصول نظرية الحجاج عند العرب بين الممارسة والتنظير، أكاديمية بني ملال، خنيفرة، المغرب
103. محمد سالم محمد الأمين طلبية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد، المتحدة، 2008، ط1، بيروت، لبنان
104. محي الدين ديب، ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله، المكتبة المصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1417هـ - 1997م

105. محمد أديوان، قضايا النقد عد حازم القرطاجني، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2004

106. محمد مصطفى شلبي، تعليل الأحكام - عرض وتحليل لطريقة التعليل وتطوراتها، مطبعة الأزهر، دار النهضة العربية ، بيروت، 1981

107. محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005

108. محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، افريقيا الشرق، المغرب، 2004.

109. محمد مشبال، بلاغة النص التراثي - مقاربات بلاغية حجاجية - دار العين للنشر، الإسكندرية، 2013

110. هيكل أ، (1997)، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، مصر، دار المعارف

111. هنري برغسون، الضحك، تر: سامي الدروبي وعبد الله الدايم، دار اليقظة العربية، ط1، دمشق، 1964

الرسائل والأطاريح الجامعية:

1-أرحيلة عباس، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب، 1991

2-آمنة بن منصور، المناظرة في الأندلس دراسة في الأشكال والمضامين، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2011 - 2012

3-خضرة ناصف، السخرية في الأدب الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع نموذجاً، أطروحة دكتوراه العلوم، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، 2017-2018،

4-رزيقة شادي، آليات الحجاج في أسلوب عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه " دلائل الإعجاز"، أطروحة دكتوراه الطور الثالث، كلية اللغة وآدابها جامعة الجزائر، 2016 - 2017

5- عبد الرحمن مبخوتي، الدلالة السياقية لأسلوب الشرط في القرآن الكريم من خلال المضمرة والاستلزام الحوارية والحجاج - دراسة تداولية- أطروحة دكتوراه الطور الثالث، كلية اللغة العربية وآدابها جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر، 2022 - 2023

6- فاطمة الزهراء عطية، العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات ركن الدين الوهراني، أطروحة دكتوراه العلوم جامعة محمد خيضر - بسكرة- الجزائر، 2014-2015م

7- سليمة محفوظي، الحجاج في رسائل الجاحظ، دراسة تداولية حجاجية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، أطروحة دكتوراه العلوم، 2016-2017م

8- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي: تنظير وتطبيق على السور المكية، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، العراق، 2015

9- نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي- دراسة تقابلية مقارنة- أطروحة دكتوراه العلوم، كلية الآداب واللغات جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، 2015-2016

المجلات والدوريات:

1- أبو بكر العزاوي، سلط الكلام وقوة الكلمات، المناهل، منشورات وزارة الثقافة المغربية، المغرب، العدد62-63، 2001م

2- أبو بكر العزاوي الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد7، 1992

3- أبو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج، الأحمديّة للنشر، ط1، 2010

4- أمينة الدهري، كتابة الصمت، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، دراسات وأبحاث، صيف 2014

5- أنيسة حسين، تداولية الحجاج بين الشاهد الشعري والشاهد القرآني في علمي المعاني والبيان لدى السكاكي، مجلة المحترف، المجلد11، ع3، ديسمبر 2024

- 6- أبو الزهراء، دروس الحجاج الفلسفي، مجلة الشبكة التربوية، 2008
- 7- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، مجلة اللغة والأدب، ملتقى علم النص، ع12، 1997
- 8- آيزر فولفغانغ، وضعية التأويل الفن الجزئي والتأويل الكلي، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد6، أكتوبر 1992
- 9- القلي الزبير، غريب اللغة في شعر ابن شهيد الأندلسي بين التظاهر بسعة المحصول اللغوي والحاجة إليه ، بحث في الخلفية المعرفية، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، م12، ع1، ماي 2015
- 9- بن يحي محمد، قراءات استشراقية في أدب ابن شهيد الأندلسي، مجلة جسور المعرفة، المجلد7، العدد2، جوان 2021
- 10- بو غزالة محمد عبد الحميد، استراتيجيات الحجاج المغالط وأساليبه في التراث العربي، مجلة علوم اللغة وآدابها، م11، ع2، سبتمبر 2019
- 11- حسينة بن حسن، تطوير مفاهيم نظرية الحجاج اللغوي عند أبي بكر العزاوي قراءة في كتابيه: اللغة والحجاج/الخطاب، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، م15، ع2، جوان 2023
- 12- ربيع عمر، رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد من بلاغة الإرسال إلى بلاغة الاستقبال، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، م10، ع3، أكتوبر 2022
- 13- مرزاقه عمراني، قراءة ابن شهيد للنص الشعري القديم، بحث في سيميائية تسمية الشعراء في رسالة التوابع، مجلة العلوم الإنسانية، ع49، جوان 2018، المجلد.ص.
- 14- طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، الرباط، 2000
- 15- عبد القادر بوزيدة، نظرات نقدية في رسالة التوابع والزوابع، نموذج المقطع البرهاني أو الحجاجي، مجلة اللغة والأدب ، جامعة الجزائر، ع1، ديسمبر 1997

16- طاهر ناعوس يحي، حجاج البلاغة وبلاغة الحجاج، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع47

17- عبد الفتاح محمد، بلاغة الإقناع عند أبي بكر الصديق في ضوء نظرية الحجاج، مجلة مدارات للعلوم الاجتماعية والإنسانية، مج2، ع1، نوفمبر 2021

18- فوزية زيار، استراتيجيات الحجاج في التراث العربي - نماذج من البلاغة العربية - مجلة اللغة والاتصال، جامعة وهران، م13، ع2، جويلية 2018

19- فريال جبوري غزول، قصص الحيوان بين موروثنا الشعبي وتراثنا الفلسفي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد3، 1994

20- فاطيمة الزهراء دحماني، آليات الحجاج في فكر مالك بن نبي، كتاب شروط النهضة أنموذجا، مجلة سيميائيات، مج19، ع1، مارس 2024

21- محمد الولي، مدخل إلى الحجاج: مجلة عالم الفكر، العدد02، المجلد40، أكتوبر-ديسمبر، 2011

22- محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها: تقريب تداولي للمصطلح البلاغي، مجلة عالم الفكر، العدد3، مج28، الكويت، جانفي 2000

23- نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغوي العربي، مجلة العلوم الإنسانية، السنة السابعة، مج7، ع44، شتاء 1430هـ-2010

24- وائل بركات/لطفية برهم/نضال القصيري، فولفغانغ آيزر وآلية إنتاج المعنى، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد33، العدد1، 2011

25- يمينة رعاش، الحجاج التقويمي في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، أبوليوس مجلة الآداب واللغات، مج10، ع2، أوت 2023

المراجع باللغة الأجنبية :

1-Aristote,Rhétorique,ED livre de poche,Paris,1991

2-Agésilas Trad,Pierre Chambry,Xénophon,Aeuvres complètes,T.1,Hachette,1997

- 3- André-Jean Festugière, Sur un passage difficile du Protagoras, (Article) Bulletin de correspondance hellénique, 1946
- 4- Anne Reboul et Jacques Moeschler : Dictionnaire encyclopédique de pragmatique, Ed : Du seuil, 1994.
- 5- Anne Jaubert : la lecture pragmatique, Paris, 1990.
- 6- Anne Jaubert : Cohésion et cohérence Etudes de linguistiques textuelle, sep 2005.
- 7- Anne JAUBERT : L'approche énonciativo-pragmatique et la question du style.
- 8- Alain Berrendonner : Elément de pragmatique linguistique, les éditions de Minuit, Paris, 1981.
- 9- Azzaoui Boubaker, Quelques connecteurs pragmatiques en arabe littéraire : Approche argumentative et polyphonique, Thèse de doctorat unique, E.H.E.S.S, Paris, 1990
- 10- Ali Alsafar, Ethos discursif et construction des rapports intersubjectifs dans les professions de foi des élections présidentielles de 2007 et de 2012, thèse pour obtenir le grade de docteur, université Paul Valéry- Montpellier3, 2014
- 11- Antoine Compagnon, La seconde main : ou, le travail de la citation, éditions du Seuil, Paris, 1979
- 12- Anatole Bailly, Dictionnaire Grec- Français, 1901
- 13- Alfred Emout et Alfred Meillet, Dictionnaire etymologique de la langue latine, histoires des mots, Aris, 2001
- 14- Brook-Rose, Christine, A Grammar of Metaphor, Seckerd Warburg, London, 1958
- 15- Bertrand Buffon, La parole persuasive, chapitre 5, les prémisses de l'argumentation, l'interrogation philosophique, PUF
- 16- Chaim. Perelman et L. Olbrechts Tyteca, Traité de l'argumentation, La nouvelle rhétorique, Puf, Paris (1958), première édition

- 17- Chaim.Perelman et L.Olbrechts Tyteca, (1988), Traité de l'argumentation .La nouvelle rhétorique. Editions de l'Université de Bruxelles, Belgique, 6^édition, 2008
- 18- Chaim.Perelman, L'Empire rhétorique, eD Vrin, Paris, France, 1977
- 19- Christian Plantin, Dictionnaire de l'argumentation, Une introduction aux études d'argumentation, Lyon, ENS Editions.
- 20- Christian.Plantin, (1996), L'argumentation, Paris, PUF
- 21- Cambridge Advenced Learners M: Dictionary, Cambridge University Press, 2nd pub
- 22- Charles Mauron, des métaphores obsédantes au mythe personnel, Paris, 1912
- 23- Charles Ammirati, Principes et méthodes de l'épreuve écrite de français etude d'un texte, Presses universitaires de France, PUF,1^{ère} ed, Paris,1996
- 24- Daniel Vanderveken : Principes de pragmatique formelle du discours, Université du Québec, Automne 2007.
- 25- Dominique Maingueneau, Pragmatique pour le discours littéraire, Bordas, 1990
- 26- Dominique Maingueneau, L'Ethos, de la rhétorique à l'analyse du discours, problèmes de l'éthos, pratiques, juin 2002
- 27- Ekkehard Eggs, Rhétorique et Argumentation : de l'ironie, April 2009
- 28- Ekkhard Eggs, Ethos aristotélicien, conviction et pragmatique mederne, in Amossy (Ruth), images de soi dans le discours : la construction de l'éthos sous la direction de Ruth Amossy, éd Delachaux et Niestlé, Paris, Lausanne, 1999
- 29- Edoardo Lombardi Vallauri, L'implicite comme moyen de persuasion : une approche quantitative, Open Edition Journals, Corela (Revue de sciences du langage),2018
- 30- François Récanati, Qu'est ce que un acte locutionnaire?(Article), in communications n32, 1980
- 31- Gustave Le Bon, La psychologie des foules, (1895), PUF, Paris, 1988
- 32- John Langshow Austin, Quant dire c'est faire, tr G. Lane, éd Seuil, 1970
- 33 John L. Austin: How to do things with words? Harvard University Press, 1975.

- 34- John Searle, Les actes de langage, par H.Pauchard , preface O.Ducrot , éd Hermann
- 35- John Searle, Sens et expressions, les éditions de minuit, 1979
- 36- Jean.C.Anscombe et Oswald Ducrot, Interrogation et argumentation,(Article), langue française, revue trimestrielle, Larousse, décembre1981
- 37- Jean.C. Anscombe et O. Ducrot, (1983), L'argumentation dans la langue, Mardaga Editeurs, Bruxelles, 3eme éditions, 1997
- 38- Jean Jacques Rebieux, Elements de rhétorique et d'argumentation, Unot, Paris, 1993
- 39- Jacque Moeschler, Argumentation et conversation : éléments pour une analyse du discours, Paris, Hatier-Grédif,1985
- 40- Gérard Genette, Seuils (4), Collection Seuils Paris, 1987
- 41- Georges Mounin, Dictionnaire de la linguistique, Quardige, PUF, éditions, Paris, 1974
- 42- Gilles Declercq, L'Art d'argumenter : Structures rhétoriques et littéraires, éditions universitaires, 1995
- 43- Herman Parret, Prolégomènes à la théorie de l'énonciation : de Husserl à la pragmatique, Peterlang,Berne,1987
- 44- Kerbrat Orecchioni,L'enonciation de la subjectivité dans le langage,Paris, 1980
- 45- Longin,Traité du Sublime, traduction et preface de Boileau le livre de poche, librairie générale,Paris,1995
- 46- Léo Hoek, La marque du titre,éd .Mounin, 1982
- 47- Luz Gloria Cardenas,Retorica,Aristote, les pasioes y persuasion, San Sedectione, Bogota, Columbia
- 48- Laurent Pernot, Lieu et lieu commun, dans la rhétorique antique ,(Article), 1986
- 49- Laurent Pernot,La rhétorique dans l'antiquité librairie générale française ,Coll le livre de poche Paris, 2000
- 50- Lexicon Abridged from Liddel and Scott's Greek – English, Lexicon, Oxford : Clarendon, 1996

- 51- Le Grand Robert, Dictionnaire de la langue française, 1ère redaction, paris, 1989
- 52- Le Robert, Dictionnaire de français, éd Martin Back et Silke Zimmermann, Paris, 2005
- 53- Michel Meyer, Aristote et les principes de la rhétorique contemporaine, in. Aristote Rhétorique.ed.Livre de poche, 1999
- 54- Michel Meyer, Questions de rhétorique, le livre de poche, Paris
- 55- Michel Meyer, Les fondements de l'argumentation, op.cit
- 56- Michael Riffaterre, La production du texte, éditions du Seuil,Paris, 1979
- 57- Marcel Delaunois et Claude Loutsch, L'exorde dans le discours de Cicéron, revue belge de philologie et d'histoire, vol.75,n1, 1997
- 58- Miriam Hecquet, Aristote : Les refutations sophistiques, introduction édition du texte grec Paris, Vrin 2019
- 59- Monique Canto-Sperber,Platon.Gorgias,Introduction inédite, introduction et notes,par M.C,Garnier-Flammarion,1987,Paris
- 60- Nicole في d'Almeida, Présentation générale, Retour à l'argumentation, L'argumentation, Les Essentiels d'Hermès, CNRS Editions, 2011.
- 61- Oswald Ducrot, Opérateurs argumentatifs et visée argumentative, cahiers de linguistique française, n5, Paris, 1983
- 62- Oswald Ducrot 1980 : Les échelles argumentatives, Éd Minuit, 1980, Paris.
- 63- Oswald Ducrot : le dire et le dit, les éditions de Minuit, Paris, 1984.
- 64- Oswald Ducrot 1972 : Dire et ne pas dire, Herman, Paris
- 65- Olivier Reboul, La rhétorique, Que sais-je, PUF
- 66- Patrick Charaudeau, Langage et discours- éléments de sémio- linguistique, Hachette université, Paris, mars 1983
- 67- Patrick Charaudeau, Les conditions linguistiques d'une analyse du discours, thèse de doctorat d'état, Sorbonne, 1977
- 68- Plato- Protagoras, Introduction by N Denyr, Cambridge University Press, 2008
- 69- Platon, Œuvres Complètes, Définitions, éditions de Lion Robin,Paris, 1970

- 70- Pierre Mardaga, Argumentation, Colloque de Cerisy, sous la direction, d'Alain L'empereur, Liège, 1991, p9
- 71- Paul Ricœur, La métaphore vive, aux Editions du Seuil, Paris ,1975
- 72- Pierre Oléron,L'argumentation,Presses universitaires de France,Paris,1983
- 73- Quintilien,Institution Oratoire, traduction J. Cousin, Les belles lettres, 7vol,, 1975-1980
- 74- Quintiline et Pline le jeune, Institution Oratoire, Œuvres Complètes avec traduction en français publiées sous la direction de M. Nisard, libraires de l'institut de france
- 75- Ruth Amossy, L'argumentation dans le discours, Armand Colin, 4ème édition, Paris, 2010
- 76- Ruth Amossy, De la sociocritique à l'argumentation dans le discours, janvier 2005
- 77- Stephen Toulmin,(1993), Les usages de l'argumentation (P.Brabanter, trad), Paris, PUF,(éditions originale, 1958)
- 78- Stephen Toulmin: The use of arguments, Cambridge, 1958.
- 79- Tzevetan Todorov, Introduction à la littérature fantastique, Seuil, 1970, p10
- 80- Thomas Cole, Who wa Corax ? Illinois Classics Studies, 1991

المواقع الإلكترونية:

<https://www.almayadeen.net>

<https://www.blogeloquence.com>

<https://www.larousse.fr>

<https://www.mominoun.com>

<https://www.gaffiot.fr>

<https://www.rhétorique> dans l'antiquité

<https://www.encyclopédie> Universalis

<https://www.ahmedelnajjar.com>

<https://www.islamonline.net>

<https://www.almaany.com>

<https://www.arabiclexicon.hawramani.net>

<https://www.odysseum.eduscol.education.fr>

<https://www.fr.wikipedia.org>

<https://www.schoolmouv.fr>

<https://www.kartable.fr>

<https://www.fikrwanakd.aljabriabed.net>

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وعران 3

إهداء: 4

مقدمة 5

مقدمة: أ

الفصل التمهيدي: مفاهيم واصطلاحات 8

توطئة: 9

1- تعريف الحجاج : 9

1.1- الحجاج: لغة / البنية المعجمية 9

1. 2- الحجاج في اللغة القرآنية: 11

1. 3- الحجاج اصطلاحًا: 13

1. 4- مفهوم الحجاج في الثقافة الغربية 18

1. 5- الحجاج والجدل 19

1. 6- الحجاج والبلاغة (L'éloquence) تكامل أم احتواء؟ 21

1. 7- الحجاج والخطابة (La rhétorique) اتصال أم انفصال؟ 23

2. 1- الحجاج في الفكر الغربي القديم بين النسبية والمنطق 26

توطئة: 26

56.....	3 . 2 - الحجاج عند العرب في العصر الحديث:
75.....	خلاصة:
77.....	الفصل الأول: التواصل الحجاجي في رسالة التوابع والزوابع (بنية الرسالة)
78.....	1- عناصر التواصل الحجاجي: 1.1- المرسل (الباث) Le distinateur
85.....	1. 2- المرسل إليه (المتلقي): Le Destinataire
92.....	1. 3- السياق (Le contexte):
101.....	1. 4- الرسالة: Le message
104.....	1. 5- قناة الاتصال (Phatique)
106.....	2 - ترتيب الخطاب
106.....	2. 1- أسس ترتيب القول:
107.....	2. 2- الاكتشاف (مصادر الحجج):
108.....	2. 3- تصنيف الحجج:
109.....	أ/ - الأسلوب:
112.....	ج/ - الألفاظ والعبارات:
114.....	3 . نظام بناء رسالة التوابع والزوابع
115.....	3. 1- النظام العاطفي: الاستهلال (L' exorde) / الخاتمة (La péroration)
119.....	3. 2- النظام البرهاني العقلي:

120	3. 3- البعد الحجاجي في الرسالة
121	خلاصة:
123	الفصل الثاني: الآليات المنطقية في رسالة التوابع والزوابع
124	1 - الطرائق الحجاجية: مقدّمات الحجاج في رسالة "التوابع والزوابع"
124	1. 1- مقدّمات الحجاج (Les prémisses):
125	1. 1. 1- المواضع: (Les lieux ou topos)
131	1. 1. 2- القيم (Les valeurs):
135	1. 1. 3- الوقائع (Les faits):
137	1. 1. 4- الحقائق (Les réalités):
141	2 - التقنيات الحجاجية (Les techniques argumentatives):
142	2. 1- الطرائق الاتصالية أو الوصل (Procédés de liaison):
142	2. 1. 1- الحجج شبه المنطقية (Arguments quasi logiques):
Les arguments basées	2. 1. 2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية
143	sur des structures logiques وتتلخّص في:
154	2. 2- الطريقة الانفصالية أو الفصل (Procédé de dissociation):
159	الفصل الثالث: آليات الاستدلال المنطقي
160	1 - الاستدلال (Inférence) ودوره في الاستنباط والتوليد

160	1-1 الاستدلال لغة:
161	1-2 أنواع الاستدلال ومستويات الشواهد:
166	2 - مستويات الشواهد (Les illustrations) :
168	1-2 الشاهد القرآني:
172	2-2 الشاهد الشعري:
176	2-3 المثل:
178	3 - الجدل والمناظرة:
179	1-3 الجدل: (Dialectique)
181	2-3 المناظرة: (The Debate)
184	3.2.3 - المناظرة وأخلاقياتها وآلياتها
184	أ/- قواعد المناظرة:
185	ب/- آداب المناظرة:
186	3.2.4- المناظرة في رسالة التوابع والزوابع:
187	مناظرة الإوزة الأدبية وأنف الناقة:
195	خلاصة:
196	الفصل الرابع: آليات الاستدلال البلاغية
197	أ/- الإستراتيجيات البلاغية:

- 1- حجاجية الاستعارة في التوابع والزوابع: الاستعارة (La Métaphore): 211
- 1-1- الاستعارة لغة: 211
- 1-2- اصطلاحا: 212
- 1-3- نموذج من (توابع الكُتاب): رسالة الحلواء 214
- 2- حجاجية الصّورة التشبيهية: 199
- 2-1- التشبيه لغة: 199
- 2-2- النموذج الأول: 200
- 2-3- النموذج الثاني: 204
- 2-4- النموذج الثالث: 207
- 3- حجاجية الكناية في "التوابع والزوابع": 222
- 3-1- الكناية في اللغة: 222
- 3-2- حيوان الجنّ: بغلة أبي عيسى: 225
- 3-3- حيوان الجنّ: الإوزة الأدبية: 230
- 4- نظرية الأفعال الكلامية (Speech act theory): 234
- 4-1- أوستين Austin والأفعال الكلامية (Speech Acts) (1957): 234
- 4-2- سيرل (Searle) بين الفعل القضوي والقوة الإنجازية (1969): 237
- 4-3- غرايس Grace ومبدأ التعاون (Principe de cooperation): 238

- 239 5- الأفعال الكلامية في التقسيم العربي (الخبر والإنشاء):
- 240 5. 1- الجملة الخبرية:
- 243 5. 2- الجملة الإنشائية:
- 255 -المحسنات:
- 255 6 - السّجّع L'Assonance :
- 261 7 - الجناس:
- 263 8- الطباق:
- 265 ب-أنواع المقامات في رسالة التوابع والزوابع:
- 265 1-المقام:
- 267 2- مقامات الخطاب السياسي:
- 269 3-مقامات الخطاب الاجتماعي:
- 270 4- مقامات الخطاب الأدبي:
- 271 5- مقام المدح والذمّ:
- 272 خلاصة:
- 273 الفصل الخامس: الآليات اللغوية الحجاجية
- 274 توطئة:
- 274 1- الوسائل اللسانية:

274	الإحالة Referencing والإشارات Diexis:
274	1. 1- الإحالة (Referencing):
275	1. 2- الإشارات (Deixis):
288	1. 3- التكرار (La répétition):
294	2 - الوسائل اللغوية:
294	2. 1- الروابط الحجاجية (Les Connecteurs Argumentatifs):
296	أ- الروابط المُدرجة للحجج:
301	ب- روابط التّعارض:
303	ج- روابط التّساوق:
305	2. 2- العوامل الحجاجية (Les Opérateurs Argumentatifs):
307	2. 3- السلالم الحجاجية (Les Echelles Argumentatives):
307	أ- السّلم الحجاجي: L'échelle argumentative:
309	ب- السّلم الحجاجي التصاعدي:
313	2. 4- المراتب الحجاجية:
313	المراتب المُتضادة:
314	ب - المراتب المُوجّهة توجيهًا كميًا:
315	ج - المراتب المُوجّهة توجيهًا قصديًا:

317.....	خلاصة الفصل الخامس:
319.....	الخاتمة
328.....	قائمة المصادر والمراجع
348.....	الفهرس

ملخص:

سعى الحجاج عبر ما يتمتع به من جهد إقناعي إلى التمتع كُبعد جوهري في اللغة ، بما تسمح به شروط نظرية الحجاج من لغة وُحجج وتقنيات، ليلج عالم المتلقي بخطابه لميوله وأهوائه ومكانته، حسبما يقتضيه السياق، وهو ما حرص ابن شهيد الأندلسي على تحقيقه في رسالته "التوابع والزوابع"، بتوسله آليات حجاجية تمكّنه من التأثير في المتلقي والإذعان والتسليم لأطروحته، إذ كشفت فصول الرسالة عن عناصر التواصل الحجاجي التي تقوم عليها العملية التواصلية لتحقيق التفاعل بين المتكلم والمتلقي، عبر استيعاب أهوائه وتوجّهاته وانفعالاته، فرصه المقدمات المناسبة من مواضع ووقائع وحقائق كونها تنبني على أرضية صلبة تمكّنها من القبول والإجماع، كما اتّكأ على التقنيات الحجاجية من طرائق اتصالية وطرائق انفصالية التي تعمل على المفاهيم والبيانات، فالاستدلال والقياس والشواهد كأنساق منطقية توصل بها توليد المعارف، كما اتخذها حُججا داعمة لأطروحته على اعتبار أنّ " سلوك الأفراد إزاء الخطاب مرهون بحُجّة صاحبه"¹، كما استثمر ابن شهيد في الحملات الحجاجية التي تكتنز بها الصور البلاغية في الرسالة، عبر تحويل تلك الطّاقة الحجاجية التي تشعّ بها إلى حُجج قويّة مؤثّرة، مع تفعيله دور المحسنات من وسائل تزيينية إلى آليات للتأثير والإقناع، ليختتم الفصل الخامس من الرسالة بتوظيفه الوسائل اللسانية كالتكرار والعناصر الإحالية والإشاريات بشتى أنواعها في تحقيقها الحُبك والسبك النصّي، مع تطويعه للوسائل اللغوية كالروابط والعوامل والاسلام والمراتب الحجاجية، كي تضمن له تنامي النص وانسجامه حجاجيا، مع توجيه المتلقي نحو مقاصد المتكلم، وضمان الحماية للمتلقي من الوقوع في شرك الافتراضات والتأويلات.

الكلمات المفتاحية:

بلاغة / حجاج / خطاب / رسالة / ابن شهيد

¹ دومينيك مونغنينو، المصطلحات، المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، وزارة الثقافة، ط1،

يوم: 2025/11/12

الأستاذ الدكتور قبائلي حميد



Abstract : Trough his persuasive effort,the pilgrim's sought to position himself s a fundamental dimension in language, as permitted by theoritical conditions of language,arguments,and evidence.This is what Ibn Shouhid Al Andallussi was keen to achieve in his treatise Al-Tawabi'e Wa Al-Zawabi'e (The Followers and Whistles),by using argumentative mechanisms that enable him to influence the recipient and achieve submission and surrender to his cause, as the chapters of the thesis revealed the elements of argumentative communication on which the communication process between the speaker and the listner is based through absorbing his whims,orientation and emotions, by observing the appropriate introductions from places,facts and truths, as the techniques of the pilgrims from association techniques and separatist methods (separation),It is one of the logical systems on which inference,analogy and evidence are relied upon to generate knowlewdge, consedering that individuals behavior towards discourse depends on the argument of its author.He also invested in rhetorical mechanisms by transforming the argumentative load of graphic images into strong and influential arguments .He also did creative improvements (Creative enhancers) to employ them in persuasion, to include with linguistic means and what they have achieved in temrs of textual casting,and linguistic means to ensure the growth of the text and its argumentative harmony with directing the recipient to the speaker's intentions.

Keywords:

Eloquence / Pilgrims –Argumentation /Speech- Letter /Message/Ibn-Schouhid

يوم: 2025/11/12

الأستاذ الدكتور قبائلي حميد

حميد